

د. أحمد عثمان

أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية

ومدير مركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة

كلية الآداب - جامعة القاهرة

تاريخ قبرص

جزيرة الجمال والألم
منذ القدم وإلى اليوم

القاهرة ١٩٩٧

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩٨٣ - ٩٧
الترقيم الدولي I.S.B.N 977-223-278-2

السعر: ثلاثون جنيهاً مصرياً
التوزيع في المكتبات الكبرى بمصر والبلاد العربية

الإهداء

إلى أختي الوحيدة سعاد التي ورثت عن أمي وأبي حب
الحقيقة والتضحية من أجل الأبناء

أ.ع.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
قائمة بالأشكال الواردة في المتن	٧ - ١٢
المقدمة	١٣ - ٢٠

الباب الأول

قبرص همزة وصل حضارية منذ أقدم العصور

١- أقدم حضارة.	٢٣ - ٤٣
٢- آلاسيا (قبرص) وشعوب الشرق القديم	٤٤ - ٥٢
٣- رسوخ مقومات الهيلينية القبرصية	٥٣ - ٦١
٤- الأشوريون والفينيقيون في قبرص	٦٢ - ٦٨
٥- قبرص ومصر (القرن ٧ - ٦ ق.م.)	٦٩ - ٧٣
٦- إيواجوراس بطل المقاومة ضد الفرس	٧٤ - ٨٦
٧- قبرص البطلمية	٨٧ - ١٠٢
٨- قبرص الرومانية	١٠٣ - ١١٤

الباب الثاني

قبرص في العصر البيزنطي والقرون الوسطى

١- قبرص البيزنطية	١١٧ - ١٢٥
٢- الحكم العربي - الرومي المشترك	١٢٦ - ١٤٧
٣- الحكم الإفرنجي - اللاتيني والحروب الصليبية	١٤٨ - ١٥٨

الباب الثالث

الإحتلال العثماني (١٥٧٠ - ١٨٧٨ م)

١- العثمانيون أشد قسوة من اللاتين	١٦١ - ١٦٩
٢- قبرص وثورة ١٨٢١ م	١٧٠ - ١٧٣
٣- زيادة النفوذ البريطاني	١٧٤ - ١٧٧

الباب الرابع

الاحتلال البريطاني (١٨٧٨ - ١٩٥٩ م)

١- الخلفية الفكرية	١٨١ - ١٩٣
--------------------	-----------

- | | | |
|---------|--|--|
| ١٩٩-١٩٤ | ٢- الاحتلال البريطاني والحرب العالمية الأولى | |
| ٢٠٣-٢٠٠ | ٣- معاهدة لوزان وثورة أكتوبر ١٩٣١م | |
| ٢٠٩-٢٠٤ | ٤- البالمير وقرطية والحرب العالمية الثانية | |
| ٢١٧-٢١٠ | ٥- الكفاح المسلح - إيوكا ١٩٥٥ - ١٩٥٩م | |
| ٢٢٦-٢١٨ | ٦- إتفاقية زيورخ - لندن | |

الباب الخامس

جمهورية قبرص (١٩٦٠م -

- | | | |
|---------|---|--|
| ٢٣٣-٢٢٩ | ١- فشل إتفاقية زيورخ - لندن | |
| ٢٣٦-٢٣٤ | ٢- تدويل القضية | |
| ٢٤٥-٢٣٧ | ٣- "ينبغي التخلص من مكاريوس" ١ | |
| ٢٥٦-٢٤٦ | ٤- الغزو التركي وحالة الإستعصاء | |
| ٢٦٠-٢٥٧ | ٥- قبرص في العقدين الأخيرين من القرن العشرين. | |

الخاتمة كلمة عن آفاق المستقبل

- | | | |
|---------|----------------------------------|--|
| ٢٦١ | | |
| ٢٧١ | المختصرات | |
| ٢٩٢-٢٧٢ | قائمة مختارة من المصادر والمراجع | |

قائمة بالأشكال الواردة في المتن

- شكل رقم (١) : الأديب والرسام القبرصي نيكولا تيديس يتجول فى شوارع القاهرة ، ولوحة بريشته للفلاحة المصرية ----- ١٧
- شكل رقم (٢) : مكاريوس بريشة الفنان محمد ناجى ١٩٥٥ ----- ١٨
- شكل رقم (٣) : مقهى فى قبرص كما رسمه محمد ناجى. ----- ما بين ص ١٨ ، ١٩
- شكل رقم (٤) : منظر طبيعى فى قبرص، لوحة لـ محمد ناجى، ونعتقد أنه إستوحاه بيته أى من المكان الذى يقع فيه "وادي العنديل". ----- ما بين ص ١٨ ، ١٩
- شكل رقم (٥) : منزل محمد ناجى فى قبرص ويفتح المؤلف بابه. ----- ما بين ص ١٨ ، ١٩
- شكل رقم (٦) : خريطة قبرص فى العصر الأرخى مع تبيان الموقع الجغرافى ----- ٢٤
- شكل رقم (٧) : بيت دائرى من حفريات الجمع السكنى فى كالافاسو تينتا ----- ما بين ص ٢٨ و ٢٩
- شكل رقم (٨) : شكل آدمى حجرى عثر عليه فى حفريات خير وكيثيا، محفوظ بالمتحف القبرصى ----- ما بين ص ٢٨ و ٢٩
- شكل رقم (٩) : تماثيل صغيرة لإلهين متقاطعين، ترجع هذه التماثيل إلى العصر الخالكوليثى (النحاسى الحجرى)، ويبدو أن أحد الإلهين ذكر والآخر أنثى، حيث يظهر لأحدهما ثديان. إذن فهى تماثيل تتصل بعبادة آلهة الخصوبة. وهذه التماثيل محفوظة بمتحف قبرص ----- ما بين ص ٢٨ و ٢٩
- شكل رقم (١٠) : عشتروت التى ظهرت فى قبرص منذ العصر الخالكوليثى (النحاسى الحجرى). وفى التماثيل تضع هذه الإلهة يديها أسفل صدرها، وهى هيئة مألوفة فى البحر المتوسط، ويلاحظ أن تجويف الحوض يتميز عن بقية الجسد برسوم وخطوط محفورة. يعود هذان التمثالان إلى القرن الثالث عشر ق.م. وهما محفوظان بمتحف قبرص ----- ما بين ص ٢٨ و ٢٩
- شكل رقم (١١) : الإلهة عشتروت بوجه طائر، وهى صورة شائعة فى حوض البحر المتوسط. ووجدت لها تماثيل كثيرة فى قبرص تعود للقرن الخامس عشر والرابع عشر ق.م يلاحظ ضخامة الأنف والأذنين. تظهر هذه "الإلهة الأم" هنا عارية وتحمل طفلاً على صدرها. محفوظ بمتحف قبرص ----- ما بين ص ٢٨ و ٢٩

شكل رقم (١٢) : عشر على نماذج للمعابد في قبرص حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م، وهذا النموذج يمثل واجهة المعبد مع ثلاثة أصنام، وشخص يسكب القرابين فى إناء ضخمة. راجع

V. Karageorghis "Two religious Documents of the Early cypriote Bronze Age RDAC. 1970. pp. 10 ff.

ما بين ص ٢٨ و ٢٩

شكل رقم (١٣) : لم يتم بعد فك طلاسم اللغة القبرصية فيما قبل التاريخ وهى كتابة مقطعية تختلف عن نظام الكتابة المينوية. وهناك تفسيرات مختلفة فى أصولها وأعلامه تبيان بتطور اللغة القبرصية من الميروغليفية حتى الأبجدية القبرصية الكلاسيكية وأسفله لوحتان إكتشفتا فى إنكوى وعليهما الكتابة القبرصية القديمة الأولى تعود للقرن الرابع عشر ق.م والثانية تعود إلى ١٤٠٠-١٢٣٠ ق.م. وهما محفوظتان بمتحف قبرص --- ٣٣

شكل رقم (١٤) : كان إفانس أول من كشف النقاب عن الألواح التى عثر عليها فى كنوسوس وبها خط الكتابة فى البحر الإيجى. وهنا قائمة مقارنة حيث نجد الميروغليفية، وخط الكتابة A وخط الكتابة B. وتحتها نظام الأرقام فى خط الكتابة B ----- ٣٤

شكل رقم (١٥) : نموذج للكتابة القبرصية المقطعية وبها خمسة مقاطع للأصوات وخمسون أخرى كل منها يمثل مقطعا ----- ٣٥

شكل رقم (١٦) : لوحة نحاسية إكتشفت فى غيداليون وعليها نقش للكتابة القبرصية المقطعية، على الوجه (الصورة الأعلى) وعلى الظهر (الصورة السفلى) وهذه اللوحة محفوظة بالمكتبة الأهلية الفرنسية فى باريس ----- ٣٦

شكل رقم (١٧) : خريطة قبرص فى العصر النحاسى ----- ٣٨

شكل رقم (١٨) : خريطة قبرص فى العصر الحجري الجديد (النيوليثى) والنحاسى الحجري (خالكوليثى) ----- ٣٩

شكل رقم (١٩) : خريطة قبرص فى العصور التاريخية ----- ٤٠

شكل رقم (٢٠) : تمثال لإلهة ترفع ذراعيها وظهرت لأول مرة فى الفن المينوى. وقد إستوردت إلى قبرص فى القرن الحادى عشر ق.م. وبقي هذا الطراز منتشرأ فى قبرص حتى الفترة الكلاسيكية. ويعود هذا التمثال إلى الفترة المتأخرة من العصر الجيوميتري. وعثر على تماثيل مشابهة فى إنكوى وكتيون وغيرهما. والتمثال محفوظ بمتحف

قبرص ----- ما بين ص ٤٤ و ٤٥

شكل رقم (٢١) : الكنتوروس ذو الرأسين، وجد في نفس المعبد الذى عشر فيه على الإله ذى القرنين. وهذا المعبد أقيم للإله الذى يحمى مناجم النحاس فى قبرص. وربما إحدى الرأسين للذكر والأخرى للأنثى. ويعود هذا التمثال لنهاية القرن الثانى عشر وبداية القرن الحادى عشر ق.م. ----- ما بين ص ٤٤ و ٤٥

شكل رقم (٢٢) : تمثال الإله ذى القرنين، وهو أضخم تمثال برنزى من القرن الثانى عشر ق.م. عشر عليه فى معبد إنكومى، وهو تمثال إله الخصوبة حيث يلبس غطاء للرأس به قرنان للثور. وهذا القناع كان يرتديه الكهنة. والتمثال محفوظ بمتحف قبرص. ----- ما بين ص ٤٤ و ٤٥

شكل رقم (٢٣) : تمثال ضخم للإله أمانوس الذى يسك بأسد من قدميه، وسماه أهل أمانوس "مالك" (Malika) وأخذه اليونانيون على أنه مثيل هرقل. ----- ٥٦

شكل رقم (٢٤) : إناء هابارد Hubbard Amphora الشهير باسم صاحب الإهداء. وفتح هذا الإناء عصراً جديداً فى زخرفة الآنية القبرصية باستخدام صور البشر والحيوانات والطيور والسمك. ظهرت الإرهاصات فى العصر البرنزى، ولكنها تبلورت فى العصر الأرخى. يرجع هذا الإناء إلى نهاية العصر الجيوميزى (بداية القرن الثامن ق.م). ونرى فى الرسم سيدة تجلس على كرسى مريح وترتشف سائلاً ما بواسطة شفاطة من القش وأمامها إبريق. وعلى يمين الصورة نجد أبو الهول المجنح يسك زهرة ويشمها... الإناء محفوظ بمتحف قبرص ----- ما بين ص ٥٨ و ٥٩

شكل رقم (٢٥) : إناء يؤرخ بالقرن السابع ق.م. وينتمى لنفس طراز الإناء السابق وفيه نرى ثوراً يشم زهرة اللوتس ----- ما بين ص ٥٨ و ٥٩

شكل رقم (٢٦) : زيوس ذو الصاعقة، تمثال من حجر البازلت عشر عليه فى كيتيون. حيث يقذف الإله الصاعقة بيمينه، ويسك صقراً بيسراه. ويؤرخ للتمثال بالقرن الخامس ق.م. ----- ما بين ص ٥٨ و ٥٩

شكل رقم (٢٧) : كرسى مريح، أو عرش مرصع بالعاج من سلاميس. ويؤرخ بالقرن الثامن ق.م. ----- ما بين ص ٥٨ و ٥٩

شكل رقم (٢٨) : رأس إيزيس وعلى رأسها نصف القمر. ومع أن الوجه هادئ وجليل إلا أنه يعكس الألم. شعرها طويل وفيه فرق عند منتصف الرأس، ويتدل على الكففين. عشرت البعثة السويدية على هذا التمثال فى سولوى ----- ٨٢

شكل رقم (٢٩) : رأس أبوللو المعروف باسم تشاتزورث Chatsworth. وهو تمثال نحاسى يؤرخ بـ ٤٦٠ ق.م. حين كانت قبرص على صلة وثيقة بأثينا. ويمكن أن يقارن

هذا التمثال بالأعمال الأولى لفيدياس أعظم نحّاتى الإغريق طراً . وهو محفوظ بالمتحف البريطانى ما بين ص ٨٤ و ٨٥

شكل رقم (٣٠) : الإلهة أثينا تمتطى صهوة عربية تجرها أربعة خيول. هذا العمل المركب والمتقن من صنع فنانى قبرص فى منتصف القرن الخامس ق.م. وهو يعكس تأثيرات بلاد اليونان القارية والسماوات المحلية القبرصية وهو محفوظ بمتحف، البحر المتوسط فى

إستوكهلم ----- ما بين ص ٨٤ و ٨٥

شكل رقم (٣١) : هذه الراس التى يصورها الفنان القبرصى بهذا التمثال تذكرنا بنهاية نيكوكريون آخر ملوك سلاميس. فكما يقول ديودوروس الصقلى إنتحر نيكوكريون مع جميع أفراد أسرته فى نهاية القرن الرابع ق.م. حتى لا بأسره بطليموس. وقد عثر على هذا التمثال عام ١٩٦٦م مع أربعة رؤوس أخرى نحت بقايا كومة الحرق فى مقبرة

نيكوكريون ----- ما بين ص ٩٠ و ٩١

شكل رقم (٣٢) : زينون من كيتيون (٣٣٤-٢٦٢ ق.م) مؤسس المدرسة الرواقية. تركزت آراؤه الفلسفية حول محور الأخلاق. ولكن الشذرات المتبقية من أعماله تثبت أنه وضع أيضاً أسس المنطق والطبيعة لأتباع المدرسة الرواقية. ويقوم جوهر فلسفته على أن الفضيلة تتمتع بالاكتماء الذاتى ولا تحتاج إلى أى شئ آخر خارج نطاقها. لاقت الرواقية شيوعاً طائفاً فى العالم الإغريقى والرومانى، ولها تأثيراتها المستمرة إلى يومنا هذا. هذا التمثال النحاسى النصفى يعود للقرن الثانى بعد الميلاد. وهو محفوظ

بالمتحف القومى فى نابلى. ----- ما بين ص ١٠٠ و ١٠١

شكل رقم (٣٣) : عملة قبرصية من العصر الرومانى عليها عبارة "إتحاد القبارصة" Κοινον

Κυπριων ----- ١٠٨

شكل رقم (٣٤) : تمثال من المرمر لأفروديتى، عثر عليه فى سولوى ويؤرخ بالقرن

الأول ق.م ----- ما بين ص ١٠٨ و ١٠٩

شكل رقم (٣٥) : إله الحب إيروس يمتطى ظهر كبش. ويعكس هذا التمثال الرشاقة والطبيعية. وذاعت مثل هذه التماثيل فى قبرص حيث أن عبادة أفروديتى تتواءم مع الجو

الرعوى السائد فى الجزيرة. ----- ما بين ص ١٠٨ و ١٠٩

شكل رقم (٣٦) : إيروس نائماً، تمثال من المرمر عثر عليه فى بافوس، ويعود للقرن الأول الميلادى،

ومحفوظ بمتحف قبرص ----- ١٠٩

شكل رقم (٣٧) : تمثال من الحجر الجيرى لشاب رياضى يتأهب لقفز الكرة. عثر عليه فى حلبة

معبد أبوللو فى كوريون ويعود للعصر الرومانى. وهو محفوظ بمتحف قبرص ----- ١١٠

ص

- شكل رقم (٣٨) : إناء عثر عليه في ماريون ويصور إيروس لاعباً رياضياً، فهو يتأهب للقفز. محفوظ
في متحف قبرص ----- مابين ص ١١٢ و ١١٣
- شكل رقم (٣٩) : المدخل (برويليا) الشرقي للجناسيون في سلاميس، وهو مبنى من العصر
الروماني ----- مابين ص ١١٢ و ١١٣
- شكل رقم (٤٠) : مسرح سولوى المنحوت فى الصخر، والسدى إكتشف
عام ١٩٢٩ م ----- مابين ص ١١٢ و ١١٣
- شكل رقم (٤١) : مسرح سلاميس بعد ترميمه، وكان قد بنى فى نهاية القرن الأول ق.م.
ودمره زلزال وقع فى القرن الرابع الميلادى، وكان يسع خمسة عشر
ألف متفرج ----- مابين ص ١١٢ و ١١٣
- شكل رقم (٤٢) : فسيفساء عثر عليه فى حمام Sudatorium (الساونا) الجنوبى فى جناسيون
سلاميس ----- مابين ص ١١٢ و ١١٣
- شكل رقم (٤٣) : فسيفساء من دار ديونيسوس فى المنطقة الأثرية فى بافوس، وتحكى أسطورة
بيراموس وثيسبي ----- مابين ص ١١٢ و ١١٣
- شكل رقم (٤٤) : فسيفساء من دار ديونيسوس فى كاتو بافوس، ويعود للقرن الثالث الميلادى،
ويحكى أسطورة ديونيسوس وأكمى (= اللدوة) ----- مابين ص ١١٢ و ١١٣
- شكل رقم (٤٥) : خريطة قبرص فى العصور الوسطى والحديثة ----- ١١٨
- شكل رقم (٤٦) : مسجد هالة سلطان تيكي (أم حرام) ----- مابين ص ١٢٨ و ١٢٩
- شكل رقم (٤٧) : منظر آخر لمسجد هالة سلطان تيكي (أم حرام)
- مسجد فى ليماسول القديمة ----- مابين ص ١٢٨ و ١٢٩
- شكل رقم (٤٨) : كنيسة أغيا صوفيا من العمارة اللوسينية فى نيقوسيا وقد تحول إلى مسجد بعد
الغزو العثمانى عام ١٥٧١ ----- مابين ص ١٢٨ و ١٢٩
- شكل رقم (٤٩) : القديس نيوفيتوس فى رسم جدارى فى إنجليسزرا ويعود إلى عام ١١٨٣ م ----- ١٤٧
- شكل رقم (٥٠) : خريطتان قديمتان لقبرص الأولى تنسب إلى كلاوديوس بطليموس الجغرافى
الأشهر من مخطوط مارتيللوس جرمانوس Martellus Germanus (فلورنسة
١٤٨٠ م). والثانية تعرف باسم بيتنجر Peutinger وتعود للقرن الثالث عشر
الميلادى ----- مابين ص ١٥٠ و ١٥١
- شكل رقم (٥١) : مسئول تركى كبير يوزع النقود على الفقراء من القبارصة ----- مابين ص ١٦٨ و ١٦٩

شكل رقم (٥٢) أ- مسرحية كاراجيورجياديس "قبرص المستعبدة"

ب- مينيلادس فرانكوديس.

ج- "وصف قبرص وتاريخها العام" تأليف إفريفياديس ن. فرانكوديس.

منشور بالاسكندرية ١٨٨٦م ----- ١٨٦

شكل رقم (٥٣) : فاسيليس ميخائيليديس ومجموعة من أشعاره المنشورة عام ١٩١١ في ليماسول ---- ١٨٧

شكل رقم (٥٤) : مؤلفات ثيودولوس قسطنطينديس "بطرس الأول ملك قبرص وبيت المقدس" منشور بالقاهرة ١٨٧٤م و "كوتشوك محمد أو ١٨٢١م في قبرص" منشور

بالاسكندرية ١٨٨٨م. ----- ١٨٨

شكل رقم (٥٥) : صور جريقاس ومكاريوس كما جاءت في الصحف القبرصية، وتحتها عبارة

"المنتصرون" ----- ٢١٤

شكل رقم (٥٦) : جزء من مذكرات جريقاس (١١ يناير ١٩٥٥م) وفيها إشارة إلى اجتماعات

عقدها مكاريوس نيابة عن الثوار ----- ٢١٥

شكل رقم (٥٧) : مكاريوس وزملاؤه في المنفى بجزيرة سيشل ----- ٢١٦

شكل رقم (٥٨) : "الإتحاد" كما صورته ريشة محمد ناجي عام ١٩٥٥م، وهي رائعته المعروفة باسم

"الوحدة الوطنية" والمعرضة في متحفه بالقاهرة ----- مابين ص ٢٢٤ و ٢٢٥

شكل رقم (٥٩) : نشرة قبرص كما صدرت في مصر ورئيس تحريرها فاسوس كانافاتس ----- ٢٢٥

شكل رقم (٦٠) : مكاريوس، فوت، كوتشوك في قبرص ١٩٥٩م ----- ٢٣٠

شكل رقم (٦١) : مكاريوس وفوت وكوتشوك يوقعون وثيقة إعلان الجمهورية القبرصية ----- ٢٣١

شكل رقم (٦٢) : في بيت جلافكوس كليريديس، حيث إجتمع لأول مرة مع رؤوف دنكاش في

بداية المفاوضات بين الجانبين القبرصيين ----- ٢٤٠

شكل رقم (٦٣) : خريطة توضح الجزء الذي إستولت عليه قوات تركيا في غزوها الذي وقع في

يولية ١٩٧٤م ----- ٢٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

قد يعجب الكثير من الأصدقاء والزملاء والقراء المتابعين لكتاباتي عند صدور هذا الكتاب. فالأدب الإغريقي واللاتيني والدراسات المقارنة تستغرقني تماماً، ولا تسمح لشيء آخر مثل موضوع هذا الكتاب الذى بين أيدينا أن يزاحم هذه الإهتمامات. ولذلك وجب على أن أصارح الجميع بالسر الكامن وراء هذا الكتاب.

فى ٨ ديسمبر ١٩٦٩م سافرت إلى اليونان للحصول على الدكتوراه، وقبل سفري ودعنى طلابى فى كلية الآداب - جامعة القاهرة بالكثير من مشاعر الود والإحترام والقليل من دموع العواطف البرينة والساحرة. كان بينهم طالبة من قبرص -لا أتذكر إسمها الآن- كانت تطلب العلم فى قسم اللغة الإنجليزية. فلما طاب لى المقام فى أثينا، وإخترطت فى دراساتي وعلاقاتي الجديدة نسيت مؤقتاً كل الذى حدث فى جامعة القاهرة قبل سفري رغم أنه محفور فى اللاوعى.

ومن أفضل ما حظيت به فى اليونان صحبة مجموعة من الزملاء والأصدقاء الأجانب، أى غير اليونانيين. تزامننا فى دروس اللغة اليونانية، ثم تقاربنا وتصادقنا وصرنا أشبه بمجموعة من العشاق والعشيقات للهيلينية. نعيش على الثقافة والحوار والرحلات تحت رعاية هوميروس وأفلاطون وديونيسوس وأفروديتى وإيروس، وعلى الأرض يرعانا مدرس اللغة اليونانية بنايوتى كوندوس. وهذه المجموعة النادرة من الأصدقاء كانت تضم جنسيات شتى من الصين إلى أمريكا اللاتينية، مروراً بإفريقيا، بل وإمتداداً إلى استراليا.

ولكننى سمعت هؤلاء الأصدقاء مراراً وتكراراً يتحدثون عن قبرص بكل إعجاب، ويخططون لزيارتها. وذهب الكثيرون إلى قبرص بالفعل، وعادوا يحكون لنا مشاهداتهم وذكرياتهم العذبة هناك. كانت على سبيل المثل ميشيل دوماس عالمة الآثار الفرنسية وبنت مدينة جرينوبل لا تكف عن الحديث فى أثار قبرص، ومن فوق هذه الجزيرة أرسلت لى "كارت بوستال" عليه صورة لصخرة أفروديتى فى بافوس، وهى الصخرة التى يعتقد الناس -وكما تروى الأساطير- أن ربة الجمال والحب والتناسل ولدت هناك من زبد البحر. كان ذلك حوالى عام ١٩٧١/١٩٧٢م. ولازلت أحتفظ بهذا الكارت حتى الآن. وإزداد شوقى لرؤية قبرص، ولم أحظ بذلك طوال إقامتى باليونان.

وعدت إلى مصر فى أغسطس ١٩٧٤م وأنا أحتزن هذه الرغبة العارمة فى زيارة قبرص. وتشاء الظروف أن يوليو ١٩٧٤م قد شاهد أكبر حدث مأساوى فى تاريخ قبرص، أى الغزو التركى. تأملت كثيراً وأدركت أن حلمى بزيارة قبرص ينضم إلى "المؤجلات" فى حياتى.

فلما سافرت إلى الكويت فى سبتمبر ١٩٧٨م للعمل فى المعهد العالى للفنون المسرحية تحسنت أحوالى المادية. فعاودت زيارتى لليونان، وصحبا الحلم القبرصى من جديد. وفى أغسطس

١٩٨٢م إنتقلت من أثينا إلى لارناكا فى قبرص وأمضيت هناك أسبوعين. وكانت هذه الزيارة القبرصية من العلامات الفارقة فى حياتى. كان زملائى وأصدقائى اليونان قد أوصوا بى القبارصة خيراً. وأرسلنى الأستاذ الفاضل ستافروس كوروسيس -المتخصص فى البيزنطيات والعالم الفقيه- إلى أحد أقاربه فى قبرص. المهم دخلت الحياة الثقافية والأدبية من أول لحظة وطأت قدمائى فيها قبرص. كنت قد رسمت لنفسى خطة مدروسة لزيارة الآثار، ونفذت معظمها. وفى أثناء زيارتى للقرية الجبلية ليفكارا إشتريت خاتماً فضياً مازلت أضعه فى إصبعى إلى يومنا هذا.

تعرفت على الكثيرين من الأدباء والشعراء والمثليين واتحاد الكتاب وجمعية Pen أو القلم كما هى معروفة فى مصر. وأهدونى مؤلفاتهم وإحتفوا بى كثيراً. ولأول مرة ذقت "الحالوم"، اللجنة القبرصية المشهورة فاعجبتنى وصرت من مريديها، رغم أننى كنت لا أقبلها فى السابق. ولما كانت خطتى تتضمن زيارة آثار كيرينيا، فهى أغنى منطقة فى الآثار بقبرص. وحيث أنها تقع فى الجانب الشرقى كان على أن أحصل على تصريح خاص للمرور عبر الخط الأخضر فى نيقوسيا، والذى يفصل بين القبارصة اليونان والقبارصة الأتراك. وبالفعل حصلت على التصريح وعبرت الخط الفاصل، وبدأت أتجول فى نيقوسيا المختلة. وحدث ما لا يصدق أحد من أصدقائى حتى الآن. ذلك أننى ما أن وصلت إلى أحد الميادين هناك ورأيت الآلاف من الجنود الأتراك يملأون المكان فى غير نظام، حتى إنتابنى الخوف. هذا مع العلم بأننى سبق لى أن زرت تركيا عام ١٩٧٣م ولقيت من الأتراك البسطاء حفاوة بالغة، ولاسيما عندما كانوا يعرفون أننى مصرى مسلم. أما فى نيقوسيا المختلة فبمجرد أن رأيت ميداناً مليئاً بالجنود الأتراك، حتى قررت إلغاء خطتى لزيارة الآثار أى تخليت عن الحلم. وبدلاً من ذلك سألت عن أفضل فندق أو مطعم بالمكان. ودلونى بالفعل على فندق تساولت فيه طعام الغداء وعدت أدرجى إلى نيقوسيا وفندقى بها. ولما تحدثت تلفونياً مع أصدقائى هناك ظنوا أننى أكلمهم من الجانب الشرقى وفوجئوا بعودتى. وحتى هذه اللحظة لم أحظ بمشاهدة آثار القسم الذى يسيطر عليه الأتراك فى قبرص، ولا أدرى متى سأحظى بذلك؟

لكن أهم ما وقع لى -ولا يحى من الذاكرة- فى أثناء هذه الزيارة الأولى لقبرص أننى كنت أذهب هنا وهناك وأتمتع بزيارة الآثار نهاراً وبنفون التسالية ليلاً وتدوى فى أذنى أصوات المدافع دوماً. ذلك أن زيارتى تواكبت مع الإحتحام الإسرائيلى العاشم لجنوب لبنان وحصار بيروت. وكنت أعيش هذه المأساة بكل جوارحى، وهى لى أننى أسمع أصوات المدافع الإسرائيلىة المعتدية. ومع أن قبرص فعلاً قرية من بيروت، وربما يحس بتلك الأصوات سكان الأطراف الشرقية للجزيرة، إلا أن أحداً فى نيقوسيا وليماسول ولارناكا لم يسمع هذه الأصوات. فهى من التخيلات الوهمية التى تزعج حياتى فى مثل هذه المواقف. ولكننى التمسست لنفسى العذر فيما، بعد وقلت إننى ربما فعلاً سمعت أصوات المدافع، لأن معاوية عندما أستأذن عمر بن الخطاب لغزو قبرص فى أول حملة بحرية للعرب كتب له مبرراً رغبته قائلاً "إن قرية من قرى حصص لىسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم".

وجاءت إحدى كوميديات أريستوفانيس لتكمل الجانب المأساوى من زيارتى القبرصية الأولى. ذلك أننى ذهبت لمشاهدة أحد عروض الفرقة القومية القبرصية فى مسرح مكشوف ، وكان العرض هو "ليسيستراتى" لأريستوفانيس. ففى هذه المسرحية يتفق النساء بزعامة ليسيستراتى على مقاطعة الرجال فى فراش الزوجية عقاباً لهم، لأنهم أشعلوا الحروب ولشغلوا فى تحقيق السلام. فالموضوع كوميدى مثير للضحك والسخرية وغنى بالفكاهات، ولكن الممثلين القبارصة كانوا فى بعض المشاهد وهم يصرخون ضد الحرب ويستصرخون الدنيا من أجل السلام ويرفعون لافتات كتبت عليها عبارات بهذا المعنى، أحسست وكأنهم يعبرون عن مأساة قبرص ولبنان فى آن واحد. وعادتنى التهيؤات، فخيّل إلى أن هذه الصرخات تختلط بأصوات المدافع الإسرائيلية التى تدك بيروت، وتتجاوب مع صرخات النساء والأطفال تحت الأنقاض.

منذ ذلك التاريخ وأنا أشعر بأن على دين لا مفر من تسليده لقبرص والقبارصة. فعشرات المؤلفين الذين أهدونى كتبهم سواء الروايات الطويلة أو القصص القصيرة أو الأشعار والدراسات الأدبية والتاريخية والحضارية كانوا يطمعون فى أن أقدمهم للقارئ العربى ، ولم أكن قادراً على ذلك قبل قراءة تاريخ قبرص عبر العصور ، والقارئ العربى نفسه لن يستوعب الأدب القبرصى قبل أن يلم بشئ عن الخلفية الحضارية له.

وعندما شرعت فى وضع خطة هذا الكتاب أردت به أن يحقق كل أحلامى فى هذا المجال ، واكتشفت بمرور الوقت أن هذه الأحلام لا يمكن تحقيقها برمى واحدة. كنت أحلم بدراسة قبرص فى المصادر المصرية القديمة، ووجدت أن هذه الفكرة وحدها تصلح مشروعاً للدكتوراه مثلاً. وكنت أحلم بأن أقدم دراسة لصورة قبرص فى المصادر الإغريقية واللاتينية، فإكتشفت أن الأمر يحتاج إلى مشروعين ضخمين قام بأحدهما العالم الجليل كيرياكوس خاتزيوانيس الذى فى أكثر من ثلاثة آلاف صفحة قام بمحصـر ودراسة الإشارات فى المصادر الإغريقية القديمة لقبرص ، أما قبرص فى المصادر اللاتينية فلا زال مشروعاً ضخماً ينتظر باحثاً شاباً ونشطاً.

أما قبرص فى العصر البيزنطى والوسيط فنجد له الكثير من المراجع فى اللغة اليونانية واللغات الأوروبية الحديثة. وهى أيضاً الفترة التى إهتم بها الكتاب العرب القدامى واخذثون. لأن قبرص دخلت مجال الصراع بين العرب والروم أى أهل بيزنطة . وهى التى شهدت أول حملة عربية بحرية بقيادة معاوية. وفيها دفنت أم حرام زوجة عبادة بن الصامت وقيل إن بنت أبى بكر لها قبر هناك أيضاً.

واتخذ الصليبيون من قبرص نقطة إنطلاق فى غزو الدول الإسلامية فى مصر وفلسطين والشام. وبذلك أصبحت قبرص جزءاً لا يتجزأ من تاريخ هذه الحروب وتلك الشعوب. ولذلك إهتم بها المؤرخون المصريون والعرب. ومع ذلك فإن هذه الدراسات حقلت فقط بكل ما يتصل بالتاريخ العربى والاسلامى فى هذا الموضوع وهو أمر طبعى ، وآن الآوان لدراسة جزيرة قبرص نفسها من حيث مقومات حضارتها الأصلية بوصفها منطقة حدودية بين الشرق والغرب. كما أن صورة قبرص

فى المصادر العربية القديمة لم تكتمل بالنسبة للقارئ الحديث والمعاصر، فهى تحتاج إلى جمع الشتات ونظمها فى دراسة مستفيضة.

أما فيما يتصل بتاريخ قبرص الحديث والمعاصر فإن المكتبة العربية لا زالت فقيرة. حقاً إن المصريين وأهل الشام والعرب كافة يهتمون بشئون قبرص ويتابعونها متابعة حثيثة، بل إن الأحداث فى منطقنا مرتبطة بما يجرى فى قبرص. ومشكلة قبرص نفسها تعتمد كثيراً على تطورات مشكلة فلسطين ولبنان، أو مانسميه مشكلة الشرق الأوسط. ومع ذلك لا توجد دراسة واحدة جادة عن تاريخ قبرص الحديث والمعاصر. وهو أمر ينطبق أيضاً على اليونان التى تجد فى المكتبة العربية العشرات من الكتب عن تاريخها القديم وحتى العصر الهيلينستى، ولكننا نجهلها تماماً فيما يتصل بالعصر البيزنطى والوسيط وكذا الحديث والمعاصر.

يحاول الكتاب الذى بين أيدينا أن يسد هذه الثغرات بصفة مؤقتة، لأن طبيعته لا تسمح بالإفاضة والإحاطة الشاملتين. ونأمل أن تملأ هذا الكتاب دراسات أخرى أكثر تفصيلاً وتخصصاً فى هذه النقطة أو تلك.

ولا أذكر بدقة مواعيد زياراتى المتتالية لقبرص وإن كنت أعرف أن زيارتى عام ١٩٨٩م كانت منمرة من حيث تعرفى على شخصيات قبرصية مهمة. ومن بين هؤلاء أذكر فالانتينو، ذلك الخزاف المرموق الذى عاش فى العراق والكويت وقتاً طويلاً، وعشق مصر شعباً وفناً. وكان فالانتينو هو الذى استقبلنى فى زيارتى عام ١٩٩١م ووضع لى البرنامج. فصعد بى إلى جبل تروودوس أعلى جبال قبرص الذى تسمى قمته الأوليمبوس تيمناً بهذا الاسم فى الأساطير الإغريقية، حيث كان يقع عرش السماء وموطن الآلهة وملكهم زيوس كما تذهب الأساطير.

وعلى إحدى قمم هذا الجبل دفن مكاريوس أعظم شخصية وطنية فى التاريخ القبرصى الحديث. وفى قمة أخرى من قمة هذا الجبل وفى أثناء عودتنا إلى ليماسول أشار فالانتينو وهو يتحسر إلى إحدى القرى السياحية الجميلة وقال "هنا كان يقيم الرسام المصرى الشهير محمد ناجى ولكننا للأسف لانستطيع دخول بيته". دخلت هذه العبارة إلى أعماقى وفجرت فىضاً من الأسئلة التى استمرت طوال مدة إقامتى هناك. ولم يخل على فالانتينو بالمعلومات والكتيبات وأسماء الشخصيات المرتبطة بمحمد ناجى (١٨٨٨-١٩٥٦م). كانت المفاجأة الأولى أن محمد ناجى (صاحب متحف ناجى بالقرب من الأهرام الآن) عاش فى قبرص سنين طويلة على فترات متقطعة، وهذا الأمر يمكن أن نتأكد منه ونلمسه فى لوحاته القبرصية، ولاسيما اللوحة المسماة "الوحدة القبرصية". أما المفاجأة الثانية والتى إكتشفت فيما بعد أن أحداً فى مصر من المهتمين بناجى لا يعرفها، ولا يذكرها، وهى أن ناجى تزوج بامرأة قبرصية تدعى ليليكاً تافرنارى والتى ظلت على قيد الحياة حتى عام ١٩٧٦م.



شكل رقم (١) : الأديب والرسام القبرصي نيكولائديس يتجول في شوارع القاهرة ، ولوحة بريشته للفلاحة المصرية.



شكل رقم ٢٤ : مكاريوس بريشة الفنان محمد ناجي ١٩٥٥م.



· شکل رقم (۳) : مقہی فی قبرص کما رسمہ محمد ناجی.



. شكل رقم (٤) : منظر طبيعي في قبرص، لوحة محمد ناجي، ونعتقد أنه إستراحه بيته أى من المكان الذى يقع فيه "وادی
العندليب".



شكل رقم (٥) : منزل محمد ناجي في قبرص ويفتح المؤلف بابه.

وكان هذا هو زوجها الثانى. كانت شاعرة إذ نشرت لها مجموعة شعرية عام ١٩٥٦م، وهى نفس السنة التى مات فيها محمد ناجى. وكان لها من زوجها الأول أولاد صاروا مرموقين فى عالم الثقافة والفن باليونان. فإبنتها خريستو موسيقار مبدع، ولد فى هيلوبوليس بالقاهرة عام ١٩٢٨م وكبر وترعرع وتعلم فيما بين الأسكندرية وكمبريدج. أما موسيقاه فهى مستوحاة من مصر وبالتحديد من "كتاب الموتى". إنه إذن من عشاق الحضارة المصرية القديمة ويبدو أنه أحب محمد ناجى زوج أمه، فقد عرفه فى الحادية عشرة من سنه وأعجب به كثيرا، ولاسيما أن محمد ناجى كان يعزف الفولكلين ببراعة! وما أن عدت من قبرص فى فبراير عام ١٩٩١م حتى كتبت مقالا فى مجلة "الإذاعة والتلفزيون" أوضحت فيه أن محمد ناجى بقايا وإسكتشات فى قبرص وله بيت فى قبرص. وكانت المفاجأة أن أحدا لا يعرف ذلك ولكن المسئولين إهتموا بالموضوع وأصبحت الآن هناك أوراق رسمية متداولة فيما بين وزارة التعليم والثقافة القبرصية ووزارة الثقافة المصرية. وكل ما نقله إن الأوراق بطينة الحركة فلم يحدث شئ حتى الآن إزاء هذه الإكتشافات.

وفى زيارتى الأخيرة لقبرص يناير ١٩٩٥م تمكنت من دخول بيت محمد ناجى فى القرية السياحية الرائعة بلاتريس فوق جبل تروودوس. بل إن القبارصة المرافقين لى طلبوا منى أن أقوم شخصا بفتح باب هذا البيت المهجور. وهذه بادرة لها مدلول صريح وواضح لكل من يفهم التاريخ ويحترم التراث.

حكى لى صديقى القبرصى فالانتينو "فى القاهرة وقبرص عن قصته مع بيت الأديب القبرصى نيكولاينديس، الذى كان يعيش فى القاهرة ومات عام ١٩٥٦م فى نفس العام الذى مات فيه محمد ناجى. ويقال إن نيكولاينديس القبرصى هذا حمل السلاح لكى يحارب دفاعا عن مصر أيام العدوان الثلاثى ولقد أرسل إليه عبد الناصر خطاب شكر. المهم ظل فالانتينو يبحث عن بيت نيكولاينديس حتى عثر عليه فى بولاك وفى شارع متفرع من شارع ٢٦ يوليو بالقرب من كوبرى أبو العلا، وذهبت معه ذات مرة وشاهدنا المنزل معاً، وهو على ميدان صغير ويقطنه أناس وبه بعض المحلات الصغيرة. وهناك فكرة قبرصية لشراء هذا المنزل وتحويله إلى متحف. ففى هذا المنزل البولاكى التقى نيكولاينديس مع مشاهير الأدباء المصريين واليونان أمثال تسيركاس وسيفيرس. لقد واصل فالانتينو البحث حتى التقى ببعض الشخصيات المصرية التى كانت على علاقة وثيقة بنيكولاينديس مثل عمو عزيز وجيد جرجس. بل يقال إن هذا الأديب القبرصى تبنى فتى مصرية نوبيا وصار يحمل إسم "فتحنى نيقولا"!!.

على أية حال هذه أمور مازالت قيد البحث والتحرى. ويحدث هذا فى الوقت الذى يستصرخنا القبارصة لإنقاذ بيت محمد ناجى فى قبرص. أليست هذه مأساة مضحكة أو كوميديا سوداء؟!

لقد ذهبنا لزيارة بيت محمد ناجى فى بلاتريس فوق جبل تروودوس بقبرص بصحبة السيدة التى إشرت هذا البيت حديثا، لأنه يقع إلى جوار بيتها الذى هو مشتى ومصيف فى آن واحد. فعندما

ذهبا كانت الثلوج تغطي المكان. وعليك أن تتخيل نفسك فى قطعة من الجنة فوق جبل ثلجى، حيث تغطى هامات الأشجار تيجان ناصعة البياض والدنيا من حولك تزأوح بين الخضرة الزاهية، وزرقة السماء الصافية، وألوان الطيف المتناثرة هنا وهناك. وتشنف الأذن شقشقة العصافير وتغريد البلابل والعندليب. نعم نحن فى بقعة يسمونها "وادي العندليب"، وهو إسم على مسمى.

هناك فى شرفة منزله كان محمد ناجى يجلس صيفا أو شتاء ليعزف الموسيقى، إستجابة لغناء العندليب ونداء الموهبة. وكان يضع الإكتشافات للوحاته الشهيرة هناك. وبالقرب من بيت محمد ناجى جلس مكاريوس أعظم قائد وطنى قبرصى بين الأشجار فى يوم من أيام ١٩٥٥م يرسم له محمد ناجى صورة شخصية "بورتريه". وكانت هذه المرة الأولى والأخيرة التى جلس فيها مكاريوس هذه الجلسة لرسام. "هذه الصورة التاريخية أهداها عبد الناصر لمكاريوس فى عيد ميلاده عام ١٩٦٣م. وذلك بفضل مساعى السفير المصرى وأيام أن كان ثروت عكاشة وزيرا للثقافة.

إنه إذن مكان جميل وتاريخى وقيل إن الملك فاروق كان يعيش السهر هناك فى وادي العندليب، من بعد أن إكتشف المكان بعض الإنجليز الذين كانوا يعملون فى مصر آنذاك. فكانوا يذهبون إلى قبرص لقضاء الإجازات، ومما يقال أيضا إن مهندسا إنجليزيا هو الذى صمم بيت محمد ناجى، حيث بنى عام ١٩٠٠م.

بيت محمد ناجى فى قبرص يصلح لأن يتحول إلى متحف أو مدرسة للرسم أى "مرسم". ويصلح لأفكار أخرى كثيرة يمكن أن يتقدم بها المبدعون المصريون إذا إهتموا بالموضوع.

هذا وبالله التوفيق

أحمد عثمان

القاهرة - يناير ١٩٩٧

الباب الأول

قبرص همزة وصل حضارية منذ أقدم العصور

Tum vero Paphius plenissima concipit heros
verba, quibus Veneri grates agat, oraue tandem
ore suo non falsa premit, dataque oscula virgo
sensit et erubuit, timidumque ad lumina lumen.
attollens pariter cum caelo vidit amantem.

(Ovid. Metamph. X 290-294)

"وراح بطل بالفس (بيجماليون) يستجمع أحلى الكلمات
شكراً لفينوس (أفروديتى) بحبيبة الدعوات
بعد أن وجد فمسه يلكم فمها دافئاً،
فالعذراء تحبس به وتغمس خجلاً
هنا هي ترفع عينها فى استحياء،
وفى آن واحد تطالع نور السماء
وبار الحب فى عيون تعشق الحياة"
(أوفيدوس، التماسخات، ١٠ أبيات ٢٩٠ - ٢٩٤)

١- أقدم حضارة

تقع قبرص عند مفترق الطرق البحرية بين الشرق الأدنى والأوسط وآسيا الصغرى وأفريقيا من ناحية وأوروبا من ناحية أخرى مما أعطاها أهمية خاصة في عملية السيطرة على هذه الطرق ومن ثم التحكم في دفة المعاملات التجارية والحربية والتوازنات السياسية بالمنطقة . وهذا هو سر معاناة قبرص منذ ظهورها وحتى يومنا هذا .

يقول د . عبد المنعم ماجد عن قبرص إنها أشبه بمدفع يدوى صوبت فوهته إلى الشام^(١)، ونحن نفضل أن نشبه قبرص باليد الحضرية الممتدة من الغرب إلى الشرق بهدف الأخذ والعطاء . وتبلغ المساحة بين طرف الجزيرة الشمالى واللاذقية بالشام حوالى ٥٢ ميلاً ، أما بين الساحل الشمالى وآسيا الصغرى فحوالى ٣٥ ميلاً ، ويبلغ طول الجزيرة بين طرفيها الشرقى والغربى ٢٢٥ كم (= القاهرة - الاسكندرية) وعرضها ٩٦ كم ومساحتها ٩٢٥ كم^٢.

يعود العصر الحجري الجديد (Neolithic) فى قبرص إلى ٧٠٠٠ سنة ق.م ويستمر إلى حوالى ٣٠٠٠ ق.م ويتمثل فى وجود مساكن من الفترة الحجرية غير الفخارية Aceramic الأولى، ثم الفترة الفخارية الحجرية الثانية . وأهم هذه المساكن تلك التى تنتمى إلى العصر الحجري الأول فى خيروكيتيا (Chirokitia) ورأس البر المعروف بأسم القديس أندرياس (كاستروس Kastos) ورأس البر جريكو Greko وترولى Troulli إلى الشرق من كيرينيا) وبيزرا توليمينيسى Petra tou Limniti وكالافاسوس Kalavassos (= تينتا Tenta) وكاتاليوننداس Kataliondas الخ . وتعد كل هذه المواقع من الملامح البارزة للساحل القبرصى أو نقاط ارتكاز مميزة على ضفاف الأنهار أو فى وسط الوديان وفوق التلال . ويتمتع كل منها بمساحات واسعة قابلة للزراعة وتتوافر لديها الامدادات المائية والموارد الطبيعية كما تحتل موقعاً يمكن الدفاع عنه .

وتؤرخ هذه المساكن فيما بين ٥٨٠٠ ق.م و ٥٢٥٠ ق.م ولو أن بعض الدارسين يؤرخونها بعام ٧٠٠٠ أو ٦٨٠٠ ق.م أو على الأقل ٦٠٠٠ ق.م . وفى هذه المواقع تم العثور على آنية حجرية وأدوات مختلفة ورؤس سهام وشفرات المناجل؛ وأيادى المون وطواحين أو رحايات وابر ومخارز مصنوعة من العظم وكذلك فلكات المغازل وأقراط وعقود وأصداف وغيرها من أدوات الزينة .

(١) عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى. مكتبة الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٦، ص ٨٥.

وراجع المقدمة الجغرافية التى كتبها أندرياس سوفوكليس A.CI. Sophocles للكتاب الآتى:

Costas P. Kyrris, History of Cyprus. Nicocles Publishing House. Nicosia 1985, pp. 5-26.

ويقوم اقتصاد هذه المواقع السكنية على الزراعة بصفة أساسية ولكن أهل هذه الفترة كانوا أيضاً يمارسون صيد الأسماك والحيوانات وصناعة بعض ما يحتاجونه، على نحو بدائى ويدوى . كانت منازلهم دائرية أو بيضاوية وتبنى من طمي النهر أو من الحجر والطوب اللبن غير المحروق . واندثر العمران فى هذه المواقع السكنية حوالى عام ٦٠٠٠ أو ٥٢٥٠ ق.م ووقعت فجوة زمنية حتى بداية العصر الفخارى الحجري الجديد حوالى عام ٤٠٠٠ ق.م - ٣٨٠٠ ق.م أو ٥٠٠٠ - ٤٨٠٠ ق.م .

أهم مواقع هذه الفترة هى فيليا (Philia = دراكوس Drakos) فى وادى أو فجوس Ovgos بشمال غرب قبرص - ومن هذه المواقع سوتيرا (Sotira = Teppes) وذالى Dhali (= أغريدى Aggridhi) وكالافاسوس (Kalavassos) وأغوس ابكتيتوس Agios Epiktitos (= فريسى Vryssi) وخيروكتيا (رقم ٣) وترولى . ويفترض أن أهل ذاك العصر من الوافدين الجدد على قبرص وكانت لهم نفس اهتمامات السكان الأصليين . وكانت مساكنهم دائرية أو بيضاوية أو على شكل حدود الحصان، وتبنى الجدران من الاحجار وعليها ملاط من الطين . وكانت الزراعة والرعى هما الملح الأساسى للحياة مع وجود بعض الصناعات اليدوية البسيطة . دفن الموتى فى ذلك العصر عند سفوح التلال وغطيت مدافنهم بالحجارة . ووقع زلزال حوالى عام ٣٩٠٠ ق.م أو ٣٨٠٠ ق.م أو ٣٠٠٠ ق.م وأجريت حفريات حديثة بالقرب من لارناكا فى موقع يسمى وادى تريميثوس Tremithos بالقرب من قرية آغيا أنا Agia Anna وعثر على مواد تشبه ماتم الكشف عنه فى خيروكتيا . وتؤرخ هذه الموجودات بحوالى عام ٦٠٠٠ ق.م . وتم العثور على دلائل جيولوجية تؤرخ بالألف العاشرة قبل الميلاد^(١) .

تؤرخ مساكن خيروكتيا رقم ٣ بحوالى ٥٨٠٠ ق.م وهى دائرية tholos وتبنى فوق مكان مرتفع مما يقربه من فكرة الأكروبوليس Acropolis وعادة ما تتجمع المساكن حول مجرى مائى أو نبع ما . وتبنى الجدران من قطع الطمي النهري المتجمد والتي تشبه الحجارة وتوضع بعضها فوق بعض وتربط بينها طبقة من الملاط الطينى . وتضم بعض المساكن دائرتين حول دائرة أخرى من الطوب الطينى غير المحروق ثم تطلّى بالطين . وهذا الشكل المعمارى هو الأشيع فى شرق البحر المتوسط عموماً . كما تم العثور على مبنى معقد ومركب من ثلاث وحدات دائرية tholoi . وهو كما يبدو منزل أحد الأعيان . وفى الآونة الأخيرة توصلت الحفريات إلى الطريق الرئيسى وحدود التجمع السكنى أو فيما نسميه اليوم "كاردون المدينة" التى توسعت فيما بعد إلى ماورائه غرباً فصار للمدينة "كاردون جديد" تم تحديده ببناء سور ضخيم عرضه ٥٠٢ متر وبارتفاع ثلاثة أمتار . وهناك تم اكتشاف بعض المدافن، عثر فى بعضها على بقايا الموتى من النساء والأطفال . وبعض الجدران ملونة . وتم العثور على بعض الأدوات كالابر والمخارز المصنوعة من العظم . ككل

ذلك له علاقة بطقوس الدفن المعروفة في قبرص وشرق البحر المتوسط . ولوحظ أن التصميم المعماري للمساكن ثلاثى التكوين، إذ يضم مطبخاً وحجرة عمل أو معيشة على جانبي الحجرة الوسطى الأكبر والتي تشكل الوحدة الحورية . وظل هذا التصميم المعماري الثلاثى للمساكن يستخدم حتى في بناء المعابد إبان العصور التالية كما هو الحال في معبد أفروديتي في بافوس^(١).

ونستدل من العناية الخاصة والهدايا الجنائزية الفاخرة التي تقدم للمرأة أننا بصدد مجتمع زراعى أمومي matriarchial مع نزعة واضحة لتأليه الأم العظمى magna mater . وتذكرنا القرابين البشرية المقدمة في بعض الحالات لتأمين البناء ومباركته بما هو سائد في العصر الحجري الثيسالي وبعض أجزاء البلقان وفي المكان المعروف الآن باسم تشيكوسلوفاكيا . ولا زالت بعض الأغاني الفولكلورية في هذه الأماكن تحمل أثراً من هذه الطقوس العريقة وظهر ذلك جلياً في " أغنية جسر آرتا " اليونانية الحديثة .

ومن الأشياء التي تشد الانتباه هو أن الفخار المجدول أو المشط الموجود في خيروكيتيا يشبه الفخار المصري المعروف باسم "فخار البدارى" وكذا فخار بيلوس في لبنان ورأس شمرا وبعض أنواع الفخار في ثيساليا إبان العصر الحجري الجديد، وإن كان الأخير ذا جودة عالية لابارى . وتعود هذه التشابهات إلى العلاقات التجارية المباشرة أو غير المباشرة بين هذه المناطق جميعاً . ويمكن إثبات أن الديانة القبرصية البدائية مثل ديانات كريت في العصر الحجري الجديد كانت تشمل فنون السحر . فذلك ماتم عنه التماثيل الصغيرة المكتشفة في خيروكيتيا والتي قد تكون استمراراً لتماثيل الأنثى التي عثر عليها في ثيساليا . فإذا كانت هذه التماثيل في خيروكيتيا هي قرابين مقدمة للأم العظمى طلباً للعلاج فهذا يعني أن لدينا دليلاً قاطعاً على حضارة مزدهرة في خيروكيتيا . وبصفة عامة فإن المباني الدائرية (tholoi) في المدينة القبرصية تشبه من حيث الشكل والوظيفة مباني تيبى جاورا Tepe Gawra وأرباخيه Arpachiyah في فترة تل حلف Tell Halaf وبيلوس بسوريا (٣٥٠٠-٣٢٥٠ ق.م) وكذلك المباني المكتشفة في وسط الاناضول (Eti Yokusu) وفي أرميا بفلسطين علاوة على جزر بحر إيجه .

وبالنسبة للتجمع السكاني، المنتمى للعصر الحجري الجديد (رقم ١)، الموجود في كاستروس عند رأس سانت أندرياس عند أقصى الشرق من شبه جزيرة كارباس Karpass فهي تعود إلى أوائل الألف السادسة ق.م . وتتكون من أكواخ دائرية من الطين أو الطوب اللبن . وهناك مايدل على إقامة سقفوف على قواعد خشبية، وهناك فتحة للدفأة في أرضية الكوخ تحيط بها بعض الحفر الصغيرة، ويبدو أنها كانت قواعد أعمدة صغيرة أو قوائم لدفأة خشبية مبطنة بالفخار .

وفيما بين ريزو كارباسو Rhizokarpasso ورأس أندرياس يوجد تجمع سكاني آخر من العصر الحجري الجديد، مما ينم عن الكثافة السكانية العالية في هذه المنطقة . وكان صيد السمك

[Greek] ARDAC (1981) pp. 22 ff.

[Greek] IEE vol. A. pp. 74-79.

هو مورد الرزق الأساسى كما يتضح من عظام الأسماك وأصداف البحر وأدوات الصيد التى تم العثور عليها فى الموقع . كيسو ومن أكثر المناطق القبرصية كثافة وثراء فى المساكن الدائرية من أثار ما قبل التاريخ كيسونيرجا موسفيليا Kissonerga- Mosphilia بمنطقة بافوس، ويوحى التصميم المعماري هناك ولاسيما نظام إقامة السقوف بمعرفة متطورة . بل يمكن ملاحظة تطور فى البنية الاجتماعية نفسها من متابعة مستويات البناء المعمارى الممتد من ٤٠٠٠-٢٥٠٠ ق.م. ولقد اكتشفت هناك تماثيل فخارية صغيرة آية فى دقة الصنع وجمال الرسوم التى تحملها .

وهكذا نجد أنفسنا أمام حقائق مذهشة بصدد الحضارة القبرصية فى العصر الحجري القديم . أهمها ندرة مواقع الحضارة الخيوكيتية مما يؤيد النظرية المطروحة ومحتواها أن شبه الجزيرة تعرضت لموجة من الاستيطان قادمة من الشرق أو الشمال الشرقى، حيث كان مركز الاستيطان وبؤرته ملاصقاً لمصدر هذه الموجة الاستيطانية فى الآونة غير الفخارية من العصر الحجري الجديد . وهناك دليل آخر على الإستعمار الأجنبى جاء من كالافاسوس تينتسا Kalavassos - Tenta ومن مارى ميسوفوونى Mari Messofovouni فى جنوب قبرص . إذ كانت مساكن تينتسا دائرية أو شبه دائرية ولها طابق علوى يقوم على عمودين مربعين ولها عتبات ونوافذ، أما حوائطها فمطلية ومرسومة^(١) .

يمتد العصر النحاسى - الحجري (Chalcolithic) من ٣٢٠٠-٢٣٠٠ ق.م (أو ٣٩٠٠-٢٥٠٠ ق.م تقريباً) وهو يوازى على نحو التقريب الفترة المتأخرة من العصر الحجري الجديد . ومن المراكز الحضارية المهمة لهذا العصر نذكر : اريمى - بامبولا Erimi - Pamboula ولجا - لاكوس Lemba - Lakkous و كيسونيرجا - ميلوثكيا Kissonerga - Mylouthkia و كيسونيرجا - موسفيليا Kissonerga - Mosphilia وسوسكيو فاثير كاكاس Souskiou- Vathyrkakas و كالافاسوس ولابيثوس Lapethos وكيثريا Kythrea . ويتسم العصر النحاسى الحجري بروح المحافظة سواء فى مفاهيمه الفنية أو فى تطبيقاته واساليبه التقنية . فكل ماتم اكتشافه يتبع معياراً مستقراً، وإن شأبه بعض التجاوزات . وتعكس روح المحافظة هذه جو السلام واستتباب الأمن مما يسمح بالاستمرارية . وعلى نقىض البنية الدائرية فى العمارة المعروفة والمفضلة فى الفترة السابقة وتمثلها اريمى بامبولا وليمبا لأكوس فإن الفترة اللاحقة كما تبدو من معظم المباني الباقية فى سوتيرا - كامينوديا Satira- Kaminoudhia (العصر النحاسى الثانى) فإنها رباعية ذات حجرات كثيرة ومبنية بالحجر . واكتشفت بها آنية فخارية حمراء وبيضاء، وبعضها من نوع الخزف الفاخر الأحمر والمصقول مما يشير بالعصر البرنزى . واكتشفت أدوات كثيرة وحلى وطواجين . . . الخ مما يدل على تطور حضارة فيليا . وهناك حوالى ٢٤ موقعاً تنتمى إلى مايسمى حضارة

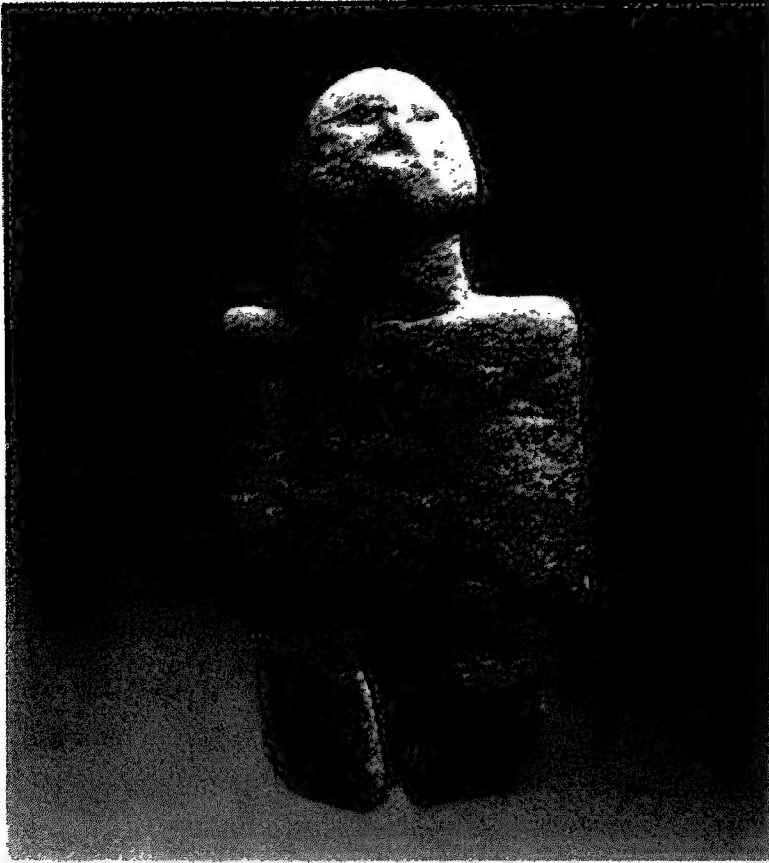
سوتيرا كما كان الإنتقال من العصر الحالكوليثي^(١) (النحاسي - الحجري) إلى العصر البرنزي المبكر مكتفياً في مواقع بالجزء الشمالي المواجه لآسيا الصغرى . ولقد ظهرت مناجم النحاس في قبرص منذ الألف الرابعة ق.م وأقيمت المناجم بالقرب من المعابد^(٢).

ولم تحدث تطورات حادة في المعتقدات الدينية وطقوس دفن الموتى . وتم اكتشاف عضو الذكر Phallos في سوسكيو مع تمثالين صغيرين من الحجر الصابوني للذكر وأنثى في شكل تقاطعي . وعثر كذلك على تمثالين لامرأة عارية وكل ذلك يؤكد أن الديانة القبرصية فيما قبل التاريخ بدأت بتفديس الموتى في العصر الحجري وتطورت إلى تفديس الحياة نفسها من خلال عبادة قوة إلهية للخصوبة التي سوف تنمو وتزعرع وتفرع في العصور التاريخية التالية .

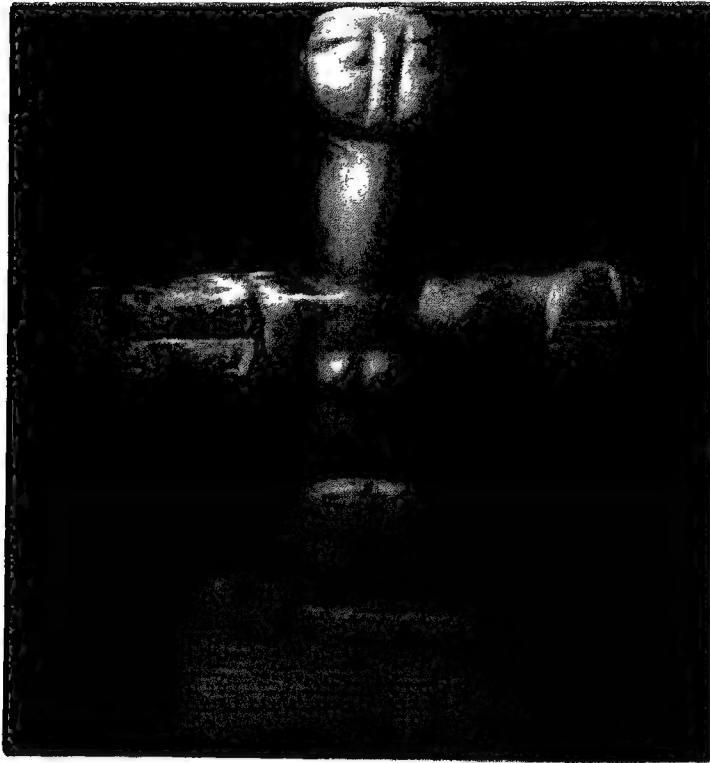
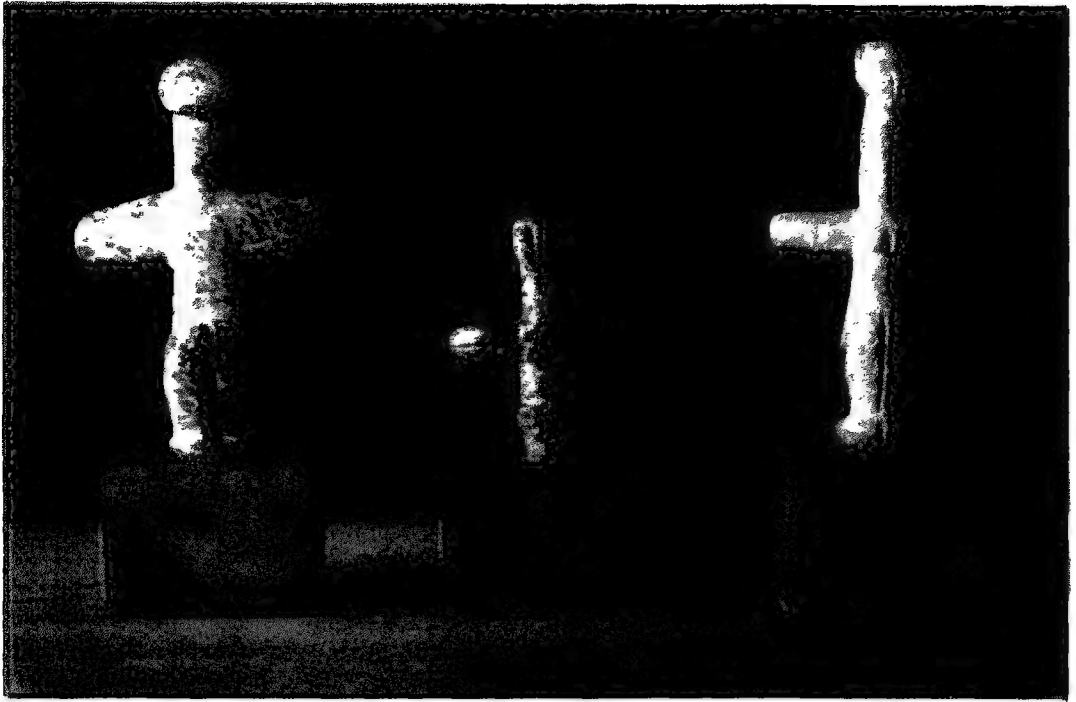
كان العصر البرنزي المبكر (٣٠٠٠-١٨٠٠ ق.م أو ٢٣٠٠-١٩٠٠ ق.م) متزامناً مع بداية العصر النحاسي الحجري الأوسط والآخر (أي الفترة الثانية والثالثة منه) . وكان الفخار الأحمر المصقول وما يسمى خزف فيليا هو الشائع وعثر عليه في كيرا - ألونيا Kyra Alonia وكيرا كامينا Kyra - Kamina وكامينوثكيا بالقرب من سوتيرا . وفي تراپيزي Trapezi وفونوس Vounos وفيليا فاسيليكو Philia-Vassiliko وفيليا -دراكوس Philia Drakos واربيرا Arpera وفاسيليا وذيبييا وأغيا باراسكفي جنوب نيقوسيا وكريسيليو Krissiliou شمال شرق مورقو وليفكا وأغيوس جيورجيوس ، وفي بوليميديا Polemidia وبيرجوس في منطقة ليماسول ، وفي كوتشاتي Kotchati وكيثون وبرودروموس في لارناكا وفي لاينوس ووادي أوفجوس وغيرها . ويبدو أن لارناكا وفد إليها قوم جدد بثقافات مختلفة أضيفت إلى ثقافة قبرص اأغلبية من العصر النحاسي الحجري الثاني، ولايشمل الخزف الأحمر المصقول استمراراً للعصر النحاسي الحجري الثاني بل يدل على دخول عنصر جديد واستحداث ملامح جديدة تقوم على الصناعة والتجارة المعدنيتين القائمتين على عناصر والفدة من جنوب غرب الأناضول وبالتحديد وادي كونيا Konya وكيليكيا . والسكن الوحيد الذي بقي من العصر البرونزي المبكر (٢٧٠٠-٢٦٠٠ ق.م أو ٢٤٠٠-٢٣٠٠ ق.م) وجد في أغيوس جيورجيوس وهو دائري أو بيضاوي من الطراز الشائع في كل منطقة الشرق الأدنى . ويرجح أن هؤلاء الوافدين الجدد لم يكونوا غزاة بل كانوا لاجئين هربوا إلى قبرص بعد التدمير الذي لحق بأوطانهم فيما بين ٣٠٠٠ و ٢٩٠٠ ق.م . وكانوا على درجة عالية من إتقان الحرف اليدوية وتمتعوا بالنزعة المسالمة والهدوء . وأول أسلحة برنزية عثر عليها في قبرص جاءت من مقابر آغيا بارا سكفي وفاسيليا (٢٧٠٠-٢٦٠٠ ق.م أو ٢٤٠٠-٢٣٠٠ ق.م) حيث كان أحفاد هؤلاء الأناضوليين قد اندمجوا في خضم السكان الأصليين وتسلحوا معهم للدفاع عن قبرص . وكانت الزراعة هي عمــــاد



· شكل رقم (٧): بيت دائري من حفریات المجمع السكنی فی كالافامونیتنا.



شکل رقم (۸): شکل آدمی حجری عثر عليه في حفريات خير وكتيا، محفوظ بالمتحف القومى القبرصى



شكل رقم (٩): تماثيل صغيرة لألهين متقاطعين (على هيئة صليب) ترجع هذه التماثيل إلى العصر الحالكوليتي (النحاسي الحجري)، ويبدو أن أحد الإلهين -ذكر والآخر أنثى حيث يظهر له تديان إذن فهي تماثيل تتصل بعبادة آلهة الخصوبة وهذه التماثيل محفوظة بمتحف قبرص.



شكل رقم (١٠): عشتروت التي ظهرت في قبرص منذ العصر الحالكوليتي (التحاسي الحجري) وفي النشالين نضع هذه الإلهة يديها أسفل صدرها وهي هبنة مألوفة في البحر المتوسط، ويلاحظ أن تجويف الحوض يتميز على بقية الحسد برسوم وخطوط محفورة يعود هذان التمثالان إلى القرن الثالث عشر ق.م. ومحفوظان بمتحف قبرص.



شكل رقم (١١): الإلهة عشروت بوجه طائر وهي صورة شائعة في حوض البحر المتوسط ووجدت لها تماثيل كثيرة في قبرص في القرن الخامس عشر والرابع عشر ق.م يلاحظ صحامة الأنف والأذنين. تظهر هذه "الإلهة الأم" هنا عارية وتحمل طفلاً على صدرها. محفوظ بمتحف قبرص.



شكل رقم (١٢): عثر على نماذج للمعابد في قبرص حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م، وهذا النموذج يمثل واجهة المعبد.

مع ثلاثة أصنام، وشخص يسكب القرابين في إناء ضخمة. راجع

V. Karageorghis "Two religious Documents of the Early cypriote Bronze Age RDAC . 1970, pp. 10 ff.

الحياة وكسب لقمة العيش، واستخدم المخرات إلى جانب الصيد البرى والبحرى وصناعة التعدين والفخار والغزل وحدث تقدم تقنى ملموس^(١).

وتدنا مقابر فونوس بمادة حضارية قيمة ولاسيما ما يتصل بالعقائد الدينية فى العصر البرنزى المبكر . وهناك عشر على تمائيل للكهنة ورؤوس للثيران ومشاهد من عملية حرث الأرض . أما التماثيل الكبيرة هناك فربما يمثل كل واحد منها المتوفى المدفون فى القبر وتذكرنا هذه التماثيل بالمقابر والمعابد المصرية . أما وجود الثيران فى أحد المباني هناك فقد يدل على أنها كانت تقدم قرابين للآلهة أو الموتى . ويرى بعض الباحثين أن لبس أقتعة الثيران والامساك بالثعابين فى الطقوس بالمعبد المكتشف هناك قد يرمزان إلى الخصوبة والموت على التوالي .

ويتزامن العصر البرنزى المتأخر ١٦٠٠-١٥٥٠ ق.م تقريباً مع فترة الاستيطان الآخى الموكيتى فى قبرص . ولهذا العصر عدة مراكز ومواقع ولو أن مواقع السكن والاستقرار قد تغيرت وظهرت الكتابة وظهر الفخار الإيغى المستورد وبزغت بواصر ثقافية قبرصية جديدة . ذلك أن الحاجة فى بحر إيجه إلى المعادن قد أعطت لقبرص أهمية خاصة وساعد على تكثيف العلاقات التجارية والثقافية . ومن أهم مراكز حضارة ذلك العصر إنكومى وكيثون؛ ومورفو - تومبا توسكورو؛ فريسى؛ وتوباربا فى لايبثوس؛ ومواقع التعدين فى نيقوسيا وأثينو Athienou وتيكى وآغيوس سوزومينوس وأبليكى Apliki وماتياتيس Mathiatis . وتسم السنوات الأخيرة من العصر البرنزى المتأخر بالقلال كما تشهد بذلك عودة الناس لبناء الحصون والملاجى . ويقال فى تفسير ذلك إنه نتيجة التنافس بين شرق قبرص وغربها للإستيلاء على مناجم النحاس والأراضى الزراعية . وهناك تفسير آخر أكثر شيوعاً وهو غزو المكسوس لقبرص بعد أن كانوا قد احتلوا مصر فيما بين ١٦٧٥-١٥٨٠ ق.م . وعلى أية حال فإن هزيمة الهيكسوس وطردهم من مصر على يد الفرعون أحمس (١٨٥٠-١٥٥٧ ق.م)^(٢) قد ساعد على الإزدهار وتطوير المدن الصناعية الموجودة فى

^(١) عن قبرص فى العصر البرنزى المبكر وإسهامها فى رواج التجارة وتنطقة حوض البحر المتوسط الشرقى والشرق الأدنى والأوسط والأناضول راجع:

J. Mellaart, The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia. Khayats, Beirut 1966. pp. 13 ff.

^(٢) الجدير بالذكر أن أحس "كان مجاملاً للإغريق، ولكن ذلك لم يمنعه من منافستهم فى البحر المتوسط، فاستولى أسطوله على جزيرة قبرص"، أنظر عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول: مصر والعراق، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٤ ص ٣٠٨، ٣١١، ٣١٥.

وراجع كذلك:

M. Bernal, Black Athena, The Afro-asiatic Roots of Classical Civilization. Vol. 11. Rutgers University Press 1993, pp. 330 ff.

جنوب قبرص - هالة سلطان تيكي^(١) وماروني وإنكومي وغيرها . أما فى الشمال فيلاحظ أن ذنبها ولايخوس قد تدهورتا بسرعة . وربما يعلل ذلك بالتوجه الجديد لتجارة النحاس نحو الجنوب، فى حين كانت الأجزاء الشمالية من قبرص قد اعتمدت على العلاقات التجارية مع كريت .

كان الموقع الطبيعى الذى تهيئه بحيرة تيكي المالحة يتخذ كميناء نشيط لتصدير النحاس للشرق والغرب حتى نهاية العصر البرنزى، وقد إكتشفت بعض المراسى anchors فى الجانب الغربى من البحيرة . كانت البحيرة والمدينة الواقعة عليها بمينائها مدخلاً إلى الجزيرة برمتها وإلى التلغلل شرقاً وكانت مدخلاً للموكيين سواء فى تجارتهم عبر الجزيرة أو للإستقرار فيها . والمستوى المينوى الموكيى للصناعة اخلية تشهد به قطعة من الفخار الموكيى عبارة عن Crater عثر عليه هناك وتمثل هيئة آدمية يقفز على ظهر ثور شقلبة وهو مشهد له نظير فى ريت .

وعثر على كرات من الطين لم يعرف وجه إستخدامها وعليها نقوش قبرصية مينية فى هالة سلطان تيكي وكيثيون حيث عثر على صولجان ceptre = خزفى من القرن ١٢ مزين بخارطوش حورمحب Horemheb . (١٣٤٨-١٣٢٠ ق.م) . وعثر كذلك على قنية حمر موقعة بخارطوش الفرعون سيتى I (حوالى ١٣١٢-١٣٠٠ ق.م) وجعران zcarals أمينوفيس الثالث Amenophies III (١٤٠٢-١٣٦٤ ق.م) . عثر عليه فى باليوبافوس سكاليس فى مقبرة تعود للقرن الحادى عشر ق.م، وأكثر أهمية الآنية الموكيية الكثيرة ولاسيما الكبيرة منها فهى مزينة بعناصر من زخرف البحرالإيجى والشرق الأدنى كذلك الموجودة فى تيكي وكوريون وماروني وبيلا وإنكومي.

وهناك مباني من كتل الحجر الصابونى ashlar فى كيثيون وتيكى وإنكومي بر حجم أن بناء من أوجاريت قد هجروا إلى قبرص وبنوها ولاسيما بعد تدمير أوجاريت عام ١٢٠٠ تقريباً، كما تم العثور على خزف طروادى فى إنكومي وبيلا فرغين Pyla-Verghin وكيثيون مما يشى بصلة أناس البحر بالاناضول ومنطقة طروادة .

وهناك شوكة ثلاثية trident برنزية ذات socket tubular و burbed points ربما كانت تستخدم لتقديم القرابين، عثر عليها فى مقبرة فى تيكى وهى من أصل الشرق الأدنى.

Z. El Habashi, Tutankhamun and the Sporting Traditions. Peter Lang, New York 1992, pp. 69-71, 73, 147, 148, 153.

ARDAC (1977) p.26

ويلزم التنويه إلى أن هذه التسمية "هالة سلطان تيكي" هى التسمية الحديثة للمكان، الذى سوف يكتسب أهمية خاصة بعد حملة معاوية بن أبى سفيان على قبرص فى القرن السابع الميلادى. ولا زالت توجد به حتى يومنا هذا تكية أم حرام وهذا ما ستناوله بالتفصيل لاحقاً فى نساء الكتاب الذى بين أيدينا

وهناك معضلة تاريخية لماذا كل مراكز الإستيطان حول البحيرة بما فى تيكى هجرت تماماً فى نهاية القرن الحادى عشر ق.م حيث غطت مياه البحر الميناء وتحولت المنطقة إلى مستنقعات . ولجأ الناس إلى كيتيون القريبة . ويُعتقد أن زلزالاً أو أية كارثة طبيعية هى التى قضت على حضارة العصر البرنزى القبرصى ونتيجة لذلك، هجرت هالة - سلطان تيكى وإنجبه سكانها إلى كيتيون التى لحقها الدمار بعض الشيء ولكنها ظلت مأهولة . وهذا ماثبتته حفريات كاثارى Kathari التى كانت فى عصور ما قبل التاريخ على الساحل مباشرة وتغطى مساحة واسعة تصل إلى حدود المدينة كيتيون . وفى كاثارى إستعاد المستوطنون الفينيقيون المعبد الموكينى I وحولوه إلى معبد لإلهتهم عشتروت . Astarte .

إن خط الكتابة القبرصية المينوية التى يقارنها المتخصصون (A) Linear فى كريت قد دخل قبرص وانتشر حولى ١٥٠٠ ق.م . والمرجح أنه اشتق مباشرة من كريت التى كانت على علاقة وثيقة بقبرص فى المجالات التجارية والثقافية منذ العصر البرنزى المبكر، أى فيما قبل عصر بناء القصور العملاقة الفخمة فى كريت . ومن الملاحظ وجود مواد أثرية فى كل من الجزيرتين قادمة من الأخرى، حتى أنه قد تم العثور على تالينات قبرصية فى كريت وآنية كريتية صقيلة وملونة فى قبرص وهكذا بلا حصر . ومع ذلك لاحظ المؤرخون تقلصاً فى العلاقات القبرصية - الكريتية حول عام ١٥٠٠ ق.م مما دفع البعض إلى الاقتراح بأن الكتابة القبرصية المينوية قد استعارها القبارصة من التجار الكريتين منذ العصر البرنزى المتوسط . كان هؤلاء يعيشون فى أوجاريت Ugarit وغيرها فى سوريا - التى كانت مستعمرتها الكريتية قد فرضت على عالم التجارة بالمنطقة خط الكتابة LinearA وسيلة للتعامل والتفاهم .

وكان تبنى خط الكتابة الكريتية المينوية بمثابة خطوة جبارة نحو تطور الفكر فى قبرص . إن لغة النقوش القبرصية المينوية التى بقيت لنا ليست اغريقية . ولقد بدأ الاستيطان الأخرى فى قبرص بعد ١٥٠٠ ق.م بفترة طويلة . وبرغم أنه حتى الآن لم تفك طلاسم الثمانين علامة الباقية من الخط القبرصى - المينوى فمن الواضح أنها كانت سائدة الاستعمال فى قبرص كلها . وهناك خط قبرصى مينوى آخر يحمل رقم ٢ ظهر فى القرن الثالث عشر ق.م فى انكومى . وتكتب هذه العلامات بشكل أفقى على النحو الشرقى التقليدى . وخفضت هذه العلامات من الثمانين إلى الستين مما يدل على تطور مطرد نحو التبسيط . واكتشف خط كتابة قبرصى مينوى يحمل رقم ٣ على لوحة تم العثور عليها فى أوجاريت . إذ كان المستوطنون الموكينيون فى القرن الثالث عشر والثانى عشر ق.م يستخدمون الخط القبرصى المينوى لا الخط التقليدى الخاص بهم LinearB بعد أن تواءموا مع البيئة التى كانوا يتعاملون فى إطارها . هذا وقد تم العثور على أختام كثيرة تنتمى لتلك الفترة

وتحمل طابعاً إيجياً أو شرقياً واضحاً وهى مصنوعة من مواد مختلفة وبأشكال متعددة واستخدمت فى أغراض تجارية^(١).

ويمكن مقارنة العصر البرنزى المتأخر فى قبرص بصفة عامة بالعصر الموكينى فى بلاد اليونان القارية . وهو عصر بدأ فيه الوجود الاغريقى فى قبرص على الصعيد الإثنولوجى جنباً إلى جنب مع التفاعل الثقافى والسباسبى والتبادل الاقتصادى . ولما سهل على الموكينيين السيطرة على الجزيرة وادارتها تفوقهم التقنى فى الأسلحة وادارة الحرب . ويلاحظ أن التطور الوحيد الذى طرأ عام ١٢٠٠ ق.م على صناعة الأسلحة القبرصية هو ظهور رأس الحربة ذات المغارز . وجاء الاحتلال الموكينى فأحدث طفرة فى التعدين وصناعة الأسلحة . ولما لاشك فيه أن استخدام السيف الطويل البتار على يد الموكينيين كان عاملاً حاسماً فى اتمام غزوهم لقبرص عند نهاية القرن الثالث عشر ق.م^(٢).

أما العلاقات القبرصية الإيجية فتجلى فى أثار كثيرة من بينها أباريق التخزين ذات اليدين وذات الأذن المخروطية، وكذلك آنية فخارية فيها بروز مخروطى عند الكتف . ووجدت مصنوعات قبرصية أو على الأقل مصنوعات متأثرة بالأسلوب القبرصى فى آخايا مثل الأباريق (stirrup) وهى غير مزخرفة وذات مثلثات أو أنصاف دوائر عند الكتف . وفى بداية القرن الحادى عشر ق.م أصبحت العلاقات القبرصية - الإيجية وطيدة ولصيقة . وهناك تشابه بين الآنية فى إنكوسى وسلاميس ولايشوس وباليوبافوس من جهة وأثينا وناكسوس من جهة أخرى .

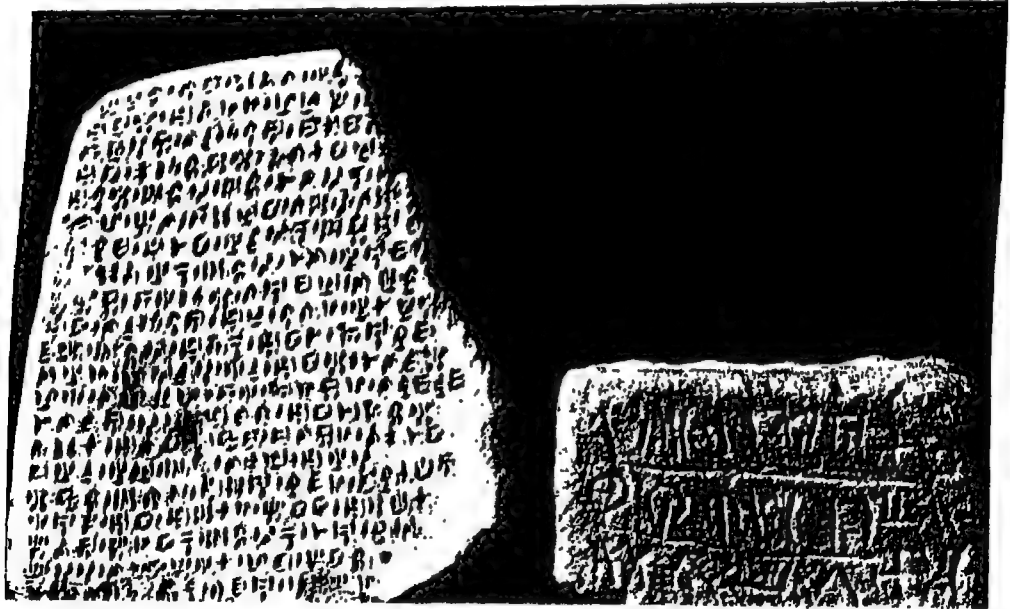
ولقد حافظت قبرص على طابعها الخاص برغم تقبلها لمؤثرات خارجية سواء من كريت وبلاد الاغريق أو من الشرق ولاسيما مصر . ونستدل على ذلك برسوم تصور الألعاب على الآنية القبرصية من القرن الثالث عشر ق.م . فمعروف أن المصارعة والملاكمة دخلتا قبرص من موكيناي ومعهما كل المصاحبات الثقافية . هاتان اللعبتان قدما إلى موكيناي من موطنهما الأصلي كريت التى ربما تكون قد استوردتهما من مصر^(٣) . مما يدل على أنهما لم تأتيا مباشرة من كريت إلى قبرص وإنما عبر موكيناي . وبعد الغزو الموكينى الآخى حوالى عام ١٢٠٠ ق.م وبسبب التفسخ الذى أصاب المجتمعات الموكينية فى شبه جزيرة البلوبونيسوس خرجت موجات من الهجرات المتتالية تستهدف المناطق المعروفة والواعدة فى منطقة الشرق الأدنى وشرق البحر المتوسط وبحر إيجة . فاتجهت موجة كاسحة إلى جنوب أوجاريت فى سوريا وفلسطين، إنها موجة "أناس البحر" الذين بعد ذلك وسفن أوجاريتية سورية هاجوا جنوب آاسيا - قبرص الخليفة القديمة لأوجاريت . وحوالى عام ١٢٢٢ ق.م دمرت كل من إنكوسى وكيثيون، وفى عام ١١٩٠ ق.م كان شوبيلوليوم الثانى

(١) M.Bernal: "On the transmission of the Alphabet to the Aegean before 1400 B.C.", Bulletin of the American Schools of Oriental Research 267 (1987) pp. 1-19.

(٢) [Greek] IEE Vol. A (Karageorghis) pp. 338-352.

(٣) Habashi, op. cit., p.52 et passim.

الميروغليقية	𐤀		𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈
خط الكتابة ٨		𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈
خط الكتابة ١٣		𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈
القبرصية المنيوية	𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉
القبرصية الكلاسيكية	𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉



شكل رقم (١٣): لم يتم بعد فك طلاسم اللغة القبرصية فيما قبل التاريخ وهي كتابة مقطعية تختلف عن نظام الكتابة المنيوية. وهناك تفسيرات مختلفة لى أصولها وأعلامه تبيان بتطور اللغة القبرصية من الميروغليقية حتى الأبجدية القبرصية الكلاسيكية وأسفله لوحان إكتشفتا فى إنكوى وعليهما الكتابة القبرصية القديمة الأولى تعود للقرن الرابع عشر ق.م والثانية تعود إلى ١٤٠٠-١٢٣٠ ق.م. وهما محفوظتان بمتحف قبرص

	A	E	I	O	U
	✱	✱	✱	✱	✱
P	✱	✱	✱	✱	✱
T	✱	✱	✱	✱	✱
K	✱	✱	✱	✱	✱
L	✱	✱	✱	✱	✱
M	✱	✱	✱	✱	✱
N	✱	✱	✱	✱	✱
R	✱	✱	✱	✱	✱
J	✱	✱		✱	
V	✱	✱	✱	✱	
S	✱	✱	✱	✱	✱
X		✱			
Z	✱			✱	

شكل رقم (١٥): نموذج للكتابة القيرصية المقطعية وبها خمسة مقاطع للأصوات وخمسون أخرى كل منها يمثل مقطعاً

١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

شكل رقم (١٦): لوحة نحاسية اكتشفت في غيداليون وعليها نقش للكتابة القبرصية المقطعية، على الوجه (الصورة الأعلى)
 وعلى الظهر (الصورة السفلى) وهذه اللوحة محفوظة بالمكتبة الأهلية الفرنسية في باريس

Shuppiluliumen ملك الحيثيين يتباهى بأنه شن الحرب على آلاسيا ودمر أسطولها . كانت هذه الموجات مدمرة، إلا أن بعض " أناس البحر " ومنهم الموكينيون استقروا في المناطق المدمرة من قبرص وأعادوا إعمارها وأضافوا إليها "الأسوار الكيكلوية"^(١) التي بنوها فوق أنقاض الأسوار الطينية القديمة . وهذا ماحدث بالنسبة لإنكومى وكيثيون وسيندا Sinda ومآء باليوكاسترون Ma'a-paliocustron وبيلاكوكينو ريموس Pyla-kokkino-remmos وغيرها .

وهكذا بدأت مرحلة حضارية جديدة وظهر فخار موكنى وهيلادى في المواقع سالفة الذكر . وغيرها . وهذا الفخار جاء مع المستوطنين الموكينيين الجدد . ويختلف علماء الآثار فيما بينهم حول الطراز الرعوى الجاف الذى أنتج فى قبرص آنذاك . فالبعض يعتبرونه مسخاً رديئاً متدهوراً للطراز الموكينى المتأخر ، فى حين تميل بعض الدراسات الحديثة إلى القول بأن هذا الأسلوب الرعوى وجد جنباً إلى جنب مع الطراز الموكينى . وإلى جوارهما ظهرت طرز قبرصية أخرى . وفى نفس الوقت استورد الطراز المسمى " الطروادى " من مكان ما بالقرب من طروادة مما قد يفهم منه أن "الناس البحر" قد قدموا إلى قبرص عبر الأناضول .

وهناك رأى آخر محتواه أن الدمار الذى حل بقبرص عام ١١٩٠ ق.م يعزى إلى النزاع العنيف الذى وقع بين القبارصة الأصليين والآخيين المستوطنين الجدد الذين أيدتهم موجة إضافية من أبناء سلالتهم قدمت من البلوبونيسوس . ثم توالى الموجات من الآخيين والمينويين وبعض اللاجئيين الشرقيين الذين أرغموا على ترك فلسطين بعد اجتياح "أناس البحر" للمنطقة واستقرارهم فيها . ويؤيد الفخار المكتشف من تلك الفترة هذه المعلومات كما تؤيده شهادة أحد المصريين الذى رأى الحياة فى آلاسيا - قبرص حوالى عام ١٠٧٥ و ١٠٥٠ ق.م^(٢)

(١) نسبة إلى الكيكلوس Cyclops (= ذو العين الدائرية) فهو مخلوق أسطورى ورد ذكره عند هوميروس ولاسيما فى "الأوديسيا". إن هذا المخلوق الخرافى ينتمى إلى سلالة لكل منها عين واحدة فى الجهة. وأشهر كيكلوس هو بوليفيموس ابن بوسيدون إله البحر والذى فقا أوديسيوس عينه بعد أن أكل اثنين من رفاقه كما يرد فى "الأوديسيا". وهو غريم أكيس فى حب جالاطيا. وعندما ظهرت الأسوار الضخمة فى المدن الموكينية نسبها الناس إلى الكيكلوس وقالوا عنها "أسوار كيكلوية"، أى أنها أضخم من أن يبنها الإنسان العادى. وعن أناس البحر أو شعوب البحر التى تكرر ذكرها فى المصادر القديمة راجع:

N. Sandars, The Sea Peoples, warriors of the Ancient Mediterranean, 1978, passim
(٢) بلغ التداخل الحضارى بين مصر والشرق القديم من جهة وقبرص واليونان من جهة أخرى حتى إن دراسة حضارة أى طرف منهما أصبحت ضرورة لفهم حضارة الطرف الآخر. وبعبارة أخرى نقول إن المصادر المصرية القديمة وكذا اللغات الشرقية القديمة تعد من الأدوات البحثية المهمة لمن يرغب تعمق فى أصول حضارة قبرص واليونان. وبالمثل لا يمكن للمتخصص فى المصریات والشرقيات القديمة أن يستغنى عن النصوص اليونانية واللاتينية. وهذا ما سبق أن أشرنا إليه مراراً فى دراساتنا السابقة ونشير إلى البحث التالى منها:

أحمد عثمان: "تفاعل الآداب العالمية فى تراث طه حسين: الآداب الأوروبية القديمة، الأدب اليونانى والأدب اللاتينى". ص ٢٢٥-٢٢٦ من كتاب: طه حسين، مائة عام من النهوض العربى. القاهرة، دار الفكر للدراسات، ١٩٨٩.

وراجع:

Ahmed Etman, "Isis in the Greco-Roman World with a special reference to Plutarch's Treatise De Iside et Osiride" JOAS (1990) pp. 11-21.

قهبرص في العصور التاريخية



شكل رقم (١٩): خريطة قبرص في العصور التاريخية

وينعكس الغزو الموكيني لقبرص في أساطير تأميس المدن على أيدي أبطال وقادة آخيين . فكيفيوس Kephheus^(١) هو مؤسس كيرينيا Kerynia التي سميت باسم مدينة موكينية أقدم . وبراكسا ندروس Praxandros^(٢) من لاكيد إيون (= اسبرطة) هو مؤسس لايشوس . وأسس تيوكروس Teukros^(٣) مدينة سلاميس على الساحل بجوار إنكومي-آلانيا . ومن ثم أصبحت سلاميس وريشة هذه المدينة العريقة وصارت مركزاً سياسياً وثقافياً وحصناً حصيناً للهيلينسية القبرصية مع أنها في أقصى شرق الجزيرة . وأسس أجابينور Agapenor^(٤) من تيجيا Tegea بـافوس الجديدة Nea Paphos ، وأقام خالكانور Chalkanor^(٥) إيداليون ، وبنى خيتروس Chytros^(٦) مدينة خيتروى Chytroi التي تسمى كذلك Kythria أو Kythrea . أما ديموفون Demophon^(٧) فقد بنى أيبيا Aipeia . والأرجيون أي أبناء أرجوس هم الذين شيّدوا كوريون Kourion . وأسس أكاماس Akamas^(٨) ابن البطل الأثيني القومي

(١) تحفل الأساطير الإغريقية بأكثر من شخصية تحمل هذا الاسم، وأشهرها هو كيفيوس ملك إثيوبيا ووالد أندروميذا. وهناك أيضاً كيفيوس ملك تيجيا في أركاديا بشبه جزيرة البلوبونيسوس باليونان، وهو أحد أبطال رحلة السفينة أرجو التي قادها البطل باسون، لكي يحضر الفروة الذهبية من كوخيس على البحر الأسود.

(٢) عن براكساندروس Praxandros من لاكونيا ومؤسس لايشوس أنظر:

[Greek] Hatzedemetriou, p.27

(٣) تيوكروس بن تيلامون من زوجته هيسوني. وهو الأخ غير الشقيق للبطل الأخضر أباس الذي أعطى اسمه عنواناً لإحدى مسرحيات سوفوكليس السبعة التي وصلت إلينا كاملة. و"تيوكروس" لقب معناه الطروادي لأن أمه هيسوني هي بنت لاؤميذون. وعندما عاد تيوكروس بعد حرب طروادة عوقب بالنفي، لأن أباه اعتبره مسئولاً عن موت أخيه أباس. فلذهب إلى قبرص وأسس سلاميس.

(٤) أجابينور هو قائد الفرقة الأركادية في الجيش الإغريقي الذي حاصر طروادة عشر سنوات ("الإلياذة" الأثودرة الثانية ٦٠٩). في طريق عودته بعد أن وضعت حرب طروادة أوزارها وصل أجابينور إلى قبرص (Lycophr. 479 ff.) فأسس بـافوس الجديدة Nea Paphos وأقام معبداً لأفروديتي واستقر في الجزيرة (Pausan. VIII 502).

(٥) يبدو أن إسم خالكانور Chalkanor له علاقة بالنحاس (Chalkos). وهو مؤسس إيداليون في الأساطير الإغريقية.

[Greek] Hatzedemetriou, p.27.

(٦) خيتروس Chytros هذا الاسم في اليونانية القديمة يعني "ثقب عميق" أو "طبق عميق". وفي الجمع خيتروى Chytroi يستخدم اسماً لعيد يقع ضمن الأعياد الأكبر والمسماة الأنيستريا Anthisteria في أثينا. كما أنه إسم اليتاييخ الساخنة عند ممرات ثرموبيلاي في بلاد اليونان القارية. وذكر أريستوفانيس أعياد الخيتروى في "الأخارنيون" (١٠٧٦) و"الضفادع" (٢١٨) راجع:

Jane Harrison, Epilegomena to the Study of Greek Religion "Cambridge, 1921 reprint 1980, pp. 33-37.

Eadem, Themis. A study of the Social Origins of Greek Religion. Cambridge 1927 raprint 1977, pp. 284-294.

(٧) ديموفون هو ابن بطل أثينا القومي ثيسوس وأخو أكاماس (وهو اسم نتوء أو رأس بر في قبرص) اشتركاً معاً في حرب طروادة.

Strabo, XIV 6.3.

(٨) أنظر الحاشية السابقة وراجع:

ثيسوس مع أخيه ديموفون وبالتعاون مع فاليروس الأثيني مدينة سولوى soloi ومن هنا جاء إسم شبه جزيرة أكاماس .

ولقد تمت عملية "هنة" قبرص أى تحويلها إلى كيان هيلينى فى الفترة ١١٩٠-١١٧٥ ق.م . وهى عملية قد واكبت تاريخ حرب طروادة ١١٨٤ ق.م كما أنها كانت عملية متكاملة شملت السياسة والاقتصاد والثقافة، إذ دخلت اللغة الإغريقية قبرص . ومن الطبيعى أن كل سلالة من سلالات الإغريق أحضرت معها لهجتها فأجابينور على سبيل المثال أدخل اللهجة الأركادية إلى بافوس الجديدة . جاء هذا الغزو فى نهاية العصر البرنزى المتأخر بعد حدوث دمار شبه شامل فى المواقع الحضارية القديمة، وواكبه وفود عناصر شرقية قوية . لقد ثبت أن الاستيطان الآخى - الهيلينى فى قبرص قد وقع إبان العصر البرنزى المتأخر وما بعده، ولاسيما خلال القرون من الثالث عشر إلى القرن الحادى عشر ق.م . وهو الحدث المسجل فى آثار هذه الجزيرة . ومن الملاحظ أن هذا الاستيطان هو الذى قلل من شأن العناصر الأخرى الوافدة . وهكذا نجح الموكينيون فى انتزاع قبرص من دائرة النفوذ الحيثى والمصرى والشرقى بصفة عامة، لتصبح موقعاً متقدماً للدفاع عن الهيلينية . ومع ذلك فإن هذا التنازع بين الشرق والغرب حول قبرص يمثل الطابع التاريخى العام من القدم إلى يومنا هذا .

ثم جاء تأسيس ممالك آخية فى أسيا الصغرى ليدعم الوجود الهيلينى فى قبرص، التى ظلت هيلينية منذ ذلك التاريخ فى كل شئ دون أن تفقد صلاحها التجارية والثقافية مع دول الجوار الشرقى . ولقد تورط ملك بافوس كينيراس Kinyras^(١) فى الحرب الطروادية - أهم حدث فى ذلك الزمان - وتلت هذه الحرب موجة هجرة آخية - هيلينية إلى قبرص .

وظهر طراز المدافن الموكينية فى قبرص بعد عام ١١٥٠ ق.م وهو طراز المقبرة - الحجرية . وظهرت الآوانى الموكينية فى قبرص سواء استوردت أو صنعت محلياً . ويزغ فجر جديد من الانتعاش التجارى مع الشرق الأدنى والشرق الأوسط، لعبت فيه قبرص دور همزة الوصل أو نقطة الارتكاز . فحدث التقارب بين الشرق القديم والعالم الهيلينى فى قبرص وموكينائى . وتجلّى ذلك فى التشابه بين الديانة الموكينية ونظيرتها الفلسطينية - السورية والمصرية . ولقد أخذ هذا الاندماج الحضارى بعداً خاصاً فى قبرص . فلقد حاول الإغريق فيها أن يوائموا بين فتنهم والمفاهيم الشرقية دون أن تتعدل أو تبدل عقولهم وطرائق تفكيرهم أى هويتهم الهيلينية . فإله إنكوسى هو أبوللو الآلاسى نفس الشئ عن أفرودينى وآلهة قبرص الأخرى . إذ أن لها جدولاً فى التربة القبرصية حتى قبل الغزو الهيلينى - الموكينى .

(١) كينيراس Kinyras هو اسم أحد الملوك الأشوريين، الذى حولت هيرا إينته إلى درجات السلم فى معبدها (Ovid. Metamph. vi. 98). أما كينيراس ملك قبرص الأسطورى فهو ابن ييجماليون ووالد ميرها Myrrha (= شجرة المر أو عطر المر) وألجب منها أدونيس (Ovid. Metamph. x 299 ff. & 712).

إن بقاء الموكيين لوقت طويل في لريساكيا Vryssakia بالقرب من هالة سلطان تيكى يمتد من القرن السادس عشر حتى القرن الثاني عشر ق.م . وعلى خاتم أسطواني رسمت إلهة الخصوبة تحيط بها الغزلان التى تقفز هنا وهناك . وكانت سيندا Sinda مستوطنة محصنة فى وادى ميساريا غرب إنكومى ، ودمرت حوالى ١٢٣٠ ق.م على يد "أناس البحر" الآخيين الذين بنوا مدينة جديدة فوق بقاياها - كما حدث فى إنكومى ومآء وكيثيون . وكانت جولوجوى Golgoi تحتل موقعاً بين مناجم تروؤدوس وميناء التصدير فى كيتيون وأقيم بها معبد منذ القرن الرابع عشر ق.م.

كانت مدينة كيتيون الجديدة ذات أسوار كيكلوبية وتضم مصانع النحاس . ولقد تم الكشف عن هذا الحى الصناعى بها . وكان التعدين هو النشاط الاقتصادى الرئيسى فيها وتحميه قوى إلهية ما وكما هو الحال فى إنكومى . وكانت هذه المصانع غير مسقوفة حتى يتسنى للرياح الجنوبية أن تطيح بسحب الدخان بعيداً عن السكان . وكان يتم دفن الموتى فى فناء المنازل وهى عادة تربط بين كيتيون وأوجاريت . فى كيتيون عبدت عشزوت وكذا الإله المصرى بس Bes إله الإستشفاء والعلاج وحامى النساء الحوامل وحارس أهل المنزل ويؤرخ معبده هناك بـ ١٢٠٠ ق.م وهو يشبه النماذج المصرية لبناء المعابد . وتم العثور على نقوش فيه تحمل كتابة بالخط القبرصى المينوى ويفيد أن كاهنة المعبد تقيم طقوس العبادة لإلهة الخصوبة . ولقد عثر أيضاً على تمثال لهذه الإلهة من العصر الحجرى المبكر وهى ترفع ذراعيها إلى أعلى ولها ثديان بارزان . هناك اذن علاقة ما بين هذه الإلهة والإله المصرى بس، الذى ربما أدخله إلى كيتيون الفينيقيون فى الفترة السابقة على احتلالهم للمدينة وبوصفهم تجاراً . ولقد عثر على تمثال آخر صغير لهذا الإله المصرى يعود للقرن الحادى عشر ق.م . أحضره الفينيقيون وكانوا قد احتلوا كيتيون وكانوا أيضاً قد أتقنوا صناعة الفخار الذى يميز الإله المصرى والذى ربما كان النموذج الذى بنيت على منواله المخلوقات الاسطورية الاغريقية مثل السيلينوى والساتيروى.

صفوة القول إن التغيرات التى واكبت الغزو الموكينى لقبرص ولاسيما كيتيون وإنكومى منذ القرن الثالث عشر ق.م كانت هى نفسها مزوجة بالتأثيرات الشرقية . ومن ثم كانت النتيجة النهائية لهذا الغزو - مع تأثيرات موجات " أناس البحر " المتجولين فى شرق البحر المتوسط - أن ظهر للوجود مزيج حضارى فريد نجد فى الآثار المكتشفة فى قبرص التى لعبت دور همزة الوصل الحضارية بين شعوب هذه المنطقة .

٢ - آلاسيا (قبرص) وشعوب الشرق القديم

ذات يوم من عام ١٩٩١ / ١٩٩٢ تلقيت خطاباً من قبرص يقول مرسلوه إنهم أبناء مدينة يقال إن اسمها القديم آلاسيا، وإنها مذكورة في الكتابات المصرية القديمة في تل العمارنة ويطلبون مني يد العون للكشف عن هذه الحقيقة . وبالمبحث تبين لي صعوبة الوصول إلى الحقيقة، فالأمر يحتاج إلى مزيد من السنوات والجهود التضامنة . ولكنني أقدم هنا ما توصلت إليه أول اسم عرفت به قبرص هو آلاسيا أو آلاشيا (Alashya)، إذ ورد هذا الاسم في نصوص من القرن ١٨ والقرن ١٧ ق.م ، وهي نصوص قد عثر عليها في الألاخ Alalakh ومارى Mari^(١) ولكن الأستاذ ماريناتوس عالم الآثار اليوناني وصاحب حفريات ثيرا الشهيرة يعتقد أن علاقة هذا الاسم آلاسيا بالعبارة اليونانية (Alesion pedion) واضحة تماماً^(٢) . ويقول ذيكويوس إن آلاسيا يمكن أن يكون اسماً لأية مدينة أخرى غير إنكومي Enkomi ، ولم يكن هذا الاسم يطلق على قبرص كلها كما يزعم البعض . بيد أنه قد ورد في نقش فينيقي أن شبه الجزيرة كلها حملت هذا الاسم " آلاسيا " حتى القرن السابع ق.م، وربما إلى ما بعد ذلك التاريخ^(٣) . هذا بالرغم من أن بعض الأسماء الأخرى كانت مستخدمة وفي مقدمتها قبرص (Kypros) المشتق من (Kypeiros) أى السعد وهويات معطر كانت رائحته تعتبر عقاراً مضاداً للموت، وظل هذا النبات جنباً إلى جنب مع الأس Myrsine مرتبطاً بقبرص وأفروديتي على مدى التاريخ . إن الذين يدافعون عن الاسم آلاسيا بوصفه أقدم اسم لكل الجزيرة يقولون إنه قد يكون اسماً لمدينة في الجزيرة، ولكن من المؤكد أنه كانت أكبر وأهم مدينة، أى أنها العاصمة لدولة متحدة ربما سميت " مملكة آلاسيا حيث كان ملوكها على قدم المساواة مع ملوك الشرق آن ذاك . ويستدل على صحة ذلك من خطابات آلاسيا (أو آسى) إلى فرعون مصر اخناتون (أخوتب الرابع) ١٣٦٤-١٣٦٢ ق.م والتي تم الكشف عنها في تل العمارنة . ويرى بعض الدارسين أن قبرص كانت حليفاً قوياً لمصر، وأن "ملك آلاسيا" هذا

(١) P. Dikaios, Enkomi Excavation, 1948-1958. Nicosia 1971 p. 534 ff

(٢) Sp. Marinatos, IIAA (1961) pp. 5-6

أما العبارة اليونانية لمعناها "مكان الطحن" ولا نعرف مدى علاقتها بالاسم آلاسيا

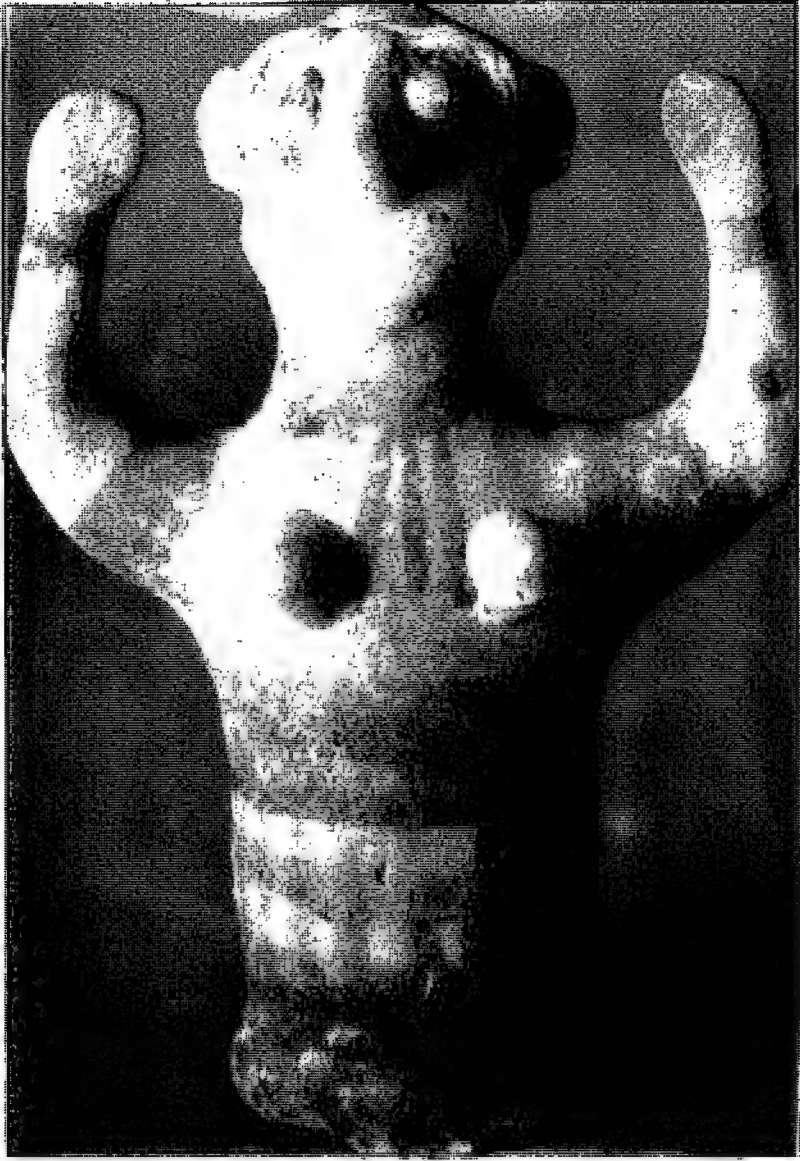
(٣) P. Masson, "Apropos d'Alasia. "Kadmos XII (1973) pp. 98-99.

L. Helbing, "Alasia problems" SIMA LVII (1979)

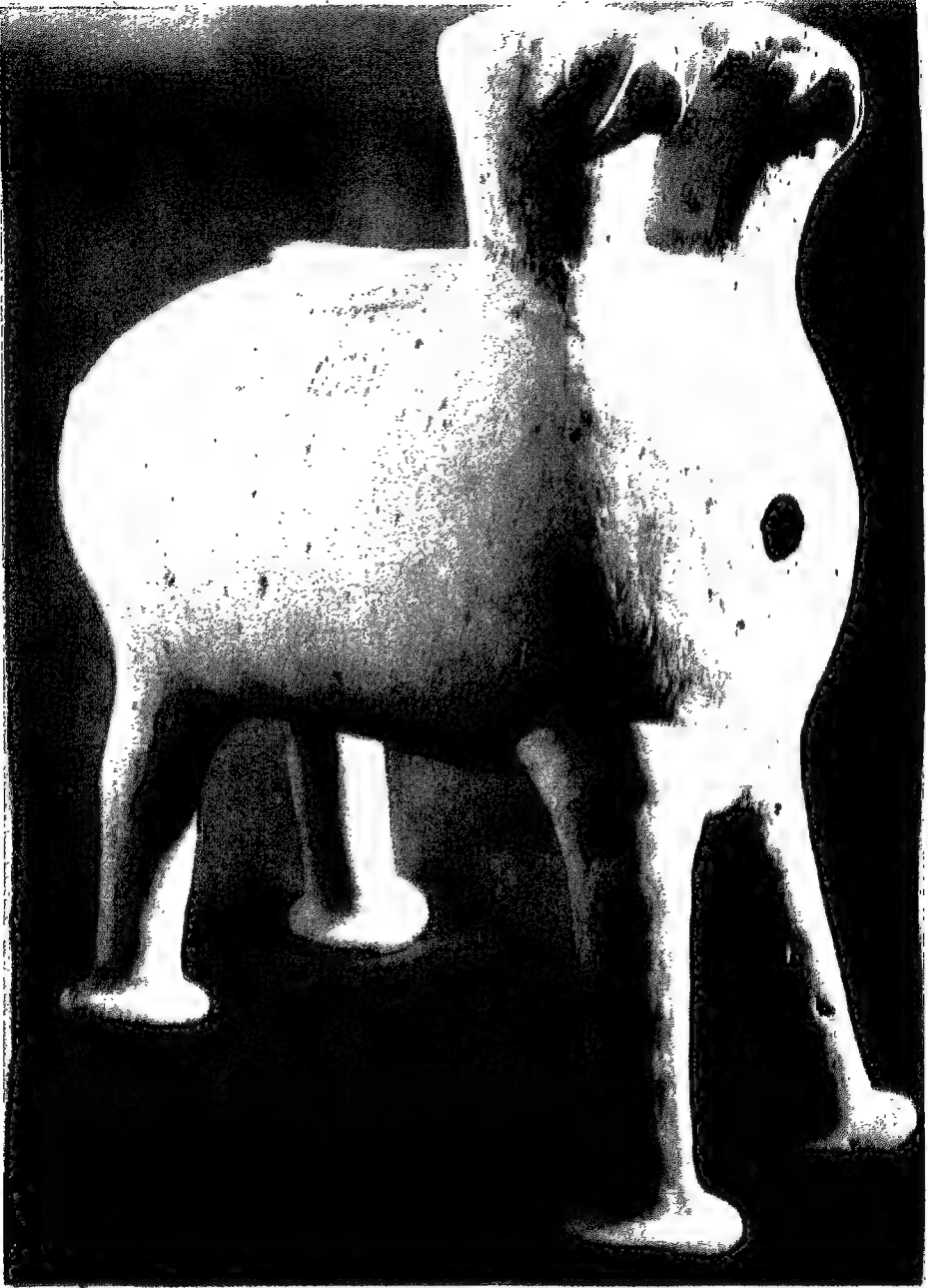
ويقول مارتن برنال في الجزء الثاني من كتابه "أثنية إلويقية سوداء" الذى أثار ضجة مابلى:

The name *lsy* leads to great complications, as it falls between two names, both of which are themselves the subjects of great dispute. The first and less controversial of these is *lsr*, commonly vocalized as Alasia on the basis of Akkadian and Hittite transcriptions. *lsr* is generally accepted as the name for Cyprus, though some scholars identify it as a stretch of coastline in South Anatolia. This name is attested from Egypt and elsewhere only in the New Kingdom. Given the fact that during the Middle Kingdom the *3* was a liquid, the suggestion made by Meltzer and Helck that *lsy* was the earlier form of Alasia seems plausible, and this would also fit evidence from the Mit Rahina inscription. ... Thus *lsy* may refer to Enkomi or another of the chief cities of Cyprus".

Martin Bernal, Black Athena: Vol. II The Archaeological and Documentary Evidence. (1993) pp. 232-233. cf. 378, 460, 462-465, 469, 471, 480, 494.



شكل رقم (٢٠): تمثال لإلهة ترفع ذراعيها وظهرت لأول مرة في الفن الميسوي وقد استوردت إلى قبرص في القرن الحادى عشر ق.م ويقى هذا الطراز معروفاً في قبرص حتى الفترة الكلاسيكية ويعود هذا التمثال إلى الفترة المتأخرة من العصر الجيوميتري وغثر على تماثيل مشابهة في إنكوسى وكتيون وغيرها. والتمثال محفوظ بمتحف قبرص.



شكل رقم (٢١): الكسوروس ذو الرأسين. وجد في نفس المعبد الذي عثر فيه على الإله ديال فرين. وهذا المعبد اقيم
لالله الذي يعمى ماحم الحاس في قبرص. ورثنا إحدى الرأسين للذكر والاخرى للأنثى. ويعود هذا
النسأل لنهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الحادى عترق ق م



شكل رقم (٢٢): تمثال الإله ذي القرنين وهو أضخم تمثال برنزي من القرن الثاني عشر ق.م عثر عليه في معبد إنكومي، وهو تمثال إله الخصوبة حيث يلبس غطاء للرأس به قرنان للتور. وهذا القناع كان يرتديه الكهنة. والتمثال محفوظ متحف قبرص.

نصح الفرعون ألا يبرم معاهدة مع الحيثيين "أعداء آلاسيا"^(١). وفي خطابات أخرى من ملك آلاسيا إلى فرعون مصر كانت التبنون التجارية هي المحور الرئيسى. فمن أهم هذه الخطابات نعلم أن أحد ملوك آلاسيا طلب من الفرعون ذهباً وفضة وأباريق زيت من النوع الممتاز وخيولاً وعربات وسريراً من خشب الأبنوس المصنع بالذهب وملابس نسائية. . الخ وكانت تلك البضائع تستورد من مصر فى مقابل النحاس ومنتجات أخرى من الصناعات المعدنية ومنتجات العاجات . ولقد طلب أحد ملوك آلاسيا من أمحوتب الثالث (١٤٠٢ - ١٣٦٤ ق.م) أن يعيد ثروة أحد التجار القبارصة بعد أن كان قد مات فى مصر . وفى أحد الخطابات ورد أن مبعوثاً لفرعون مصر وصل إلى آلاسيا واضطر للبقاء هناك لمدة ثلاث سنوات لأن الأيدى العاملة فى مناجم النحاس نضبت حيث أن الإله نرجال Nergal Sprm قد قتل جميع الرجال، وهو مايشى بوقوع وباء حصد الناس حصداً . وربما تفتى هذا الوباء بعد زلزال مدمر احتاح الجزيرة بما فيها إنكومى حوالى ١٣٧٥ - ١٣٥٠ ق.م، أو ربما تكون هذه إشارات إلى غزو أجنبي من الغزوات والهجمات الكثيرة التى تعرضت لها آلاسيا .

ويرى جلوتز G. Glotz أنه لايمكن أن نستدل من عمق العلاقات بين مصر وقبرص على أن هذه الجزيرة كانت ولاية تابعة لمصر . إذ كانت الوفود القبرصية مثل نظيرتها الكريتية تعامل بما لا يوحى بأنها وفود من ولاية تابعة لمصر جاءت لتؤدى واجبات الطاعة والولاء أو لدفع الجزية . ولكنها وفود تجارية جاءت لعقد صفقات لتبادل المنتجات والمصنوعات^(٢) . من خلال دراسة وفحص طبيعة المنتجات المصرية التى تم العثور عليها فى المواقع الأثرية بقبرص وتؤرخ بحوالى ١٤٠٠ ق.م يستنتج العلامة كاراجيورجيس أن العلاقات المصرية - القبرصية توقفت بعد أن أصبحت أوجاريت تابعة للحيثيين . فالتجارة بين الطرفين كانت تتم عبر هذا الوسيط . ويؤكد كاراجيورجيس أن قبرص نفسها صارت جزءاً من الامبراطورية الحيثية فيما بين ١٤٠٠ - ١٢٠٠ (أو ١١٩٠) ق.م وأن أهل آلاسيا دفعوا الجزية ، وهذا أمر قابل للجدل على أية حال .

كانت قبرص تصدر النحاس والمصنوعات الححاسية إلى الدول المجاورة التى اكتشفنا فى بعضها أيضاً الفخار القرصى من العصر البرنزى الوسيط . وعرفت قبرص باسم آسى Asy أو آلاشية Alashiya واشتهرت بالنحاس . وحوالى ١٦٠٠ ق.م صدر الفخار إلى الخارج حيث كانت التجارة الداخلية قد ركدت بعض الشيء . وبرزت كل من إنكومى والموقع المسمى الآن هاله سلطان تيكى باعتبارها الموانئ التجارية المراكز الاقتصادية . وعطت هذه الأسماء على أسماء مدن أخرى سابقة مثل كالو بسيدا ولايثوس فى فترة العصر البرنزى الوسيط (١٧٢٥ - ١٦٥٠ ق.م) .

^(١) V. Karageorghis, Cyprus from the stone Age to the Romans. (1982). p. 67

^(٢) G. Glotz, The Aegean Civilization. 1925 (1968), pp. 207-208.

واستمرت العقائد الدينية من الحجر البرنزى المبكر إلى الوسيط . وهذا ما أثبتته الحفريات الحديثة حيث تم العثور على تماثيل لأطفال، وترمز هذه التماثيل للخصوبة وعثر على تماثيل أخرى لصور العشيقات والخدم المدفولين مع الميت . وهى تقلد النماذج السورية وربما يصور بعضها عشتروت (Astarte) = Ashtoreth التى تعد الأصل الشرقى للإلهة الاغريقية القبرصية أفروديتى Aphrodite ^(١) . ويلاحظ أن البطل الإغريقى هرقل فى قبرص يجمع بين عناصر اغريقية وفينيقية (ملقوت) مع بعض سمات مصرية (الالة بس)^(٢)

لقد ثبت من حفريات لايبثوس وآثارها من العصر الجيومترى أن العبيد والخدم كانوا يقدمون بوصفهم قرابين ويدفنون مع سيدهم فى طقوس خاصة تقام عند مدفنه بما يوحى بالانتقال المعتقدات الشرقية بوجود حياة أخرى بعد الموت إلى قبرص . وفى كوربون التى احتلها الأرجيون (١١٩٠-١١٥٠ ق.م) عثرنا على مايدل على وجود عادة حرق الموتى ولاسيما فى السار كالتوريزيكي (١٠٥٠-٩٥٠ ق.م) جنباً إلى جنب مع الدفن تحت الأرض . وهذا ماحدث فى بلاد الإغريق وآسيا الصغرى . فهو أمر غير مستحدث وإن قامت خلافاً فى رأى بين فارنل Farnell ورود Rohde وغيرهما حول أصول هذه الطقوس^(٣) بيد أن هناك بعض الباحثين الذين يعتقدون بأن حرق الموتى جاء إلى بلاد الإغريق من قبرص أو سوريا أو آسيا الصغرى . وعلينا أن نربط كل هذا بمراسم الدفن فى ملاحم هوميروس ، فمما لاشك فيه أنها ولدت إلى بلاد الإغريق فيما بعد العصر الموكينى الذى تتحدث عنه هذه الملاحم وليس قبله، وهذا مايكشف عن

^(١) عن أفروديتى وألقابها ومعابدها وطقوس عبادتها راجع:

[Greek] Hatzioannou, Vol. B. pp. 256 ff.

[Greek] Karla, Parousia (1991/ 1992) pp. 22- 27.

A.G. Orphanides, "Bronze Anthropomorphic figurines in the Cesnola ^(٢)

Collection at the Metropolitan Museum of Art" 20 (1983). SIMA.

Nancy Joan Skon- Jedele, "Aigyptiaka" A catalogue of Egyptian and Egyptianizing objects excavated from Greek Archeological sites ca. 1100- 525 B.C. With Historical Commentary, Ph.D. 1994. University of Pennsylvania.

أما عن هرقل - ملقوت والمصادر والمراجع حول هذا الموضوع فانظر:

[Greek] Ahmed Etman, pp. 23- 68.

L.R. Farnell, Greek Hero- Cults and Ideas of Immortality Oxford 1921 ^(٣)

E. Rohde: Psyche. The cult of Souls and Belief in Immortality among the Greeks. Transl. from the 18th ed. by W.B. Hillis London. 1925.

وراجع:

أحمد عثمان، "طبيعة الروح وحياة القبور فى الفكر الإغريقى" مجلة "إبداع" السنة ١٢ العدد (مايو ١٩٩٤)

ص ١٣-٢٢.

منيرة عبد النعم كروان، العالم الآخر فى المسرح الإغريقى، دار المعارف ١٩٩٣، ص ٩- ٥٤

"الخلط الزمني anachronism"^(١) عند هوميروس كما أنه يجمع بين بلاد الإغريق والجزيرة القبرصية.

ورد في أحد المصادر المصرية القديمة عن شخص رأى رؤيا العين الحياة في قبرص أن الناس في آلاسيا يمثلون شعباً واحداً لا يفهم المصرية القديمة ولا السورية، وعاشت في المدينة أميرة اسمها هيتب Heteb التي أنقذت البحارة السوريين حتى لا تعطى فرصة إلى ملك بيلوس = جيبيل أن يقتل بحارة آلاسيا انتقاماً . وكان السوريون هم الذين قادوا سفينة كان على متنها الكاهن المصري وينامون Wenamon وتحطمت عند شاطئ قبرص^(٢).

هذا وقد أورد ويلسون J.A. Wilson في الكتاب الذي أشرف على نشره بريتشارد J.B. Pritchard نص هذه الرحلة بعنوان "رحلة" وينامون إلى لينيقيًا" ويقول مقدماً لها إنها تبدو وكأنها تجري في جو الحكايات ولكنها تتحدث عن سلسلة من الشخصيات والأحداث الحقيقية مما يدل على أنها تستند إلى قاعدة تاريخية. كان وينامون كاهناً في معبد آمون بالكرنك أرسل إلى الساحل الفنيقي وبالتحديد بيلوس للحصول على أحشاب للسفينة المقدسة للإله. وتعود البردية التي حفظت هذا النص إلى القرن الحادي عشر ق.م. أي إلى أوائل عصر الأسرة الحادية والعشرين. عثر عليها في الحية بنى سويف أي مصر الوسطى وهي محفوظة بمتحف موسكو وجاء في خاتمة النص الذي وصلنا.

وهكذا وضعني على السفينة وأرسلني في عرض البحر بعيداً عن الميناء (بيلوس) . وألقت بي الرياح على أرض آلاسيا (آلشيا). فالتفت جموع من أهل هذه المدينة تريد قتلي. ولكنني تمكنت من شق طريقي بالقوة وسط صفوفهم وذهبت إلى حيث تقيم الأميرة هيتب Heteb حاكمة المدينة. قابلتها عندما كانت تهم بالخروج من أحد منازلها لدخول منزل آخر لها.

قدمت لها التحية وسألت الواقفين من حولي أليس فيكم من يفهم المصرية ؟ فقال أحدهم "نعم أنا أفهمها فقلت له: أخبر سيدتي أنني قد سمعت عندما كنت لا تزال بعيداً في طيبة، مقام آمون، أن الظلم يحدث في كل مدينة وأن العدالة مصونة في آلاسيا. ولكنني أرى أن الظلم يقع هنا كل يوم" فقالت "ماذا تعني بهذا القول ؟". فأخبرتها قائلاً "إذا كان البحر العاصف والرياح قد

(١) أحمد عثمان، "الزمن المأساوي في الفكر الإغريقي"، "ألف مجلة البلاغة المقارنة". (الجامعة الأمريكية بالقاهرة) عدد ٩ (١٩٨٩)، ص ١٧٣ - ١٨٨.

لطفي عبد الوهاب، "عالم هوميروس". مجلة "عالم الفكر" الكويتية، المجلد الثاني عشر، عدد ٣ (١٩٨١) ص ١٣ - ٥٦.

نفس المؤلف، اليونان، مقدمة في التاريخ الحضاري. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩١، ص ١٧ - ٧٠.

G. Hill, A History of Cyprus, Cambridge University Press Vol. I. pp.

(1989-1957), 425 ff.

Dikaïos, Enkomi, I pp. 533 - 4.

ألقى بى على أرضك فلا تدعيهم يأخذوننى لأنهم ينوون قتلى، إننى رسول الإله آمون... وبالنسبة لبحارة أمير بيلوس فإستدعت الناس فلما وقفوا أمامها قالت لى "إقضى ليلتك"^(١).

ولعل ورود الإشارة إلى أن أميرة هى التى كانت على رأس حكومة آلاسيا يوحى باستمرار النظام الأمومى الذى ظلت له آثار باقية فى ملاحم هوميروس وفى أنظمة الدويلات الاغريقية وكذا الشرقية . ومن ثم يكون أمراً عادياً فى قبرص إبان القرن الثانى عشر ق.م أن تحكم آلاسيا إمارة . وهل كان بحارة بيلوس السوريون فينيقيين؟ هذا هو المرجح وقد يكونوا من أحفاد "أناس البحر" . ومن المؤكد على أية حال كما يفهم من هذه المصادر أن آلاسيا إما مدينة فى قبرص أو هى قبرص برمتها . وفى بعض المقابر شمال غرب سلايس تم العثور على آنية سورية بعضها يقلد الأباريق الكنعانية جنباً إلى جنب مع آنية كريتية وموكينية (١١٠٠-١٠٥٠ ق.م) . وهذا الاختلاط بين الثقافات الشرقية والاغريقية فى آلاسيا المدينة أو الجزيرة هو السمة المميزة لقبرص منذ القدم وإلى يومنا هذا .

وتشير كل الدلائل إلى أن نظام الحكم فى آلاسيا كان ملكياً استبدادياً من الطراز الشرقى العتيق . وكان البلاط الملكى هو مركز الحياة السياسية والاقتصادية بل والادارية والدينية والعسكرية . وهذه هى الصورة السائدة لنظام الحكم فى العالم الموكينى . وليست هذه محاولة تعسفية لتلقيق الحقائق التاريخية، فالعالم الموكينى نفسه كان على علاقة وثيقة بالشرق . حتى أن بعض العلماء يذهبون إلى القول بأنهما فى الواقع عالم واحد . أما علاقات آلاسيا ببحر إيجه فهى قديمة ويشهد بذلك زوج من دروع الساق البرنزىة مصدرها هو إنكومى، وعثر عليه فى منطقة أرجوس ويورخان بالقرن الرابع عشر ق.م أى العصر الموكينى أو الهيلادى المتأخر . وكل ذلك يدل على أن آلاسيا-قبرص قد بدأت تخرج من عزلتها .

ولعل الدور المهم الذى إطلعت إنكومى-آلاسيا سياسياً وثقافياً واقتصادياً وهو الذى جلب عليها فى النهاية سلسلة من الكوارث التدميرية المتتالية . بدأت السلسلة من كارثة الغزو الذى قام به الهكسوس فى القرن السادس عشر ق.م ثم توالى الكوارث وكان أحدثها ما وقع فيما بين ١٢٢٢-١١٩٠ ق.م على أيدي "أناس البحر" . وكانت الضربة القاصمة للظهر الزلزال الذى وقع عام ١٠٧٥ ق.م . وحطم هذا الزلزال الميناء وحرك الشاطئ ناحية الشرق . وبالتدريج هجر السكان الموقع القديم محل إقامتهم، واتجهوا إلى موقع جديد يصلح لأن يستغل ميناء . ونوا مدينتهم الجديدة سلايس فى منتصف القرن الحادى عشر ق.م .

يقول ويلسون فى الكتاب المشار إليه سابقاً إنه فى النصف الثانى من الألف الثانية ق.م. عجت منطقة حوض البحر المتوسط الشرقية بالحركة. إذ هبت حشود غفيرة من أناس لا وطن لهم على السواحل وطردوا السكان الأصليين أو اختلطوا بهم. هذه الهجرات هى التى أنهت الحضارة

J.B. Pritchard (ed.), The Ancient Near East. An Anthology of Texts and Pictures. Princeton University Press. 1958. pp. 16-24

(١)

المتنوية في كريت، وأسهمت في تشكيل السكان التاريخيين في بلاد اليونان وإيطاليا وقضت على الامبراطورية الحيثية وألقت بالفلسطينيين إلى أرض كنعان. وفي السنة الثامنة من حكم رمسيس الثالث (حوالي ١١٨٨ ق.م) صدهم هذا الفرعون من التوغل في وادي النيل الخصب. ولكن امبراطورية مصر الآسيوية تلاشت بعد ذلك بقليل. لقد سجلت هذه الأحداث على معبد رمسيس الثالث في مدينة حابو بالأقصر وجاء في النقش هناك:

"في السنة الثامنة تحت حكم عظمته (رمسيس الثالث) ... حاكت الدول الأجنبية مؤامرة في جزرهم. وعلى الفور أزيلت أراضيهم وبعثرت. فلا أرض تستطيع أن تقف في وجه أسلحتهم وجيوشهم سواء من حاتّي (= الامبراطورية الحيثية) أو كودى (= كيليكيا وسوريا) أو كارشميش (مدينة على الفرات) أو أرزاوا (= في كيليكيا) وآلآسيا (قبرص)..."^(١)

كانت إنكومي - آلاسيا من أهم مراكز الحضارة، إذ عثر بها على معبد صغير لإله شاب ذي قرنين من الطراز الشرقي - الإغريقي - قيل أنه نيرجال Nergal (Sprm) إله العالم السفلي أو أبوللو ريشيف Apollo Reshef^(٢) أو أبوللو ذو القرون Apollo Keratas أو أبوللو إله آلاسيا Alasiotas. وهو يجسد الخصوبة بالمفهوم الشائع في الشرق .

فإذا كان هو أبوللو ذو القرون، فرمّا وفد إلى قبرص مع الآخيين القادمين من أركاديا في القرن الثالث عشر ق.م .

وإلى الشرق من هذا المعبد عثر على معبد أصغر اكتشف فيه تمثال صغير لإلهة يبدو أنها زوجة الإله السابق أو رفيقته على نحو أو آخر . ويبدو أن فكرة "الزواج المقدس" (hieros gamos) تعود إلى مفهوم ثنائي أو انشطاري ساد في الأساطير القديمة المتعلقة بالخلق والتكوين والتوالد . ومن المكتشفات الأثرية في إنكومي - آلاسيا " إناء زيوس " والذي وفد إلى المكان من بلاد الإغريق الموكينية في القرن الثالث عشر أو القرن الثاني عشر ق.م، حيث كان العالم الموكيني يسعى للتوسع شرقاً بتأسيس دويلات على الساحل الآسيوي . وفي هذا الإطار "فهم الحرب الطروادية ١١٨٤ ق.م . يمسك الإله على هذا الإناء بميزان القدر ذي الكفتين"^(٣) . وهذا مفهوم شرقي مصري آخر يربط بين إنكومي - آلاسيا والشرق المحيط بقبرص من جهة، والعالم الموكيني الإغريقي من جهة أخرى .

وبدأ الفخار الموكيني المرسوم يصل إلى قبرص منذ ١٤٥٠ ق.م، ولاسيما بعد سقوط كنوسوس في ١٣٨٠ ق.م . ويحمل بعض هذه الآنية ملامح الشرق الأدنى مثل العربة ذات

Ibidem, pp. 185 ff.

Ibidem, pp. 68, 190, 216

(١) قارن ماورد عند هوميروس في "الإلياذة" الأنشودة ٢٢ آيات ٢٠٩-٢١٢، الأنشودة ١٦ آيات ٦٥٦-٦٨٨، الأنشودة ١٩ آيات ٢٢٣ ومايلي، الأنشودة ١١ آيات ٥٠٩ ومايلي، الأنشودة ١٤ آيات ١٩ ومايلي، الأنشودة ١٨ آيات ٦٩-٧٥.

العجلات الستة بدلاً من العجلات الأربعة الموكينية . ويدل أن آتية خاصة كانت تصنع في موكيناي خصيصاً للتصدير إلى قبرص والشرق الأدنى . ولقد عثر على هذه الآتية في إنكومى - آلاسيا وكيثيون وأوجاريت رأس شجرة وغيرها . وعثر على إناءين من الفضة بيد من العظم في إنكومى وهما يشبهان إناء عثر عليه في دندرا Dendra، وآخر في إنكومى يذكرنا بنموذج في فافيو Favio . وكل ذلك يشير إلى صناعة تعدين الفضة التي بدأت تزدهر في إنكومى . ومن المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في الحفريات في إنكومى تلك المنازل الشاسعة المبنية من كتل حجرية مربعة في القطاع الجنوبي من المدينة . وتحت أرضية أحد المنازل عثر على لوحة فخارية محروقة تحمل نقشاً طويلاً بخط الكتابة القبرصية المبنوية التي لم تفك طلاسمها بعد . وتؤرخ المباني بما بعد العصر الموكيني، ويعتقد أنها تنتمي إلى "أناس البحر" . وهم إما الإيجيون أو شعوب أخرى من شرق البحر المتوسط الذين غزوا آلاسيا عام ١٢٢٢ ق.م . وفي عام ١٩٧٢ عثر على درجتين من درع وقائي، وهو الأول من نوعه في قبرص ويشبه الدروع التي جاءت من بحر إيجة والشرق الأدنى . فهذه المناطق تشابه حضارتها مع حضارة إنكومى - آلاسيا بما في ذلك فنون الحرب وأدواتها .

إن بناء الأسوار الكيكلوبية الضخمة من كتل حجرية مربعة شائع في حضارة كيثيون وماء باليوكاستزون وربما أيضاً في منطقة هالة تيكى وباليوافوس . ويعتقد أن هذه الفنون قد دخلت قبرص على أيدي بناء ماهرين قادمين من الأناضول وأوجاريت وقت وصول الآثيين إلى قبرص حوالي عام ١٢٠٠ ق.م بعد تدمير أوجاريت .

يبدو أن علاقات قبرص بالدول الأخرى قد بدأت تشتط في العصر البرنزي المبكر . وهذا ما يتضح من الإكتشافات . الأثرية فهناك إبريق من الفخار الأبيض السوري وجد في قولوس، وهناك إبريق آخر مماثل عثر عليه في موقع مينوى مبكر . وثالث عثر عليه في لايتوس ويعود للعصر المينوى الأوسط . وتم العثور كذلك على شفرات خنجر كريتى في لايتوس، وآخر في قولوس وبرجعان لنفس الفترة . وعثر على مواد أثرية مصرية في سوتيرا وكامينوديا وغيرهما . وهناك رواية تقول إن الملك الأكادى سارجون الأول (٣٣٤٦ - ٢٢٩١ ق.م) قد نخر عباب بحر الغرب ووصل إلى قبرص وكريت^(١) .

إن الإكتشافات الأثرية الحديثة في منطقة غرب مسجد هالة سلطان تيكى بالقرب من لارناكا وبحيرتها المالحة والتي تعود للعصر البرنزي المتأخر لها أهمية خاصة من حيث علاقات قبرص

Pritchard, op. cit., pp. 85-86 cf. 120, 199, 195-198.

S. Lloyd, The Archeology of Mesopotamia, 1978, p.138.

Mellaart, op. cit., pp. 92, 167-169.

حيث يقول هذا الباحث (ص ١٦٧): "في هذا العصر ازدهرت حركة الإمتشاف والتجارة ومن ثم فليس مندهشاً أن تظهر في الآثار أول صورة للسفن (في منطقة الشرق الأدنى)..... وظهرت صور مماثلة في آثار جزر الكيكلاديس (باليونان) وبعد ذلك في كريت ويولكوس Iolkos في ثيساليا وهو البناء المشهور في الأساطير حيث منه أبحرت السفينة أرجو".

بكل من كريت وسوريا وفلسطين (كنعان - أوجاريت) . ويصورها إناء مينوى، وإباريق كنعانية، وآنية عليها رسوم للنخيل والحيوانات، وإناء فضى عليه نقش كنعانى مطول . ولابد من الربط بين هذه الآنية وإناء قبرصى يحمل رأس ثور ويتمى لنفس الفترة وعثر عليه فى أوجاريت ، فربما كان قد صنع فى قبرص تلبية لطلب من عميل سورى تجارى يقطن الساحل . وعلى أية حال فإن قبرص هكذا تبرز بوصفها مركزاً للتبادل التجارى والثقافى مع أوجاريت . ونفس الشئ يقال عن مصر حيث عثر فى نفس المكان على جعران وأحجار خاصة بالألعاب . ولكن التعامل مع مصر تلقى ضربة قاصمة وتعطل عندما استولى الحيثيون على أوجاريت . وفى حالة سلطان أيضاً تم اكتشاف خاتم فضى وختم من الحجر الأخضر وكلها من أصل حيثى وتدخل فى باب الدلائل الأثرية على سيطرة الحيثيين على قبرص بعض الوقت . وهذا ماورد فى بعض النصوص الحيثية والشرقية الأخرى . وتم الكشف فى إيداليون على أباريق مزينة بأشكال ثلاثية ونصف دائرية وهو شكل معروف فى الآنية الفخارية الآخية والفلسطينية (Philistine)، مما يوحى بوجود حضارى ثلاثى آخى (موكىنى وإيجى) ، وقبرصى ، وسورى - فلسطينى ، بل ينهض دليلاً على وجود مستوطنة أقامها أهل شاردانا وغيرها من جنوب سوريا فى قبرص بعد تدمير أوجاريت وبعد طرد "أناس البحر" من دلتا النيل . ويبدو أن مستوطنى شاردانا قد تحركوا بعد ذلك من قبرص إلى ساردينيا فى البحر المتوسط . أما الدرع الذى اكتشف فى إنكومى فمصدره فلسطين وشاردانا . وعثر على خوذات ذات قرون تشبه الثور فى العثور عليها فى معبد برانكومى، فيمكن القول بأنها خوذة محارب من شاردانا مقيم فى قبرص . كما يمكن أن يستخدمها محارب آخر مهاجر إلى قبرص، لأن هذه الخوذة لا تختلف عما هو شائع من أسلحة فى حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقى . وإذا صح القول بأن قرون الثور - موضوع النقاش فى الخوذة - له علاقة بالقرون المطلية ذهباً والموجودة فى معبد الإله ذى القرون فى إنكومى، فهو إذن قد يكون جزءاً من رأس الثور الطقمسى ومن ثم فهو يشبه القرون التى اكتشفت فى المقابر الموكينية . وهناك تفسير آخر وهو أن هذه القرون تمثل خوذة لتمثال أنثروبومورفى (ناسوتى) لإله ما معروف على أثار قبرصية من النصف الثانى من القرن الخامس عشر ق.م . وكل ذلك يقودنا مرة أخرى إلى الآفة ذات القرون فى جنوب سوريا، ولاسيما فى رأس شمرا - أوجاريت، وفى لبنان والأناضول ومن بينها الإله الحاربة فى وضع التصوير وتؤخذ على أنها ريشيف Reshef أو يعل . إن قرن الثور من إنكومى إذن أخذ على أنه جزء من قناع يلبس أثناء تادية طقوس العبادة فيمكن مقارنته بمجموعة تماثيل قبرصية قديمة تمثل بشراً مقنعين .

تقول أحدث الدراسات أن كيفتيو Keftiu أو كافتور Caphtor أصل الفلسطينيين Philistines الذين هاجروا إلى فلسطين فى أوائل القرن الثانى عشر ق.م لا يمكن أن تكون كريت أو كيليكيا، ولكنها قد تكون على الأرجح قبرص وبالتحديد الجزء الجنوبى الشرقى . فلقد نجح سترانج Strange فى أن يجعل من نظرية كيفتيو - قبرص شيئاً معقولاً دون أن يحذف نهائياً احتمال أن تكون كريت . ومن المحتمل أن تكون لقبرص عدة أسماء فى ذلك الزمان . ومن الجدير بالذكر أن النقوش القبرصية من العصر البرنزى شحيحة، ولاسيما فيما يتصل بكيفتيو وآلاسيا أو

فيما يتصل بإسم قبرص على نحو عام . ويد أن سترانج يورد نصاً يعود للقرن الثامن عشر ق.م . وفحواه أن كافتور كانت بلداً أو دولة في البحر المتوسط ولها علاقة تجارية وثيقة مع مابين النهرين وأوجاريت . ولقد استوردت كافتور القصدير والصفائح من الشرق وصدرتهما للعالم الموكيني . ولذلك على أولئك الذين كانوا يعتقدون أن القصدير قد استورد من جهة الغرب - إسبانيا أو بريطانيا - إلى قبرص أن يراجعوا أنفسهم . وهذا مايساعد كثيراً في اعتبار أن كافتور هي قبرص الواقعة على الحدود الشرقية للعالم الموكيني . وطبقاً لما جاء في نصوص مصرية قديمة فإن كيفتو تقع إلى الغرب من ساحل مصر الشمالى، وإلى الغرب من الساحل السورى الجنوبى وهكذا يمكن استبعاد كل من كيليكيا وكريت ليقى الاحتمال الأقوى وهو أن كيفتو هي قبرص^(١) .

وكانت لغة كيفتو هي خط الكتابة LinearA التى لم يثبت أنها استخدمت خارج كريت، ولا خارج العالم القبرصى المينوى . وكانت معروفة في أوجاريت . وفي مشاهد من القرن الخامس عشر ق.م على قبر رهير Rekhmire بالأقصر يستبطن أن صانعيها اعتبروا قادة كيفتو من بحر إيجه وسوريا وفلسطين ، وهذا مايعضد نظرية أن كيفتو هي قبرص لأن صور القبارصة في القرن السادس عشر تظهر في طراز سورى فلسطينى، فمن المحتمل تماماً أن قبرص في العصر البرنزى كانت تحمل أكثر من اسم . ولقد ورد اسم Kyprios في نصوص كريتية وموكينية على أنه اسم لشخص يعمل في تجارة الزيتون والصوف .

John Strange, Caphtor, Keftin, Leideu Brill 1980.

F.J. Vercoutter, L'Égypte et le monde égéen préhellénique, Le Caire 1956, pp. 114 ff, 369 ff.

٣ - رسوم مقومات الهيلينية القبرصية

يمتد العصر البرنزى الوسيط من ١٨٠٠-١٦٠٠ ق.م (أو من ١٩٠٠-١٦٥٠ ق.م)، وتمثله بعض المواقع التي نشير إلى أهمها هنا . حيث عثر في آغيا إيريني Agia Eirene على آنية بيضاء عليها رسوم، كما عثر على بعض التماثيل الطقوسية وأعمال نحت أخرى . وفي تومبا توسكور Tomba Tou Skourou بالقرب من مورقو (٢٠٠٠-١٦٥٠ ق.م) عثر على أشياء أخرى، وكان من بينها بيض النعامة . وفي آغيا باراسكيفى Agia Paraskevi جنوب شرق ليقوسيا توجد مقابر عثر فيها على آنية فخارية بيضاء عليها رسوم، وأخرى هراء مصقولة . وفي تاماسوس Tamassos وفلاموزى فومارين Phlamoudhi - Voumarin اكتشف معبد فوق تل هناك . وكانت لايشوس عاصمة منطقة الجنوب الغربى وميناء لتجارة النحاس والفخار . وفي كالوبسيدا Kalopsidha عاصمة شرق قبرص عثر هناك على منزل مكون من عشرة غرف، ثمانية منها مربعة تمتد بمحاذاة الفناء . وعثر هناك أيضاً على فخار أبيض عليه رسوم، ووجدت بعض الخطوط الكتابية غير المعروفة .

وفي أغيوس سوزومينوس Agios Souzomenos ونيوفيكلا Nitovikla بمنطقة كارباس تم الكشف عن قلعة تنتمي للعصر البرنزى الوسيط، وهى رباعية التكوين المعماري من الطراز السورى-الفلسطينى - الأناضولى، والذى اختفى مع نهاية العصر البرنزى الوسيط . ثم عاود ظهوره فى العصر البرنزى المتأخر باعتباره يصلح للدفاع فى مواجهة هجمات وغزوات من البحر .

وفى باليوسكو تيللا Palaeo Skoutella منطقة كارباس أيضاً عثر على أكوام من الركام والزراب فوق القبور، وهذه عادة شائعة فى سوريا وفلسطين . وفى كارمي باليولونا Karmi Palaeolona عثر فى أحد القبور على نحت بارز يمثل شكلاً إنسانياً ذا إحياءات مصرية . وفى الجنوب لم يعثر على أية تحصينات، مما يوحي بأن السلام كان يسود هناك فى مقابل القلاقل التي أزعجت الجزء الشمالى .

إن الاكتشافات الأثرية فى درومولاكسيا Dromolaxia (١٣٧٥-١١٩٠) أو (١٣٢٥-١٢٢٥) ق.م . تؤكد الوجود الموكنى فى قبرص وكذا علاقتها الوثيقة بسوريا وفلسطين ومصر . إذ عثر على آنية فخارية من تل اليهودية حيث تم استيراده من دلتا النيل . وهناك عثر أيضاً على فخار أحمر محروق من سوريا وفلسطين بالإضافة إلى إبريق مينيوى كريتى .

ومن أهم مستوطنات العصر البرنزى المتأخر فى قبرص مآء Maa بالقرب من أحد الخليجان فى منطقة بافوس . إنها من أقدم المراكز الإستراتيجية البكر التى أسسها الآخيون القادمون من بحر إيجة فى أواخر القرن الثالث عشر ق.م وذلك بعد تدهور الممالك الموكينية فى البلوبونيسوس . وتنتمى آثار مآء إلى ١٢٠٠ ق.م أو الربع الأخير من القرن الثالث عشر عندما

دمرت إنكومي . وعثر هناك على مبنى ضخيم ينقسم إلى قطاعين متصلين ويحوى ٤٣ حجرة صغيرة . ولم يعد علماء الآثار يعتقدون أنه مرفق عام أو معبد فالأرجح أنه مقر الحاكم أو الشخصية الرئيسية بين أهل مآ . القطاع الجنوبي من المبنى هو الوحدة السكنية، أما القطاع الشمالى فهو ملحق يضم الوحدات التى تخدم القطاع السكنى .

بعد زلزال عام ١٠٧٥ ق.م هجر أهل إنكومي مدينتهم وقاموا بتأسيس سلاميس . ويقال إن الذى أسس معبد زيوس فى سلاميس هو تيوكروس بن تيلامون ملك جزيرة سلاميس باليونان وأسسهُ بعد حرب طروادة . وأصبح هذا المعبد هو المركز الدينى الرئيسى فى المنطقة وظل كذلك حتى العصر الرومانى . ومع أن أسطورة تأسيس سلاميس القبرصية ربما تكون تلفيقاً أثينياً أثناء الفترة الكلاسيكية، فإنها على أية حال تحمل بذرة الحقيقة التاريخية المتمثلة فى أن غزاة من بلاد الإغريق القارية والأناضول وصلوا إلى قبرص حولى ١٢٠٠ ق.م وعرفوا باسم "أناس البحر"، ولاسيما أن الأسطورة تذكر أن بيلوس Belos ملك صيدا ساعد تيوكروس فى غزوته التى استهدفت إحتلال سلاميس . وفى منتصف القرن الحادى عشر يزغت المدينة الجديدة - التى كانت مدافنها خارج الأسوار - وكانت ميناءً رائعاً ازدهرت فيه التجارة وتوسعت كما تدل على ذلك الاكتشافات الأثرية المتتالية^(١) .

لا توجد أسطورة إغريقية لتأسيس كيتيون Kition . وبعد دمار زلزال ١٠٧٥ ق.م ظلت معابدها نشطة وحيوية حتى عام ١٠٢٥ ق.م وظلت مدافنها تستخدم حتى عام ٩٥٠ ق.م وكانت خارج أسوار المدينة من ناحية الغرب . وفى معبد كيتيون عثر على تماثيل صغيرة لآلهة ذات ذراعين مرفوعتين إلى أعلى . وعثر هناك على أطباق وأقنعة تستخدم فى الطقوس وكانت توضع فى آنية bothroi إلى جوار المعبد .

يمتد العصر الحديدي فى قبرص من ١٠٥٠ - ٧٠٠ ق.م وفى غضونهِ وقعت هجرات دورية من البلوبونيسوس وبحر إيجة إلى قبرص . وفى ذلك العصر كانت المراكز الحضارية المهمة هما سلاميس وبلاتانى Platani ولايثوس وكارافاس Karavas وأرناذى Arnadhi وكوريون وباليوبافوس سكاليس وكالوريزيكى . ومن حيث الفن يطلق على هذا العصر لقب الجيوميتري (الهندسى) ولقد خلف أروع النماذج فى حضارة قبرص الإغريقية بدايات القرن الثامن ق.م ويمثل عصرًا جديداً فى زخرفة الآنية القبرصية باستخدام صور البشر والحيوانات والطيور والسمك . فعلى سبيل المثال وصل لنا إناء يسمى هابارد Hubbard amphoreus عثر عليه فى بلاتانى ويؤرخ . وفى كيفالو فريسو Kephalo vryssو عثر على تماثيل صغير يمثل ثوراً فى هيئة رجل وعلى ظهره عدل الخرج أو السرج . وهناك رسم آخر يذكرنا بأسلوب بيكاسو السريالى فهو

(١) قارن أعلاه

تصميم حر وهندسى لشور أحمر يشم زهرة اللوتس مرسوم على إناء من أرناذى . وكل الإكتشافات الأثرية الفنية من هذه الفترة تتضح بطراحة فى الأساليب ومستوى جمالى رفيع معبرة عن حضارة متجددة قائمة على استخدام الحديد الذى أحدث ثورة تقنية^(١). وحدثت هذه الطفرة الصناعية حوالى عام ١٠٥٠ ق.م وإن سبقتها بعض الإرهاصات . ومع أن البدايات كانت محلية وتجلت فى صناعة سيوف حديدية^(٢)، إلا أن القادمين من بحر إيجة هم الذين قفزوا بهذه البدايات القبرصية المحلية إلى ثورة حقيقية فى الفن.

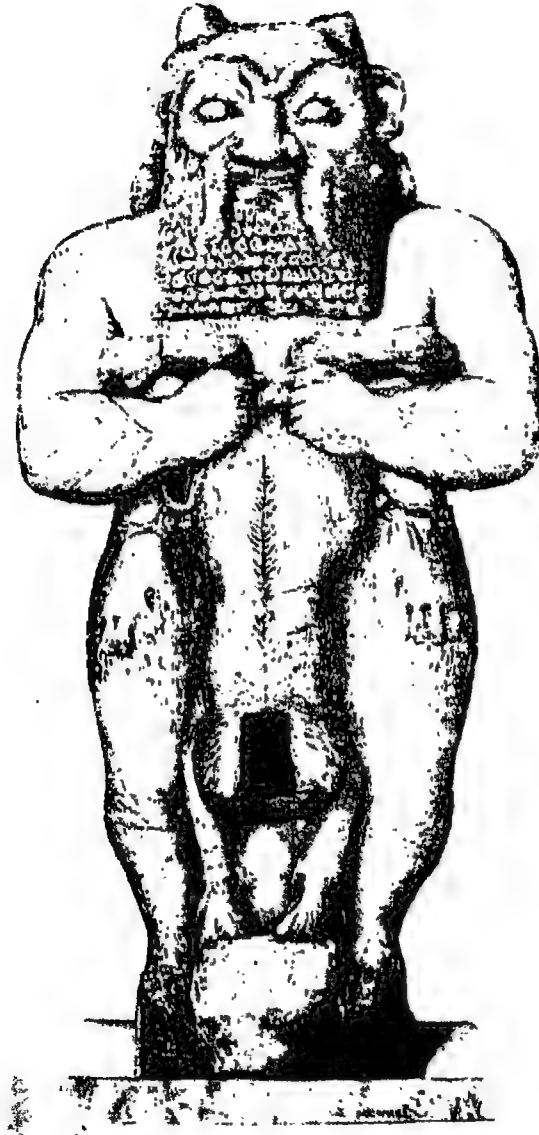
من أغنى وأروع المكتشفات الأثرية من العصر الجيومترى الأول ما عثر عليه فى باليو بافوس سكاليس فى مقابرها المكونية ذات الدفن المتعدد فى حجرة رباعية، وكان الدفن تحت الأرض هو الأشيع مع ظهور بعض حالات الحرق . وعثر على مثابك برنزىة وحديدية وبعض المشغولات الذهبية مثل خواتم الإصبع والأذن وما إلى ذلك من حلى نسائية . وعثر أيضاً على رسم يمثل أفعى ليرنا على طبق ضحل جيومتري أبيض مرسوم . وعثر أيضاً على Kalathos عليه رسم يمثل "عازف القيثارة" ربما يكون أورفيوس .

ويلاحظ أن الإتجاه السائد فى العصر الجيومترى القبرصى الثانى (٩٥٠ - ٨٥٠ ق.م) هو التزاوج أو التمازج بين ماهو هيلينى وافد وماهو قبرصى أصلى أو محلى، وهو اتجاه عميق الجذور فى التاريخ . لقد وصلت الصادرات القبرصية إلى اليونان وطالت جزيرة يوبويا - ليفكاندى وكذا أثينا - كيراميكوس ورودس - ياليسوس (Ialysos) والجزر الإثنى عشر المغاذية لساحل آسيا الصغرى بصفة عامة . وطالت كذلك كريت التى عثر فيها على مقاعد ثلاثية قبرصية، وكذا إناء برنزى يعود للقرن العاشر ق.م . تقريباً وعليه نقش فينيقى حفر فى كنوسوس . وعثر على إناء مماثل له فى - أثينا كيرا ميكوس ويرتبط بعبادة ألفروديتى - عشروت ويعود للقرن التاسع ق.م .

وكل ذلك يعنى أن قبرص بدأت مرحلة جديدة فى تاريخها ، فلم تعد مستهلكة ومقلدة لما تستورده، بل صارت لها اسهاماتها وإبداعاتها التى تصدرها للخارج ، وفى إطار شرق البحر المتوسط وبحر إيجة والعالم الهيلينى على نحو خاص . إذ جنباً إلى جنب مع هذا الالتصاق بعالم البحر الإيجى الهيلينى كانت هناك صلات لقبرص مع الشرق الأدنى . وتنعكس هذه الصلات فى مواقع إيجية مثل يوبويا - ليفكاندى . وكانت هناك تأثيرات قبرصية على الصناعات الفخارية فى العصر البروتوجيومترى فى كل من أثينا ويوبويا، ولكن هذه المؤثرات القبرصية نفسها تحمل نكهة حوض

[Greek] IEE Vol. B pp. 358-365.

(١) كان السيف القبرصى الطويل المعروف منذ أوائل العصر الحديدي والسائد فى القرن الثامن ق.م. هو بالقطع حديث السيف المكيثى. وعثر على هذه السيوف فى سكاليس جنباً إلى جنب مع السيوف القصيرة. ومن أطول السيوف التى عثر عليها فى قبرص ما يبلغ طوله ٧٩,٧سم، عثر عليه فى إيداليون ويؤرخ بالعصر الجيومترى. وعثر على سيف آخر فى نيقوسيا بطول ٨٠,٨سم. ومؤخراً تم العثور فى سلاميس على سيف طوله ٩٢سم يعود للقرن السادس ق.م. وهذا السيف يعد علامة فارقة فى تاريخ صناعة السيوف من حيث الطول والسلك والوزن.



شكل رقم (٢٣): تمثال ضخم لإله أماتوس الذى يمسك بأسد من قلميه وسماء أهل أماتوس "مالك" (Malika) وأخته اليونانيون على أنه ميثل هرقل.

البحر المتوسط الشرقي . وربما حمل هذه المصنوعات القبرصية تجار من هذه المنطقة أو من يوبويا الذين كانوا يزورون قبرص ويتددون على الشرق الأدنى، وهم الذين فيما بعد أسسوا مستوطنة بوسيديون Poseideion أى المينا (وهى الآن المينا البيضاء وضاحتها صابوني) Al Mina فى سوريا . وكانت هذه المبادلات التجارية تشمل المصنوعات النحاسية والحديدية حيث كانت تصدر لليونان بما فى ذلك السيوف الحديدية .

إن السيف الطويل والضخم الذى عثر عليه فى نيقوسيا يعكس التطور الهائل الذى وقع فيما بين ٧٧٦ - ٧٠٠ ق.م فى العالم الهيلينى وبحر إيجة . ويرقى إن مجمل هذه التطورات إلى مستوى الثورة التى شملت على المستوى الأدبى والثقافى تبنى الأجدية الفينيقية وازدياد عدد السكان ونشاط حركة الاستيطان وتأسيس المدن أو المستعمرات الجديدة فى آسيا الصغرى وجنوب إيطاليا وصقلية وانتشار نظام الدولة - المدينة Polis فى عالم البحر المتوسط . حدثت طفرة فى الصناعة، كما انتشرت المعابد والمهرجانات الهلينية القومية ومنها على سبيل المثال الألعاب الأولمبية التى بدأت عام ٧٧٦ ق.م، ومن المرجح أن هوميروس عاش فى أواخر القرن التاسع أو أوائل الثامن من ق.م^(١)

ازدهر الشعر الملحمى فى قبرص إبان العصر الأرخى^(٢) كما هو الحال فى بلاد الإغريق . فقبرص مثلها مثل عدة جزر ومدن إغريقية زعمت بأنها مسقط رأس هوميروس . ذلك أن القبرصى ستاسينوس Stasinus (أو هيجيسياس Hegessias أو هيجيسينوس Hegessinos) كان شائعاً ومقبولاً على أنه مؤلف الملحمة القبرصية (Kypria) . فيما بعد عصر هوميروس . وهى ملحمة تعد فى ذاتها مقدمة للمحمة هوميروس "الإلياذة" وتسودها نغمة غائبة بمعنى الاعتقاد بأن لكل شىء فى الكون غاية ما . بل إنها ملحمة مقعمة بلغة أنجاز الاستعارية والأخلاقية (allegorical) وراجت روايات فحواها أن ستاسينوس هو زوج بنت هوميروس الذى وهبه "القبرصية" هدية زواج . فالعادة الإغريقية القديمة السائدة حتى الآن فى اليونان وقبرص الحديثين أن الفتاة هى التى تقدم هدية الزواج لعريسها ويسمونها docta .

تقع القبرصية (Ta Kypria epe) فى أحد عشر كتاباً وتعالج مقدمات الحرب الطروادية أى زواج بيليوس من ثيتيس وحكم باريس الأير الطروادى فى مسابقة الجمال بين هيرا وأثينا وأفروديتى، ثم إختطاف هيلينى ثم بدايات الحرب الطروادية نفسها وتقف حيث تبدأ أحداث "الإلياذة" . وكانت القبرصية معروفة ومألوفة لدى كل من هيرودوتوس ويوريديس وأفلاطون وأرسطو وغيرهم وقد أجرت كسيد خريستو Xuda christou رسالة للدكتوراه فى جامعة أثينا عام ١٩٧٩ عن "الملاحم القبرصية Ta Kypria Epe ونشرت مع تعليق وفى الشذرات المتبقية فيها .

^(١) أحمد عثمان، الأدب الإغريقى تراثاً إنسانياً" وعالمياً. الطبعة الثانية. دار المعارف ١٩٨٧ ص ١٧-٨٥.

^(٢) العصر الأرخى archaic اسم يطلقه بعض المؤرخين على فترة من التاريخ الإغريقى تقع فيما بين القرن التاسع والسابع ق.م على وجه التقريب.

ولقد دافع هيرودوتوس أبو التاريخ عن نسبة ملحمة "القرصية" إلى هوميروس نفسه، ومن ثم لا يمكن استبعاد هذه النظرية تماماً في حالة الإتفاق على وجود هوميروس نفسه ونسبة "الإلياذة" و "الأوديسيا" إليه^(١). وربما كانت "القرصية" من الأشعار التي تنشد في الأعياد الدينية ولاسيما في معابد أفروديتي - عشرت (وتسمى في الأدب الإغريقي الكلاسيكي: القرصية Kypria) وذلك في كيتيون وسلاميس وبافوس. أما معبد أفروديتي في بافوس فيرجع تاريخه إلى حوالي عام ١٢٠٠ ق.م. وكان معروفاً هوميروس (في القرن التاسع أو الثامن) الذي كان يصف مجتمع ذلك الزمان في ملحمة أي المجتمع الأخي أو الموكيني.

أما سلاميس القرصية فبوصفها مدينة تحميها الربة أفروديتي فلقد ورد ذكرها في النشيد الهومري العاشر. وفي النشيد السادس يذكر أن أفروديتي ولدت في قبرص وهي أسطورة شاعت في الأدب الإغريقي واللاتيني واستقرت تماماً. ويعتبر بعض النقاد أن "الأناشيد الهومرية" نظمت فيما بعد عصر هوميروس لتكون بمثابة مقدمات استهلالية (Pooimia) لإنشاد الملاحم الهومرية الطويلة. ولقد تم العثور على شذرات النشيد الهومري "إلى أفروديتي" في سولوي^(٢) مما يشي بأن هذه الأناشيد قد نظمت وأنشدت في قبرص أثناء المهرجانات والأعياد والباريات، وذلك قبل ظهور "دائرة الملاحم" Kyklos epikos التي كانت "القرصية" واحدة منها^(٣).

ولقدت راجت نبوة في القرن السابع ق.م. قيل إنها جاءت على لسان الشاعر المغني القرصي يوكلوس Euklos، وفحواها أن هوميروس ولد في قبرص وبالتحديد في سلاميس. وكانت أمه فلاحه بسيطة تدعى ثيمستو Themisto وسواء صدقت هذه النبوة أم كذبت فإنها تصور الجو الهومري العام واخيط بالحياة في مدينة سلاميس القرصية، كما تعكس بوضوح أن إغريق قبرص كانوا يشعرون ويفخرون بأغريقتهم وبأنهم جزء لا ينفصل عن العالم الهيليني منذ ذلك التاريخ المبكر، وعلى أية حال فلقد نفى العلامة اليونانية كيرياكوس خاتزيوانيس في بحث مفصل أن يكون هوميروس من سلاميس ولا من قبرص كلها^(٤).

οι δ αλλοι περι ενα ποτοπι και πεπι ενα χρονον και μιαν
πραξιν πολυμεπη, οιον ο τα Κυπρια ποιησας και την μικραν
'Ιλιαδα . τονγαρουν εκ μεν 'Ιλιαδος και 'Οδυσσειας μια τραγωδια
ποιειται εκατερας η δυο μοναι, εκ δε Κυριων πολλαι .

[Greek] Xuda Christou, passim. Cf. Herodot. II.

(١)

117.

وراجع أحمد عثمان، الأدب الإغريقي، ص ١٧-٢٩.

SCE III pp. 627 ff.

(٢)

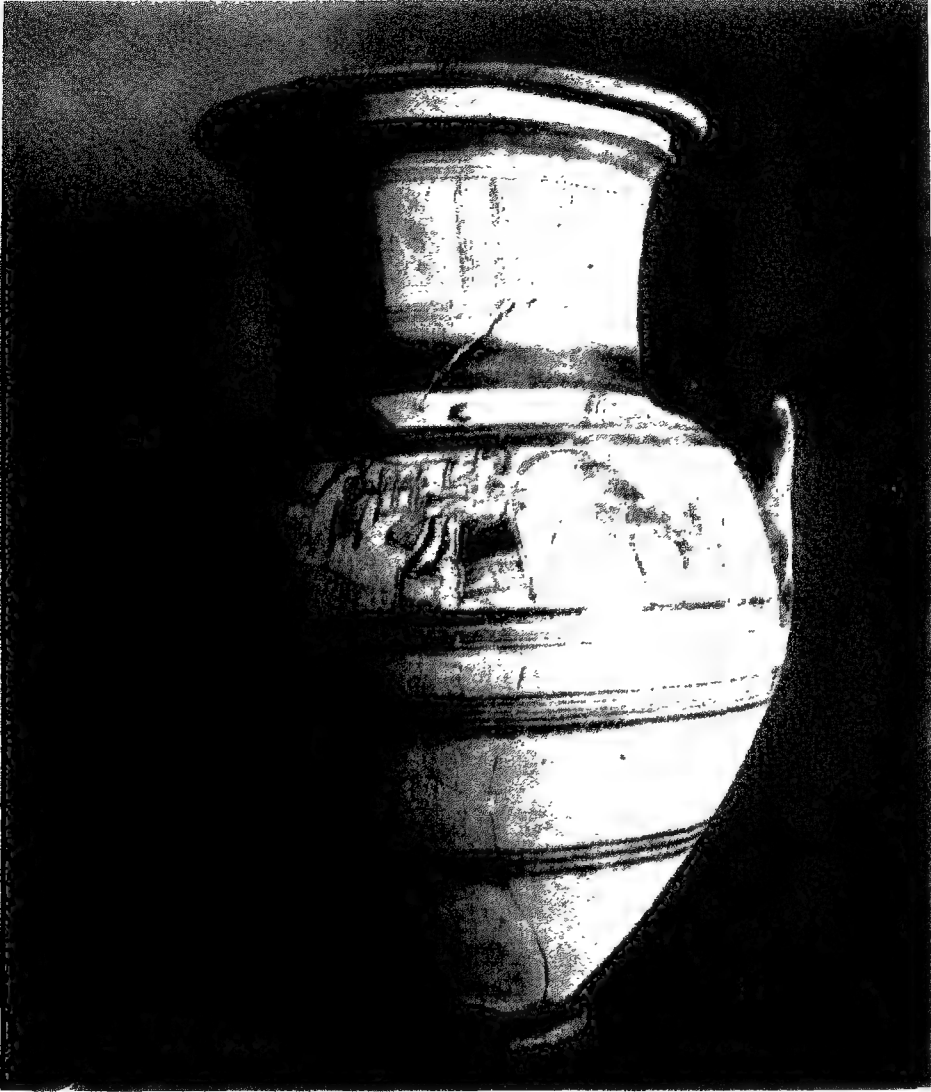
cf. Zeitchr. für papyrolog. V. Epigr. IV 2 (1969) pp. 94-100.

أحمد عثمان، الأدب الإغريقي ص ٨٢-٨٥.

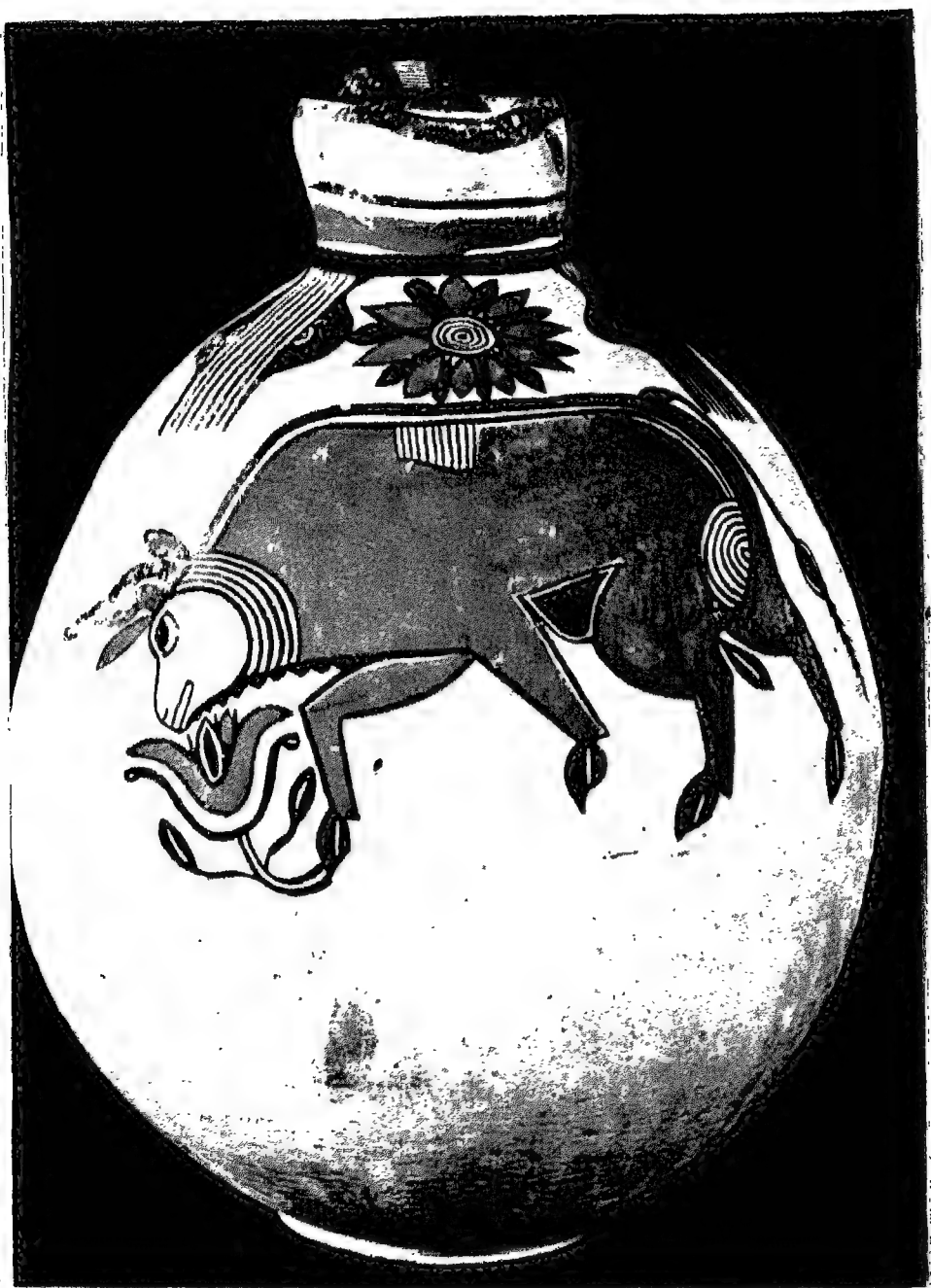
(٣)

[Greek] Hatzioannou, vol. Γ" passim

(٤)



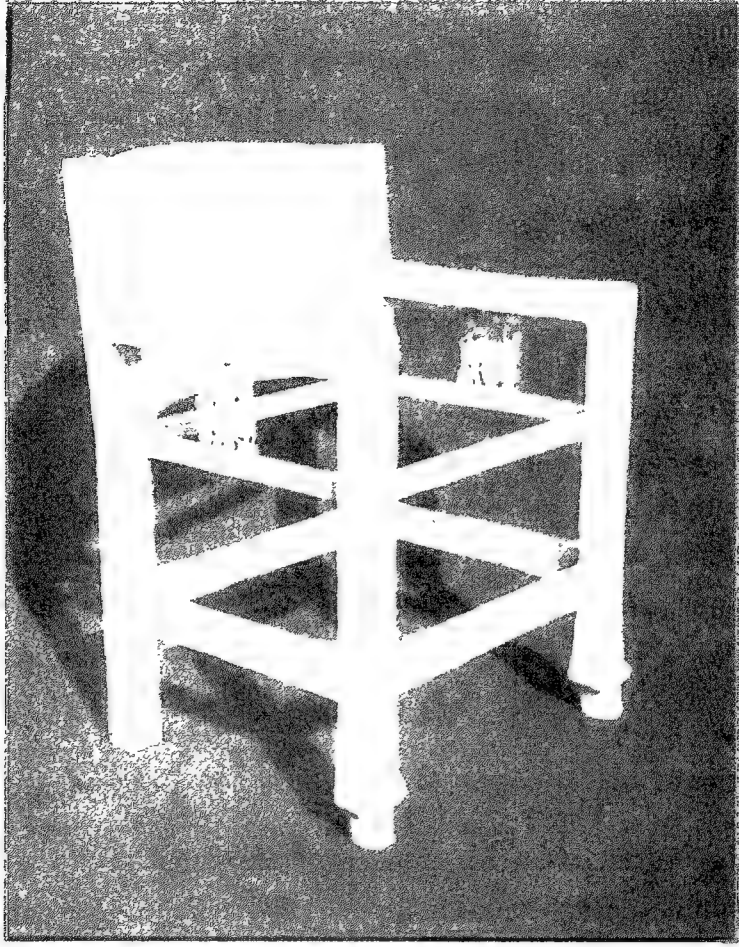
شكل رقم (٢٤): إناء هابارد Hubbard Amphora الشهير باسم صاحب الإهداء. وهذا الإناء فتح عصرا جديدا في زخرفة الآنية القبرصية باستخدام صور البشر والحيوانات والطيور والسمك. ظهرت الإلهامات في العصر البرونزي. ولكننا نلجأ في العصر الأرخي يرجع هذا الإناء الى نهاية العصر الحثيومي (نفاية القرن الثامن ق م) وصرى فى الرسم سيدة تجلس على كرمى مريح وترتشف سائلا ما بواسطة شفاطة من القش وأمامها اريقق. وعلى من الصورة نجد أبو الهول الجحج يحسك زهرة وبسهما. . الإناء محفوظ متحف قرص



شكل رقم (٢٥) انا، يروح بالفرح الساعق في م وسمي لفس طرار الاا، الساق وغيد نرى نورا يسمه زهره اللوس



شكل رقم (٢٦): ريبوس ذو الصاعقة مثال من حجر الازلت عثر عليه في كينون. حيث يقذف الإله الصاعقة يماما، ويمسك
صفرا يسراد. ويؤرخ للتمثال بالقرن الخامس ق.م



شکل رقم (۲۷): کرسی مریح او عرش مرصع بالعاج من سلامیس ویورخ القرن من الثامن ق.م.

"على النقيض من ذلك البعض يكتبون عن بطل واحد أو زمن واحد أو حدث واحد متعدد الأجزاء مثل أولئك الذين اتكأوا على "القبرصية" أو "الإلياذة" الصغيرة" فى أعمالهم . ذلك أنه من "الإلياذة" أو "الأديسيا" لا يمكن أن نستخرج أكثر من مأساة واحدة أو إثنتين على الأكثر بينما كتبت تراجيديات كثيرة من "القبرصية"

وهذه ملاحظة هامة جاءت فى كتاب " فن الشعر " لأرسطو (C23.1459b) وهى أن ملحمة "القبرصية" كانت مصدراً مهماً من مصادر التراجيديات الإغريقية أى مسرحيات أيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيدس وغيرهم . فبالنسبة لهؤلاء الشعراء بالإضافة إلى تورتيابوس وبندارس وهيرودوتوس وثوكيديدس وغيرهم كانت قبرص بلداً إغريقياً فى كل شئ من السياسة الى اللغة والأدب والثقافة^(١) .

كشفت الحفريات الحديثة فى مدينة الموتى بسكاليس - إلى الجنوب الشرقى من باليوبافوس - النقاب عن عدد من المقابر تعود إلى أواسط القرن الحادى عشر ق.م . وهى مقابر خاصة بالأرستقراطية الآخية المهاجرة إلى قبرص بعد الغزو الدورى لليونان حوالى ١١٠٠ ق.م . وعثر فى هذه المقابر على آنية فخارية ذات أشكال غير عادية وتحمل رسوماً ، وكذا آنية برنزية بعضها ينتمى إلى طراز يظهر فى قبرص لأول مرة . وتم العثور أيضاً على سيوف حديدية تنتمى إلى طراز ظهر فى اليونان إبان إرهابات العصر الجيوميتري الأول . بعض هذه السيوف برنزية ذات أشكال شائعة فى بحر إيجة . وبعض ماعثر عليه صنع من الفضة . وعثر أيضاً على مشابك حديدية . وعثر الأثريون القبارصة هناك على نقش محفور فوق سهم برنزى obelos يحمل علامات الكتابة المقطعية القبرصية الباليوبافية . والكلمة هى المضاف إليه الأركادى للكلمة اليونانية δφελτυς وعثر على لوحة مماثلة فى كنوسوس مكتوبة بخط الكتابة Linear B . المهم أن هذا يعنى أن اللهجة

(١) أحمد عثمان، الأدب الإغريقى، ص ٢٢٤ - ٢٢٨ ، ٢٦٤ - ٢٦٩ ، ٣٠٢ - ٣٠٥ .

حيث يورد المؤلف قائمة بمصادر كل مؤلف تراجيدى إغريقى ويُفهم منها أن أيسخولوس استلهم "القبرصية" فى أربع مسرحيات هى "إيجينيا"، "الميسون"، "بالاميدس" و "تيلفوس" . واستلهم سوفوكليس القبرصية فى خمسة عشر مسرحية هى "الكساندروس"، "حشد الآخين" أو "الاجتمعون على الوليمة" (سائيرية)، "عشاق أخيلليوس" (سائيرية)، "المطالبة بعودة هيلينى"، "زواج هيلينى" (سائيرية)، "إيجينيا"، "التحكيم" (سائيرية)، "الميسون"، "ناوبوليوس مبحراً"، "أوديسيوس مجنوناً"، "بالاميدس"، "الرعاة"، "أهل سكيروس"، "تيلفوس" (سائيرية)، ... "ترويلوس" أو الطروادى الصغير" . واستلهم يوريبيدس "القبرصية" فى ست مسرحيات هى "الكساندروس"، "إيجينيا فى أوليس"، "بالاميدس"، "بروتيسلاؤس"، "أهل سكيروس"، "تيلفوس" .

أما عن موضوع اللغة القبرصية وأصولها وعلاقتها باللغة اليونانية القديمة المستخدمة فى بلاد اليونان القارية راجع:

[Greek] Hatzioannou, Vol.Γ' Part B, passim

[Greek] Iankoullis (Nicosia 1990) passim

وراجع

وهناك مشروع جمع اللغة القبرصية فى معجم شامل بعنوان:

Thesaurus Linguae Cypriac Graecac. Cyprus - to - Day xxxii, no.182 (January - June 1994) pp. 16-17.

الاركاذية القبرصية تطورت عن الموكينية ، وهذا هو أول نقش يدل على وجود اللغة اليونانية فى قبرص . فإذا وضعنا هذه المعطيات الأثرية جنباً إلى جنب مع أسطورة تأسيس بافوس على يد قائد الأركاديين فى حرب طروادة أجايينور Agapenor وكذا رواية باوسانياس أنه كان هناك فى تيجيا - موطن أجا بينور فى البلوبونيسوس - معبد لأفروديتى البافية Aphrodite Paphia لأمكننا أن نفهم ما ذكره هوميروس فى الأوديسيا (٩ أبيات ٣٦٢-٣٦٣) وربطه بالمعبد الذى تم إكتشافه فى باليوبافوس وكان قد أقيم لأفروديتى حوالى ١٢٠٠ ق.م . وهناك رواية فحواها أن ابنة أجايينور وتدعى لاؤديكى قد أرسلت من بافوس عباءة peplos إلى معبد الربة أثينة فى آليا Alea بتيجيا وطنها الأصلى .

إن أول معبد ضخيم بنى لأفروديتى فى باليوبافوس - بالتحديد فى كوكليا Kouklia - يعود إذن إلى حوالى ١٢٠٠ ق.م . ومع أن هذا المبنى الأثرى المهم والصادر قد أصابه التشويه والتدمير عندما أقام الحساكم اللوسينياني (Lusignan) على أنقاضه معملاً لتكرير سكر لقصب إبان القرن الخامس عشر الميلادى، إلا أننا يمكن أن نتبع تاريخ هذا المعبد وتطوره منذ نشأته وحتى العصر الرومانى، بل ويمكن ترميمه وإعادة بنائه . التكوين المعمارى لهذا المعبد هو الطراز الثلاثى الشائع فى قبرص منذ العصر الحجرى الجديد، ويمكن مقارنته بالمعبد رقم ١ فى كيتيون . وهو مبنى من كتل الحجر الصابونى المربعة وبه أعمدة رباعية وذات رؤوس حجرية كتلك الموجودة فى كيتيون . وعثر بهذا المعبد على قرون الحيوانات التى فيما يبدو كانت تقدم كقرايين للآلهة ، وهنا نتذكر قول أوفيدوس فى " التناسخات " وفى سياق أسطورة بيجامليون واصفاً طقوس القرايين فى معبد أفروديتى البافية .

ذهب بيجامليون يشارك أهل المدينة
هــلـه الناسبة السـمـعة
وهـنـاك رأى أمـوراً عجـيـبة
ذوات القسرون الملتوية المرصعة بالذهب
تلك البقـيرات الصـفـيرات
ضربن فى التحور ناصعة البياض كالثلوج
وسقطن للربة (أفروديتى = فينوس) أضحيان
وتساعد دخان البخور ، وأدى بيجامليون الصلوات
عند مذبح فينوس (فى بافوس)^(١)

^(١) أحمد عثمان، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى العصر الذهبى. الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة ١٩٩٥، ص ٣٢١-٣٢٦.

نفس المؤلف، المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم، دراسة مقارنة. الطبعة الثانية. الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان ١٩٩٣. ص ١-٣٢.

وفى معبد عشروت المكتشف فى تاماسوس خصص أحد المذبحين للإلهة الأم كوبيلى Kybele . وفى كيتيون تعبد الناس لكل من إشمون Esmoun وملقرت Melqart وريشيف Reshef وميكال بعل Baal - Mikal جنباً إلى جنب مع أفروديتى (عشروت) وأثينة (أنات Anat) وهرقل (ملقرت) . كما كان آلهة الأوليمبوس يعبدون فى قبرص وارتبط كل منهم بمدينة من المدن فيها . فارتبط زيوس بسلاميس وماريون وخيزوى وجوجلوى وكيتيون . وفى الأخيرة على نحو خاص عبد زيوس ذو الصاعقة Zeus Keraunios . أما هيرا فقد ارتبطت بباليوبافوس وأماتوس وإيداليون . وارتبطت أرتيميس بإفوس وكيتيون حيث عادت كإلهة تحمى الساحل Artemis Paralia وهكذا نجد أبوللون يعبد فى كوريون بوصفه Hylates أى " حامى الغابات " وفى بيلا بوصفه Mageirios و Lakeutas أى المتبئ . وعادت الربة أثينة فى كاكوبيريا وميرسيناكي وإيداليون وفونى أيبيا Vouni-Aepeia وفى سولوى . أما أفروديتى فعلاوة على ما ذكرناه سالفاً عادت فى أناسا Anassa وفى أماتوس بلقب القبرصية Kypria وفى كيتيون بلقب " ذات الصاعقة " Keraunia .

وهناك قوة إلهية للخصوبة فى شكل مذكر جسدت فى أشكال من الطين النضيج (terracotta) على هيئة عضو الذكر (Phallos) ومعه صورت أشكال أنثوية . عبد هذا الإله فى منطقة ليماسول - كوميسارياتو Komissariato - Limassol حوالى عام ٥٠٠ ق.م . وقد تعود أصوله إلى العصر البرنزى المتأخر . وهناك معبد هرقل - ملقرت . كما يفهم من قطعة أثرية favissa تنتمى للعصر الأرخى الثانى تحوى تماثيل صغيرة من كازافانى حدها لعشروت . ومن القرن السادس والخامس ق.م عثر على الكثير من التماثيل الحجرية تشل أنثى تمسك بحمامة أو ثمرة ما . هذه التماثيل تشى بتأثيرات تماثيل الكورى Kore فى النحت الإغريقى، وعثر عليها خارج سلاميس ولا بد أنها ذات علاقة بأفروديتى . وفى تماثيل فخارين بمعبد إيداليون نرى تماثلاً لعشروت "الموس المقدسة" وهو موضوع موجود فى الديانة الآشورية وأشار إليه هيرودوتوس (١١٩٩) ومن ثم فإن العمودين على هيئة زهرة اللوتس قد يشيران إلى التأثير المصرى .

٤ - الأشوريون والفينيقيون فى قبرص

إن الدور الإيجابى الذى لعبه الفينيقيون فى قبرص يتجلى فى المباني الدينية أى المعابد الضخمة ولا سيما فى كيتيون . وربما يتجلى ذلك فى العناصر الشرقية الملموسة فى معابد كيتيون وآلاسيا - إنكومى، التى كانت شائعة حتى قبل الفترة الفينيقية فى تاريخ قبرص . فمعبد كيتيون رقم ١ - وهو ثلاثى البنية المعمارية - كان قد فات أوانه كطرز وهجر ، ولكن مقاييسه وفناءه فقد تم الإحتفاظ بها فى معبد عشزوت الذى أقيم فوق أنقاض هذا المعبد نفسه . وكان معبد عشزوت يشمل رواقين للمدخل (portico) استند سقفاها على ثمانية وعشرين عموداً خشبياً قسمت على أربعة صفوف، حيث أن كل رواق كان به أربعة عشر عموداً . وكل هذه الأعمدة تستند على قواعد حجرية مجوفة، ولم يحدث أى تغيير جوهري فى قدس الأقداس عما كان فى المعبد الأقدم . فالمعبدان الحجريان المربعان على كل جانب من المدخل الرئيسى ظلا كما هما . ولقد قورن هذا المعبد وأعمدته بمعبد سليمان فى جيرو سالم والذى بناه مهندسون من صور . كما هو الحال بالنسبة لمعبد عشزوت موضوع حديثنا هنا . وما يلاحظ فى هذا المعبد الإبقاء على الطراز الكريتى لإلهة ترفع ذراعيها وهو طراز موجود فى كيتيون منذ القرن الحادى عشر ق.م . فهكذا ظهرت عشزوت - أفروديتى حتى فى ظل الوجود الفينيقى .

يضاف إلى ذلك أنه فى بافوس كانت عشزوت وأفروديتى تعتبران وجهين لعملة واحدة منذ أن أقيم معبد صغير هناك حوالى عام ١٢٠٠ ق.م . ففى بافوس وكيتيون كما فى سوريا عادت عشزوت بطقوس مماثل لطقوس أفروديتى . بما فى ذلك وجود الحيازين والحلاقين والمومسات فى المعبد . وهذا ما يقرب المستوطنين الفينقيين من القبارصة الأصليين والموكيين القبارصة ويضع هذه الثقافة المختلفة فى سياقها التاريخى والجغرافى أى البحر المتوسط والشرق الأوسط وبحر إيجه لإغريقى. وربطت صناعة النحاس^(١) بين كيتيون الفينيقية وتاماسوس - المركز الرئيسى لهذه الصناعة - وترتب على ذلك حدوث امتزاج حضارى ودينى . وجاء فى المصادر القديمة أن قينيقاً كان يقطن تاماسوس قام برحلة إلى كيتيون لتقديم القرابين إلى عشزوت فى يوم ما من سنة ما قبل القرن الثامن ق.م.

إن القبر الملكى فى سلاميس رقم ١ (القرن الثامن ق.م) بنيت فيه قاعة لها واجهة من كتل الحجر الصابونى المربعة . وكورنيش له الطابع المصرى . ولقد عثر على آنية فخارية محلية وإغريقية وأطباق وكؤوس الشراب (skyphoi)، وهى جميعاً ربما تكون جزء من هدية زواج إحدى الأميرات الإغريقيات. أما الأميرة نفسها فيدل هيكلها العظمى على أنها أحرقت بعد الموت . وعلى الطريقة الإغريقية وضع رمادها فى إناء برنزى مع عقدها الذهبى . وفى سلاميس أيضاً يحمل القبر رقم ٣ و ٧٩ - كما فى مقابر تاماسوس - ملامح التأثير الأناضولى المعمارى جنباً إلى جنب مـ

(١) عن تعدين النحاس وصناعته راجع حاشية رقم ٦.

الملاح الهومرية المميّزة في طقوس الدفن مثل تقديم حصان قرباناً وهدايا أخرى. ومن بين المقاعد الثلاثة الوثيرة (أو العروش throne) والسرير في القبر رقم ٧٩ يلتفت النظر (المقعد المطلق بالفضة والمذكور في "الأوديسيا" (٧ بيت ١٦٢) وهناك مقعد آخر له مسند مرصع بالعاج ونحت عليه أبو الهول ومع زهرة اللوتس على الجانبين وهو يشبه مقعد بنيلوبى في الأوديسيا والذي يحمل بعض الملامح الشرقية. أما السرير فله بعض الأجزاء العاجية تزينها رسوم مصرية وبعض الكلمات باخط الهيروغليفى. وكل ذلك يشى بشيوع الطراز المصرى - الفينيقي. وربما تكون هذه المنتجات من صنع أولئك الفنانين الفينيقين الذين يعيشون في مدن السواحل السورية ويعيون مصنوعاتهم في بلاد الإغريق وقبرص والشرق الأدنى. ومن بين القرايين المقدمة في مقبرة رقم ٧٩ نجد أدوات زينة تعلق على جانبي رؤوس الخيول ومن بينها أبو الهول المجنح والأسد. وفي نفس المقبرة عثر على إناء برنزي ضخيم (قزان) مزين بصورة حيوان خرافي "نصفه نسر ونصفه أسد" وصور السيرينات^(١).

وفي المقبرة رقم ٣ بسلاميس عثر على إناء يحمل نقشاً من بعض المقاطع وتذكر فيها عبادة "إناء زيت الزيتون". كما ذكر في سياق كومة الحرق التي أعدت لباتروكلوس في "الإلياذة" (٢٣ أبيات ١٧١ ومايليها). وفي مقبرة رقم ٢ عثر على بقايا تنم عن تقديم البشر قرايين للآلهة وهو ما يذكرنا بكومة حرق باتروكلوس مرة أخرى. وعلى إناء amphora ويؤرخ بحوالى ٧٠٠ ق. م. تم اكتشافه في أحد المقابر بسلاميس نقش بالأبجدية الإغريقية وهو من أقدم الشواهد على هذه الأبجدية في قبرص جنباً إلى جنب مع نقش آخر من ماريون.

عندما وطأ الفينيقيون أرض قبرص في القرن التاسع أو أوائل الثامن ق.م كانت الجزيرة قد تأغرقت بالكامل وفي كافة النواحي. وإن كان العنصر الأغلى القبرصى هو الأظهر والأقوى حتى في إطار الطابع الهيلليني العام. وكانت كيتيون هي أول وأقوى مركز حضارى وتجارى فينيقى في الجزيرة. وبهذا الاسم القبرصى الأصيل ظلت هذه المدينة معروفة، بل صار يطلق على قبرص كلها، كما كان اسم كيطيم Kittim يطلق على قبرص في العهد القديم. وهو في نفس الوقت يطلق على جزر قريبة منها، وعلى مدينة في مقدونيا. وكانت كيطيم أيضاً تعنى مدن الإغريق. أما في حالة كيتيون فكانت "مدينة الإغريق". وفي العصر الجيوميزى الثالث (٨٥٠ ق.م) بدأ الاستيطان الفينيقي لكيتيون. وهذا مايستدل عليه بمعابد بنيت لعشوروت وملقرت أى أفروديتى وهرقل على التوالي. بنيت هذه المعابد حوالى ٨٥٠ ق.م على أنقاض معابد العصر البرنزى المتأخر في مركز المدينة، الذى كان قد تم هجره حوالى ١٠٠٠ ق.م وربما استخدم الفينيقيون كيتيون مركزاً تجارياً وصناعياً قبل عام ٨٥٠ ق.م، ولكنها بعد ذلك العام صارت تابعة للملك صور. وساهمت هذه المدينة الفينيقية في توطيد العلاقات التجارية بين فينيقيا والعالم الهيلليني. وكان اسم

^(١) السيرينات Seirenes مخلوقات أسطورية لها رؤوس نسوة وأجسام طيور، كن يجتذبن البحارة بغنائهن الساحر وصوتهن الأسر، ثم يقتلنهم.

كيتيون الرسمى فى اللغة الفينيقية "المدينة الجديدة" Qathadast كما تدل ذلك على المصادر الأثرية والأدبية . وكانت اللغة الفينيقية هى اللغة الرسمية للمدينة بعد عام ٨٥٠ ق.م .

ويعتد العصر الأرخى فى قبرص من ٧٥٠ (أو ٧٢٥) إلى ٤٧٥ ق.م . وكانت الفترة الأولى منه تبدأ من ٧٥٠ (أو ٧٢٥) وتنتهى ٦٠٠ ق.م . وتظهر الاكتشافات الأثرية من هذه الفترة مايدل على أنها كانت عصر تقدم وازدهار ورخاء، ورغم استمرار السيطرة الفينيقية على كيتيون بل وتغلغل النفوذ الفينيقى فى كل أنحاء الجزيرة على الصعيد الإقتصادى والثقافى . وكان يواكب ذلك تزايد اعتماد الفينيقين فى كيتيون على مدينتهم الأم المؤسسة صور . وهذا مايتجلى فى نقش على إناءين برونزيين عثر عليهما فى موطى سنيؤاس Mouti Sinoas فى منطقة مناجم النحاس شمال شرق أماتوس حيث جاء فى أحدهما رد "حاكم قار ثاداست خادم حيرام الثانى Hiram II من صور ملك أهل صيدا إلى بعل لبنان سيده" .

وحيرام الثانى ملك أهل صيدا أى الفينيقين معروف أنه كان يدفع الجزية عام ٧١٨ ق.م للملك الأشوريين تيجلاتيلسر الثالث Tiglatpileser III (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) . وهذا مايشير إلى اعتماد فينيقى كيتيون بطريق مباشر أو غير مباشر على الأشوريين الذين كان ضغطهم المتزايد وراء هجرة عدد كبير من الفينيقين إلى جنوب قبرص فى أواسط القرن التاسع ق.م . مما وجه ضربة قاصمة إلى أساطيل المدن الفينيقية فى أوائل القرن الثامن وحتى أواسط القرن السابع ق.م .

ومع أن الإهداء الذى وجدناه على الإناء حامل النقش سالف الذكر هو للإله بعل، فإنه ربما يكون الاسم الفينيقى لزئوس لابرانيوس Zeus Labranios القبرصى والذى أقيمت له عبادة فى فاصوللا Phassaulia القرية من موطى سنيؤاس والذى قد يكون على صلة وثيقة بزئوس لابراوندوس Zeus Labraundos ومعبد الشهير فى كاريا . ولعل اعتماد فينيقى كيتيون على صور هو الذى أدى إلى ظهور السيطرة البحرية القبرصية على ما عداها من القوى المحيطة بها فى البحر المتوسط، وهذا ما يشير إليه يوسيبوس^(١) . ولقد بلغت هذه السيادة القبرصية ذروتها عام ٧٤٢ أو ٧٣٢ - ٧٠٩ ق.م . أى بعد خضوع فينيقيا لتيجلاتيلسر الثالث بعد إنتصاره فى الحروب ضد الدويلات الآرامية المتحدة . ولقد أعطى ذلك فرصة للقبارصة المعارضين للفينيقين لكى يعبروا عن آرائهم بصراحة . استغل الفينيقيون أخشاب قبرص الوفيرة لبناء سفنهم مما مكهم من السيطرة على تجارة البحر المتوسط، ووصلوا حتى أسبانيا التى إليها ذهب فى صحتهم القبارصة . ويستدل على ذلك من وجود منتجات قبرصية هناك .

وكل ذلك لا يقلل من شأن احتدام المنافسة بين القبارصة والفينيقين، ولا سيما بعد أن استعاد الطرف الأول قوته ومسحق القوة البحرية الفينيقية حوالى عام ٧٤١/٧٤٠ ق.م. وبنفس الطريقة استغل الفينيقيون تورط الأشوريين فى حروب مع بايلون وعيلام تحت حكم سيناشريب

بالأراضي والممتلكات الخيشية وراء البحار . وهى البلدان التى وقعت تحت نير النفوذ الحيثى وأرغمت على دفع الجزية، وتشمل الممالك القبرصية وذكرت فى النقش الممالك القبرصية التالية:

Edia'l	=	Idalion
Kitrusi	=	Chytroi
Sillua	=	Soloi (Solamis ?)
Pappa	=	Paphos
Sillu	=	Salamis ? Soloi ?
Kuri	=	Kourion
Tamesu	=	Tamasos
Qarthadast	=	Kition
Lidir	=	Lefkosia ^(١)

وهكذا فمن المؤكد أن كيتيون عام ٦٧٣/٦٧٢ ق.م . كانت تحت حكم الآشوريين وفى عام ٦٧١ ق.م تحالف ملكها الفينيقي بعل مع الملك الفرعونى تيرهاكاه Tirkahah والقادة السوريين - الفلسطينيين ضد إسمارهادون الذى هزمهم . وقام بعل المهزوم بحركتين للتمرد، كما وقعت ثورتان متاليتان ضد آشوريا نيال Ashurbanipal الذى وضع ملكة قرثاداست (كيتيون) ضمن قائمة الدول الخاضعة له عام ٦٦٧ ق.م ولكن ليس هناك ما يثبت إستعادة الحكم الصورى الفينيقي على كيتيون بواسطة بعل . وبعد آشوربانيال لم يردنا أى ذكر فى المصادر المختلفة عن قرثاداست القبرصية، فالتقوس الرسمية من القرن الخامس والرابع ق.م . المكتشفة فى كيتيون تستخدم هذا الإسم الأخير " كيتيون " لا غيره .

وحانت فرصة أخرى لتحقيق التطلعات والأطماع الفينيقية نحو السيادة البحرية فى المنطقة عندما احتدم الصراع بين الآشوريين وكل من إغريق قبرص وأشقائهم فى بلاد الإغريق القارية نفسها وفى جزر بحر إيجة، وذلك عقب وقوع تمرد إغريق طرسوس وأنخيال Anchiale فى كيليكيا (الولاية الآشورية منذ ٧٢٠ ق.م) . جنباً إلى جنب مع الحاكم الآشورى فى كيليكيا عام ٦٩٦ ق.م . وسحق سيناشريب هذا التمرد، وكانت قواته البحرية آنذاك مشتبكة فى موقعة مع الأيونيين . وهكذا قد احتدمت العداوة بين الإغريق عامة وإغريق قبرص خاصة من جهة، ومن جهة أخرى الآشوريين . وخلص الطرف الثانى إلى النتيجة النهائية وفحواها ألا ولاء للإغريق . وكان سارجون الثانى قد سحق تمرداً قام به إغريقى قبرصى جلس ملكاً على عرش أشدود Ashdod الفلسطينية بترتيب حيثى واسمه يمانى Yamani.

وبعد قرون من الأمية الكتابية التى تلت إنهيار الحضارة الموكينية واختفاء خط الكتابة LinearB منذ العصر الجيوميتري والأرخبى تبنى الإغريق كتابة جديدة . لقد توسعوا ناحية الغرب وطوروا معارفهم الرياضية والكوزمولوجية وسائر فروع العلم الأخرى . وتطورت الحرف الصناعية والتعبديية . وكل ذلك كان من وحى حضارات الشرق الأدنى . وفى تلك الأثناء كانت الملاحم الهومرية قد أخذت شكلها النهائى ولعبت دوراً لا حدود له فى صبع الحضارة الإغريقية بصيغة مميزة . إن هذه المنجزات القائمة على الاستعارة من الشرق وصلت إلى حد الكمال . - كما يقول الفلاطون (Epinomis 987d) عندما غذت هذه المؤثرات ما سبق أن استوعبه وهضمه الإغريق المستقرون فى أيونيا وجنوب شرق البحر الإيغى من أوائل العصر الجيوميتري . ولا سيما المثلث كريت - رودس - قبرص . وربما تكون الألفبائية الإغريقية قد ولدت فى آل مينا السورية أو فى أى منطقة إغريقية - فينيقية مشتركة مثل رودس وكريت وقبرص . فلا يمكن أن نستبعد قبرص التى كانت نقطة إلتقاء وتبادل مادى وثقافى منذ قرون مضت . وعلى الأقل منذ القرن التاسع ق.م كانت قبرص الجسر الرئيسى لعبور الأفكار الشرقية إلى العالم الهيلينى . ومن المقبول تصور أن الألفبائية الفينيقية قد انتقلت من الساحل السورى عبر قبرص وروودس . ولا بد أن قبرص قد لعبت دوراً رئيسياً فى انتقال هذه الأبجدية الفينيقية إلى الإغريق ، ولا سيما أن مستوطنة فينيقية كانت قائمة فى قبرص ولها علاقات وثيقة مع فينيقيا من جهة ، وبلاد الإغريق من جهة أخرى .

فمنذ القرن الثالث عشر ق.م كانت البضائع والمنتجات والأفكار والموتيفات الفنية والثقافية تعبر بين الساحل الفينيقي وجزر بحر إيجة وبلاد الإغريق عن طريق قبرص فلماذا تستثنى من ذلك الأبجدية ؟

يقول ريس كاربنتر Rhys Carpenter إن بناء الأبجدية الإغريقية تدعم وتقوى بعون من الأبجدية المقطعية سواء أكانت قبرصية محلية أم غير ذلك . المهم أنها وفرت ما هو ناقص فى الأبجدية الفينيقية وبالتحديد الحروف الصائتة الخمس المستخدمة فى الكتابة الأبجدية المقطعية القبرصية . صفوة القول إن قبرص مرشحة ترشيحاً قوياً لأن تكون المكان الذى نجح فيه الإغريق فى تبنى الأبجدية الفينيقية . وهذه العملية تمثل نقطة تحول رئيسية فى مسار الحضارة الإغريقية ومعلم بارز من معالم العبقريية الإبداعية . لقد كانت قبرص إذن مكان عقد الزواج الحضارى بين فينيقيا والإغريق أو بين الشرق والغرب . إنها جزيرة مزدوجة اللسان والحضارة وربما السلالة ، وهى بذلك تصلح لأن تكون نقطة الإلتقاء أو البوتقة التى تُلخط وتنصهر فيها كل العناصر الحضارية الشرقية والغربية . تبدو قبرص أوفر حظاً لأن تنال شرف ولادة جديدة نجمت عن تبنى الأبجدية

الفينيقية على يد الإغريق المقيمين فيها والمجاورين للفينيقيين، وتقاسموا معهم تراثاً شفاهياً من التراتيل والأناشيد، ثم تقاسموا معهم فن الكتابة^(١).

Rhys Carpenter, "The Antiquity of the Greek Alphabet" AJA xxvii (1933) pp. 8-29. ^(١)

Idem, "The Greek Alphabet Again", AJA XLII (1938) pp. 58-69.

E.A. Havelock, *The Literate Revolution in Greece*. 1982

The most probable point of entry of the Semitic prototype into the Greek world is Rhodes, whose geographical position exposed it to the oncoming wave of Assyro-Oriental influence brought by the Phoenician westward expansion during the eighth century. Cyprus was exposed to this influence first; but the Cypriote Greeks were immune as far as the alphabet was concerned, because they still preserved their ancient Achaean mode of writing. In Rhodes, the Cypriote and Phoenician contact during the second half of the eighth century is familiar to all archaeologists: it is only natural that the Phoenician art of writing should form a part of this inheritance.

وعن أحدث ماكتب في هذا الموضوع راجع:

J.T. Hooker, "Linear B As A Source For Social History", pp. 7-43 in A. Powell (ed.): *The Greek world*. Routledge, London- New York 1995.

وقارن عبد اللطيف أحمد. على، التاريخ اليوناني، العصر الهللاي، الجزء ٢. دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤،

٥- قبرص ومصر (القرن ٧-٦ ق.م.)

إن العلاقات بين قبرص ومصر تبدأ من عصور ما قبل التاريخ وتمتد دون إنقطاع وعلاوة على ماذكرنا آنفاً وفي أماكن متفرقة نواصل الحديث عن هذه العلاقات في العصور التاريخية الموثقة.

فبعد إنهيار الإمبراطورية الآشورية (٦٦٩ ق.م.) وإلى أن فرض الملك المصرى أمازيس سيطرته على الجزيرة (٥٧٠ ق.م.) تمتعت قبرص بالإستقلال التام لمدة قرن من الزمان . ازدهرت التجارة في هذا القرن وتم تصدير التماثيل الحجرية الصغيرة من قبرص إلى مختلف الدول المحيطة، ولاسيما جزر بحر إيجه ونوكراتيس في مصر ورودس . هكذا برزت قبرص في أواخر القرن السابع وأوائل السادس ق.م بوصفها قوة إغريقية في شرق البحر المتوسط . وتجسد التماثيل القبرصية الصغيرة التي عثر عليها في نوكراتيس ملامح القبارصة . وبعض هذه المنتجات القبرصية مصنوع من مواد غير موجودة في قبرص مثل الألباستر والحجر الرملي . وهذا يعنى أن بعض القبارصة الإغريق كانوا موجودين في نوكراتيس .

إن الدور القبرصى في التبادل التجارى المصرى - الإغريقى إبان القرن السابع والسادس ق.م . كان يفوق دور الفينيقيين . ولذلك تطور وتبلور "الطراز القبرصى المتمصر" فى النحت وأبرز ملامحه الوجوه الكبيرة المجسمة والمكتفة والعيون الجاحظة والأنوف الطويلة والفم المغلق بشفتيه الغليظتين . صيغت هذه التماثيل وما شابهها فى قبرص وصدرت إلى مختلف أنحاء بلاد الإغريق مثل ليندوس وكامبيروس Kameiros وقروليا Vroullia وغيرها فى جزيرة رودس، وباروس وساموس، خيوس وميلوس الخ . ومن بين ١٨٠ قطعة أثرية عثر عليها فى قبرص فإن أروعها تمثال بالحجم الطبيعى لتيماجوراس Timagoras (٦٠٠ - ٥٥٠ ق.م) وهو مصنوع على النمط المصرى المعروف باسم الصاوى نسبة إلى سايس (Saitic)، والذي جرى عليه التعديل فصار يعرف باسم الطراز الشرقى القبرصى الجديد . ذلك أنه طراز قد بنى الأصول الفنية المصرية، ولكنه أخضعها لعملية مواءمة مع معطيات الفن الإغريقى . وهناك بعض العلماء ممن يعتقدون بأن تماثيل، "كوروى" Kouroi الإغريقية المميزة المرتبطة ببلاد الإغريق فى القرن السادس ق.م إنما هى من تأثير الطراز القبرصى المتمصر فى القرن السابع ق.م . أى أن قبرص سبقت بلاد الإغريق فى نقل هذا الطراز المصرى وتطويره . ولقد شاعت أعمال الفن المصرى فى قبرص ورودس وكان الحرفيون الفنيقيون قد أسسوا مصانع الخزف فى كيتيون منذ القرن الثالث عشر ق.م . ويلاحظ أن الفنان القبرصى والإغريقى قد حرص على التماسق الجمالى، ولو أتى ذلك على حساب القواعد الرياضية المتبعة فى فن النحت المصرى .

شعر إسماتيك أنه بحاجة إلى أن يستوثق لنفسه ويحتاط لحادثات الأيام وفاجعات الليالى فنظر فى الدلتا وهى يومئذ غاصة بالإغريق فقدر أن يفيد منهم فوسع عليهم سوقهم فى نوكراتيس وهى مستعمرة إغريقية كان أهل ميليتوس بخاصة قد أقاموها حوالى عام ٧٠٠ ق.م . قرب سايس

كمركز تجارى عرف فى البداية باسم "قلعة أهل ميليتوس" ثم اكتسب اسم "نوكراتيس" بعد ذلك. على أية حال فعندما خلا الجو لأبسماتيك واستقل بمصر عام ٦٦٣ ق.م. جعل عرشه فى سايس وبدأ عصر جديد فى التاريخ الفرعونى . فلقد تأسست أسرة جديدة أقامت حكمها على أسس متينة وجلست على عرش البلاد قرنا ونيفا وحتى دخول الفرس مصر عام ٥٢٥ ق.م. وكانت أسرة أبسماتيك قد رأت من حسن السياسة أن تعود بالبلاد إلى مظاهر عهدها القديم فسارت فى نظامها وإدارتها وشئون عقائدها وثقافتها على سنة السلف الصالح من حكام الدولتين القديمة والوسطى. وطلعت علينا آثارها الدينية والفنية تتحدث بذلك فى صراحة ووضوح حتى إعتقد بعض المؤرخين والكتاب بأن حكمها بمصر كان بمثابة عصر بعث وإحياء . وخدع أكثرهم وباتوا يعتقدون أن تلك الأسرة كانت مصرية وطنية لحما ودما وأن سياستها كانت سياسة قومية خالصة إلى أن به إلى فساد هذا الرأى المؤرخ الألماني إدوارد مايو Ed. Meyer حين قال إنها أسرة غريبة وإن أصلها قد يرجع إلى غلول أسرة نبيلة نزلت بمصر وانتشر أفرادها فى أقاليمها أواخر أيام الرعامسة.

ومن الواضح فى تاريخ تلك الأسرة وسيرتها - فى رأى الدكتور بدوى - أنها اعتمدت فى كفاحها وتثبيت دعائم سلطانها على عناصر غريبة عن مصر . إذ لم تكد أمور مصر تستقر بين يدى عاهلها أبسماتيك حتى بادر إلى مكافأة جنوده المرتزقين وأكثرهم أنداك من الإغريق فمألاً بهم بلاطه وجعل منهم خاصة جنده وحراسه . ثم بالغ فجعل منهم حماة الثغور يردون عنها إغارات المغبرين وعدوان المعتدين . وتزداد مبالغته فى إكرامهم حين يطلق أيديهم فى إنشاء المزارع والمؤسسات التجارية فى سايس ونوكراتيس وأبوقير . وعندما رأى أن يحصن بلاده جعل على حدودها حاميات ثلاث كانت أولها عند جزيرة فيلة وكان جنودها من المواطنين، وكانت الثانية والثالثة فى الشمال، إحداهما فى دفنة عند خليج السويس والأخرى فى ماريا أو ماريوتيس (مريوط) ، وكان الجنود فى كليهما من الإغريق .

ولما ودع أبسماتيك الدنيا خلفه على العرش أبسماتيك الثانى ومن ورائه أبريس وكان كلاهما يؤثر الإغريق ويختصمهم بعطفه. إلا أن الأخير قد بالغ فى ذلك إلى الحد الذى فجر قلوب المواطنين كرها وغيظا فاشعلوا من حوله نار ثورة حامية يحمل لواءها قائد من الوطنيين المغامرين يدعى أمازيس فظلت مشتعلة حتى نودى بهذا القائد البطل المغامر ملكا على مصر فقام بالحكم إلى جانب أبريس وظل حكم البلاد شركة بينهما إلى أن انتهى الأمر بمصرع الأخير عام ٥٦٨ ق.م. فاستقل أمازيس بعرض مصر . ولم يستطع إزاء إتفاف الوطنيين من حوله ومؤازرتهم له إلا أن ينظر إلى الإغريق فى مصر بإحدى عينيهِ ويستمع إليهم بإحدى أذنيه . فسلك معهم طريقا وسطا حين أجلى جنودهم عن الثغور فنقل حامية "دفنة" إلى منف وجعل الخبايا الإغريق حرسه الخاص لا لشيء إلا ليكونوا تحت سمعه وبصره (هيرودوتوس: الكتاب الثالث ١٥٤) وجمع المدنيين منهم فأنزهم فى نوكراتيس (نفس المصدر ١٧٨) . وكان عهد أمازيس أشبه شئ بما يسمونه صحوة الموت فى حياة مصر. فهى قد بلغت على يديه أقصى ماكان يمكن أن يهبأ لها من كان، فراجت تجارتها

وإزادات ثروتها ونشطت حركة البناء فى عمائرها الدينية، وإزدهرت فى رحابها نهضة العلوم والفنون، وإطمئن الناس إلى حياتهم فباتوا يستثمرون لدايتهم ويعجون من خيراتها غار ما أنفقوا من جهد فى كفاحهم المير الطويل . وما كانوا يحسبون أن القدر كان يبيت لهم ولوطنهم شر ما يكرهون من نازلات الأيام وفاجعات الليالى . ويكاد عصر أمازيى من هذه الناحية يشبه عصر أمينوفيس الثالث الذى عاشه المصريون قبل عصر أمازيى بثمانية قرون^(١) .

كان أمازيى - كما صوره هيرودوتوس فى الفقرة التى إقتطفناها سالفا - صاحب هو وشراب وزير نساء تماما كما كان سلفه البعيد أمينوفيس الثالث . وكان أمازيى مع ذلك صاحب فطنة وذكاء وسياسة رشيدة مما أعانه على تهيئة جو ملؤه الصفو الشامل والهدوء الكامل. فهو برغم إغيازه إلى قومه من الوطنيين لم يهمل جانب من أزروه من الإغريق، بل عاملهم بالحنى سواء منهم من كان يرتزق من العمل فى الجيش ومن كان يعمل فى التجارة . ثم بالغ فوثق صلاته بمن كانوا يقيمون منهم فى كورينى حتى قيل إنه سعى إليهم ليربط معهم بأوثق رباط عندما تزوج أميرة منهم وهى لاديكى التى سبق أن تحدثنا عنها . ولكن ما أن مات أمازيى حتى دق ناقوس الخطر وبدت عيون الشر حمراء ترمى بالشر وتندب به مستظرا على حدود مصر الشرقية .

لأننا إذا إلتفتنا شرقا وجدنا ملك الفرس قورش (Kurash و Kyros ٥٥٩-٥٢٩ ق.م) لم يكد يتذوق حلاوة النصر على كرويسوس (قارون ؟) ملك ليديا حتى ولى وجهه شطر الشرق فخرّب كل مالقى فى طريقه من بلاد آسيا العليا بغية المحافظة على تخومه . وحين إطمأن إلى سلامة حدوده أخذ يفكر فى الإتحاء إلى بابل ففعل ولم يلبث أن إستولى عليها فى غير عناء كبير وكان ذلك فى عام ٥٤٦ ق.م . فأصبح بذلك سيذا على آسيا بغير منازع وظل يستمتع بتلك السيادة عشرة أعوام ثم مات عام ٥٢٩ ق.م . خلفا على العرش قمبىز ولده من كاساندانى بنت فارناسبيس فاستأنف سيرة أبيه وتطلع إلى مصر وأخذ يعد نفسه عليها مدا قويا . ولم يكن أمازيى بغافل يومئذ عما يجرى فى الشرق بل كان بصيرا بها مدركا بأس قورش وشدهته مقدرا عواقب نشاطه الخطير . فسارع إلى إخضاع قبرص ومخالفة كرويسوس ملك ليديا ، فلما سقط الأخير سارع إلى مخالفة بوليكراتيس طاغية ساموس (راجع هيرودوتوس الكتاب الثالث ٣٩) . إلا أن هذا الطاغية قد إضطّر أمام الرعب الفارسى إلى الإنضواء تحت لواء قمبىز (عامى ٥٤٦-٥٤٥ ق.م) . وأعلن خضوعه وولاءه فى الوقت الذى كان قمبىز فيه يتهاى للوثوب على مصر .

ومنذ اوائل القرن السادس ق.م . وكما أثبتت المكتشفات الاثرية وصلت المنتجات القبرصية إلى نوكراتيس . وفى هذه المستوطنة الإغريقية - التى تحمل الآن اسم كوم جعيفة بالقرب من إيتياى البارود بالبحيرة - عثر على تمثال للإلهة أفروديتى يعتقد أنه منتج قبرصى مستورد . ومسمن

^(١) محمد صقر خفاجة (تقديم أحمد بدوى)، هردوت يتحدث عن مصر. ترجم الأحاديث عن الإغريقية الدكتور محمد صقر خفاجة، قدم لها وتولى شرحها الدكتور أحمد بدوى. دار القلم ١٩٦٦، ص ٥ - ٥٧.

أحمد عثمان، كليوباترا وأنطونيوس. دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي، الطبعة الثانية، أيجيوس، القاهرة ١٩٩٠ ص ٣٥٤-٣٨٧.

المؤكد أن القبارصة كانوا بين الأجانب والإغريق المرتزقة فى الجيش المصرى . فى ظل حكم الملك أبسماتيك الثانى Psammetichos II (٥٩٥ - ٥٨٩ ق.م) . وربما كان هؤلاء القبارصة المرتزقة من نسل الذين خدموا فى نفس الجيش تحت حكم أبسماتيك الأول (٦٦٤ - ٦١٠ ق.م) . ومن بين التماثيل الحجرية التى عثر عليها فى موقع نوكراتيس نجد مجموعة كبيرة تحمل سمات فن العالم الإغريقى الشرقى ولا سيما قبرص . لاشك أن بعضها صنع فى نوكراتيس نفسها وبعضها الآخر استورد من قبرص .

كانت أماتوس القبرصية هى همزة الوصل بين بلاد الإغريق ومصر، فكانت السفن الإغريقية ترسو فى أماتوس وهى فى طريقها إلى نوكراتيس بدلتا النيل . فمرت صادرات خيوس ورودى وكورنثة وأثينا من هناك . وصدرت آتية من نوكراتيس إلى قبرص فبيعت فى أماتوس وسلاميس وماريون . وواكب ذلك حدوث تأثيرات متبادلة فى الفن والديانة، فوصلت هدايا قبرصية وقرايين إلى معبد دلفى، وبعضها كان من الدروع البرونزية . وفى أواخر القرن السابع ق.م . أرسلت تماثيل قبرصية إلى أزمير بآسيا الصغرى، حيث كان معبد الربة أثينة . وفى نفس الوقت عثر فى قبرص على منتجات يونانية وشرقية فى معابد القرى والمدن مثل آغيا إيرينى ومينيكو وليماسول وكزافازنى وكوريون وتاماسوس وأماتوس وكتيون . وهناك تماثيل طينية صغيرة تلبس قناع الثور وجدت جنباً إلى جنب مع تماثيل الكنتوروس فى آغيا إيرينى وتؤرخ هذه الآثار بـ ٧٥٠ - ٦٠٠ ق.م مما يوحى بوجود طقوس تمثيلية هناك . وفى هذه الطقوس كان الكهنة والمتعبدون يقدمون فرائض الولاء لقوة الخصوبة الإلهية الموروثة من العصر البرنزى المتأخر وذات السمة الوحشية (theriamorphic) . يبدو أن تمثيلية طقسية سرية كانت تجرى هناك، كما كان يحدث فى مصر، وهو طقس تخضعت عنه فى النهاية الديثورامبوس والتراجيديا الإغريقية التى بدأت على أنها مباريات أو ألعاب ذات طابع تنافسى ونكهة دينية وجو درامى .

واجهت قبرص وفينيقيا المتحذتان القوات البحرية للملك المصرى خفرع Hofhra (= أبريس ٥٨٨ - ٥٧٠ ق.م) . فى معركة وفشلت أمامه . ومهد هذا الإنتصار المصرى الطريق لخلف هذا الملك المصرى أمازيس الثانى (٥٧٠ - ٥٢٥ ق.م) . أن يحتل قبرص ٥٧٠ / ٥٦٠ ق.م. وفى ظل الإحتلال المصرى إحتفظ الملوك القبارصة باستقلالهم طالما يدفعون الجزية لأمازيس، الذى قدم الهدايا والقرايين للمعابد القبرصية كما يقول ديودوروس الصقلى (٦8:1) . وقدم كذلك القرايين للمعابد الإغريقية سواء فى الجزر أو فى الأراضى القارية مثل معبد هيرا فى ساموس، حيث قدم تماثيل خشبية صغيرة تصوره هو شخصياً كما جاء عند هيرودوتس (182: II) . وما لا شك فيه أن سلوك الفرعون المصرى قد فتح الطريق أمام التأثير على الفن الإغريقى والقبرصى آنذاك، ولو أن هذا التأثير ملموس من قبل ذلك التاريخ، إلا أنه قد أعطاه دفعة جديدة و أبعاداً لم يسبق لها مثيل، ولا سيما أنها تتم بملقاء مباشر لا عن طريق الفينيقيين وقنوتهم كما حدث فى الفترات السابقة . وفى قبر سلاميس رقم ٨٠ المؤرخ بأواخر القرن السادس ق.م نجد الجدران الداخلية

تشكل قبواً من الكتل الحجرية المربعة ومزينة بزهرة اللوتس . وهناك عشر على تمثال لبشر يرتدون
غطاء الرأس الملكي المصرى . وهناك تمثال لرجل يقف بملامحه الأفريقية الواضحة ويحمل الرمز
المصرى أنخ Ankh . عشر على هذا التمثال فى آغيا إيرينى . وهناك نقش عشر عليه فى معبد
أبوللون فى كورينون ويحمل كتابة بالهيروغليفية وبالمقطعية القبرصية . لقد بدأ أفراد المجتمع المصرى
الإلهى القديم يظهر ويتنشر فى قبرص، وإن كان الإله بس Bes موجوداً هناك منذ القرن الثانى
عشر ق.م .

٦- إيواجوراس بطل المقاومة ضد الفرس

اندلعت الثورة الأيونية ٤٩٩ / ٤٩٨ ق.م.، وعلى الفور عمت قبرص - فيما عدا أماثوس - نزعة مضادة للوجود الفارسي في الجزيرة . وعندما وصلت إلى أسماع القبارصة أنباء إمتداد الثورة إلى كاريا بآسيا الصغرى، وكذا أنباء حرق سارديس عاصمة ليديا، ووصول الأسطول الأيوني إلى كاريا سرت في أوصال إغريق قبرص الحماسة والشجاعة . فتزعم أهل سلاميس أخو الملك الخب والموالي للفرس جورجوس ويدعى أونيسيلوس Onesilos . إستغل الأخير غياب أخيه جورجوس وخلعه عن عرش سلاميس وفر الملك المخلوع وانضم إلى صفوف الفرس، كما حدث مراراً وتكراراً في المدن الإغريقية ولا سيما أثينا . واستطاع أونيسيلوس أن يوحد كافة ملوك قبرص - فيما عدا ملك أماثوس - وأعلنوا جميعاً الإنضمام للثورة الأيونية، وبينما كان أونيسيلوس يحاصر مدينة أماثوس واتقه الأنباء عن استعدادات داربوس في كيليكيا لإرسال جيش بقيادة أرتيبوس Artybios . وسمع كذلك ياحتشاد اسطول فينيقي لإخماد التمرد القبرصي . وطلب أونيسيلوس العون من الأيونون فوصلوا في نفس الوقت الذي أرسى فيه الفارسيون مراسي سفنهم عند كارباس . وتم فك الحصار عن أماثوس فدارت المعركة بالقرب من سلاميس . وبينما كان الأسطول الأيوني والجيش القبرصي البري منتصرين وقتل قائد الجيش الفارسي الغازي، انشق ملك كوريون ويدعى ستاسانور Stasanor وانضم إلى الفرس بجنوده وأسلحته . وتبعه في ذلك قادة العجلات الحربية من سلاميس . وهكذا قتل أونيسيلوس وملك سولوى أريستوكيروس Aristokypros وهو ابن فيلو كيروس في الإضطرابات التي تلت المعركة ، وعاد الأسطول الأيوني إلى قواعده . وأعاد الفرس الملك جورجوس إلى عرش سلاميس بموافقه أهلها . وظلت سولوى صامدة لمدة خمسة شهور حتى تم إخضاعها .

ووضع داربوس حكماً للمدن من الأسر المحبة للفرس والموالية لهم، سواء أكانوا إغريقاً أم فينيين . وفي تلك الفترة كانت عملة ماريون ولايشوس تحمل صور هرقل، -ملقبت ومأثينة - أنات، وأفروديتي - عشزوت . وكانت أسماء الملوك على العملة تُسَك بالفينيقية . وفي كيتيون بدأت أسرة فينيقية محبة للفرس بملك اسمه "بعل ملك" Baalmelek معناها "السيد الملك" . وتلاه أربعل Azbaal . على أيه حال فإنه بعد الهزيمة القبرصية ٤٩٨ ق.م على يد الفرس انضم القبارصة الفينيقيون بصورة حاسمة إلى صفوف المنتصر واحتل أي الفرس على حساب مواطنيهم ووطنهم . وفي ضمير الناس أصبح أونيسيلوس بطلاً قومياً وموضع إحترام حتى من قبل الأعداء . كان الفرس قد علقوا رأسه على أبواب المدينة، فجاءت نبؤة دلفي تأمر بدفنها وبتركيم مثوى صاحبها . وهكذا صارت قبرص أكثر إلتصاقاً ببلاد الإغريق في مواجهة الفرس الغزاة والفينيقيين المتحالفين معهم والمنتفعين من إحتلالهم للجزيرة .

بعد سقوط كرويسوس (قارون ؟) ملك سارديس عام ٥٤٦ ق.م . قدم ملوك قبرص خدماتهم ولولاهم طواعية للملك الفرس، وساعدوه في حملته الناجحة على كاريبا (٥٤٥ ق.م .) وبايلون (٥٣٨ ق.م .) . وفي عام ٥٢٥ ق.م . فعل القبارصة مفاعله الآخرون أى الأيونيون وأهل ساموس والفينيقيون فمدوا جميعاً يد العون لقمبيز في حملته على مصر . ومكافأة لهذه الدول فإن داريوس (٥٢١ - ٤٨٥ ق.م .) وبالتحديد عام ٥٢١ ق م ضم قبرص وقينيا وسوريا وفلسطين لإمبراطوريته وتمتعت قبرص بقدر من الإستقلال بما فى ذلك سك عملة تحمل صورة ملوك قبرص، الذين سمح لهم أيضاً أن يتبعوا سياسة خارجية مستقلة إلى حد ما . فكان ملك سلاميس إيواثلون . Euelthon على علاقة طيبة مع ملكة قورينى فيريتمى . Phere time التى عبثا طلبت منه العون العسكرى لكى تسرد ابنها أركيسيلاس الثالث . Arkesilas III (٥٣٠ ق.م .) . وأهدى هذا الملك نفسه إلى بيت المال الكورنثى فى دلفى محرقة بخور . وأهدى هيليكون Helicon بن اكيساس . Akesas فى سلاميس عباءة إلى أحد المعابد فى دلفى . وهذا كله يعنى أنه رغم الإحتلال الفارسى الصهرت قبرص أكثر من ذى قبل فى العالم الاغريقى . وعلى أية حال فإن رموز عملة إيواثلون الفضية وأوزانها - عام ٥٣٨ ق.م . كانت شرقية الطابع وظهر عليها الكبش الفارسى والرمز أنخ Ankh المصرى وكذا (Kyprion = Ky) . وقد تدل هذه العملة على علو شأن إيواثلون ولكن ليس بالضرورة على سيطرته على كل ملوك قبرص . وفى نفس الوقت كان النحت القبرصى أيونياً تماماً فى طرازه . وهذا إما يتجسد فى التماثيل القبرصية korai التى تتحلى بالإبتساحة الأيولية والملابس الأرخية وكذا التماثيل التى تصور النساء بحليهن . وثثال زيوس ذى الصاعقة الذى عثر عليه فى كيتيون . وكانت الآنية الفخارية ذات الرسوم السوداء شائعة فى الجزيرة ولدى كل سلالاتها منذ أواسط القرن السادس ق.م .

إن التناقضات الكامنة فى التطورات السياسية والحضارية بقبرص تحت الإحتلال الفارسى أدت فى النهاية إلى انقسام أهل الجزيرة إلى جزين أحدهما محب للفرس Persophilos، والثانى محب للاغريق Hellenophilos . وكما يرد عند هيرودوتوس فإن الدافع الأكبر إلى كراهية الفرس بالنسبة للحزب الثانى هو أن داريوس قد حول الهدايا المفروضة عليهم إلى جزية ثابتة تدفع له (Herod III 91) . كانت سولوى وماريون وكرريون وباليوبافوس هى أهم المعاقل الإغريقية . بينما كانت كيتيون - المعقل الفينيقى - فيما يبدو غير مناصرة للفرس، كما لم تكن بالضرورة معادية للحزب الإغريقى على الأقل إلى ما بعد ثورة ٤٩٩ ق.م . أماثوس وحدها هى التى كانت تحكمها أسرة إغريقية موالية للفرس علانية . ذلك أن المواقف السياسية لم تكن تحددها العوامل العرقية . وفى سلاميس كان الملك المناصر للفرس جورجوس Gorgos يتبع سياسة سلفه إيواثلون . وما لا شك فيه أن إنشاء نظام بوليسى يحكم يعكس التأثير الفارسى . وكان التشابه واضحاً بين الملكية الإستبدادية الفارسية وسلطات ملوك قبرص المطلقة . وباستثناء إبداليون الديموقراطية لم يكن ذلك غريباً على سائر دول الشرق المحيطة بالجزيرة ولا سيما الحثيين والفينيقيين . وربما تسربت بعض مظاهر الديموقراطية إلى سولوى بفضل زيارة سولون ههنا . حيث

نزل هذا المشرع الأثيني على الجزيرة ضيفاً على ملك سولوى فيلوكيروس Philo - kypros قرب نهاية الحكم المصرى هناك . ولكن الرواية الشائعة تقول إن فيلوكيروس نقل مدينة آيبيا Aepeia إلى مكان أكثر ملاءمة للحياة والصحة العامة ، أى سولوى وذلك بناء على نصيحة سولون الذى سميت باسمه المدينة الجديدة . ولكن هذه الرواية الأسطورية مشكوك فيها لأن سولوى موجودة فى مكانها منذ القرن الحادى عشر ق.م . وتحمل عملة سولوى (٥٠٠ ق.م .) صور الجورجونات والحبار (الصبيدج) Guttlefish على أنها تأثيرات وافدة من أثينا وإريتريا .

أسهم الأسطول القبرصى مرغماً بمائة وخمسين سفينة شاركت فى حملة إكركسيس الإنتقامية ضد أثينا ٤٨٠ ق.م . ويشئ ذلك بأن ملوك قبرص قد احتفظوا بأساطيلهم حتى بعد هزيمة ٤٩٨ ق.م . على أساس أنها قوة مضافة إلى الفرس وتحسب لهم . وكان من بين الذين قادوا هذه السفن القبرصية فى حملة إكركسيس أمراء ونبلاء مثل بنثيلوس Penth Ylos بن ديمونوس Demonoos من بافوس ، وتيموناكس Timonax بن تيماجوراس Timagoras وفيلاون Philaon بن خرسيس Chersis ، وهو أخو جورجوس الذى حضر هو نفسه المعركة . كان الأسطول المصرى أيضاً فى المعركة جنباً إلى جنب مع الأسطول القبرصى والفينيقي الخ . وبعد هزيمة الفرس فى سلاميس ٤٨٠ ق.م . وفى ميكاى Mykale ٤٧٩ ق.م . صارت قبرص تعامل على أنها أرض إغريقية تحت الاحتلال الفارسى . واتخذ الإغريق فى بلاتايا Plataia قراراً بتحريرها . وفى ربيع ٤٧٨ ق.م . وصل إلى قبرص أسطول إغريقى مشترك بقيادة ملك إسبرطه باوسانياس المنتصر فى بلاتاياس وبزعامة القائدين الأثينيين أريستيديس Aristides وكيمن Kimon تم تحرير المدن القبرصية التى استسلمت للفرس . ولكن الفرس - بعد مغادرة الأسطول الإغريقى - مالبنوا أن استعادوا سيطرتهم على الجزيرة .

هاجمت كيتيون بقيادة ملكها بعل - ملك الأول إيداليون فى وقت ما بين ٤٧٨ و ٤٧٠ ق.م . وعلمنا بأمر هذا الهجوم من عقد كتب على لوحة برنزية بين طيبس وأخوته طرفاً أول والملك ستاسيكيروس Stasikypros والشعب طرفاً ثانياً وذلك بشأن علاج الجرحى . وفى ٤٧٠ ق.م . استطاع ابن بعل - ملك أى عزيزعل الاستيلاء على إيداليون وتحولها إلى حليفة للفرس فى نهاية المطاف .

لم تلك قبرص عضواً فى حلف ديلوس بزعامة أثينا، إلا أنها ظلت هدفاً مرصوداً لهذا الحلف . وبرغم الهزيمة الساحقة التى ألحقها كيمن بالفرس براً وبحراً عند مصب يوريميدون Eurymedon فى آسيا قبالة قبرص، التى أرغمت مرة أخرى على إرسال خمسة وثلاثين سفينة لمساعدة الفرس فى كيليكيّا فحطمها كيمن ٤٦٩/٤٦٨ ق.م . وفى عام ٤٥٩/٤٥٨ ق.م . أرسل الأثينيون والحلفاء إلى قبرص وفينيقيّا أسطولاً من مائتى سفينة تحت قيادة خار يتيميديس Charitimedes . ومات فى المعركة أثينيون كثيرون من قبيلة إريختيوس . وبعد أن أبحر هذا الأسطول إلى مصر لمعاونة ملكها إيناروس Inaros فى ثورته ضد الفرس تركت قبرص مرة أخرى بلا حماية وتحت رحمة الفرس . وفيما بعد استطاع كيمن أن يحرر ماريون من حكم الأسرة الموالية للفرس ساسماى Sasmai وأجلس على عرشها الملك

ستاسيويكوس Stasioikos وعشر الأثريون هناك على مبنى إغريقي رباعي من طراز الميجارون Megaron الموكيني ومعبد للإلهة أثينا لاشك أنهما من أعمال كيمون . وأثناء حصار كيتيون وملكها عزبعل مات كيمون متأثراً بوباء أو بجرح أثناء الحرب . وأخفى جنوده - وهم يعانون المجاعة - نبأ موته لمدة ثلاثين يوماً . وفي النهاية اضطروا لفك الحصار والعودة إلى سلاميس . وانسحبت القوات الإغريقية من قبرص، وكان ذلك إعلاناً بفشل السياسة الأثينية في قبرص والشرق الأدنى فلما تولى بريكليس الحكم في أثينا أرسل كالياس Kallias للتفاوض، فعقد إتفاقية ٤٤٩/٤٤٨ ق.م . التي ثبتت الأمور على حالتها الراهنة status quo ووضعت حداً للصراع الأثيني الفارسي . وطبقاً لمعطيات هذه الإتفاقية تركت المدن الإغريقية الواقعة إلى الشرق من فاسيليس Phaselis تحت الحكم الفارسي . وهذا ما ورد عند ديودورس الصقلي (4, 4-XII-5) وهكذا فشلت أثينا في تحرير قبرص من معاناتها تحت الإحتلال الفارسي .

إن التحالف الفارسي - الفينيقي ضد الدويلات - المدن القبرصية الإغريقية قد تلقى دعماً وقوة جديدة عام ٤٤٧ ق.م . إذ استبدلت بالأسر الملكية الموالية للفرس - مثل تلك في سلاميس - أسر أخرى من الفينقيين . وفي سلاميس قتل عبدمون Abdemon من صور ٤١٥ ق.م ووضعوا حاكماً فينيقياً آخر ليجلس في مكانه على العرش . وكان القتل هو آخر حاكم في أسرة كانت قد حلت محل تيوكروس نيكوداموس - لاخاريداس - إيوانثيس . وفي لايتوس حكمت أسرة فينيقية وأخرى إغريقية . وكانت عبادة المدينة تضم ملقرت (هرقل) وأنات (عنات) وعشزوت (أفرديتي) والربة أثينا المسلحة .

ثم نشطت عملية بربرية لإفساد كل شيء إغريقي في سلاميس إبان حكم عبد مون . وهي سياسة معادية للهيلينية تبناها الحزب الفارسي في قبرص، وانتهى كل ذلك عام ٤١١ ق.م عندما عاد من منفاه الاختيارى إيواجوراس الأول Evogaras سليل أسرة تيوكروس^(١) . ولد عام ٤٣٥ ق.م . وكان قد قضى مدة نفيه الإرادي في سولوى بكيليكيا . وبعد أن حصن سلاميس وبنى أسطولاً عمل على توحيد صفوف كل هؤلاء الملوك القبارصة المتصارعين . وسعى إلى تحويل قبرص إلى مركز متقدم ومحصن للهيلينية في مواجهة الفرس . وربما كانت جهوده تلك من وحي تعاليم إيسوكراتيس Isokrates وأنتستينيس Antisthenes . ونظراً للصعوبات الجملة التي واجهها داريوس (٤٢٤-٤٠٤ ق.م .) في مصر وبلاد اليهود والإغريق فإنه اضطر للسكوت على إيواجوراس وغض الطرف عن مساعيه المناهضة، طالما دفع الجزية رغماً عن أنفه . ومن بين الإغريق المغامرين الذين جاءوا للعيش في سلاميس كان الخطيب أندوكيديس Andokides الذي طرد من أثينا (٤١٥/٤١٤ ق.م.) وهاجر إلى كيتيون ومنها إلى سلاميس وكانت له ممتلكات في كلتا المدينتين القبرصيتين . وكان هو الذي أقنع إيواجوراس بإرسال الغلال والبرنز للأسطول الأثيني في ساموس، فأسهم بذلك في إنتصار أثينا على أسيرطه (سبتمبر ٤١١ ق.م .) في مرحلة من مراحل الحرب بينهما . وفي عام ٤١٠ ق.م . بإيعاز من أندوكيديس أرسل إيواجوراس معونة أخرى

إلى أثينا التي قررت تكريمه فصدر قرار بذلك ٤١٠/٤٠٩ ق.م. بمنح إيواجوراس المواطنة الأثينية الشرفية . وفي عام ٤١١ ق.م . وكان إيواجوراس فيما يبدو ويتفاوض نيابة عن أثينا مع تيسافريس والى سارديس (٤١٢-٤٠٧ ق.م.) وربما تم توقيع إتفاقية تحالف بين سلاميس وأثينا^(١) وكانت مساعي إيواجوراس لتوحيد قبرص تجد معارضة شديدة من بعض الملوك القبارصة، ولا سيما أناكسا جوراس ملك سولوى وحليف القرم .

ونتعرف على محاولات إيواجوراس في أن يصبح سيد قبرص برمتها وأن يكون مستقلاً ونداً للملك العظيم في فارس من العملة الذهبية التي سكها، فهو أول ملك قبرصى يقدم على هذه الخطوة . وكانت هذه العملة تضارع عملات يوبويا ورودس، وحملت رأس هرقل كما أبدعه المثال براكسيتيليس . وحملت أيضاً اسم إيواجوراس بالإغريقية لأول مرة في قبرص كان ذلك على (وحد وعلی) الوجه الآخر كتب نفس الاسم بخط الكتابة المقطعية القبرصية الأصلية . وفي النهاية على أية حال قرر " الملك العظيم " التدخل لوقف جهود إيواجوراس المعادية للفرس . وأمر والى سارديس أوتوفراداتيس Autophradates ملك كاريا هيكاتومنوس Hekatomnos أن يجهز قوة عسكرية كبيرة بتكلفة وصلت خمسة عشر ألف تالنت لكي تُشن حملة على قبرص بهدف القضاء على إيواجوراس . وذهبت هذه المحاولة سدى لأن ملك كاريا خان حليفه واتصل سراً بإيواجوراس . كانت أثينا نفسها قد تحولت إلى مياصة المهادنة والولاء مع الفرس ومع ذلك أرسلت مساعدة إلى الفرس، وهي أسطول مكون من عشرة سفن ثلاثية المجاديف تحت قيادة صديق كرونون الثرى الأثيني أريستوفانيس بن نيكوفيموس Nikophemos من سلاميس . وأسر قائد الأسطول الإمبرطى تيليوتياس Teleutias الأسطول القبرصى على مقربة من رودس عام ٣٩٠ ق.م . فقلب بذلك كل الموازين^(٢) . لجأ إيواجوراس إلى ملك مصر أكوريس Acoris يطلب العون . وكان ملك مصر مرتبطاً بمعاهدة تحالف مع أثينا منذ ٣٩٠ / ٣٨٩ ق.م ، وربما تمت هذه المعاهدة بوساطة إيواجوراس نفسه المهم قدم الملك المصرى عوناً كبيراً لإيواجوراس (٣٨٨ ق.م) وأرسلت أثينا أسطولين . الأول بقيادة تراسيبولوس Thrasybulus ، ولم يصل قط إلى هدفه، لأنه قتل في أسيندوس Aspendos . أما الثانى فقد كان تحت قيادة خابرياس Cabrias وضم أكثر من عشرة سفن وقوة كبيرة من الجنود كاملى السلاح hoplites فوصل إلى قبرص عام ٣٨٧ ق.م. وبواسطته تمكن إيواجوراس من السيطرة على معظم قبرص . فسك عملة ذهبية في كل مدينة قهرها، وكانت تحمل الحرف الأول من اسمه E. ولكن اسبرطه نجحت في مساعيها للتقارب مع الفرس. وتوقيع معاهدة ٣٨٦ ق.م . وبمقتضاها أصبحت كل مدن أسيا الصغرى والجزر كلازوميناى وقبرص خاضعة من جديد للفرس فهرب خابرياس لاجئاً إلى مصر، وقتل أريستوفانيس ونيكوفيموس، وانفرد الفرس بإيواجوراس الذى أصر في عناد على الصمود حتى النهاية^(٣) .

Thuc. VIII 87.

Xenoph. Hell. IV. iii 24.

[Greek] IEE Vol. ٢٢, pp. 156-173.

(١)

(٢)

(٣)

ونظراً لأن الفرس قد واجهوا مواقف عصيبة في مصر وكيليكيا ويسيديا Pisidia وفينيقيا الخ حاول إيواجوراس السيطرة على صور نفسها بل وسائر فينيقيا وكيليكيا. لقد قاد حملة من ستة آلاف محارب وكثيراً من المرتزقة وفرقاً أخرى من الحلفاء تحملهم جميعاً تسعون سفينة، منها سبعون قبرصية والعشرون الباقية من الأسلاب التي أخذها من صور. جمع إيواجوراس أموالاً كثيرة من حكام الشرق الأدنى الناهضين للفرس ومن بينهم الملك آرادوس Aradus. وهكذا قطع إيواجوراس الطريق على الفرس الذين كانوا منغمسين في الحرب لمدة ثلاث سنوات في مصر أي من ٣٨٥/٣٨٦ ق.م. ومن ثم كان على أرتاكسركسيس Artaxerxes أن يعطى للتعامل مع المسألة القبرصية الأولوية. وبالفعل جهز جيشاً جراراً وأسطولاً ضخماً في فوكايا Phocaea وكيمة Kyme. أشرف على إعداد هذا الجيش كل من أوروونتيس Orontes وتيريازوس Tiribazos وجلوس Glos. وعبرت القوات الفارسية - وبينهم مرتزقة إغريق - إلى قبرص من أيونيا عبر كيليكيا عام ٣٨٥ ق.م. وركز إيواجوراس جهوده على المقاومة البطولية، والهجمات المضادة الحاطقة فأوقع بالفرس خسائر فادحة. وبينما كان طريق الإمدادات الفارسية متواصلاً وثيراً بالمؤن والأموال، فإن ملك مصر أكوريس هو الوحيد الذي أرسل معونة ضخمة لإيواجوراس ثملت في خمسين سفينة. وبذلك أصبح أسطول إيواجوراس حوالى مائتي سفينة. وحاول أن يهاجم الأسطول الفارسي عند إبحاره من سلاميس إلى كيتيون فوقعته الكارثة وهزم القارصة أواخر عام ٣٨٥ ق.م. بعد ذلك غادر تيريازوس قبرص إلى بلاط الملك العظيم، وترك أوروونتيس ليستكمل الحملة. وهرب إيواجوراس إلى مصر طلباً للعون وتقرب من اسبرطة. متودداً إلى حكامها. وكان قد ترك ابنه بنيتاجوراس Pnytagoras لياشر شئون الحكم في قبرص. ولما عاد تيريازوس بألفي تالنت ويوصفه القائد الأعلى للحملة الفارسية كان إيواجوراس قد عاد من مصر بمال أقل. إذ كان ابن أكوريس ليكتانبيس الثاني Nectanebis II قد تولى الحكم بعد أبيه (٣٨٤/٣٨٣ ق.م.). وجد إيواجوراس أن حصار سلاميس أصبح لا يطاق ولا قبل للمدينة باحتماله فقبل عروض السلام وتفاوض مع تيريازوس. تضمنت شروط السلام تخلي إيواجوراس عن زعامة قبرص الشاملة والقومية، وأن يدفع جزية سنوية للملك العظيم بوصفه تابعاً في خدمته. وهذا معناه أن سلاميس قد تحولت إلى "ولاية" ضمن ولايات الإمبراطورية الفارسية.

رفض إيواجوراس هذه الشروط المجحفة وبدأ يتفاوض مع أوروونتيس، الذي كان قد ألقى القبض على قائده تيريازوس وأرسله مقيداً بالأصفاد إلى سوسا موجهاً إليه تهمة الخيانة بالاتفاق سراً مع اسبرطة. ولكن جلوس - صهر تيريازوس - تمرد على أوروونتيس وعقد صفقة مع اسبرطة ومصر. ولكن جلوس قتل وخلفه تاخوس Tachos وسار على نفس الدرب ولاقى نفس المصير (٣٨٣ / ٣٨٢ ق.م.). كان كل ذلك لصالح إيواجوراس الذي استغل الظروف وظل يقاوم في سلاميس (٣٨٢ - ٣٨٠ ق.م.). واضطر أوروونتيس أن يدخل في معاهدة معه (٣٨٠ ق.م.) قبل بمقتضاها القائد القبرصي أن يكون تابعاً للملك أرتاكسركسيس، أي أن يكون ملكاً

تابعاً للملك. مما يعنى تبعية محدودة للتاج الفارسى - أو إستقلالية محدودة - شأنه فى ذلك شأن حكام المدن الإغريقية فى آسيا الصغرى وفق معاهدة ٣٩٥ ق.م.^(١)

إن إيواجوراس هكذا قد قدم أثموزجاً رائعاً للبطل الإغريقى مباشراً بعمل أكبر سيقوم به بعد عدة عقود الإسكندر الأكبر . واغتيال البطل القيرصى الأثموزجى ٣٧٤ / ٣٧٣ ق.م . مع ابنه بنيتاجوراس على يد خصمى يدعى ثراسيدياوس Thrasydaeus . تحدث ايسوكراتيس عن إيواجوراس على أنه مثال الحق والعدل والشرف والكرم ، وأنه البطل الشجاع الذى جمع إلى قدراته العقلية خبرة واسعة بالشرق وشئونه . هذا البطل النادر إغاثته يد الصراعات الداخلية الإغريقية، وكانت الإحتفالات الجنائزية التى أقامها ابنه نيكوكليس عرضاً فائقاً ومتقناً للثقافة الهيلينية القبرصية التى بلغت الذروة فى عصر الفقيد^(٢) .

اعتلى نيكوكليس العرش بعد أبيه إيواجوراس وأثبتت الأيام أنه أسوأ خلف لخير سلف. فصار يضارع سزاتو من صيدا فى العهر والجمانة. لقد كان أصلاً من أنصار الحزب الفارسى فى قبرص كما يقول ايسوكراتيس (34 Nicocles)، إلا أنه انضم لثورة الولاة الفرس التابعين للملك العظيم، ومات فى السجن ٣٦١ ق.م . مثله فى ذلك مثل سزاتو . وتلاه إيواجوراس الثانى الذى قد يكون الإبن - أو الحفيد - لإيواجوراس الأول البطل الأمثل . كان الحزب المعادى للفرس بزعامه أخيه (؟) بنيتا جوراس بن إيواجوراس الأول ولكن الأخير قتل مع أبيه . وهنا ظهر إيواجوراس الثانى كارهاً للفرس وملتحقاً بالثورة ضدهم والتى اندلعت فى فينيقيا ومصر (٣٥١ ق.م .) . كان الجيش الذى أرسله الفرس يتكون من ثمانية آلاف مرتزق فى أربعين سفينة أرسلها إدريوس Idrius بن هيكساتوموس من الأسرة الحاكمة فى كاريا بناء على أوامر أرتاكسر كسيس الثالث أوخوس Ochus (٣٥٩ / ٣٥٨ - ٣٣٨ ق.م .) .

قاد الحملة الأثينى فوكيون Phokion ورافقها إيواجوراس الثانى (٣٤٥-٣٤٤ ق.م.) واستطاعت الحملة أن تستولى على سلاميس، واتخذتها نقطة إنطلاق للسيطرة على بقية الجزيرة بعد نهب مزارعها وثرواتها . وتضاعف عدد جنود الغزو بقدم متطوعين كثيرين من سوريا وكيليكيا طمعاً فى الأسلاب بالغة الثراء والاغواء.

استسلم بنيتاجوراس وأصبح تابعاً لأرتاكسر كسيس فيحفظ لنفسه العرش. أما إيواجوراس الثانى الذى وشى به بنيتاجوراس فقد هرب من قبرص إلى المنفى . واستطاع أن يكسب رضا الملك الفارسى الذى وهبه ملكة صغيرة فى فينيقيا فأساء حكمها (٣٤٣/٣٤٢-٣٤٢ ق.م.) . فعاد إلى سلاميس حيث أغتيل. ورغم تبعيته للفرس استطاع بنيتاجوراس أن يحافظ على الموروث الثقافى

Xenoph. Hell. III iv. 25

للمزيد من التفاصيل عن إيواجوراس راجع:

[Greek] Spyridakis, passim. Idem, Evagoras I von Salamis, Untersuchungen sur Geschichte des Kyprischen Königs. Stuttgart 1935, 1942, passim

الهيلينى بقبرص ولا سيما مدينة سلاميس . وزار ديلوس بوصفه " ضيفاً عاماً " . Proxenos . وهناك قدم إكليلين من الذهب . لأحد المعابد المهم أن ثقافة قبرص طوال القرن الخامس والرابع ق.م. كانت بصفة رئيسية هيلينية رغم تعرضها لموجات متتالية من الغزو الشرقى .

فبعد معاهدة كاللياس (٤٩٩/٤٨٠ م) لم تنقطع الروابط التجارية والثقافية بين الإغريق والقبارصة الذين فتحوا أسواق الشرق لأثينا . عرف الفخار الأتيكى ذو الرسوم الحمراء طريقه إلى قبرص وآسيا الصغرى حوالى القرن الخامس ق.م . واستطاع الذوق الإغريقى المتنوع فى أساليه والغنى فى جماله أن يتغلغل مع أسلوب الحياة الإغريقية إلى الجزيرة القبرصية، فوجد تربة صالحة وترعرع طوال النصف الأول من القرن الخامس ق.م . ففى تمثال طينى نجد تصويراً للربة أثينة وهى تلبس الخوذة والاييس Aegis وتستعد لتمطى عربة عسكرية ذات أربعة خيول كان هذا التمثال من بين القرابين المقدمة إلى معبد أبوللو ليكيوس Apollo Lykios فى ميرسيناكي Mersinaki بين فونى وسولوى . ويعود للقرن الخامس ق.م . ومن بين القرابين المقدمة أيضاً فى معبد الربة أثينة على قمة ربوة فى فونى بقرة برنزية تحاكي التمثال المشهور لما يرون Myron ، وتمثال صغيرة أخرى للربة أثينة لابسة الخوذة الكورنية . وامتدت عبادة هذه الربة إلى وادى سوليا Solca . وعندما استولى الفينيقيون على إيد اليون (٤٧٠ ق م) دمروا معبد أثينة حامية المدينة . وكانت قد وضعت فيه اللوحة المشهورة لما حوته من قواعد قد تدخل فى باب التكافل الإجتماعى . قام النحاتون الإغريق المقيمون فى قبرص بصنع تماثيل مثل تمثال Kouros (٤٨٠ ق.م.) وبقي لنا منه الرأس فقط ويذكرنا بأعمال النحت فى معبد زيوس فى سهل وعثر فى تاماروسى أوسلاميس على رأس تمثال برنزي لأبوللو (٤٦٠ ق.م.) ربما يكون أفضل الأعمال الفنية فى قبرص القرن الخامس ق.م. وحملت النقود القبرصية صور آلهة الأوليمبوس . وهناك فينيقى يدعى عبد ساسوم Abdsasom أهدى تمثالا صغيرا لأبوللو الآلاسى Apollo Alasiotas فى تاماسوس ٣٧٥ ق.م . وهناك فينيقى آخر متأغرق يدعى مناسياس Mnaseas أهدى تمثالا لأبوللو هيليتاس Helcitas Apollo فى نفس المدينة (٣٦٢ ق.م.) .

ومن بين الأثينيين الكثيرين الذين توافدوا على سلاميس واستقروا بها نذكر القائد البحرى الشهير كونون Konon الذى اعتبر سلاميس أثينا الشرق وتزوج قبرصية . فبعد هزيمة إيجوس بوتاموى القاضية بالنسبة لأثينا (٤٠٥ ق.م .) لجأ كونون إلى بلاط إيواجوراس . حاول بالتعاون مع مضيفه إنقاذ الهيلينية، ومن مساعيهما المشتركة محاولة فاشلة لعقد إتفاق تحالف بين ديونيسيوس طاغية سراقوسة فى صقلية وإفاجوراس القبرصى . وكل ما نجم عن هذه الجهود هو امتناع ديونيسيوس عن إرسال سفن ثلاثية الجاديف إلى اسبرطة عام ٣٩٦ / ٣٩٥ ق.م. وفى النهاية استطاع كونون أن يهزم اسبرطة وأسطوطها فى كنيديوس (٣٩٤ ق.م)، وكان بقيادة بيسانديروس Peisandros . وعاد كونون إلى أثينا منتصراً فكرمه المدينة هو وحليفه إيواجوراس



شكل رقم (٢٨): رأس إيزيس وعلى رأسها نصف القمور. ومع أن الوجه هادئ وجميل إلا أنه يعكس الألم. شعرها طويل وفيه فرق عند منتصف الرأس، ويتدل على الكتفين عثرت البعثة السودانية على هذا التمثال في مولوى

وأقيم لهما تماثلان فى الأجورا Agora (السوق العامة) عند سفح الأكروبوليس وإلى جوار تماثل زيوس. وفى عام ٣٩٢ ق.م. ألقى القبض على كونون بعد أن اتهمه الحاكم الفارسى تيريازوس بالخيانة، وذلك عندما ذهب إلى سارديس فى محاولة لإفشال التقارب الفارسى -الاسبرطى على يد انتالكيداس Antalkidas. ويبدو أن كونون بعد أن أمضى بعض الوقت فى سجون سارديس قد هرب إلى قبرص ليعيش مع أسرته هناك ومات ودفن فى الجزيرة.!

كانت الحياة الفكرية فى قبرص جزءاً عضويًا من العالم الإغريقى، وكان التماثل الأدبى بها إغريقيا بكل معانى الكلمة، دون أن يتعارض ذلك مع المؤثرات الشرقية الملموسة التى أعطت لكل ماهو قبرصى نكهة مميزة عن كل ماهو إغريقى. كان التبادل الثقافى بين قبرص وبلاد الإغريق القارية وكذا جزر بحر إيجه متواصلاً دون انقطاع، وواكب التبادل التجارى وما إلى ذلك. كان الإغريق يلجأون إلى قبرص سائحين أو مستقرين أو باحثين عن أعمال وصفقات. وكان القبارصة لا ينقطعون عن كريت ورودس وأثينا وسائر أنحاء بلاد الإغريق. شارك الطرفان فى المسابقات الثقافية والألعاب الرياضية واستشارة مراكز النبؤات ولاسيما فى دلفى وعبادة آلهة الأوليمبوس. وكان القبارصة المقيمون فى بلاد الإغريق يتزوجون فى مقار إقامتهم من إغريقيات. وفعل الإغريق المقيمون فى قبرص نفس الشيء. وفى القرن الرابع ق.م كانت هناك جالية سلامينية Koinon Salaminion تمارس أنشطتها المختلفة فى بيريه. وكانت هذه الجالية منظمة ولها سكرتيرها، ووصلتنا وثائق مختلفة عن إدارتها وأنشطتها. وكان القبارصة المقيمون فى أثينا يعملون تجاراً أو صيارفة أو عبيداً. عمل أحدهم فى فن نحت البرنز وبرع فيه، وكان يدعى ستيباكس Stypax^(١). ووصلتنا وثائق مماثلة عن قبارصة إستقروا فى جزيرة ثيرا وإيجينا وديلسوس، وبعضهم استقر فى مدن أرجوس وخيوس ورودس وتانا جيرا وإبيداوروس ودلفى وغيرها. وفى العصر البطلمى ازداد عدد الإغريق المقيمين فى قبرص، بعد أن عرف عن ملوك قبرص أنهم يرحبون بالأتينيين المتميزين فى بلادهم. وهذا أمر بدأه إيواجوراس الذى منح أرضاً للأتينيين المقيمين فى قبرص. ولذلك وفد على الجزيرة كبار الفنانين والأدباء والشعراء والساسة. وهذا كله معناه أن الرافد الإغريقى الثقافى الذى كان يصب فى الحياة القبرصية منذ القدم كان فى نحو مطرد.

عاش شعراء غنائيون قبارصة فى البلاط الملكى إبان القرن الخامس ق.م. وهذا مانفهمه من الأغنية البيئية الثانية لبنداروس حيث يقول:

αλλοις δε τις ετελεσσειν αλλος ανηρ
ευαχεα βασιλευσιν υμνον, αποιν αρετας.
κελαδεοντι μεν αμφι Κινυραν πολλακις
φαμαι Κυπριων, τον χρυσοχαιτα προφρονως
εφίλας' 'Απολλων,

ιερεα κτιλον 'Αφροδιτας' αγει δε χαρις φιλων
ποινιμος αντι εργων οπιζομενα.

كان لدى الملوك الآخرين مغلن ما
يكافى انتصاراتهم بالحنان عذبة
فغالباً ما تردد أناشيد النصر والثناء
على أبطال قبرص تلك الأصدااء
التى تهيم حول اسم كينيراس
كهاهن افروديتى اغبيوب
الذى شغف أبوللو ذهبى الشعر حباً
فهناك شعور عميق يوجب الإمتنان وراء هذه المدائح
التى تكافى بالبر والسورع الأعمال المجيدة.

وكانت ملحمة "الأرجونوتيكا" للشاعر كليون Kleon من كوريون (القرن الرابع ق.م.) هى مصدر
ملحمة أبو اللونيوس الرودسى بنفس العنوان وهو من كبار شعراء الأسكندرية.^(١) ومع أنه لا يعرف سوى كاتب
تراجيذى واحد قبرصى هو ديونيسيوس، وعرفنا أيضاً مغنياً قبرصياً يغنى بمصاحبة القيثارة يدعى كريتون
Kriton، ولكن من المؤكد ان الغناء والرقص والتراجيذيا والكوميديا كانت من الفنون المزدهرة فى سلاميس
وسولوى وغيرهما.

وكتب سوباتروس Sopatros من بافوس عدة كوميديات فهو من كتاب الملهاة الشعبية
فلياكون Phlyakon، عاش فيما بين القرن الرابع والثالث ق.م.

إنه مؤلف أشعار ساخرة وروايات درامية شعبية إزدهر فى وقت ما بين عصر الإسكندر الأكبر
وبطليموس الثانى. بقيت لنا منه عدة شذرات فى الشلرة رقم ١٩ يذكر شيرون Thibron الذى أعدم
هاربالوس Harpalus عام ٣٢٤ ق.م. ويستنتج من شلرة رقم ١ و ٢٤ أن سوباتروس عاش فى الإسكندرية
بعض الوقت. ووصلتنا له أربعة عشر عنواناً ثلاثة منها فيما يبدو تكون ثلاثية وهى: "باكخيس" Bakchis،
"خطاب باكخيس"، "زفاف باكخيس". وهى عناوين تذكرنا بمثيلات لها عند بلاوتوس شاعر الكوميديا
الرومانية. ومن عناوين سوباتروس كذلك: "هيولتيوس"، "نيكوبا" أو الرحلة العالم السفلى، "أوريستيس" وهى
فيما يرجح معارضات ساخرة لبعض التراجيديات القديمة وله عنوان آخر هو "فيات جالاتيا" Galatai
وليس "الغاليات" (= الفرنسيات) كما هو شائع ووصلتنا منها شذرة مكونة من إثنى عشر بيتاً (رقم ٦)^(٢).
ومن العناوين الأخرى المنسوبة لسوباتروس Siphiai, Knidia, Phake, Physiologos.

CGF 192 ff.

Cf. T.B.L. Webster, Hellenistic Poetry and Art. London 1964.
[Greek] Albin Lesky, p. 1019.

(١) أحمد عثمان، الأدب الإغريقى، ص ٤٥٣ - ٥٠٦.

(٢)



شكل رقم (٢٩): رأس ابوللو المعروف باسم تشاتزورت Chatsworth وهو تمثال نحاسي يؤرخ بـ ٤٦٠ ق.م حين كانت قبرص على صلة وثيقة بأثينا. ويمكن أن يقارن هذا التمثال بالأعمال الأولى لفنيدياس أعظم نحّاتى الإغريق طراً. وهو محفوظ بالمتحف البريطانى



سكل رقم (٣٠) : الإلهة أثينة تغطي صهوة عربة تحرها أربعة حيول. هذا العمل المركب والمتقن من صبع فابى قبرص فى منتصف القرن الخامس ق.م وهو يعكس تأثيرات بلاد اليونان القارية والسماط اخلية القبرصية وهو محفوظ بالمتحف، البحر المتوسط فى إستوكهلم.

Euthyboulitheobrotos . والعنوان الأخير الطويل والمركب يذكرنا بتزعة أريستوفانية معروفة في تكوين مثل هذه التعبيرات^(١) .

وفي كوريون عاش الشاعر الايامى هيرمياس Hermeias الذى هاجم الفلاسفة الرواقين واعتبرهم من المنافقين وسمى زينون مؤسس مدرستهم بأنه (فينيقى)^(٢) .

ومن أشهر المؤرخين القيارصة كليارخوس Clearchos (حوالى ٣٤٠-٢٥٠ ق.م.) من سولوى . وهو فيلسوف مشائى من تلاميذ أرسطو . كان غزير الإنتاج وعرف فقط من خلال النقول عنه ، لأن أعماله فقدت . ومن العناوين التى وصلتنا منه نذكر مايلى :

- "Peri Bion" : "فى أساليب الحياة" وليس "فى السر" :
- Erotica. "فى فنون الحب"
- Paroimiai, peri ton ensydron. "الأمثال، عن المائيات"
- Peri griphon. "عن الأحجيات" أو "فى الألغاز"
- فى ما إكتشف رياضياً فى محاولة "الجمهورية" لأفلاطون
- Peri ton en te Beatonos Πολιτεία Mathematiko euremenon.
- Peri Paideias "وفى التربية"
- Peri Skeleton "عن الهياكل" (أو المومياءات؟)
- Peri hypnou. "عن النوم"
- Peri Philias: "فى الصداقة"
- Platonos Enkomion "مدح أفلاطون"

ومن مؤرخى قبرص المرموقين أريستوس Aristos من سلاميس، وأسكليبياديس القبرصى (أوائل القرن الثانى ق.م.) ، وقيل إنهما معا كتبا "تاريخ الاسكندر الأكبر Ta peri Alexandrou . وكتب أسكليبياديس "تاريخ قبرص وفينيقياً" Peri kyprou kai phoinikes ومن كتاب الروايات الأسطورية التاريخية نذكر ديميترىوس من سلاميس وسايون Paion من سلاميس أيضاً، وهيرميسياناكس Hermesianax القبرصى، وكسينون Xenophon القبرصى والاسكندر البافى (من بافوس) وديموخاريس Demochares من سولوى (القرن ٤-٣ ق.م) الذى لا يعرف عنه الشئ الكثير. وقيل إنه مؤرخ وقيل كذلك أنه شاعر كوميدى.

(١) أحمد عثمان، الأدب الإغريقى، ص ٣٣٢- ٣٧٠.

نفس المؤلف (ترجمة): "السحب" لأريستوفانىس. سلسلة من المسرح العالمى الكويتية عدد ٢١٥ (أغسطس ١٩٨٧) المقدمة.

(٢) عن نصوص كليارخوس من سولوى راجع:

وكتب الخطيب - الفقيه زينون من كيتيون تعليقات على كسينوفون ولسياس وديموسثينيس وكان يوديموس Eudemos القبرصي (ت ٣٥٢ ق.م.) تلميذا محبوبا لدى أرسطو، الذي أهده مؤلفه "فى الروح" Peripsyches وكان نيكانور Nikanor القبرصي (القرن الرابع - الثالث ق.م) فيلسوفا أبيقوريا على صلة وثيقة بأبيقور نفسه فى أثينا، وكان ملحدا كما ذكر كليمنت السكندري (Protrep . 20-21 II) وفى قبرص عاش بيثون Python. ابن أريستوكراتيس Aristokrates من خيروى فى أوائل القرن الثانى ق.م وكان من أتباع الأبيقورية. وعاش ديوسكوريديس Dioskourides القبرصي فيما بين (٣٢٠-٢٣٠ ق.م.) وكان من أتباع الفيلسوف الشكاك تيمون Timon من فليوس Phlius. أما عن الطب القبرصي فيمثلته كل من سينييس Syennesis (حوالى القرن الرابع ق.م.) وديا جوراس Diayoras (أواخر القرن الثالث ق.م.). والآخر هو الذى كتب تعليقات على أبى قراط (هيوكراتيس) أبى الطب الإغريقى . فى كيتيون عاش كل من أبوللودوروس وزينون سالف الذكر الخطيب والفقيه والطبيب والذى أسس مدرسة طبية فى كيتيون وعاش بعض الوقت فى الأسكندرية . وكان أبوللونىوس Apollonius من كيتيون فى خدمة بطليموس التاسع الزمار (القرن الأول ق.م.) والد كليوباترا السابعة . وكتب عن "المفاصل" Peri arthron . ومن تينيدوس جاء فايداس Phaidas بن داماساجوراس Damassagoras، وعاش فى القرن الرابع والثالث ق.م ومات فى باليو بافوس .

٧- قبرص البطلمية

كان أهم مايربط الاسكندر الأكبر بقبرص هو معرفة أهلها بالشرق الأوسط، وتوافر خبراء لديها بما يجرى هناك، ولاسيما مايتصل بالاستراتيجية السياسية والاقتصادية. فالقبارصة يعرفون جيرانهم معرفة جيدة ولاسيما الفينيقيين، الذين كان لايمكن اخضاعهم بقوة السلاح وحدها دون الخبرة القبرصية. ولقد قال بلوتا رخوس (Alex.I6) إن زينون من كيتيون (٣٣٥-٢٦٣ ق.م.) مؤسس المدرسة الرواقية قال إن الاسكندر هو الوحيد الذى حقق الدولة الحلم، لأنه صالح أبناء البشر مع بعضهم البعض. وفى ظل هذه الدولة اختلطت، الأجناس فصادق بعضهم بعضا وتزاوجوا وتصاهروا وانصهروا فى بوتقة الإخاء والتعايش. وخرج بذلك على تعاليم أستاذه الفيلسوف والمعلم الأول أرسطو، الذى كان ينادى بمعاملة الإغريق على نحو خاص وعلى أنهم قادة العالم. هذا مع أن تواريخ الميلاد الخاصة بكل من زينون والاسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق.م.) تجعلنا نستبعد تأثير الأول على الثانى. والأرجح أن زينون قد أعجب بإنجازات الإسكندر، الأكبر إذ كان كل منهما يحلم بالحكومة الكونية^(١). كما كان مشروع إيواجوراس الحضارى قد مهد الطريق على مستوى محلى فى قبرص وإن لم يخل من إحياءات خارجية. ومن المرجح أن إيواجوراس قد اتبع تعاليم أنتيستينيس Antisthenes (٤٤٥-٣٦٠ ق.م.) مؤسس المدرسة الكلبية. كما عمل بفحوى ونصائح إيسوكراتيس السياسية، مما يؤكد الإرتباط الإيدبولوجى بين قبرص وبلاد الإغريق، ويوضح دور قبرص فى الوصول بتجربة نظام دولة -المدينة Polis إلى مرحلة النضج. وبعد فتوحات الاسكندر الأكبر أفادت قبرص أهل العصر الهيلنستى، حيث صارت مناهجها تستغل لصالحهم بعد أن صار الشرق الأدنى والأوسط حول البحر المتوسط أشبه بدولة موحدة.

أبقى الاسكندر الأكبر ملوك قبرص على عرواŌãã ÝŪĩãã لفاء له. ومن الممكن تفهم ذلك، لأنهم جميعا كانوا يعتقدون أن جددهم المشترك هو زيوس. ولعل السيف الذى أرسله ملك كيتيون الفينيقى بوميثون Pumiathon له مغزى عميق يفوق بكثير أهميته المادية الرمزية. وأهم من ذلك السيف العبادة التى قام بصنعها هيليكون Helikon نساخ قبرص الشهير، وأهدتها إلى الاسكندر الأكبر جزيرة رودس.

وبعد موت الاسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م. إستعاد ملوك قبرص سك عملتهم بعد إنقطاع طويل يعود إلى ٣٣٣ ق.م. إذ سك بوميثون عملة ذهبية من قيمة نصف ستاتر Stater. وسك نيكوكريون عملة فضية - ذهبية. أما نيكوكليس من بافوس فسك عملة فضية بقيمة ستاترين. وهذا يؤكد أن خضوع ملوك قبرص للاسكندر الأكبر لم يكن خالصاً كما يظن المؤرخون غالباً.

بعد الإنتصار الساحق الذى حققه الاسكندر الأكبر فى إيسوس ٣٣٣ ق.م. غيّر ملوك قبرص موقفهم. فبعد أن كانوا يتعاونون مع داريوس ويقدمون له السفن الحربية بأطقمها من البحارة، شرعوا يستقبلون وفوداً

^(١) طارق مصطفى رضوان، دراسة فنية لسيرة الاسكندر الأكبر عند بلوتارخوس. رسالة ماجستير. كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٩١.

وراجع:

M.H. Fish, "Alexander and the Stoics" AJPh LVIII (1937) pp. 123-157.

مقدونية مؤيدة - ومعارضة - للاسكندر الأكبر . بل إنهم بدأوا طوعية في وضع أساطيلهم المدرية تدريباً عالياً تحت إمرته ، وهو أسطول لا يقل قوة عن أسطول الفينيقيين ويتكون من سفن خماسية المجاديف، التي تمثل أهم إختراعات العالم القديم في الحروب البحرية . وبعد أن فتح الاسكندر الأكبر معظم فينيقيا، أرسل ملوك قبرص مائة وخمسين سفينة إلى صيدا لمساعدته . وعندئذ بدأ الزعيم المقدوني يتحقق من أهمية قبرص ÇaÇÔÊÑÇÊİİ في السيطرة على الشرق الأوسط، ولاسيما صور وبقية فينيقيا تمهيداً لغزو مصر .

وبالاسهام النشط من قبل بنيتاجوراس من سلاميس وأندروكليس من أماثوس وباسيكراتيس من سولوى تم حصار صيدا تحت قيادة أندروماخوس، الذى حاصر الجانب الشمالى للميناء، فى حين حاصرت كل القوات القادمة من فينيقيا ورودس وليكيا وكيليكيا الجانب الجنوبي.

ونجح الحصار برغم فقدان سفينة بنيتاجوراس خماسية المجاديف، وكذا قوات أندروكليس وباسيكراتيس اللذين أسرع نحوهما الاسكندر الأكبر نفسه لإنقاذهما . وتبدو أهمية المساعدة القبرصية للاسكندر الأكبر من حجم الهبات والمكافآت التي خلعها عليهم بعد إكتمال النصر . لقد منح بنيتاجوراس مدينة تاماسوس بمنهجها بعد نزاعها من ممتلكات كيتيون ، وكان ملك المدينة الأخيرة الفينيقي بوميثاوثون قد إشتراها من الملك المقلس باسيكيروس، الذى إكتفى أيام الحرب بإرسال سيف هدية للاسكندر الأكبر لقد أعيد الملوك الذين وقفوا إلى جانب الاسكندر الأكبر إلى عروشهم واعتبرهم حلفاءه، وإن كان قد فرض عليهم سك عملة تحمل اسمه .

عاد الاسكندر الأكبر إلى صور (ربيع ٣٣١ ق.م.) وكان قد أتم فتح مصر وزار معبد آمون- زيوس فى سيوة حيث سماه الكهنة هناك "ابن الإله"، وأرسل الاسكندر الأكبر مائة سفينة قبرصية وكريتية صوب بحر إيجة وكريت لإجهاز إستعدادات ملك إسبرطة آجيس Agis التى تستهدف إستثارة بلاد الإغريق ضده . وفى صور قدم الاسكندر القباريين للمقرت، وإنهمك فى أعمال الإدارة والتنظيم، ودعا ملوك قبرص لتمويل مهرجانا للفنون . وأصبح نيكوكريون من سلاميس- خليفة بنيتاجوراس الذى ربما كان قد قتل فى صور- هو المسئول عن إنتاج وإخراج المهرجان Choregos ولاسيما فرقة ثيسالوس Thessalos صديق الاسكندر الأكبر ، فى حين تولى باسيكراتيس مسئولية الفرقة الخاصة بالممثل الأيثنى التراجيذى أثينودوروس Athenodoros الذى فاز بالجائزة الأولى . ولم يعرض خيبة أمل الاسكندر الأكبر لقشيل صديقه ثيسالوس سوى البذخ العاطفي والثناء الفنى للمسابقات والإقبال الجماهيرى عليها^(١) .

ولقد إصطحب نفراً غير الاسكندر الأكبر قليل من خبراء قبرص فى الشرقيات فى رحلة إلى الهند . كان ستاسانور Stasanor -أمير من سولوى- الأداة الفعالة فى البنية الإدارية التى أقامها الاسكندر الأكبر فى فارس . ولعب دوراً بارزاً فى ترتيب أمور آريا Areia (٣٢٩/٣٢٨ ق.م.) فعينه الاسكندر الأكبر والياً عليها . ولعب نفس الدور فى درانجيانا Drangiana فضمها الاسكندر الأكبر إلى ولايته (٣٢٧/٣٢٨ ق.م.) . وفى عام ٣٢١ ق.م. ضمت إليه كذلك ياكثيريا وسوجدانيان Sogdiane . وفى نفس العام منح ستساندر Stasander (أخوه؟) ولاية آريا ودرانجيانا . وقاد كل من نيكوكليس بن باسيكراتيس —————

سولوى ونيتافون Nithaphon بن نيتاجوراس من سلاميس السفن ضمن رحلة نيارخوس^(١) إلى نهر الهند Indus ٣٢٦ ق.م. وقام هيرو Hiero من سولوى برحلة حول الجزيرة العربية حتى الخليج الفاصل بين العرب والفرس. وعند وصوله إلى عدن إنتابه الخوف وعاد أدراجه إلى الوراء ليقول إن بلاد العرب أكبر من الهند. وفى عام ٣٢٤/٣٢٣ ق.م. استطاعت سفن قبرص نقل القوات إلى ثابسوس Thapsus لبناء أسطول الفرات تمهيداً للوصول إلى الهند.

وفى العصر الهيلينستى إشتهر من بين خلفاء الاسكندر الأكبر نيكوكليس من بافوس (٣٢٥-٣٠٩ ق.م.) وهو ابن تيمارخوس Timarchos (٣٥٠-٣٢٥ ق.م.) وهو الذى أسس بافوس الجديدة Nea Paphos وكان ملكاً محافظاً ظل يتمسك بالكتابة القطعية القبرصية القديمة ولم يتبن الأبجدية الإغريقية إلا فى وقت متأخر جداً. استطاع أن يقود أسرته وهى من سلالة كينراس Kinyrades إلى إستعادة السلطة من جديد بعد موت الاسكندر الأكبر، الذى لم يكن مؤيداً لهذه الأسرة بسبب إرتباطها بعبادة أفروديتى وإحتكارها لوظائف الكهنة فى معبدها. وبرغم إخلاصه لبطليموس كان نيكوكليس ينزع إلى الإستقلال عن مصر، فسك اسمه على ظهر العملة الفضية من فئة الأربع دراهمات (٣٢٠ ق.م.). ولقد سك اسمه بحروف دقيقة جداً فى وسط خصلات لبدة الأسد المتدلية من جلد الأسد الإغريقية، رداء هرقل. أدخل نيكوكليس عبادة هيرا إلى جانب أفروديتى وجعلها ندأها. كما بنى معبداً لأرتميس أجروتيرا (= راعية الصيد) Artemis Agrotera فى بافوس الجديدة الساحلية التى أصبحت مقراً لعرشه وعاصمة للملكه السياسى والثقافى والإقتصادى، وإن ظلت بافوس القديمة مركزاً دينياً رئيسياً. وهكذا استطاع أن يخرج عن النطاق الضيق الذى كانت تسير فيه الأسرة التى ينتمى إليها أى سلالة كينراس.

فى عام ٣٢١ ق.م. استطاع بطليموس أن يضم تحالف نيكوكريون من سلاميس وباسيكراتيس من سولوى ونيكلوكليس من بافوس وأندروكليس من أماثوس. ومن ثم أبحر أسطولهم المكون من ٢٠٠ سفينة فى حملة ضد برديكاس، Perdiccas، الذى كان قد أرسل قوة صغيرة لحماية المدينة الموالية له ماريون (?)، والتى حاصرها هؤلاء الملوك. وفى خريف ٣٢١ ق.م. مر أنتيجونوس بقبرص فى طريقه إلى تريباراديسوس (Triparadeisos = اللجنة الثلاثية) من أجل إعادة توزيع الولايات بعد موت برديكاس، حيث تعامل الأمير المقدونى حاكم ليديا كليتيوس Kleitos نيابة عن القائد المقدونى أنتيباتروس Antipatros (٣٩٧-٣١٩ ق.م.) مع قواته الموجودة فى الجزيرة.

وفى عام ٣١٨ ق.م. استطاع أحد خلفاء الاسكندر إيومينيس Eumenes (٣٦٢-٣١٦ ق.م.)- الموالى للأسرة المقدونية الملكية- أن يوظف كل إمكانيات آسيا الصغرى وفينيقيا لإمداد جيشه فى قبرص. أعدمه أنتيجونوس (٣١٦/٣١٧ ق.م.) وشن حملة شعواء لضم قبرص إلى ممتلكاته بعد إنتزاعها من البطالة. عقد أنتيجونوس- عن طريق مبعوثه أجيسلاوس- معاهدات تحالف مع لابيثوس وماريون وكيرينيا وكيتيون. أما بقية

كان نيارخوس من كريت صديق لالاسكندر الأكبر، وهو الذى أبحر بالأسطول حول شبه الجزيرة الهندية إلى مصب نهر دجلة، وكتب وصفاً لهذه الرحلة (قبل عام ٣١٢ ق.م.). وتضمن هذا الوصف معلومات قيمة عن الهند أفاد منها سترابون وأريانوس. من المحتمل أن يكون نيارخوس قد لاقى حظه فى موقعة غزة عام ٣١٢ ق.م.

الملوك في المدن الأخرى فكانوا متحالفين مع البطالة . ومن بين المدن التي تحالفت مع أنتيجونوس كانت لايبثوس وكتيون تحت حكم فينيقي وإن كان أهلها يتحدثون الإغريقية .

أرسل بطليموس الأول سوتير (المنقذ) أخاه مينيلأوس على رأس قوة كبيرة قوامها ثلاثة عشر ألف رجل على ظهر مائة سفينة إنضمت إلى أسطول سيلوكوس، الذي كان قد وصل توأ من البحر الإيبي . وتم الإستيلاء على المدن القبرصية المعادية للبطالة واحتل سيلوكوس نفسه كيرنيا ولايبثوس . حتى أمانوس اضطرت إلى تسليم بعض الرهائن . وتم الإستيلاء على كتيون بعد قتل ملكها الفيقي بوميثون، الذي إتصل سراً بأنتيجونوس . وأحرقت معابد المدينة (٣١٢ ق.م) . وعوقب كل من براكسيبوس Praxippos الثاني ملك لايبثوس وثيميسون Themison ملك كيرنيا- وهو الذي كان أرسطو قد أهدها كتابه "في الحث على الفلسفة"^(١) Protrepitkos . وكذا ملك ماريون ستاسيويكوس Stasioekos الثاني، حيث سويت مدينته بالأرض فهاجر أهلها المكان إلى بافوس^(٢) . صودرت كل المدن وسلمت إلى نيكوكريون المعين قائداً عاماً أو والياً على قبرص، وترك قيادة الجيش البطلمي في قبرص في يد مينيلأوس . وبدأ عصر جديد بالنسبة لكتيون .

فمنذ عام ٣١١/٣١٢ ق.م. أصبحت كتيون مدينة إغريقية، حيث أن المنتصر وهو نيكوكريون من سلاميس له علاقات وثيقة بالثقافة الإغريقية، وخلد ذكره مؤلفون كثيرون ونقوش كثيرة .

ولكنه مات ميتة مأساوية إذ عاقبه بطليموس بعد أن إكتشف تأمره مع أنتيجونوس، فأرسل قائدين من رجاله لإغتياله، ولكنه قرر الإنتحار ومنح هذه الفرصة . فلما علمت زوجته بالنتحاره- وتدعى أكسيوثيا Axiothea- قتلت كل بناتها العلروات وأقنعت أخوات زوجها بالإنتحار معها . ففعل أزواجهن نفس الشيء بعد أن أحرقوا القصر . وفي الآونة الأخيرة تم العثور على بقايا هذه الحرق في سلاميس . ورويت روايات كثيرة فيما بعد عن البلذخ الأسطوري في قصر نيكوكريون ملك سلاميس وعن إنغماسه في أسلوب الحياة الإغريقية المزفة مما يشي بعداوته لأسلوب الحياة الفينيقية .

واتبع أندروكليس من أمانوس نفس هذا الأسلوب في الحياة ونفس السياسة والثقافة التي سنّها نيكوكريون في سلاميس . فأهدى تاجاً ذهبياً (٣١٥-٣١٠ ق.م)، وأهدى ثيلاً (لإبنه) إلى أفروديتي القبرصية Aphrodite Kypria في ديلوس كما جاء في النقش على قاعدة التمثال .

وفي عام ٣٠٧ ق.م. وبعد تحرير أثينا من الطاغية ديميتريوس الفاليري عميل الزعيم المقدوني كاساندر Kassander (٣٥٨-٢٩٧ ق.م) - مؤسس كاساندريا وثيسالونيكي- (٣٠٧ ق.م) . أعلن عن حملة لإحتلال قبرص كنقطة إنطلاق إلى آسيا الصغرى . وبالفعل عبر ديميتريوس إلى كارباس بقوة كبيرة تشمل سبعة سفن فينيقية سباعية المجاديف وثلاثين سفينة أثينية رباعية المجاديف وتحت قيادة ميدياس Medias . استولى على أورانيا Ourania وكارباسيا وسار في اتجاه سلاميس . ودارت المعركة على بعد

[Greek] Albin Lesky, pp. 767 ff., 811.

(١)

(٢) عن الحفريات في نيبافوس، راجع:

Wiktor A.Daszewski, "Nea Paphos Excavations 1995" Polish Archeology in the Mediterranean VII (Warsaw 1996). pp. 91-99.



شكل رقم (٣١) : هذه الراس التي يصورها الفنان القبرصي بهذا التمثال تذكرنا بنهاية نيكو كريون آخر ملوك سلاميس. فكما يقول ديودوروس الصقلي انتحر نيكو كريون مع جميع أفراد أسرته في نهاية القرن الرابع ق.م. حتى لا يأسره بطليموس. وقد عثر على هذا التمثال عام ١٩٦٦م مع أربعة رؤوس أخرى تحت بقايا كومة الحرق في مقبرة نيكو كريون

خمسة أميال منها وهزمت قوات مينيلأوس الضخمة (١٢ ألف رجل)، قتل منهم ألف وأسر ثلاثة آلاف أرسلوا إلى أنتيجونوس في سوريا. ولكن معدات ديميتريوس الضخمة فشلت في حصارها لسلاميس بفضل مقاومتها العنيدة. وجاء أسطول بطليموس لیساعد مينيلأوس وضم هذا الأسطول ١٤٠ سفينة - بعضها قبرصى - انضم إليه في بافوس، وصاحبت الأسطول ٢٠٠ سفينة نقل وبلغ عدد رجال الأسطول عشرة آلاف. ولكن ديميتريوس هزم الأسطول البطلمي قبالة كيتيون وأسر منهم ثمانية آلاف من بينهم مينيلأوس نفسه، وأحد أبناء بطليموس (٣٠٦ ق.م.)، فتصرف معهم ديميتريوس بنبالة وكرم شديدين. وطوال الإثنى عشر عاماً (٣٠٦-٢٩٤ ق.م.) التي حكم ديميتريوس أثيناها قبرص كانت الجزيرة بالنسبة له ولإبنه ديميتريوس الفاتح المركز الرئيسى للإمدادات السفن والحروب. وبعد هزيمة أنتيجونوس وموته في إيسوس Ipsus ٣٠١ ق.م. حكم ديميتريوس قبرص منعزلاً في مقره بسلاميس، حيث استدعى أمه لتقيم معه وتدعى ستراتونيكى Stratonike.

ولكن تورط ديميتريوس المتزايد في شئون مقدونيا وبلاد الإغريق ورطه في سلسلة متتالية من الهزيمة والفشل في معارك مختلفة، ولاسيما في إفيسوس وميليتوس وكليكيما مما أعطى الفرصة لبطليموس لكي يعيد إحتلال قبرص والذي كان قد قدم إبنته له زوجة ٢٩٩/٢٩٢ ق.م. عامل بطليموس أسرة ديميتريوس بكل الكرم. وحكم البطالة قبرص من عام ٢٩٤ حتى ٥٨ ق.م. ومن ٤٨/٤٧ - ٣١ ق.م. واتخذوا من الجزيرة نقطة حصينة متقدمة للدفاع عن مصر.

لم يكن هناك مفر من أن تتورط قبرص في الصراعات البطلمية الداخلية. ففي عام ٢٧٧ ق.م. قتل بطليموس الثانى فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٦ ق.م.) أخاه غير الشقيق (إبن بطليموس الأول المنقلد سوتير)، وذلك لأنه حرض القبارصة على التمرد^(١). وتتجلى إهتمام بطليموس فيلادلفوس بقبرص بإعتبارها مركزاً لبناء السفن من التمثال الذى أقامه للمهندس البحرى بيرجوتيليس Pyrgoteles بن زؤيس Zoes فى باليوبافوس. وكان بريتوس Pritios المهندس المتخصص أيضاً فى بناء السفن نشطاً فى نياپافوس. وفى الواقع كان توافر أخشاب بناء السفن فى منطقة بافوس وقربها من مصر سببين جيهين لنقل العاصمة من سلاميس إلى بافوس فى أوائل القرن الثانى ق.م. وتتجلى ذروة حالة الأمن وشيوع السلام فى قبرص البطلمية إبان حكم الملكين الأولين سوتير وفيلادلفوس من حقيقة تأسيس مالا يقل عن ثلاثة مدن بإسم أرسينوى Arsinoe. واحدة على الساحل الشرقى، والثانية جنوب سلاميس، والثالثة على الساحل الجنوبى الغربى، فيما بين بافوس القديمة والجديدة. وهذه المدن أسست لتخليد إسم زوجة - وأخت - بطليموس الثانى، والتي عبدت إلهة مثله حوالى عام ٢٧٢/٢٧١ ق.م. وإعتبرت صورة أخرى لأفروديتى أو ناياس Naias أى "عروس النهر" أو "عروس البحر" فى خيتزوى، وأقيمت لها طقوس العبادة رسمياً تحت إشراف كاهن يدعى كانيفوروس Kanephoros مما يذكّرنا بأعياد وطقوس الباناثينايا الفخمة والتي كان عذروات أثينا أثنائها يحملن آتية أو سلات من الفضة والذهب وبها كل متطلبات الطقوس فى معابد شيدت فى كافة أنحاء قبرص. وسكنت عملة ذهبية من فئة الثمانية دراخمت لتخليد عملية تألية أرسينوى.

وفى الحرب السورية الثالثة التى أشعلها بطليموس الثالث إيورجيتيس (فاعل الخير) الأول (حوالى ٢٤٥ ق.م.) ضد الملكة لاوديكي Laodike من المرجح أن قبرص كانت القاعدة الرئيسية لإنطلاق الهجوم العسكرى . وفى عام ٢٣٨ ق.م. كانت قبرص من المناطق الرئيسية التى أمدت مصر بالقمح إبان المجاعة التى وقعت فيها بسبب الجفاف .

ومنذ حكم بطليموس الرابع فيلوباتور "المحب لأبيه" (٢٢١-٢٠٣ ق.م.) فصاعداً زاد دور قبرص العسكرى فى النزاعات البطلمية الداخلية، وكذا شئونهم الخارجية مما استوجب تأسيس نظام إدارى عسكرى محكم تحت تصرف قائد عسكرى Strategos قدير، مما شكل سابقة لنظام الحكم الرومانى والبيزنطى فى قبرص . كان أول قائد- حاكم فى قبرص البطلمية هو ييلوبس ييلوبوس Pelops Pelopos المقدونى (٢١٧-٢٠٩ ق.م. تقريباً) .

جاءت قبرص مع ممتلكات مصرية أخرى فى آسيا الصغرى وجنوب سوريا من نصيب أنطيوخوس الثالث العظيم ملك سوريا فى إتفاقية توزيع الغنائم بينه وبين فيليب الخامس المقدونى عام ٢٠٢ ق.م. . ولكن أنطيوخوس فشل فى السيطرة على قبرص ٩٦ ق.م. ثم جاء خلفه أنطيوخوس الرابع إيفانيس فإتخذ موقفاً مغايراً ومناصراً لبطليموس السادس فيلوميتور (= المحب لأمه) ضد أخيه بطليموس الثامن (أو السابع) إيورجيتيس (فاعل الخير) الثانى فيسكون Physkon . وبذلك نجح أنطيوخوس الرابع فى السيطرة على قبرص عام ١٦٨ ق.م. بمساعدة الخائن حاكم قبرص بطليموس ماكرون Makron . بيد أن أنطيوخوس أجبر على إخلاء قبرص ومصر من قواته العسكرية بتدخل سريع من روما، التى أصبحت الآن القوة الكبرى فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط . وأقام بعض الوقت وفد رومانى فى قبرص للإشراف على جلاء قوات أنطيوخوس تماماً . وعندما إنفصمت عرى الحكم المشترك للأخوين بطليموس ١٦٤ ق.م. لجأ فيلوميتور إلى روما ليدافع عن قضيته . ومن هناك إنتقل إلى قبرص التى احتفظ بها ضمن مملكته فى مصر ومعاقبة مبدئية من روما، من أواسط ١٦٣ حتى ١٥٥ ق.م. .

صار فيسكون ١٦٢ ق.م. ملكاً على قورينى (الشحات) فى ليبيا مطالباً- دون جدوى - بضم قبرص إلى مملكته ، وتطلع الأخوان إلى روما إستجداءً للعون، حتى إن فيسكون فكر فى توريث روما كافة مملكته .

واكتشفت مؤامرة فاشلة دبرها ديميترىوس الأول سوتر من سوريا بهدف الإستيلاء على قبرص ١٥٥ ق.م. بالإتفاق سراً مع حاكمها أرخياس الذى خان سيده وولى نعمته ملك مصر فيلوميتور . شجعت تلك المالبسات فيسكون على أن يعاود محاولاته السيطرة على قبرص بمساعدة روما، التى زارها وألقى خطبة فى مجلس الشيوخ حركت المشاعر هناك، ولاسيما عندما عرض عليهم ندوب الجروح الغائرة التى أصابه بها عملاء أخيه . ولكنه ما أن وطأت قدمه قبرص حتى أسرت قوات أخيه، الذى تصالح معه وأرسله حاكماً على قورينى على أن يظل هو حاكماً على مصر وقبرص . ودام الحال هكذا حتى موته ١٤٦/١٤٥ ق.م. وكان قد إستعاد رضا روما عنه .

وسانده كاتو الرقيب بخطبة عصماء ومؤثرة، وقدمت له كريت معونة لا بأس بها. كان لفيلوميتور وأسرته شعبية ملموسة في قبرص. وهذا ماتشهد به النقوش المسكوكة على العملة الفضية القبرصية من فئة الأربع دراهمات. ويشهد بذلك أيضاً أنه أدخل إلى الاسكندرية سك هذه العملة التي تحمل علامة PA.

والحاكم الثاني في قبرص البطلمية هسو بوليكراتيس Polykrates بن مناسياديس Mnasiades وهو من أرجوس (حوالي ٢٠٢/٢٠٣-١٩٧ ق.م.). وكان هو نفسه الكاهن الأعظم في الجزيرة وأضيف إليه لقب أرخون Archon وجدير الذكر أنه في العصر البيزنطي تكرر الجمع بين اللقبين: القائد العسكري Strategos والحاكم Archon. وكانت العملة التي سكّت في قبرص تحت حكم بوليكراتيس فضية من فئة الأربع دراهمات وتحمل النقش "بطليموس الملك" Basileos Ptolemaiou وتعني بطليموس الخامس إيغانيس (الظاهر). وكانت هذه العملة هي العملة البطلمية الرئيسية المستخدمة في مصر حتى نهاية العصر البطلمي.

كان الحاكم - القائد يقيم في سلاميس، وكان في العادة من أفراد الأسرة البطلمية. وفيما بعد بطليموس إيو إرجيتيس (فاعل الخير) الثاني (١٤٦-١١٦ ق.م.) كان من قادة الأسطول (nauarches). وكان مساعده هو "نائب القائد"، وكان المدير الرئيسي للمناجم. أما السكرتيران grammateis فكانا يشرفان على الأسطول والمشاة، ولاسيما في أواخر العصر البطلمي، حيث كان النظام الإداري في قبرص قد تطور وبلغ قدراً كبيراً من الإكمال.

بعد موت بطليموس الثامن (١١٦ ق.م.) عاد من قبرص إلى الإسكندرية ابنه بطليموس التاسع سوتير الثاني لاثيروس Lathyros. كان الراحل قد أنجب من كليوباترا الثالثة وعينه حاكماً - قائداً Strategos على قبرص عدة سنوات، وهاهو يعود من هناك ليجلس على العرش مع أمه. واضطرت أخته - زوجته كليوباترا الرابعة (وكان قد هجرها بأوامر من أمه ليتزوج أخته الأصغر كليوباترا سيليسني) أن تهرب إلى قبرص حيث حشدت جيشاً انتقلت به إلى سوريا، وأهدته إلى زوجها الجديد الملك أنطيوخوس التاسع كيزيكنوس Kyzikenos. أما الاسكندر بن كليوباترا الثالثة الأصغر، الذي كانت قد أرسلته حاكماً - قائداً على قبرص في نهاية ١١٦ ق.م. فإنه منذ ١١٤/١١٣ ق.م. اعتبر نفسه ملكاً على الجزيرة. وسك في مسكاتها الثلاث عملاته الخاصة وعين مربيه هيلينوس حاكماً قائداً. وعندما غادر الاسكندر قبرص متجهاً إلى الإسكندرية ١٠٨/١٠٧ ق.م. ليتولى حكم مصر مع أمه بوصفه بطليموس العاشر الاسكندر الأول، فإن سوتير الثاني الذي طارده جماهير الإسكندرية هرب إلى قبرص، ومنها إلى سوريا. ولكنه عاد إلى الجزيرة ١٠٦/١٠٥ ق.م. وأستطاع أن يكسب ولاء كل القوات هناك فيما عدا القاتدين اليهوديين أنانياس Ananias وشيليكياس Chelkias. وفي عام ١٠٤ ق.م. أبحر الاسكندر من قبرص إلى جنوب سوريا لمؤازرة كيزيكنوس ضد أنطيوخوس جريوس ملك دمشق والاسكندر يانايوس Iannaues ملك فلسطين. وكانت كليوباترا الثالثة تساندهما. عاد سوتير الثاني إلى قبرص ١٠٢ ق.م. وقدم ابنته زوجة للاسكندر فيما بعد ١٠١ ق.م. ثم أرسل في عام ٩٥ ق.م. قوات لمساعدة ديميتريوس إيوكايروس Eukairos في سوريا. والأخير هو أحد أبناء جرسيسوس المطالبين بالعرش، وبوصف سوتير حليفاً للرومان في صراعهم ضد القراصنة استدعى ليحكم مصر

٨٨٨ ق.م. بدلاً من الاسكندر الأول الذى هرب إلى قبرص، وهناك قتل على يد القائد البحرى خايرياس Chaireas ولم يسجل عصر سوتير الثانى فى قبرص على العملات إلا نادراً، ربما بسبب فترات غيابه الطويلة عن الجزيرة. بينما سجلت فترة حكم الاسكندر الأول على العملات الفضية من فئة الأربع دراهمات على نحو متكامل. مات سوتير الثانى عام ٨٠ ق.م. وفى الواقع إن مصدرنا عن مانعرف حول قبرص فيما بين ٨٨-٨٠ ق.م. هو بلوتارخوس وأيانوس^(١).

من كتابات هذين المؤرخين عرفنا أن ليكينيوس لوكوللوس L. Licinius Lucullus مبعوث سلاً Sulla جاء إلى قبرص ٨٦/٨٧ ق.م. سعياً للحصول على سفن تسند حرب روما ضد ميثريدياس. ولكن مساعيه لم تحقق كثيراً من النجاح. ومرد ذلك أن الأسطول القبرصى والقوات البرية قد أنهكت بسبب النزاعات البطلمية الداخلية. كما أن أهالى مصر الأصليين بدأوا يتذمرون ضد البطالة، فاستنفدت مقاومتهم الكثير من الجهد العسكرى. ولعل هذا الفراغ عرض سوتير الثانى ولأول مرة تحت الحكم البطلمى مناصب سياسية عليا على القبارصة. وفى عصره ونفس السبب ظهر إتحاد القبارصة Koinon Kyprian الذى أسس للإشراف على عبادة ملوك الأسرة البطلمية، وربما لأهداف أخرى. وتحت لواء هذا الإتحاد إنضوت جماعات أخرى فرعية مثل "جماعة ديونيسوس" وصارت بافوس هى العاصمة منذ القرن الثانى ق.م. وتمتعت بمجلس نيابى boule ومجلس شعبى demos وجمناسيون Gymnasion وهو معهد للتدريب الرياضى والتعليم الثانوى، وما إلى ذلك من مؤسسات المدن الإغريقية التقليدية.

فى العصر البطلمى كان الفينيقيون لا يزالون يحتكرون تجارة قبرص ومناصب الإدارة والكهنة. وفى عام ٢٧٤/٢٧٥ ق.م. كان ياثان بعل Yathan Baal هو الحاكم الفعلى. أما كاهن بطليموس سيد الملوك فهو عبد- عشرتوت Abd-ashtart بن جبر عشنارت. وفى عام ١٣٨-١٣٣ ق.م. نجح اليهود فى الحصول على دعم روما لممارسة طقوسهم الدينية فى كل بلدان شرق البحر المتوسط بما فى ذلك قبرص.

ولقد قوطعت سنوات الاستقرار والسلام ١٤٦-١٣٠ ق.م. بمناوشات الحروب الأهلية بين فيسكون وزوجته الأولى كليوباترا الثانية (أرملة فيلوميتور) فهرب فيسكون إلى قبرص مع زوجته الثانية كليوباترا الثالثة (بنت كليوباترا الثانية) وممفيس Memphites (ابنه من كليوباترا الثانية). وفى قبرص قتل الأخير مع ابن آخر لفيسكون بأمر والدهما شخصياً نظراً لخوفه من وجود منافسين له فى الحكم وانتقاماً من زوجته. وانتصر فيسكون ١٢٩ ق.م. وسرعان ما تصالح مع كليوباترا الثانية ١٢٤ ق.م. وساد السلام حتى ١١٦ ق.م. وبفقدان البطالة الكثير من ممتلكاتهم فى بحر إيجة إكتسبت قبرص أهمية متزايدة بوصفها قاعدة بحرية متقدمة لمصر. ودليل ذلك زيادة سلطات حاكم قبرص ومهامه، التى شملت ميادين شتى من الشؤون الادارية والقضائية إلى الاسطول الذى كان يواجه تهديدات قراصنة كيليكيا. وازدادت أهمية قبرص بعد أن إنهارت قوة رودس البحرية خط الدفاع الأول أمامهم. ولقد أضيف لقب Autokrator للحاكم- القائد البطلمى فى قبرص، حيث تمتع به كروكوس Krokos (١٣٠/١٣١-١٢٤ ق.م.) وثيودوروس (١٢٤-١١٨ ق.م.) وقسمت

Plut., Lucullus. III 1-2

Appianus, Bell. Mithr. 56.

القوات الإغريقية غير القبرصية - أى المرتزقة - إلى فرق سميت Koina وتوصف بجنسية جنودها فيقال مثلاً "فرقة الكريتيين" Koinon Kreton وهكذا، "فرقة الطراقيين"، و "فرقة الآخيين" الخ وإستقرت معظم هذه القوات فى سلاميس وبافوس.

ولقد صار التدخل الرومانى فى مصر البطلمية شيئاً متكرراً منذ بدايات القرن الأول ق.م.^(١) وسرى نفس الشيء على قبرص البطلمية بطبيعة الحال ، فبعد موت سوتير الثانى فى الاسكندرية (٨٠ ق.م.) تم تعيين ولديه المقيمين فى سوريا خليفته له وملكين على مصر وقبرص بالتوالى ، إذ أصبح الأول هو بطليموس الثانى عشر الزمار Auletes نوثوس Nothos أو ديونيسوس الجديد Dionysos Neou، ملكا على مصر ، أما الثانى فهو بطليموس ملك قبرص ، وهكذا تم تقسيم المملكة البطلمية - وهذا ما وافق ميول روما وأهدافها الإستراتيجية - حتى إنه قيل أن الاسكندر الثانى - ابن الاسكندر الأول الذى أخذه سلاً إلى روما وقبل أن تغتاله العامة فى الاسكندرية - ترك وصية يورث فيها مملكته بما فيها قبرص إلى الشعب الرومانى ، وعلى الرغم من أنه فى قانون ٥٩ ق.م. الذى إستصدره يوليوس قيصر للإعتراف بالزمار حليفاً لروما لم تذكر قبرص، إلا أن رجل قيصر وتابعه الأمين ذلك السياسى المغامر والمهوب نقيب العامة كلوديوس بولكير Clodius P. Pulcher قد إستصدر قانوناً آخر فى العام التالى سمي nefaria، به تحولت قبرص إلى ولاية رومانية على أن تلحق بكيليكيا الولاية الرومانية منذ ١٠٣ ق.م. وأن تصدر خزائنها الملكية لصالح تطهير البحر من القراصنة ، فاضطر كاتو الرقيب M. Porcius Cato بوصفه حاكماً مالياً quaestor فى محل الحاكم القضائى praetor إلى تنفيذ هذا الضم رغم أنه ، أما ملك قبرص الهزيل بطليموس فقد رفض عرض كاتو بتعيينه "الكاهن الأعظم" فى معبد أفروديتى البافية فى حالة استسلامه لروما فى هدوء ، وبدلاً من ذلك إنتحر ، وقبل الزمار ضياع قبرص من مملكته ولم يحرك ساكناً ، وعندما طرده السكندريون الغاضبون لجأ إلى روما وطلب الغون ، وعقد مزاد علنى لبيع خزانة الملك بسبعة آلاف تالنت أخذها الحاكم المالى الأمين إلى روما ٥٨ ق.م. ولعل فى ذلك مايجسد إنتقام قبرص الصامت وهى المقهورة من قاهرها ، كما يقول سينيكا الفيلسوف^(٢) ، وفيما بين ٥٨ و ٤٨ ق.م. صارت قبرص ولاية رومانية ضمن ولاية كيليكيا ، ومر بها بومبى الأكبر بعد هزيمته فى فرسالوس (٤٨ ق.م.) وفى طريقه إلى مصر حيث قتل بمجرد وصوله إلى أرض النيل وحقه يوليوس قيصر إلى هناك .

وبوصول يوليوس قيصر إلى الإسكندرية وتحالفه مع كليوباترا السابعة - عشيقته ، أصبحت مصر تحت قبضته أى منذ ٤٨ ق.م. وكان هذا العاهل الرومانى بالأساس يخطط لمنح قبرص إلى الطفلين الصغيرين أبناء بطليموس الزمار أى أرسينوى وبطليموس الرابع عشر، على أن تكون ولاية مصر لكليوباترا السابعة وبطليموس

(١) أبراهيم نصحي، تاريخ مصر فى عصر البطالة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، الجزء الأول، (١٩٦٠) ص ١٩٦ -

١٩٩، ٢٥٧ ومايلي، وصفحات متفرقة أخرى.

عبد اللطيف أحمد على، مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية. دار النهضة العربية ١٩٧٤، فى أماكن متفرقة.

Senecca, Ad Marciam de Consol., xx5.

(٢)

الثالث عشر وذلك طبقاً لوصية الزمار نفسه . ولكن أرسينوى تأمرت ضد قيصر و كليوباترا فأعيدت كليوباترا إلى عرش مصر (٢٧ مارس ٤٧ ق.م.) وأنجب قيصر منها ابنه الذى أطلق عليه السكندريون إسم قيصرون ٢٨/٧/٤٧ ق.م. وعادت قبرص إلى العرش البطلمي . ولقد تم تخليد هذه الذكرى على عملات سكنت فى بافوس وعليها نقش لكليوباترا تحمل إبنها قيصرون بين ذراعيها . وكان سيرايون هو الحاكم - القائد الذى عينته كليوباترا على قبرص حتى قتله أنطونيوس بعد إنتصاره فى معركة فيليبى ٤٢ ق.م. عقاباً له، لأنه قدم سفناً إلى جايوس كاسيوس أحد قتلة يوليوس قيصر (والذى عندما كان فى قبرص تراسل مع شيشرون عام ٤١ ق.م.) . المهم أن أنطونيوس فيما بعد أهدى قبرص إلى كليوباترا . يقول بلوتارخوس فى وصف موكب النصر وتوزيع هدايا الأرض على يد أنطونيوس عام ٣٤ ق.م.: "لأنه (أى أنطونيوس) بعد أن ملأ الجلباسيون (بالاسكندرية) بجمهور غفير ووضع على منصة فضية عرشين أحدهما له والآخر لكليوباترا وضع عروشاً أخرى أصغر حجماً لأبنائه وأعلن مايلي:

أولاً: أن كليوباترا ملكة على مصر وقبرص على أن يشاركها العرش الملكى قيصرون"^(١)

كان نيكوكراتيس Nikokrates القبرصى يملك أكبر وأشهر مكتبات العالم القديم حتى عصره، إذ ضمت مكتبة سولوى العامة والتي كان يديرها أبولونيوس أما أونيسانندروس Onesandros (أو أوناساندروس Onasandros) ابن نارسىكراتيس Nausikrates من مدينة بافوس، فقد عينه بطليموس لاثيوس (١٤١ - ٨١ ق.م.) على رأس مكتبة الإسكندرية . وكان إسم قبرص قد إرتبط بمكتبة الإسكندرية من قبل لأن بطليموس الثامن إيو إرجييس (فاعل الخير) الثانى كان قد إضطهد كل أصدقاء وأتباع فيلوميثور وكان من بينهم أريستارخوس الساموثراكى أحد الفقهاء الهومريين مكتبة الإسكندرية وأستاذ فيسكون، فلجأ إلى قبرص وأقام فيها حتى مات ١٤٤ ق.م.^(٢) ولانتسى المؤرخ القبرصى أريستوس Aristos ٢٠٠-١٥٠ ق.م الذى أفاد منه كل من كتب عن الاسكندر الأكبر بعده .

^(١) Plut., Antonios. LIV 3-6.

وعن تفاصيل هذا الموضوع راجع:

أحمد عثمان، كليوباترا وأنطونيوس، دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي. الطبعة الثانية، أيجيوس ١٩٩٠، ص ٤٩ - ١٢٥ .

^(٢) عن أريستوس أنظر:

[Greek] Hatzioannou, Vol. Γ Part A, pp. 326-329

وقارن أحمد عثمان، الأدب الإغريقى ٤٥٣ ومايلها. ونفس المؤلف. "عالم الكتب والمكتبات فى العصر الإغريقى الرومانى"، مجلة "اليان" الكويتية عدد ١٦٧ (فبراير ١٩٨٠) ص ٨٤-٩٨. ونفس المؤلف، "مكتبة الاسكندرية ودورها الحضارى فى حفظ التراث الكلاسيكى وإنعاش الدراسات الأدبية" مجلة "اليان" الكويتية عدد ١٧٦ (نوفمبر ١٩٨٠) ص ٨٠-١٩٥ .

يقول سترابون (القرن الأول ق.م.) أن قبرص تتقدم كافة الجزر الإغريقية في الفضيلة، ولكن سترابون في شرحه هذه الفقرة ركز على الجوانب الاقتصادية والموقع الجغرافي^(١)، ولكن كلامه على أية حال يؤكد الحقيقة المستقرة الآن، وفحواها أن قبرص جزء عضوي من العالم الهيليني وثقافته، دون أن يتعارض ذلك مع بعض التوجهات الشرقية. ولعل ذلك ما يجعلنا نعود إلى عبارة وردت عند في "المستحيرات" (بيت ٢٨٨-٢٨٩)، حيث أنه يذكر القبرصيات بين الأجنيات. وأسى فهم هذه الفقرة كثيراً وسبق لنا أن تناولنا هذه القضية في بحث عن "الأجانب في التراجيديا الإغريقية"^(٢).

هناك الكثير مما يثبت أن هيلينية قبرص لم تنقطع. فمنذ إندماجها في العالم الإغريقي عند بداياته وقد لعبت قبرص دوراً رائداً في هذا العالم على المستوى الإقتصادي والسياسي والثقافي. فإشتركت قبرص في الإحتفالات والمهرجانات القومية الهيلينية (Panhellenic) مثل الدورات الرياضية ولاسيما الأوليمبية وأعياد الباناثينايا. ونعرف الكثير عن أسماء القبارصة المنتصرين في الألعاب الأوليمبية Olympia وأيضاً أسماء "المراقبين" theoroi أى المسؤولين القبارصة الذين يستقبلون الوفود التي تزور مختلف المدن الإغريقية إستعداداً لتنظيم الدورات الأوليمبية وغيرها. وهذه الوفود نفسها كان يطلق عليها theoroi. كان الرياضيون القبارصة وغيرهم من المشاركين في مثل تلك الدورات يتلقون تدريباتهم في الجمناسيون gymnasion ومباني المسرح والإستاد المنتشرة في مدن قبرص، ولاسيما في سلاميس وسولوى ولايشوس وأرسينوى وكوريون. ولقد تم مؤخراً إكتشاف جمناسيون سلاميس.

كما تم إكتشاف معبد أبوللو هيلاتيس Apollo Hylates أى "حامى الغابات" في بافوس الجديدة. إن هذا المعبد المنحوت في الصخر يتكون من قاعتين في مستوى تحت الأرض. وإن الجمع بين أبوللو وهيلاتيس في معبد واحد له مغزى سياسي. فالحاكم يريد بهذا الجمع أن يعكس طبيعة النحت الإغريقي المعاصر والظاهر على عملة نيكوكليس الفضية حيث يجلس فيها أبوللو على صرة الأرض Omphalos على الوجه، في حين تظهر أفروديتي بولياس Aphrodite Polias أى "حارسة المدينة" على ظهر العملة في وضع بروفيل. على أن الجمع بين أبوللو وأفروديتي له جذور عريقة في الديانة والسياسة القبرصيتين. أما معبد زيوس في سلاميس فهو من الطراز الكورني، أما معبد أبوللو - هيلاتيس في كوريون فظل يتمتع بالحوية والنشاط من العصر الأرخي حتى العصر الروماني.

وعلى قمة تل كافيزين بالقرب من نيقوسيا هناك كهف كان يستخدم معبداً في طقوس ريفية تقام لإحدى العرائس الأسطورية Nymphaion. وتم العثور هناك على آنية مهداة لها تعود للقرن الثالث ق.م. وظلت آلهة مصر والملوك البطالمة مستمرة في قبرص. وكشفت الحفريات عن معابد لسرايس وإيزيس وأوزيريس وآمون وهاربوكراتيس. وكان الحاكم - القائد هو الكاهن الأعظم في عبادة ملوك البطالمة.

Strabo, XIV 684, 6. 5

Cf. Ahmed Etman, "Foreigners in Greek Tragedy". Proceedings of the XIIth Congress of the International Comparative Literature Association, Munich 1988 (Published 1990) Vol. 2 pp. 546-552.

ولقد ازدهر النحت في قبرص الهيللنيسية - البطلمية وعمل بعض النحاتين القبارصة في دلفي ، نذكر منهم كالليكليس Kallikles وهستيايوس Histiaios وهما من سلاميس ، وبعضهم عاش في ليندوس برودس ، وكان الطراز السكندري والبرجاميني هما الشائعان آنذاك بعد أن توارت الطرز الأثينية ، ومن أفضل أعمال النحت القبرصية التمثال الرخامي لأرقيس من كيتيون ويعود للقرن الثاني ق.م. وهناك رأس امرأة من الحجر الجيري من أرسوس Arsos ويذكرنا برؤوس ملكات البطالة (القرن الثالث ق.م.) وهناك إفريز يصور معركة الأمازونات عثر عليه في سولوى ويعود للقرن الرابع ق.م. أما مقابر لارناكا الملكية فهي تقلد مقابر الإسكندرية ، وهي تتم عن ثراء الحياة الدنيا والآخرة أيضاً .

ولعل من المناسب أن نختتم حديثنا عن ثقافة قبرص الهيللينية والهيلينستية بالكلام عن مؤسس المدرسة الرواقية زينون Zeno الذى عاش في كيتيون ٣٣٥-٢٦٣ ق.م. كان أبوه تاجراً ويدعى مناسياس Mnaseas ، وعمل زينون نفسه في بداية حياته بالتجارة وفي سن الثلاثين تحول إلى الفلسفة ، وهناك رواية تقول إنه كان في سفينة تحمل بضاعة من أرجوان فينيقية فتحه إلى أثينا ففرقت على مقربة من بيريه ونجا واستقر في أثينا وكان الأثينيون يلقبونه بالفينيقي وهو الذى أسس المدرسة الرواقية في أثينا حوالي ١٠٣ ق.م. ، لقد بدأ بدراسة فلسفة سقراط عن طريق كتابات كسينوفون ثم إنتقل إلى أنتيستينس الشكاك (الكلبي) فدرس هذه الفلسفة مع الميجاريين ديودوروس وكراتيس ، وكان للأخير التأثير الأكبر على حياته ، بعد ذلك تتلمذ زينون على بوليمون Polemon في الأكاديمية ، وتأثر بكل من ستيلبو Stilpo وكسينوكراتيس Xenokrates .

كان زينون طويل القامة نحيف الجسم شديد سواد الجلد رأسه مائل على كتفه ، وكان يرتدى الأقمشة البسيطة الرخيصة ، ويقع في مأكله بالقليل من الخبز والتين والعسل والقليل من النبيذ . وكان سلوكه سلوك الرجل الوقور ، وتبدو على هيأته سمات الجد والإنقباض ، ولكنه لم يكن يأنف أن يغشى أحيانا مجالس الأُنس والمرح . فإذا سئل في ذلك أجاب بأن طبيعة الزمس المرارة ، فإذا نقع في الماء مدة طاب مساعا ، وكان زينون يؤثر الصمت على الثثرة في حين كان الأثينيون يميلون إلى أسرة الكلام . يروون أن زينون قال في ذلك : "إن لنا لسانا واحدا وأذنين ، لنعلم أننا ينبغي أن ننصت أكثر مما نتكلم" . وكان زينون موجز العبارة ، لم يُعن في كتابته بفصاحة ولا أسلوب ، كان بنشأته يميل إلى السليقة ويحترق التصنع أو التكلف على أن خشونة الطبع وغلظة القول وسط قوم مغرمين بالرشاقة والجمال ، لم يكن ليحولا بين زينون وبين التأثير على مستمعيه أبلغ تأثير . أجمع القدماء على أن زينون كان على خلق عظيم ، وأن حياته على بساطتها كانت دائما قدوة طيبة ومثالا أخلاقيا عاليا . بلغ هذا الحكيم من قوة الإرادة وطول الصبر وضبط النفس والعفة والسيطرة على الهوى مبلغا أدهش معاصريه ، فكان الأثينيون يضربون به المثل قائلين "أضبط لنفسه من زينون!" .

عاش زينون حتى بلغ من العمر ٩٨ سنة . ولما مات رثاه الأثينيون رثاء رسميا ، وأصدر أولو الأمر قرارا أعلنوا فيه أنه يستحق تقدير الوطن لخدماته وحثه الشبية على القضيلة والحكمة؛ ولذلك منحوه تاجا من ذهب وقبرا في مدفن العظماء .

في سن صغيرة كتب "جمهورية الحكماء" (Politeia ton spoudaion)، والتي من بعض الجوانب قدمت التبرير الفكري لفتوحات الاسكندر الأكبر وهذه أى الحكومة العالمية والإخاء بين البشر^(١) . وبذلك قدم زينون النموذج الذى إحتذاه الرومان وغيرهم من مؤسسى الإمبراطوريات فيما بعد . كانت جمهورية زينون الرواقية يوتوبيا أفلاطونية النزعة والنكهة، وإن كان بها مايتناقض مع أفلاطون ومبادئه فهى تركز على المبادئ الكلية والأفكار الأقدم عن "الحياة وفق الطبيعة" التى يحياها الحكميم الرواقى، وهو ماضار يعرف فيما بعد فى روما (ad naturam vivere) . كانت الآلهة عند زينون كائنات كونية وليست أنثروبومورفية هومرية، إنها الشمس والقمر والنجوم . إنها آلهة تعيش فى عالم واحد مع البشر (Cosmopolis) حيث تشاركهم كل شئ . وهنا نلاحظ تأثير الفلك البابيلونى على زينون . وهذه المبادئ الرواقية تجسد القانون الطبيعى الإلهى والعدالة الكونية، التى جاءت إستجابة أخلاقية للفرد اليائس والمغرب بعد فقدان نظام دولة - المدينة Polis وطغيان القوى الكبرى والضاغطة على الكيانات الصغرى وفى مقدمتها الفرد . فى تلك الظروف لم يعد من هادٍ للبشرية فى هذه المناهة الحديثة سوى اللجوء للمنطق، الحب، الحرية، الوئام وماشابه ذلك . وجمهورية زينون يحكمها الحكماء الممتازون Spoudaioi ويتبعهم الباقون ويعتمدون عليهم . وإن كان بوسع أى واحد من هؤلاء الأفراد العاديين أن يصعد إلى قمة الحكمة مثل هؤلاء الحكماء بالتدريب والتمرين والمشاركة وبممارسة الفضيلة أيضا = فالسعى فى حد ذاته إلى الفضيلة فضيلة .

ولقد ضرب زينون نفسه القدوة التى تحتذى لأنه عاش زاهداً يواصل الليل بالنهار فى دراساته وتأملاته التى إعتبرها رسالة سماوية كلف بأدائها . ولقد ورد عند ديوجينيس لائرتيوس هذه الأبيات فى وصف زينون

Τὸν δ' οὐτ' ἀρ' χειμῶν κρυσεῖς, οὐκ ὀμβρὸς ἀπειρῶν.
Οὐ φλοῆς ἡελίοιο δαμαῖται, οὐ νοσὸς αἰνῆ,
Οὐχ' ὥς τις δήμου ἐναριθμῖος, ἀλλ' οὔ' ἀτειρῆς
'Αμφὶ διδασκαλίῃ τεταται νυκτὰς τε καὶ ἡμᾶρ.

لا يبرد الشتاء القارس ولا وابل السيل النهمر على الدوام
ولا شملة الشمس القاتظة ولا المرض العضال
لا شئ يقهره أو ينال من قواه
بل إن جمهرة الناس بلا عدد ودون أن يتفد لها دأب
تزحف إليه وتلتف حول درسه ليبل لهار^(٢)

Plut. Alex. 27.

Diog. Laert., VII. 27

[Greek] Ahmed Etman, pp. 221, 222, 257, 282, 286.

[Greek] Sarros (Kypriakai Spoudai), pp. 64-77.

[Greek] IEE Vol. E pp. 291-301.

[Greek] Hatzioannou, Vol. ٢ pp. 87-135.

وعن شذرات زينون راجع:

I.Ab Arnim. Stoicorum veterum fragmenta. collegit Ioannes ab Arnim. Stutgardiac, Teubneri 1964.

(١)

(٢) وأنظر

ومن بين أتباع زيتون لامفر من الإشارة إلى برسيوس Perseus من كيتيون، فهو من أفضل تلاميذه . وكان قد أرسله إلى أنتيجونوس جوناتاس Antigonos Gonatas (٣٢٠-٢٣٩ ق.م.) ملك مقدونيا لكي يقوم على تعليم ابنه وتثقيف شعبه . هذا في قبرص أما خارجها فكان أتباع الرواقية من الكثرة بحيث لا يمكن حصرهم هنا . ونشير فقط إلى بعضهم مثل أمبراطور روما ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م) . وكان ديموناكس Demonax (القرن الثاني الميلادي) من أشهر القبارصة الرواقيين وكان صديقاً لإبيكتيوس Epictetus (٥٠-١٣٨م)، وكان أخياً و साथراً كان فيلسوفاً كليياً بالأساس وكتب لوكيانوس سيرته . ومع أنه كان من أسرة ثرية إلا أنه فضل العيش في زهد . هذا مع أنه تجنب مغالاة بعض الرواقيين إلا أنه صام وامتنع عن الطعام حتى الموت وهو في سن المائة تقريباً . أما عبارته "محظوظ ذلك الذي لا يخاف ولا يأمل" فلربما كانت مصدر النقش الموجود على قبر كازانتراكيس في هيراكليون بكريت "لا أخاف شيئاً لا أمل في شيء إنى حر" (١) .

وراجع: عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٧١ . هذا وقد نسبت إلى زيتون العناوين التالية:

Πολιτεια	"الجمهورية"
Περι του κατα φυσιν βιου.	"في العيش وفق الطبيعة"
Περι ορμης η Περι ανθρωπου φυσεως	"في الانطلاق أو في طبيعة الإنسان"
Περι παθων. =	"في الانفعالات" =
Περι του καθηκοντος.	في المسؤولية
Περι νομου.	"في القانون"
Περι της ελληνικης παιδειας.	"في التربية اليونانية"
Περι οψεως	"في البصر"
Περι του ολου.	"في الكل"
Περι σημειων.	"في العلامات"
Πυθαγορικά	"فيثاغوريات"
Καθολικά.	"الكليات"
Περι λεξεων.	"في الكلمات"
Προβλημάτων ομηρικων πεντε.	"خمس من المشكلات الهومرية"
Περι ποιητικης ακροασεως	"في شاعرية الاستماع"
Τεχνικαι λυσεις	"حلول تقنية"
Ελεγχοι δυο	"استجوابان"
Απομνημονευματα.	"مذكرات"
Κρατητος ηθικα.	"أخلاقيات كراتيس"
Διατριβαι.	"بحوث"
Περι ερωτικης τεχνης.	"في فن الهوى"

(١) راجع أحمد عثمان، "كازانتراكيس سارق النار المسافر في عالم الخلود". المجمع الثقافي أبوظبى (أكتوبر ١٩٩٤م)



شكل رقم (٣٢) . رسود من كسون (٣٣٤-٢٦٢ ق.م) مؤسس المدرسة الرواقية. تركزت آراؤه الفلسفيه حول محور الاخلاق. ولكن الشدرا ب الشقيه من اعماله تمت انه وضع أيضا اسس المطق والطبيعة لاتناغ المدرسه الرواقية. ويقوم جوهر فلسفته على أن الفصله تمتع بالاكثفاء الذاتى ولا تتناح إلى أى شئ آخر خارج نطاقها. لاقت الرواقية شيوعا طاعبا فى العالم الإغريقى والرومانى، ولها تأثيراتها المستمرة إلى يومنا هذا هذا التمثال الحاسى الصفى يعود للقرن الثانى بعد الميلاد. وهو محتوط بالمتحف القومى فى نابلى.

ومن أتباع الرواقية كذلك فيلو لاوس Philolaus من كيتيون (القرن الأول الميلادي). وأريستو ديموس Aristodemos القبرصي كذلك (القرن الأول- الثاني الميلاديين)

أما سينيكا الفيلسوف الشاعر الروماني (٤ ق.م-٦٥م)، فهو الشخصية الثانية من حيث الأهمية بعد زينون في سجل المدرسة الرواقية ويقول عن مؤسسها القبرصي

Nos certe sumus qui dicimus et Zenonem et Chrysippum maiora egisse, quam si duxissent exercitus, gessissent honores, leges tulissent. Quas non uni civitati, sed toti humano generi tulerunt. Quid est ergo, quare tale otium non conveniat viro bono, per quod futura saecula ordinet nec apud paucos contionetur, sed apud omnis omnium gentium homines, quique sunt quique erunt? Ad summam quaero, an ex praeceptis suis vixerint Cleanthes et Chrysippus et Zenon. Non¹ dubie respondebis sic illos vixisse, quemadmodum dixerant esse vivendum.

"نحن بالفعل الذين نقول إن كلاً من زينون وخرسيبوس حققاً إنجازات أكبر مما لو كانا قد قادا الجيوش أو تقلدا المناصب أو سنّا التشريعات. لأن السنة التي سنّاها لم تكن لدولة ما بعينها، وإنما للبشرية أجمعين. ولذا فلماذا لا يكون وقت الفراغ ملائماً للرجل الفاضل، فمن خلاله يستطيع أن يهيمن على الأجيال القادمة ويوجهها ويخاطب ليس فقط القلة المحدودة حوله بل أيضاً كل البشر في سائر الأمم الموجودة الآن والتي ستأتي من بعد ؟ باختصار شديد أسألك: هل عاش كل من كليانثيس وخرسيبوس وزينون وفق التعاليم التي نادوا بها ؟ وبدون شك ستجيب أنه بالفعل عاشوا على النهج الذي قالوا إنه من الواجب إتباعه في الحياة".

وورد عند سينيكا أيضاً مايلي:

Unum fuisse Homero servum, tres Platoni, nullum Zenoni, a quo coepit Stoicorum rigida ac virilis sapientia, satis constat.

"من الشائع أن هوميروس لم يملك سوى عبد واحد، وكان لأفلاطون ثلاثة، أما زينون مؤسس المدرسة الرواقية الصارمة والرجولية فلم يكن لديه ولا عبد واحد"^(١)

ويركز الدكتور عثمان أمين على تأثير زينون في الفلاسفة العرب والمسلمين ويشير إلى محفظه الشهرستان من حكم وأمثال كثيرة منسوبة للزينون. فقد ذكر الشهرستاني حكما كثيرة أثرت عن زينون، وهي تلائم ما نعرفه من أخلاقه ... ونورد هنا بعضها: رأى زينون فتى على شاطئ البحر محزونا يتلهف على الدنيا، فقال له: "يا فتى، ما يلهفك على الدنيا؟ لو كنت في غاية الغنى، وأنت راكب في لجة البحر، قد إنكسرت السفينة وأشرفت على الغرق، كانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما في يدك؟" قال: نعم؛ قال "لو كنت ملكا على الدنيا، وأحاط بك من يريد قتلك، كان مرادك النجاة من يده؟" قال: نعم؛ قال: "فأنت الغنى وأنت الملك الآن" • وقيل لزينون "أى الملوك أفضل: ملك اليونانيين أم ملك الفرس؟" قال: "من ملك شهوته وغضبه" • ونعى إليه ابنه فقال: "ما ذهب ذلك على • إنما ولدت ولدا يموت وما ولدت ولدا لا يموت ا" • وقيل له ومان لا يقتنى إلا قوت يومه: "إن الملك ييغضك" فقال: "وكيف يجب الملك من هو أغنى منه؟"^(١) .

^(١) عثمان أمين، سبقت الإشارة إليه، ص

٨- قبرص الرومانية

في معركة أكتيوم ٣١ ق.م. هزمت كليوباترا السابعة وانتحرت بعد ذلك مع عشيقها وحليفها وزوجها أنطونيوس، وتحولت مصر إلى ولاية رومانية Provincia. وسرى نفس الشيء على قبرص والتي كانت مثل مصر خاضعة للنفوذ الروماني قبل ذلك بوقت طويل. ومن الحكام الرومان الذين باشروا بعض المسئوليات في قبرص قبل ضمها إلى الممتلكات الرومانية رسمياً: كورنيليوس إذ كان قنصلاً وحاكماً على كيليكية وفي عام ٥٣ ق.م. تلقى تحية القائد المنتصر imperator وكان معادياً ليولويس قيصر وأعدم بعد موقعة فرسالوس ٤٨ ق.م. ليتولوس سبنثر P. Cornelius Lentulus Spinther فمكث في قبرص من ٥٦-٥٣ ق.م. وآيبوس كلاديوس بولكر Appius Claudius Pulcher وكان قنصلاً ثم حاكماً على كيليكية ووصل إلى منصب الرقيب Censor ومات عام ٤٨ ق.م. وأقام في قبرص من ٥٣-٥١ ق.م. وشيشرون M. Tullius Cicero أشهر رجالات عصره في الأدب والسياسة وهو الذي جاء قبرص ٥١-٥٠ ق.م. ثم جايوس كويليوس C. Coelius (٥٠ ق.م.).

وبعد أن أصبحت قبرص ولاية رومانية، وفي التنظيم الإداري الذي أدخله الامبراطور أوغسطس وقسم الولايات بينه وبين مجلس الشيوخ عام ٢٧ ق.م. جاءت قبرص - مع كيليكية - من بين الولايات التابعة لأوغسطس - مثل مصر - ولكنها بعد عام ٢٢ ق.م. ضمت إلى الولايات التابعة لمجلس الشيوخ.

وإذا عدنا إلى شيشرون وكتاباتة عن قبرص سنجد أن هذا المفكر والسياسي قد حاول أثناء حكمه في الجزيرة أن يصلح ما أفسده سابقوه، وأن يحارب الإستغلال والابتزاز، لاسيما ما تم على يد كل من سكابتوس M. Scaptius وماتينيوس P. Matinius وهما من أتباع وأعوان ماركوس بروتوس M. Brutus وهذا مايدكرنا بما فعله شيشرون في صقلية وخطبه ضد فيريس، وحتى كاتو الأوتيكي (الأصغر) إستغل زيارته لقبرص مع بروتوس لكي يبنى علاقة إستثمار مالي وتجاري مربحة هناك، وبعد عودته إلى روما ٥٦ ق.م. حصل بروتوس على قرض كبير لصالح أهل سلاميس القبرصية ضد قانون جابينيوس الذي يحرم الديون على الأجانب في روما. المهم أنه في رحلة لاحقة لشيشرون في قبرص إستطاع أن يخلص الجزيرة من شرور سكابتوس "ذلك الرجل الذي كان وجوده يؤذى ذلك الشعب اللطيف أى القبارصة"، إستطاع شيشرون أن يطرده وأن يخفف نسبة الأرباح على الديون، وشيشرون هو الذي أوصى جايوس سكستيليوس روفوس C. Sextilius Rufus - أول حاكم مالي quaestor في قبرص - أن يعامل أهل الجزيرة بالحنسنى وأن يولى عناية خاصة بمدينة بافوس، أسدى شيشرون تلك النصيحة له وهو في طريقه^(١) لتسلم عمله في قبرص وحثه على إلزام المبادئ وإدخال الإصلاحات.

أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبي، الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٩٥، في أماكن متفرقة.

قيعت قبرص ثلاثة قرون في ظل الحكم الروماني في هدوء وسكينة رغم حدوث بعض الازدهار في بعض الفترات ، إعتبرت قبرص مجرد أرض مفتوحة وأهلها "أعداءً مستسلمين" تحولوا إلى "دافعي الضرائب أو الجزية" . لم تمنح أية مدينة قبرصية حقوق المواطنة الرومانية Civitas وكان أعضاء المجالس النيابية boulai يعينون من بين الموظفين العموميين السابقين ولمدى الحياة . والذي يعينهم هو الرقيب الروماني Censor ، ويرأسها الحاكم archon المنتخب سنوياً من بين الأعضاء . وفي الواقع كان هذا المنصب يشغله إثنان طبقاً لثانية المناصب ، وهو نموذج روماني إستمر حتى العصور البيزنطية . كان يعاون هذين الحاكمين حاكمان ماليان quaestores ومراقبان على الشئون العامة aediles = agoranomoi . وكان في سلاميس مجلس شيوخ (gerousia senatus =) . ولدينا الآن قائمة بـ ٥٩ بروقنصل Proconsul عملوا في قبرص ، إبتداءً من ٥٨ ق.م. إلى أوائل القرن الثالث الميلادي . وتمتع البروقنصل في قبرص بمسؤوليات واسعة ، شملت الشئون القضائية "وحق السيف" ius gladii أى وحق الإعدام . وكانوا بمثابة مبعوثين من قبل مجلس الشيوخ الروماني والامبراطور . وهذا المبعوث - البروقنصل كان يختار من طبقة مجلس الشيوخ ، أما مساعدوهم مثل الحكام الماليين quaestores والنواب أو المندوبون legati فكانوا يحلون محل البروقنصل أحياناً . ونعرف أسماء ثمانية من المندوبين و ١٤ من الحكام الماليين الذين عملوا في قبرص .

وبزيادة سلطات الامبراطور على حساب مهام مجلس الشيوخ عين مراقب عام أو مندوب سامي procurator على قبرص . وكان أول من تقلد هذا المنصب ستاتيليوس أبوللينياريوس Statilius T. Apollinarius الذي شملت مسؤولياته بيسيديا Pisia وكيليكيا وبامقيليا وقبرص . ومن تقلدوا هذا المنصب هو جلاوكوس Fl Glaucus بروقنصل قبرص حوالي ١٨٠-٢٢٠ م . وكان باتروكلوس Patrocles بن بوئثوس (Boethos) ممن شغلوا هذا المنصب في عصر هادريان (١١٧-١٣٨ م) . ويبدو أنه لم يتمتع إلا ببعض المهام المحلية فيما يتصل بالجمناسيون في سلاميس والأرض العامة ager publicus في هذه المدينة ، حيث كانت ممتلكات نيكوكريون قد صودرت على يد البطالة ، ثم على يد الرومان مرة أخرى . فوزعت على قدامى المحاربين وواضعى اليد والمشتريين . وكان هناك أيضاً "مراقب" على المعادن مثل مناجم النحاس في سولوى ، وكان المراقب هناك هو الذى سمح لجالنيوس طبيب الاسكندرية الأشهر عام ١٦٦ م بزيارتها .

وبصفة عامة يمكن القول بأن قبرص تحت الحكم الروماني ظلت محتفظة بطابعها الإغريقي القديم ، بما في ذلك الأسماء والمدن الإثنى عشر التى قسمت إليها الجزيرة منذ القدم ، والحياة الريفية القائمة على الممتلكات الزراعية الصغيرة . وهذا الموقف الروماني من قبرص الإغريقية يتواءم مع موقفهم العام تجاه الحضارة الإغريقية التى حظيت لديهم بكل إحترام وتبجيل . وفي قبرص الرومانية تشكلت الطبقة الوسطى من المجتمع القيرصى البسيط ، أى من المزارعين وأصحاب الممتلكات الزراعية الصغيرة "وبروليتاريا" المدن ، ولاسيما في سلاميس ، وأصحاب المقاولات في قرى المناجم ، والخزافون في الريف . وأسفل هذه الطبقة يوجد عدد غفير من العبيد الذين كانوا يعملون في المناجم ، وبعضهم جمع الثروات واشترى نفسه وحرية وصار من العتقاء الأغنياء .

ووائمت الأوليغاركية القيرصية أى القلة الحاكمة نفسها مع نظام الحكم الروماني ، وهذا مانلمسه في قسم الولاء لتييريوس عند صعوده للعرش ١٤ م . وعثر على نص هذا القسم على نقش بالقرب من باليوبافوس ،

وجاء فيه "نقسم ياهتنا أفروديتى عند رأس البر، علدراؤنا، وإهنا أبوللو هيلاتيس وإهنا أبوللو من كيرنيا، وآهتنا المنقذة ديو سكوروى، والموقد العام Hestia للجزيرة كلها. نقسم فى المجلس النيابى وبآلهة وإهنا آباءنا آلهة، كل الجزيرة، وبسبيل أفروديتى (فينوس) قيصر أوغسطس، وبروما الخالدة، وبآلهة والإهنا الآخريين. نقسم نحن أنفسنا وأبنائنا أن نخلص الولاء لتييريوس قيصر أوغسطس، وأن نعبده. . . وأن يكون أصدقاؤنا وأعداؤنا هم أصدقاؤه وأعداؤه. . . وأن نخلص الولاء لأبنائه من دمه، ولهم وحدهم مع الآلهة الآخريين" (١).

ومع أن أوغسطس فى حياته رفض التأليه، إلا أن القبارصة مثل بقية سكان ولايات الشرق قد عبده بالفعل كما سبق لهم أن عبدوا الملوك البطالة، الذين هم بدورهم كانوا قد رستخوا هذا التقليد الشرقى، أى عبادة الحاكم (٢). ومن ثم نجد فى قبرص "أغسطس زيوس قيصر" Augustus Zeus Caesar وليفا "الإلهة أفروديتى الجديدة" Livia thea nea Aphrodite. معبد الامبراطور تريانوس على أنه "أبوللو قيصر" Apollo Caesar فى معبد أبوللو هيلاتيس فى كوريون.

لقد جرت محاولات "ترويم" قبرص، وهذا ماتدل عليه الإكتشافات الأثرية الحديثة فى كاتو بافوس، حيث عثر على قصر روماني زينت أرضه بقسيفساء تستقى مشاهدتها من أسطورة ليدا وديونيوسوس ومارسياس. وفى كاتو بافوس أيضاً تم إكتشاف "بيت هرقل" الذى يعود للقرن الثانى الميلادى وتزين أرضه فسيفساء رائعة الجمال. ومن مظاهر الترويم إعادة بناء مسرح كوريون عام ٢٠٠م وإقامة مسرح دائرى Amphitheatron فى سلاميس لمبارزات المجلدين gladiatores. وفى سلاميس أيضاً وفى القرن الثالث الميلادى أعيد بناء المسرح، الذى كان قد بناه بانكليس فيرانيانوس Pances Veranianus إبان القرن الأول الميلادى، لتقدم فيه المعارك البحرية وليسع خمسة عشر ألف متفرج. ولقد تلقى سيرفيوس سوليكيوس بانكليس تكريمات خاصة فى قبرص بفضل إقامته لمسرح ومسرح دائرى وحمام روماني فى سلاميس. وظهرت هذه التكرعات على نقوش قبرصية كثيرة. لقد كان بانكليس راعية للفنون والآداب والمسابقات المسرحية، كما كان رئيس الجمناسيون وحكماً فى المباريات agonotheses طوال عمره. ومنح هبات دائمة لتوفير زيت الزيتون للجمناسيون والألعاب والمهرجانات، وأقام أصدقاؤه التماثيل تخليداً لذكراه.

كان نيكولاس اغب لقيصر Philocaesar فى كارباسيا عام ٤٦/٤٧م هو الكاهن الأعظم المشرف على تأليه الأباطرة tes Athanasias ton Sebaston. وفى كيتى Kiti حمل تييريوس كلاوديوس نيكوبولينوس هيبارخوس Ti Claudius Nicopolinus Hipparchos لقب الكاهن الأعظم للأباطرة ومجلس الشيوخ المقدس طوال عمره. وتمتع تييريوس كلاوديوس مناسياس Mnasiaeas بلقب الكاهن الأعظم للأباطرة وروما أواسط القرن الأول الميلادى.

وعلى نقبض ماحدث فى آسيا - أى إختفاء عبادة روما بعد ظهور عبادة الأباطرة - ظلت هذه العبادة موجودة ومقترنة بعبادة الأباطرة حتى أواخر القرن الأول الميلادى. ولدينا قرائن على ذلك من كوريون

RS L (1960) pp. 75-76

(١) أنظر

(٢) أحمد عثمان، الأدب اللاتينى، ودوره الحضارى، العصر القضى، الطبعة الأولى، أيجينوس ١٩٩٠ ص ٦٩-٩١.

وكتيون وسلاميس . وفي باليوبافوس توجد عائلتان مسيطرتان على العبادة والحياة الدينية لعدة أجيال . ففي عام ١٥/١٤م خدم تيبيريوس كلاوديوس رودوكليس Rhodocles بن رودوكليس بوصفه الكاهن الأعظم بقصر كلها في عبادة الإله أوغسطس قيصر . وفي عام ١٩/١٨م كان نفس الرجل - بإسم ستاسيكراتيس Stasikrates - هو الحكم في المباريات agonothes . أما كلاوديا رودوكليا أفاريون Claudia Appharion Rhodocleia فقد جمعت في شخصها بين العائلتين رودوكليس وتيوكروس . وكانت كلاوديا أوميدوس بانتاوخوس C. Ummidius Pantauchus الكاهنة الأعظم لدييتر في قصر كلها تحت حكم كلاوديوس (٤١-٥٤م) ونرون (٥٦-٦٨م) ودوميتيانوس (٨١-٩٦م) . وفي عام ٣٥م كان أمينتور Amyntor من بافوس الكاهن الأعظم مدى الحياة لسلامة عائلة أوغسطس بوصفه خليفة بلوس Plous الفيلسوف الكاهن الأعظم مدى الحياة للإله الامبراطور قيصر أوغسطس، الذي تم الاحتفال بانتصاره في اكتوبر ٣١ق.م. بإقامة مباريات رياضية وسباق خيول في لايتوس .

وفي بافوس ١٨م أنشئت دورة رياضية مقدسة تعقد كل خمس سنوات، وهي قيرصية قومية أى لكل القبارصة وتكريماً لجرمانيكوس ابن أخ الامبراطور تيبيريوس أى نرون كلاوديوس دروسرس جرمانيكوس . وأقيمت ألعاب أخرى للإمبراطور نرون (٥٤-٦٨م) في نهاية حكمه . ولو أننا لا نعرف الإله الذي أقيمت من أجله هذه الألعاب التي كانت تقام كل خمس سنوات في كتيون من منتصف القرن الأول الميلادي . وأهدت نيابافوس معبداً فيما بين ١٩٦ و ١٩٨م إلى سيفيروس S. Severus (١٩٣-٢١١م) وكراكللا (٢١١-٢١٣م) . ويبدو أن عبادة يوليا أوغسطا Julia Augusta أى ليفيا في كتيون كانت عبادة رسمية . إذ وصل إلينا تمثال لها مع بعض الشذرات من كوريون . وفي المدينة الأخيرة هناك معبد لأبوللو هيلاتيس يعود إلى ٦٥/٦٦م أى في حكم نرون، الذي كان من أشد المجذوبين لهذا الإله وموسيقاه . وفي عام ٦٤/٦٥م وعن طريق مبعوثه كوينتوس يوليوس كوردوس البروقنصل أعيد بناء مسرح هذه المدينة الذي بنى فيها أيضاً معبد للعرائس Nymphaeum أوائل القرن الأول الميلادي . وربما أعيد بناؤه في عصر ترايانوس (٩٨-١١٧م) بعد الزلزال المدمر الذي أتى عليه ٧٦م . وهناك نقش يقول نصه مامعناه:

"بناء الكاهن الأعظم الأمبراطور"، وقد يشير هذا النقص إلى ترايانوس نفسه . أما المرحلة الثالثة في المعبد فتعود للقرن الثالث الميلادي، وتشمل قاعة كبيرة بأرضية هندسية ملونة . وبعد التدمير الناجم عن زلزال ٣٧٠م ثم إعادة بنائه على أسس جديدة مما يشكل علامة واضحة على بداية العصر المسيحي الصافي ٤١٠م . ويمتد هذا العصر حتى ٦٥٠م . وتعود السوق الرومانية Forum في كوريون إلى عصر أسرة سيفيروس (١٩٣-٢٣٥م)، ودمرت في زلزال ٣٧٠م وأعيد بناؤها على هيئة بازيليك مسيحية مبكرة.^(١)

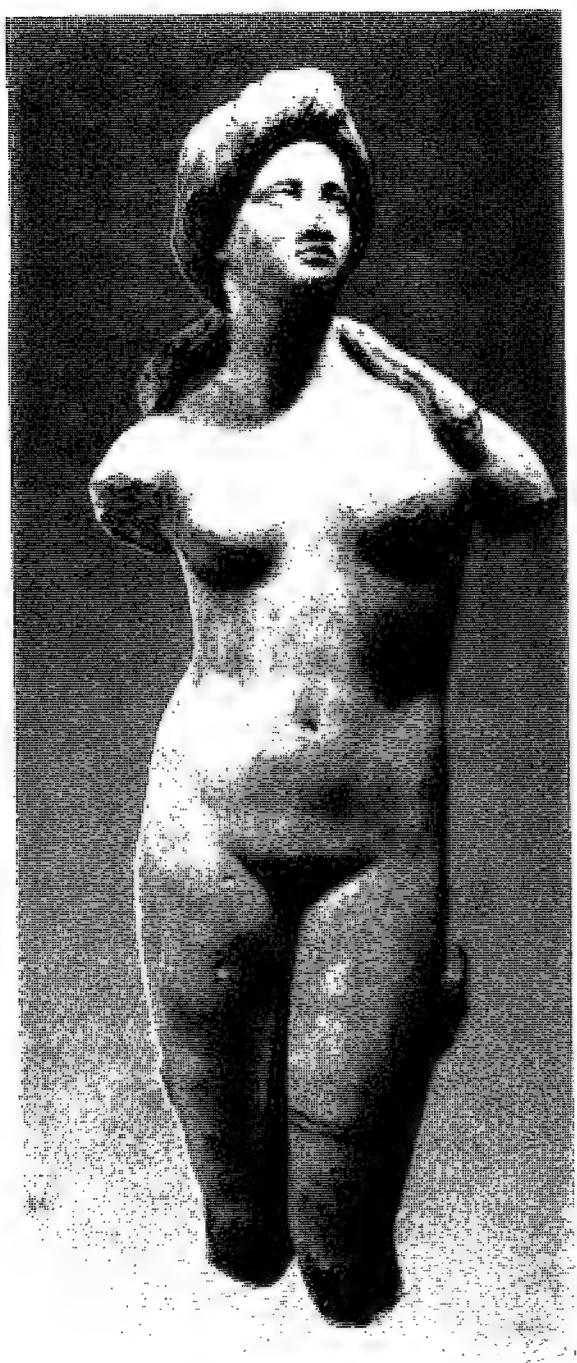
وفي العصر الروماني ظلت اللغة الإغريقية هي اللغة الرسمية في قبرص حتى إن البروقنصل كان يصدر قراراته بالإغريقية . وكذلك صدرت كل الوثائق الرسمية القانونية والمخطوطة في سجلات المسند (bibliophylakia) . حتى نقوش الأباطرة كانت باللغة الإغريقية مثل النقش الموجود على مذبح أهسده

الامبراطور تيتوس (٧٩-٨١م) ودوميتيانوس (٨١-٩٦م) إلى الإلهة أفروديتى البافية. بيد أن اللغة اللاتينية كانت تستخدم في علامات الطرق أثناء بنائها. كما ظهرت علامات مزدوجة اللغة من القرن الثاني والثالث الميلاديين، وحتى حكم قنسطنطين الأكبر (٣٠٦-٣٣٧م)، الذى فرض اللاتينية فى كل الوثائق الرسمية. وكانت هذه اللغة تستخدم قبل عصره فى قبرص فى شواهد القبور التى بنيت للجنود الرومان. واستخدمت كذلك فى الإهداءات التى قدمها المواطنون الرومان والرسيمون المقيمون فى مدن مثل باليابافوس ونيابافوس وسلاميس. ووجدت اللاتينية أيضاً على قواعد التماثيل المهداة من القبارصة إلى الأباطرة والمبانى العامة التى مول بناءها الأباطرة، مثل مسرح نيرون فى كوربون، وإن كانت اللغتان تتجاوران فى مثل هذه الحالات غالباً، ويقال إن الحى القومى القبرصى الإغريقى قد نما فى العصر الرومانى، فتم إحياء اتحاد القبارصة Koinon Kyprian حولى ٢٩/٣٠ ق.م. وكان الهدف المعلن من إحيائه هو تقديم النشاء للحاكم (الأرخون) فى سلاميس وهو موسخوس (Moschos) بن موسخوس. وبعد ذلك لوحظ أن رعاة هذه الجماعة أغدقوا الهدايا على الجزيرة كلها. على سبيل المثال كان باتروكليلس وأبوللونيا من بافوس (أوائل القرن الثانى الميلادى (مؤسسى معبد الحظ Tychaeon، وكانت الكهنة مدى الحياة للربة Fortuna. وفى العام ١٩م. هنا أعضاء اتحاد القبارصة رودوكليس البافى -الكاهن الأعظم سابقاً فى الاقاليم لعبادة أغسطس - على أنه خدم حكماً للمباريات، agonothetes فى أول دورة ألعاب قومية قبرصية تقام فى الجزيرة تكريماً لنيرون كلاوديوس دروسوس جرمانيكوس (أخو الامبراطور تيبيريوس ١٤-٣٧م). وعقدت هذه الدورة للألعاب القبرصية القومية فى العاصمة بافوس، وارتبطت بفكرة الولاء لروما. وهكذا يمكن القول بأن الحكم الرومانى دعم وحدة الجزيرة سياسياً وثقافياً. ويتجسد ذلك فى التمثال الذى أقيم للإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٧م) فى أثينا عام ١٣٨م. فاللذان أقاماهما هما مبعوثان، أحدهما هو جايوس يوليوس روفوس C. Iulius Rufus من أسرة بافية عريقة. والثانى هو كلياجينيس Kleagenes بن كلياجينيس، وهو رياضى بارز من سلاميس. وقامت اتحاد القبارصة بوظيفة أخرى ساهمت فى وحدة الجزيرة، وهى الإشراف على سك النقود لاسيما فى بافوس وتحمل هذه العملة النقش "اتحاد القبارصة Koinon Kyprian داخل إكليل الغار، فهى تحتفى بألعاب ومهرجانات الجزيرة".

وفى نقش من أوائل القرن الثالث الميلادى عثر عليه فى لايتشوس نعلم أن ليونتيوخوس Leontichus المواطن الرومانى كان فاعل خير للمدنية، فهو والد قنصل الجزيرة كلاوديوس ليونتيوخوس الإللىرى Illyrius (أواسط القرن الثالث الميلادى)، وأعاد بناء أسوار لايتشوس وبنى تحصينات فاليريان فى أثينا لصد الغزاة من القوط ٢٣٥م. وشغل منصب البروقنصل فى آخايا تحصينات. إنه يمثل حالة نادرة لقبرصى قح يحظى بمثل هذا الشرف والمناصب الرفيعة فى الامبراطورية الرومانية.



شكل رقم (١٣): شامة قبرصية من العصر الروماني عليها عبارة "إتحاد المارضة" "Κοινον Κυπριων".



شكل رقم (٣٤) : تمثال من المرمر لافروديسى. عثر عليه فى سولوى ويؤرخ بالقرن الأول ق.م.



شكل رقم (٣٥): إله الحب إيروس يمتطي ظهر كبش. ويعكس هذا التمثال الرشاقة والطبيعة . وداعت مثل هذه التماثيل في
فرض حيث أن عبادة أفروديتي تتواءم مع هذا الجلو الرعوى السائد في الجزيرة.



شكل رقم (٣٦) : إيروس ناسا، تمثال من الرمر عثر عليه في نابرس. ويعود للقرن الأول الميلادى. ومحتوط بمتحف فيرس



شكل رقم (٣٧) تمثال من الحجر الجيري لشاب رياضي يتاهب لقفز الكرة. عثر عليه في حلبة معبد أبوللو في كورينث ويعد للعصر الروماني. وهو محفوظ بمتحف فيرس



شكل رقم (٣٨): إباء عثر عليه في ماريون ويصور إيروس لاعبا رياضيًا. فهو تاهب للقفز. محفوظ في متحف بيرس

وفى قبرص الرومانية تآلق باكخيوس Bacchius من تريفون Tryphon من بافوس، وهو مدرس أفلاطونى قام بتعليم ماركوس أوريليوس. وهناك ديميتريوس من سلاميس الرياضى الشهير فى أوائل القرن الثالث الميلادى، والذى فاز بالجائزة الأولى فى الألعاب التى نظمت فى كل من أنازاربوس Anazarbus وطرسوس Tarsus وأنطاكية وأزمير، بالإضافة إلى إنجازاته الرياضية فى سلاميس نفسها مسقط رأسه. وهناك موسيقيان قبرصيان من ذوى الصيت والشهرة العالمية. وهما يوفيموس Euphemus عازف الفلوت المنفرد Pythaules والجماعى Choraules. والثانى هو أيليوس آليانوس P. Aelius Aelianus من سلاميس وهو عازف فلوت منفرد. ذاع صيته عندما عزف فى روما ونابلى ونيكوبوليس وأزمير وأثينا ونيميا وأرجوس. وعاش فى قبرص منذ نهاية القرن الأول الميلادى وأواسط القرن الثانى الميلادى ديموناكتاس Demonaktas القبرصى وإن كان لوكيانوس لم يذكر بالضبط مسقط رأسه إلا أنه أخبرنا بأن ديموناكتاس الفيلسوف القبرصى سقراط وديوجينيس الكلبي وأريستيو من المدرسة القورينية (الرواقية).

وتتم المباني العامة والخاصة فى نيبافوس عن شيوع ذوق فنى رفيع وثراء واضح فى قبرص الرومانية. إذ نلاحظ ذلك فى الأوديون والسوق العامة ومعبد أسكليوس والمسرح وعدد من الفيلات الرومانية التى زينت أرضيتها بفسيفساء متعددة الألوان، والتى تصور بعض المشاهد من الأساطير الإغريقية. وفى "دار ديوليسوس" ذى العشرين قاعة تصطف حول فناءين وتزينه فسيفساء مأخوذة من حياة ديونيسوس الأسطورية. وربما كان هذا المبنى الفخم هو البرايكتوريوم Praetorium أو قصر الحاكم الرومانى فى القرن الثالث الميلادى. ولكنه ظل يستخدم حتى القرن الخامس الميلادى. وفى هذه الفترة تم تصوير مشهد الحمام الأول للطفل أخيليس بطل الأبطال الإغريق فى "اللياذة". وربما تم تجديد هذا المشهد بعد زلزال عام ٣٧٠م الذى أتى على بافوس وكورون.

أقام اليهود فى قبرص، كما أقاموا فى كريت وبلاد الإغريق وآسيا الصغرى وقورنى، منذ أواسط القرن الثانى قبل الميلاد. وكان ذلك بمساعدة روما وحليفها المعادى للهيلينية أى الأسرة الهاسمونية والكاهن المكابى الأعلى لجيروسالم (المقدس). إستغل اليهود النزاعات البطلمية الداخلية واستطاعت الأسرة الإيدومية Idumaeen - نصف اليهودية ونصف البنطية - أن تمزج الهيلينية باليهودية، وأن تضيق الخناق على قبرص، حيث باع أوغسطس عام ١٢ ق.م. إلى هيروود الأكبر إمتياز استغلال مناجم النحاس فى الجزيرة على أن يكون نصف الدخل للإمبراطور^(١). وبرغم أن اليهود لم يكونوا على خلاف مع القبارصة قبل عام ١٦٥م، وبرغم أن قبرص لم تكن ضالعة فى حركة المقاومة المسيحية ضد روما فى مصر وقورنى ٦٦-٧٠م التى حققت بعض النجاح فى بدايتها إلا أنها لم تسلم من عواقبها.

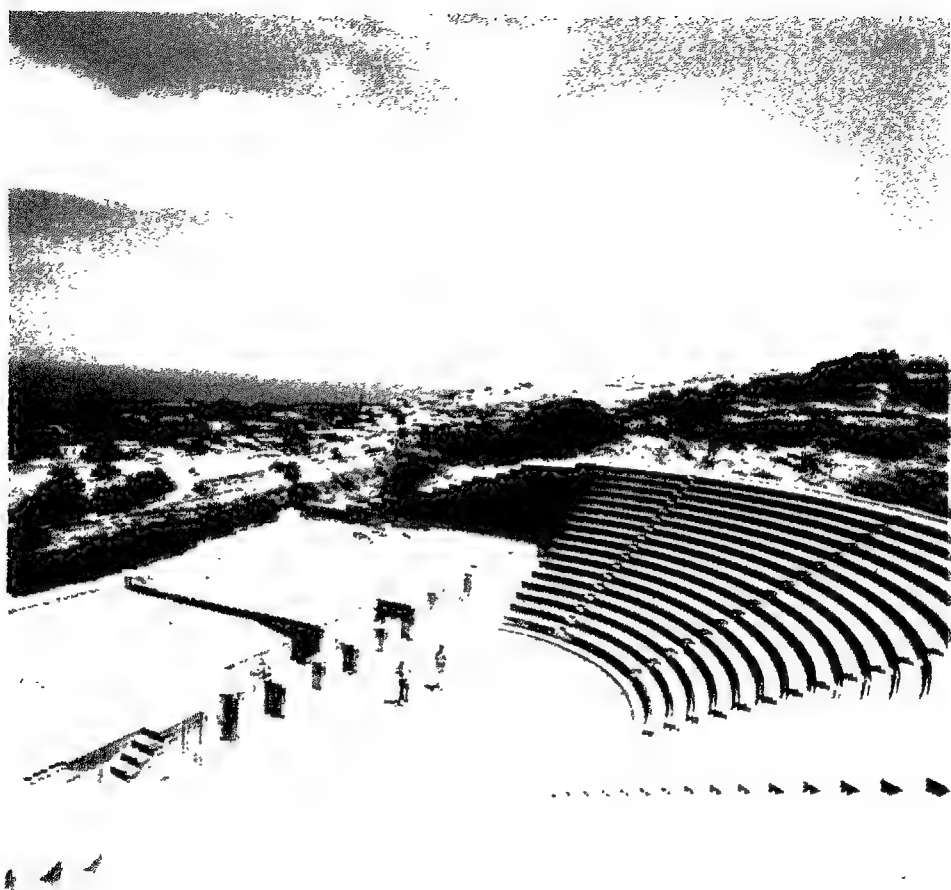
وكانت هناك حركة مماثلة فى بلاد ما بين النهرين وفلسطين، بدأت بالنزاع بين رجل إغريقى وآخر يهودى، وأيد الملك البارثى خسرويس Chosroes هذه الحركة. وطالت حركات التمرد اليهودية فى قبرص فى عصر أرتميون Artemion الكثيرين من الإغريق والرومان ودمروا سلاميس. إنفجر اليهود فى غضب

(١) عن موقف مماثل لليهود مع كليوباترا راجع:

أحمد عثمان، كليوباترا وأنطونيوس، ص ١٧٣-١٧٩.



شكل رقم (٣٩) : المدخل (برويلا) الشرقي للجماسيون في سلاميس، وهو مبنى في العصر الروماني.



شكل رقم (٤٠) : مسرح سولوى المنحوت فى الصخر، والذي إكتشف عام ١٩٢٩م.



شكل رقم (٤١) : مسرح سلايمس بعد ترميمه، وكان قد بنى فى نهاية القرن الأول ق.م. ودمره زلزال وقع فى القرن الرابع الميلادى، وكان يسع خمسة عشر ألف متفرج.



شكل رقم (٤٢) : فسيفساء عثر عليه في حمام Sudatoruim (الساونا) الجنوبي في جيناسيون سلاميس .



شكل رقم (٤٣) . فيفساء من دار ديونيسوس في المنطقة الاثرية في بافوس، وتحكي اسطورة بيراموس وتيسبي.



شكل رقم (٤٤): فسفساء من دار ديونيوس في كانو بافوس، ويعود للقرن الثالث الميلادي. وعكس أسطورة ديوس — ن.
واكبى (= المروقة)

وحشى كما كانوا قد فعلوا في مصر . ومع ذلك فإن الرقم الذى يرد عند ديوكاسيوس^(٢) للضحايا وهو أربعة وعشرون ألفاً ربما يكون مبالغاً . ومع ذلك فهو يدل على ضخامة عدد القتلى فى مدينة مثل سلاميس ذات الكثافة السكانية آنذاك، وكما يستتج من مرفق المياه Aqueduct الذى بناه نيرون هناك . ويشير هذا الرقم كذلك إلى ضخامة عدد اليهود المقيمين فى سلاميس آنذاك . وبلغ من خطورة حركة التمرد اليهودية أن جاء الجيش الإمبرطورى من بارثيا وبانونيا وغيرهما لإخمادها .

إن إعادة بناء الجزء المتهدم من الجمناسيون فى سلاميس على يد تريانوس ١١٦/١١٧م، والتمثال الذى أقيم لهادران فى نفس المدينة ١٣٠م، كل ذلك لابد من ربطه بمساعدة الأباطرة لسلاميس بعد الدمار الذى لحق بها ١١٦/١١٥م . ولقد تشجعت المدينة بهذا الإهتمام الإمبرطورى وطالبت بأن تكون المدينة - الأُم Metropolis لكل قبرص . جاء ذلك فى النقوش التى حفرت على التماثيل المقامة ١٢٣م . وربما كانت زيارة هادران لسلاميس (ولايثوس) هى الدافع لإقامة التماثيل له فى المدينة . لقد كان فى طريقه إلى أنطاكية حيث مكث فيما بين يونية ١٢٩ وريبع ١٣٠م . كان تريانوس قد زار سلاميس أيضاً ١١٣م وهو فى طريقه إلى سوريا والحرب البارثية . ومع ذلك فإن زيارة هذين العاهلين الرومانيين لسلاميس تأتى على النقيض من زيارة تيتوس ٦٩م لبافوس، وهو أيضاً فى طريقه إلى سوريا . لقد استولى الأخير على خزانة معبد أفرديتى فى بافوس وتبأ له كاهن المعبد سوسزاتوس بمستقبل عظيم . وربما كان اللقب فلافيا Flavia الذى خُلع على بافوس مكافأة من فسباسيان لسوسزاتوس ونبؤته، والتى ربما ساعدت فى صعود الأسرة للعرش . وكانت بافوس من ناحية قد تعرضت لهزة أرضية عام ٧٧ أو ٧٨م . وتعود علاقة بافوس بالعائلة الإمبراطورية إلى ١٥م عندما أعيد بناؤها تحت اسم أوغسطا Augusta، أى مدينة أوغسطس . وأعيد بناء معبدها الشهي . ويظهر ذلك على العملات التى سكها اتحاد القبارصة فى مقرها الرئيسى بالبافوس، وهو نفس مقر الإمبراطور كاركاسالا (٢١١-٢١٧م) عند قدومه إلى قبرص .

لقد أفادت قبرص من السلام الرومانى Pax Romana . وظهر ذلك بصفة واضحة فى نياپافوس العاصمة منذ القرن الأول قبل الميلاد . وفى صيف ٤٦م وقع أكبر حدث فى تاريخ قبرص، حيث التقى فى نياپافوس كل من القديس بولس Paulus والقديس برنابا Barnabas والقديس مارك ابن أخيه . وثلاثتهم يهود متأغرقون ويعيشون فى الشتات، اجتمعوا مع البروقنصل سيرجيوس باولوس Sergius Paulus وانتهى اجتماعهم بتحول الأخير إلى المسيحية بعد وقوع معجزة القديس بولس التى بها قضى على إعراضات الساحر اليهودى القديس بار جيسوس عليماس Bar Jesus Elymas المتنبئ وصاحب مدرسة للتنبؤ بجوار معبد أفروديتى فى نياپافوس^(٣) .

Dio Cassius, LXVIII, 2, 2-3.

(٢)

C.P.Kyrris, "St. Barnabas and St. Paul in Cyprus" Stasinou, Πρακτ. Α'

(٣)

Παδκουπρ. Συνεδρ. Ελλην. Πολιτ. 21-23 Δεκ. 1973, σ. 97-125. Λευκωσία

هكذا سجلت قبرص أول انتصارات الديانة الجديدة فى الطبقة العليا الحاكمة فى الإمبراطورية الرومانية. حدث ذلك فى نهاية أول بعثة تبشيرية منظمة خارج جيروسام، مما يفتح عصراً جديداً للتبشير بالمسيحية لدى كافة الشعوب. أما السوابق غير المنظمة لدخول المسيحية إلى قبرص فنشير من بينها إلى الموعظة التى ألقاها "التلاميذ" بعد عام ٣٣م بقليل فى قبرص. وفى نفس العام قام بعض المبشرين - من أصول قبرصية - بتعليم المسيحية فى أنطاكية.

لقد بدأ الرسل الثلاثة بيهود قبرص، ثم توسعوا بدعوتهم لتشمل الوثنيين. ورويداً ورويداً انتشرت المسيحية فى قبرص. وكانت الزيارة الثانية التى قام بها برنابا ومارك أكثر فعالية وخصوبة، برغم ردة الفعل الشرسة من قبل اليهود الخليلين، والتى أدت فى النهاية إلى استشهاد برنابا فى سلاميس. وتلك كانت اللبنة الأولى فى بناء الكنيسة الرسولية القبرصية. والتى مع الزمن صارت المؤسسة القومية المعبرة عن المجتمع القبرصى الإغريقى منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا. وهى التى أوجدت همزة الوصل بين العالم المسيحى والعالم الإغريقى. ومن حيث الشكل والمضمون فإن الديانة الجديدة واءمت نفسها مع ما كان سائداً قبلها فى قبرص. ومن ثم نجد توافداً ثقافياً للقومية القبرصية داخل هذه الديانة نفسها، برغم حدوث إنقلاب جذرى عقائدى واكبه صراع عنيف واضطهاد مرير.

ويتجلى الموقف تماماً فى اللغة. إذ بقيت المقطعية القبرصية اخلية مستخدمة حتى حوالى القرن الثالث قبل الميلاد. ثم سادت العامية الإغريقية Koine وهى لغة العصر الهيلنستى والتى حوالى ٥٠ ق.م. وبشكل حاسم وبعد صراع طويل حلت نهائياً محل اللهجة القبرصية القديمة. وهكذا ارتبطت قبرص أكثر فأكثر بالعالم الإغريقى الأوسع. ومن اللغة العامية الهيلنستية فى قبرص Koine تطورت اللغة القبرصية اليونانية فى العصور البيزنطية والوسطى حتى العصر الحديث. وفى يومنا هذا تتمتع اليونانية القبرصية بنكهة مميزة، وسمات وخصائص قاصرة على قبرص. فهى تحمل آثار التراث اللغوى الطويل الممتد من آلاف السنين قبل الميلاد ويجمع بين الفينيقية والمصرية القديمة ولغة العصر الموكينى إلى جانب اخلية المسيحية المختلطة باهليلينية^(١).

الباب الثاني

قبرص في العصر البيزنطي والقرون الوسطى

“... Insulam Cyprum quae est inter Graecos et Saracenos”
(Willibald)

“.... جزيرة قبرص الواقعة بين الروم والشرقيين”
(ويلليبالد)

“... Κυπριοι μεθοριοι της τε Ρωμαικης και
της των Σαρακηνων εξουσιας”.

(Νικολαος Μυστικος)

“... القبارصة على الحدود بين الدولة الرومية ودولة الشرقيين”
(من رسالة نيقولا ميتيقوس إلى الخليفة)

١- قبرص البيزنطية

كانت الفترة الرومانية بالنسبة لقبرص فترة ازدهار، وهذا مما يفهم من الآثار الرومانية المكتشفة في الجزيرة، سواء في سلاميس وكوريون ولايثوس أو غيرها مثل مجارى المياه العذبة الممتدة من كيثريا إلى سلاميس والتي بناها سبتيميوس سيفيروس. كانت قبرص بالنسبة لروما نقطة إرتكازية ومنصة وثب لحملات الجيش الروماني في الشرق الأدنى. ومع ذلك ظلت قبرص آمنة من الهجمات الخارجية. وثبت الآن أن قبرص لم تتعرض للغزو القوطي (٢٦٨/٢٦٩م) الذي كان قد طال بلاد الإغريق وجزر الكيكلاديس وكريت ورودرس. وكان أهم مانح من الحكم الروماني في قبرص هو الانتقال إلى العصر البيزنطي من خلال تحول الامبراطورية الرومانية تدريجياً إلى الهيلينية بعد إنتقال العاصمة من روما إلى القسطنطينية.

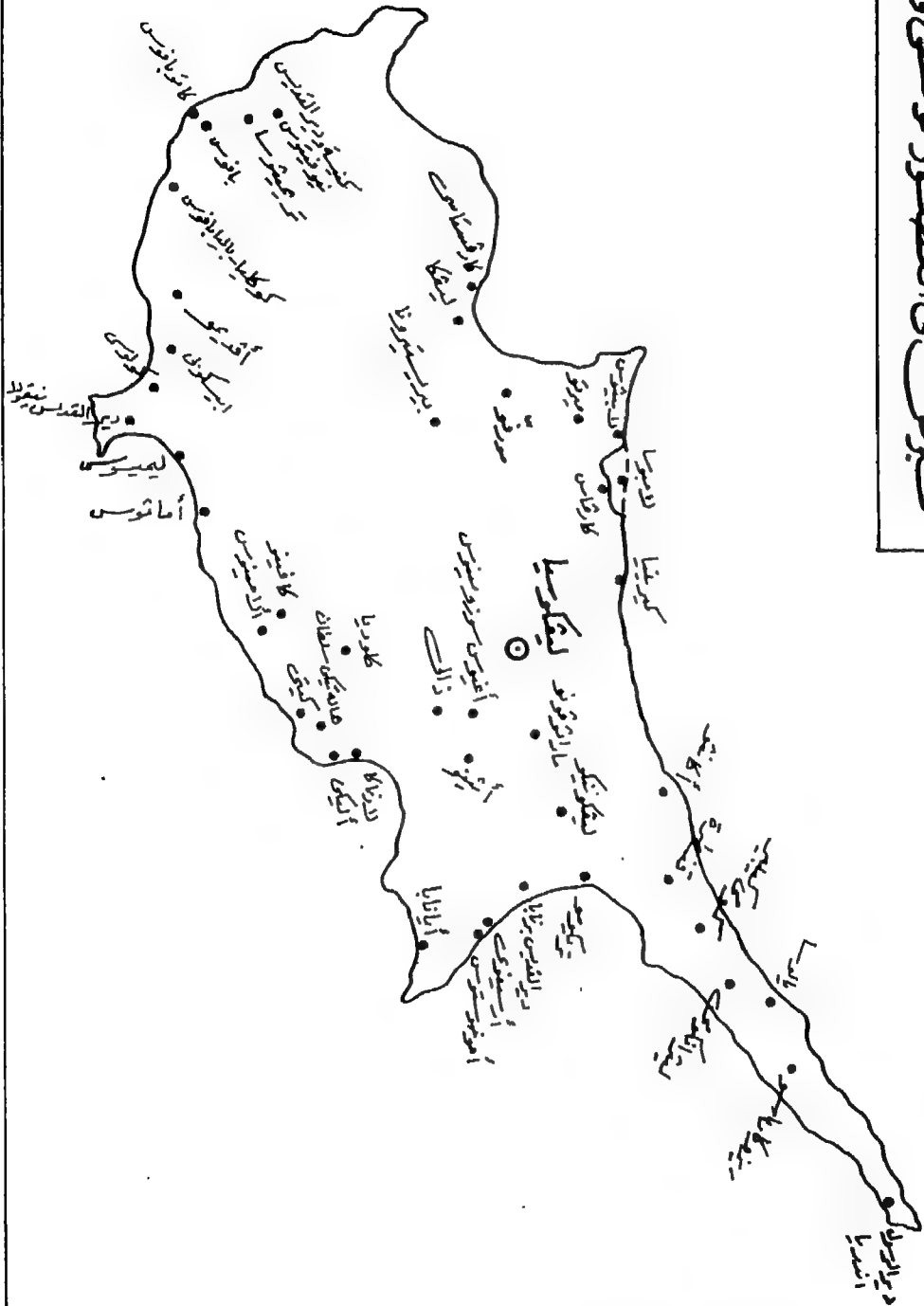
وهذا ما حدث في قبرص وبقية الولايات الشرقية، حتى أعلن قسطنطين الأكبر المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية. وهكذا نجحت الامبراطورية الرومانية في الجمع بين الهيلينية والمسيحية في قبرص وبلاد الإغريق. ولم يأخذ قسطنطين موقفاً معادياً من القبارصة الذين أمدوا خصمه ليكيئوس Licinius بمساعدة بحرية أثناء الحرب الأهلية التي إنتهت بهزيمة ليكيئوس ٣٢٤م. بل إن قسطنطين وأمه هيلينا بدأ يظهران إهتماماً كبيراً بالجزيرة، التي منذ دستور دقلديانوس عام ٢٩٣م أصبحت تابعة للبريتور حاكم الشرق Praefectus Praetorio Orientis ومقره في أنطاكية.

منذ ٣٣١م صارت قبرص ضمن الكومية الشرقية أو بلاط الشرق Comes Orientis^(١) جنباً إلى جنب مع طراقيا وبونطوس ومصر وليبيا. وفيما بين ٣٦٥-٣٨٦م انفصلت ليبيا ومصر ليكونا دوقية Diocese^(٢) أى منطقة إدارية مستقلة بينما ظلت قبرص ضمن دوقية الشرق، التي شملت ما بين النهرين وسوريا وفلسطين وفنيقيا وكيليكيا وإساوريا Isauria وبلاد العرب. وبعد ذلك أنشأ جوستيان كوايستورية أصغر quaestura exercitus لها سلطة على ميسيا (=صربيا وأراضي شاسعة حولها) وسكثيا وجزر بحر إيجه وكاريا وقبرص، بحيث يصبح من السهل إرسال إمدادات عسكرية إلى الحدود الطراقية. وكان حاكم قبرص حتى عام ٦٤٩م يحمل لقب القنصل Consularis أو Praeses vir clatissimus (باليونانية Hypatikos) تعينه الـ الكومية الشرقية أو الامبراطور أو بتوصية منه. وكان أول "حاكم بيزنطي في قبرص" في حدود ما نعلم هو أنتيستوس ساينوس Antistius Sabinus.

كلمة comes في اللغة اللاتينية الكلاسيكية تعني "الرفيق" أو "المرافق" أو "المربي"، ولكنها في العصور التالية معان جديدة مثل "الحاشية" وماشابه من ألقاب تطلق على الشخص الذى يرافق الحاكم أو الامبراطور ويتولى بعض المسئوليات. راجع وسام عبد العزيز فرج، "الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع"، الكتاب السنوى الثالث للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية (القاهرة ١٩٧٩) ص ١١ - ٥١.

كلمة diocese اللاتينية جاءت من أصل يوناني هو διοικησις (dioikesis) بمعنى "الإدارة" وقارن الحاشية السابقة.

قبرص في العصور الوسطى والحديثة



شكل رقم (٤٥) : خريطة قبرص في العصور الوسطى والحديثة

وتتوافق الأهمية العسكرية لقبرص مع دورها السياسى والكنسى . فمئذ عصر قنسطنطين أقيمت مستعمرة لقوات مختارة ربما فى تيليريا Tillyria . وأخذ العبيان الذى قام به الحاكم كالوكايروس على يد ابن أخ الامبراطور دلماتيوس Dalmatius (٣٣٢-٣٣٣م) . وفى عصر جوستين الثانى Justin II عام ٥٧٨م تم توزيع ٣٣٥٠ مستوطن أرمنى فى كل أنحاء قبرص بوصفهم حراساً وأصحاب ملكيات صغيرة . وفى عصر جوستيان الأعظم قامت زوجته ثيودورا - من أصل قبرصى يونانى فيما يقال - بتعيين أسقف إديسا Edessa وهو يعقوب بوردانا Jacob Burdana المؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح مراقباً على آسيا الصغرى ورودى وقبرص . الخ ، مما يدل على وجود فكرة الطبيعة الواحدة للمسيح فى قبرص آنذاك أى ٥٤٢م ومايعليها .

تعرضت قبرص فى تلك الفترة لسلسلة من الزلازل عام ٣٣٢ و ٣٤٢م فسويت سلاميس بالأرض وأعيد بناؤها على رقعة أوسع وحملت اسماً جديداً هو قنسطانطيا Constantia ، وحلت محل بافوس عاصمة لقبرص . ومنذ عام ٣٤٦م أصبحت مقر أسقف قبرص ورئيس أساقفة الجزيرة أى أصبحت المدينة - الأم Metropolis . وبعد هذه السلسلة من الزلازل إستعادت قبرص قوتها ، وبدأت بناء السفن من جديد عام ٣٥٤م ، وشهدت إزدهاراً فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس الميلاديين . وبنيت عدة مباني بازيلكا بالغة الفخامة ورائعة الزخرفة فى طول الجزيرة وعرضها .

نأتى للحديث عن الزيارات التى قامت بها الامبراطورة هيلينا Helena Flavia Iulia أم الامبراطور قنسطنطين العظيم التى يقال إنها إكتشفت مقبرة فى جيروسالم السيد المسيح وبعض قطع الخشب الذى صنع منه الصليب الأسمى لقبرص فى طريقها إلى الأراضى المقدسة فى فلسطين ، أو فى طريق العودة من هناك لقد أسفرت هذه الزيارات - كما هو معروف فى التراث القبرصى والفلسطينى - عن بناء عدة كنائس وأديرة زينتها قطع من الصليب المقدس ، وعاد إلى قبرص الكثيرون من سكانها المهاجرين ، وقد كان الجفاف والجاعة وشرور أخرى قد اضطرتهم للخروج منها . ومع هؤلاء جاء نفر غير قليل من اليونانيين ، الذين كان لهم أثر ملموس فى تطوير الكتابة اليونانية ، كما يظهر من نقوش مابعد الزيارة الثانية ٣٢٧م .

وورد فى بعض المصادر أن هيلينا عندما زارت قبرص وجدها مأهولة ، لا مهجورة كما يرد فى بعض المصادر الأخرى . بل إن الدراسات التاريخية والأثرية الحديثة تثبت أن قبرص كانت مزدهرة فى أوائل القرن الرابع الميلادى ، وظل الإزدهار مطرداً حتى وقوع زلازل ٣٣٢ و ٣٤٢م . وربما حدث بعض الإنقطاع فى مسيرة الإزدهار بسبب هذه الزلازل ، وما تسببت فيه من جفاف ومجاعة ، لقد كانت قبرص محطة رئيسية للمسافرين إلى الأراضى المسيحية المقدسة فى فلسطين ، ولاسيما للقادمين من الشمال والشمال الغربى . ومن ثم فإن زيارات هيلينا لقبرص ربما تكون حقيقة تاريخية وليست من وحى الخيال الشعبى كما يظن البعض . ولكن هذه الزيارات بالقطع ليست كما يصورها التراث الشعبى السائد ، والذى يذهب إلى حد أن قطعاً من أخشاب الصليب الأسمى المقدس نفسه موجودة فى قبرص . نشأت هذه الرواية فى الغرب الأوروبى منذ أواخر القرن الرابع الميلادى وتمثل جزءاً من

الحالة القدسية شبه الأسطورية التي تلت الامبراطورة - الأم هيلينا التي بزغت من الظلام الوثنى بنور المسيحية في إبريل ٣٢٦م، وذهبت إلى الأراضي المقدسة لبناء بازيليكاً. وليس هناك قط ما يمنع الاعتقاد بأن هيلينا قامت فعلاً ببناء بعض المباني المسيحية في قبرص امتداداً لسياستها العامة ونزعتها المعهودة، وأثناء زياراتها الروتينية للجزيرة.

وقد يكون من المنطقي - كما يقول كيريس^(١) - أن نفرض أنه بعد إنعقاد مجمع نيقايا حاول القبارصة أن يدعموا إستقلالهم الكنسى المبني على الشرائع الكنسية Canons المتفق عليها إبان القرن الرابع والخامس والسادس الميلادية. فاستغلوا الصراع بين الأسقف يوستاثيوس Eustathius أسقف أنطاكية والامبراطور قسطنطين، بعد إهانة الأسقف هيلينا أثناء زيارتها للشرق ٣٢٦-٣٢٧م. وانتهى الأمر بنفى يوستاثيوس وخلعه. وكان يوسيبوس Eusebius (٢٦٠-٣٤٠م) أسقف قبرصية في فلسطين ويوسيبوس أسقف نيقوميديا (في بيثينيا بآسيا الصغرى) قد إتهماه بإتباع مبادئ السكندري و Origenism (١٨٥-٢٥٤م). ولقد إنتهز القبارصة هذه الفرصة لتلفيق أو تزويق زيارات هيلينا لقبرص، وجعلوا منها الموضوع الرئيسى أو المرتكز المحورى للتراث الكنسى القبرصى. فبذلك أظهروا تقربهم للإمبراطور وأمه التي أحدثت طفرة كبيرة في مسار المسيحية.

كانت قبرص في مايو ٣٢٥م قد أرسلت وفداً كبيراً إلى التجمع المسكونى الأول في نيقايا. وشهد هذا التجمع نقاشاً حاداً حول العقيدة المسيحية. وكان إسهم الأسقف سبيريدون Spyridon من تريميثوس Tremithus فعالاً في صياغة الوثيقة العقائدية المعلنة في التجمع. كان هذا الإسهم الفعال هو نقطة البداية في تثبيت إرتباط قبرص بالأرثوذكسية إرتباطاً وثيقاً إلى يومنا هذا. وإذا أضفنا إلى ذلك دور قبرص في الحرب ضد ليكنيوس (٣١٤ أو ٣١٦م) وزيارات هيلينا للجزيرة إستطعنا أن ندحض فرية أن قبرص كانت خالية من السكان قبل عام ٣٢٦م.

ومن أهم نتائج التجمع المسكونى الأول في نيقايا أنه دعم الوضع المتزويلى للإدارة الكنسية في قبرص على أساس إستقلالها، وجاء في البند (Canon) السادس ما يثبت ويؤكد السلطة القضائية للكنائس المتزويولية في كل من الإسكندرية وروما وأنطاكية، بحيث يغطى نفوذها مجالات أوسع مما كان لها من قبل. وأخذ القبارصة ذلك البند على أنه يدعم إستقلالية كنيستهم برغم مزاعم كل من كنيسة أنطاكية وسوريا وكيليكيا وما بين النهرين بالسيطرة عليها. وكان على كنيسة قبرص أن تبدأ حملة قوية وطويلة ضد هذه المزاعم. وفي عام ٣٤٣-٣٤٤م أرسلت قبرص وفداً كبيراً إلى مجمع سارديكا Sardica. وكان الوفد يضم إثنى عشر أسقفاً بينهم سبيريدون وتريفيلليوس Triphyllus من ليدرا - يقوميا. كان موقف الوفد الكنسى القبرصى الرسمى هو تأييد أثناسيوس السكندري والكروسى الأسقفى (الأبرشى) في روما وكونستانس Constans (رومانيا؟) - وكان نفوذهم يمتد في الغرب ابتداء من ميلانو- وذلك ضد آريوس الذى كان يتمتع بتأييد

قسطنطيوس الثاني Constantius II . ولقد وقع الوفد القبرصى الكنسى وحده من بين الكنائس الشرقية المتروبولية قرار هذا الجمع . وفى هذه المناسبة تم تأكيد وضع روما فى المقدمة للمرة الثانية . ذلك أنه قد حدث من قبل عام ٣٤١م فى مجمع أنطاكية أن عرض الأمر لأول مرة ورفض . وكان هذا الجمع الأخير قد مال ناحية المبادئ الآرية نسبة إلى آريوس Arius . وهو من أصل لىبى وعاش فيما بين ٢٦٠ و ٣٣٦م أدين فى مجمع نيقايا ٣٢٥م لمبادئه التى تدعو للهرطقة ثم برئ عام ٣٣٥م بفضل دفاع يوسيبوس أسقف نيقوميديا، وكانت الكنيسة القبرصية قد شرعت فى إقحام معركتها الطويلة من أجل الإستقلال عن أنطاكية ولصالح الأرثوذكسية .

قرب هذا الموقف قبرص من المسيحية الغربية لا الشرقية . وكان إنتصار كونستانس والأورثوذكسية فى ساردىكا إنتصاراً للقبارصة أيضاً، الذين لم يملكوا إلا الموافقة على رسالة الأساقفة الغربيين باجمع والموجهة إلى كونستانتينوس تطالبه بمنع أى تدخل من السلطات المدنية فى شئون الكنيسة . وهذا موضوع شائك يشغل الحياة العامة قبرص منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا . وإن كان الأمر لا يقتصر على قبرص ولا حتى على المسيحية وحدها .

ومن الواضح أن أنصار المذهب المونوفيسى (أى مبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح) والذين سموا أكيفالوى Akephaloi كانوا من أصل قبرصى . وظل هؤلاء موجودين فى قبرص حتى حكم قسطنطين الرابع بوجاناتوس Pogonatus (٦٦٨-٦٨٥م) . وإلا فمن أين خطاب رئيس أساقفة قسطنطينيا أركادىوس الثانى ضد زعيم هذه الطائفة الأكيفالوى؟ بل إنه كان قد حدث عام ٥٢٣م وما يليه أن احتل أحد زعماء هذا المذهب المونوفيسى كرسي كنيسة قسطنطينيا ونعى فيلوكسينوس أسقف دوليخي (زليخة؟) Dolikhe (دولسوك Duluk) فى سوريا .

ذلك أنه أى فيلوكسينوس- وآخرين- كان قد تحول إلى الأورثوذكسية ٥٢٢م وكوفى على ذلك بتعيينه أسقف قبرص ثم رئيس الأساقفة بها بعد فترة وجيزة . وشارك فيلوكسينوس أسقف قسطنطينيا فى تنصيب سيفيروس بطريرك أنطاكية ٥١٢م . ومع ذلك فمن الغمض أن فيلوكسينوس لم يتخل تماماً عن أفكاره المونوفيسية السابقة، وأنه شجع هذا الإتجاه خفية فى قبرص . ولقد فسرت فسفساء ثيوتوكوس Theotokos فى ماندرولا Mandrola فى معبد دير باناغيا لاثرانكومى Panagia Lathrankomi فى كاناكاريا Kanakaria بأنها تعبر عن التعاليم اللاهوتية الخالكيدونية الرسمية المبنية على أساس ثنائية طبيعة المسيح المتحدة فى طبيعة واحدة، وهى الصيغة التى قبل بها مجمع القسطنطينية عام ٥٣٦م . واعتبرت هذه الصيغة منذ عام ٥٤٣م الإجابة القبرصية، أورد الفعل على تعاليم بارادىوس Baradeus المونوفيسية .

تورد الروايات الشعبية القبرصية "رؤيا" حدثت عام ٤٨٨م ذلك أن رئيس الأساقفة أنثيمىوس Anthemius قدم مخطوطاً لأعمال القديس مارك أو القديس ماثيو Matthew المكتشف فى مقبرة القديس برنابا Barnabas إلى امبراطور بيزنطة زيسون، الذى فى المقابل خلع عليه وعلى خلفائه إمتيازات إمبراطورية، كان يرتدى فى المناسبات الرسمية عباءة إمبراطورية حمراء وأن يحمل

صولجاناً إمبراطورياً وأن يوقع بالخبر الأحمر . وكان ذلك بمثابة تأكيد رسمى لإستقلالية الكنيسة القبرصية، القائمة على أساس رسولى . وكانت تلك علاقة خارقة فى تاريخ الكنيسة القبرصية التى إتسع نفوذها وامتد سلطانها وزاد دورها فى التطورات الحضارية والسياسية والشئون الدينية والدنيوية . وبالتدخل الإعجازى للقديس برنابا ثبت أن كنيسة قبرص رسولية على قدم المساواة مع كنيسة أنطاكية .

ومن أهم الذين جلسوا على كرسى الأسقفية فى قسطنطينيا إيفانيوس Epiphanius (٣١٠-٤٠٣ م) . المولود فى اليوتيروبوليس Eleutheropolis فى فلسطين كان أديباً ومفكراً كبيراً أسهم إسهاماً ملموساً فى الجسد اللاهوتى الدائر آنذاك . ونظم مجعاً فى قسطنطينيا لإدانة أوريجين Origen بناءً على طلب من ثيوفيلوس Theophilus السكندرى ٤٠١ م . ووجه هجوماً عنيفاً ضد القديس خريستوموس Chrysostomos فى القنسطنطينية، التى بها ربما كان قد شارك فى الأجمع المسكونى الثانى عام ٣٨١ م وتركها بسرعة متجهاً إلى روما للمشاركة فى مجمع آخر محلى . إتخذ إيفانيوس الأجمع الثانى وقراراته أساساً للعقيدة التى بنى عليها "عقيدته" ووضعها فى نهاية كتابه (Ankyrotos 374) = "بلا مرسى" وتقوم عقيدته أساساً على مقررات مجمع ليقايا التى أكملها وحسنها بإضافة كلمات وعبارات من الإنجيل، ومن كتب التراث . ولقد قدمت هذه "العقيدة" فى الأجمع الثانى بالقنسطنطينية إما على لسان إيفانيوس نفسه، أو على لسان الأساقفة القبارصة الآخرين المشاركين فى الأجمع بعد رحيله هو إلى روما . المهم أن "عقيدة" إيفانيوس رئيس أساقفة قبرص قد لاقت كل إحترام عند كافة المشاركين فى الأجمع . ولعل فى ذلك خير دليل على أنه كان فقيهاً لاهوتياً فريداً، استطاع أن يحقق للكنيسة القبرصية مكانة مرموقة فى محافل الأجمع المسكونى . مات على ظهر السفينة التى كانت تنقله من القنسطنطينية إلى قبرص وعلى مسافة قريبة من الساحل ولقد بنيت كنيسة - بازيليكا تكريماً له فى قسطنطينيا ويحتفلون به كل عام حتى الآن فى ١٢ مايو .

كانت علاقات إيفانيوس واسعة مع الرهبان ورؤساء الأديرة والقساوسة والمطارنة وحتى بسطاء المسيحيين فى بلاد العرب وآسيا الصغرى وسوريا وفينيقيا ومصر وفلسطين وما بين النهرين وغيرها . وتبادل إيفانيوس مع كل هؤلاء الرسائل فى أمور الدين والدنيا ووصلتنا هذه الكتابات فى مؤلفه Ankyrotos = بلا مرسى" مسالف الذكر الموجه لأهل بامفيليا عام ٣٧٤ م، وباناريون "Panarion" (٣٧٥ م) الموجه للرهبان فى سوريا ٣٧٦ م والذى عرف على أنه "صندوق الطب" لعلاج ثمانين مبدءاً هيرطيقياً . وكان يكره مزج الثقافة الهيلينية الوثنية بالمسيحية ويكره الأيقونات ولذلك عارض أتباع أوريجين مكاريوس على حد سواء . وإمتدت رحلات إيفانيوس زماناً ومكاناً عريضين عبر العالم المسيحى وخاصة المعارك المظفرة ضد الهرطقة، ولاسيما فى مواجهة أتباع أوريجين وآريوس . كان يتقن خمس لغات منها اللغة العربية على الأرجح وهذا أمر طبيعى بالنسبة لرجل ولد وترعرع فى فلسطين وسافر فى أنحاء بلاد العرب ومنها مصر . مما خلغ على شخصيته قدراً كبيراً من

الجادبية على المستوى الدولي . وهذا ماساعد قبرص فى مطالبتها ضد مزاعم أنطاكية . كانت صداقة إيفانيوس مع أثناسيوس رئيس الكنيسة السكندرية ذات أهمية خاصة ، ولاسيما فى مواجهة ميليتيوس Meletius الأنطاكي . ولقد أيدا معا غريم الأخير باولينوس Paulinus ووضع هذا الصراع قبرص فى المعسكر الكنسى السكندرى الرومانى ضد أنطاكية ، التى كانت طموحاتها تتعارض أيضاً مع كنيسة جيروساليم الصاعدة . وساعد كل ذلك على ترسيخ إستقلالية قبرص فى وقت كانت فيه الكثير من الأسقفيات الإقليمية قد ابتلعها الكنائس المزمبولية ، والتى بدأ بعضها يتطور ليتحول فيما بعد إلى بطريركيات عام ٤٥١م . جاء ذلك فى ظل النزعة السائدة نحو معاملة الكنيسة وكأنها دولة ذات مؤسسات ولاسيما فيما بين ٣٦٥ و ٣٨٦م .

فى تلك الأثناء ظلت قبرص جزءاً من دوقية الشرق ، جنباً إلى جنب مع بلاد العرب وما بين النهرين وفلسطين وفينيقيا وسوريا وكيليكيا وإيسارويا . وذلك يعنى أنها فصلت عن دوقية مصر التى ضمت لليبيا .

وأسهمت مشاركة إيفانيوس فى مجمع روما ٣٨٢م فى رفض ودحض آراء البابا داماسوس Damasus (٣٦٦-٣٨٤م) من "أعمال" المجمع المسكونى الثانى فى القنستطنطينية عام ٣٨١م الذى يشير إلى أنطاكية . ولم يمنع هذا الموقف الأساقفة القبارصة من التوقيع على الجزء الخاص بالتعاليم فى "أعمال" المجمع التى فى بندها الثانى (Canon) أيدت إستقلالية قبرص بالإعتراف بكل الكنائس المزمبولية أى المستقلة . كانت علاقات إيفانيوس بالرهبان والنساك فى مصر وسوريا وشمال أفريقيا وغرب آسيا قد ساعدت على تبادل الأفكار بين القارات الثلاث عبر قبرص^(١) . ومنذ ذلك التاريخ إكتسبت الكنيسة القبرصية قوة متزايدة ونفوذاً مطرداً . وهذا ماسيظهر جلياً فى العصور التالية إبان الحملات العربية واللوسينيانية والبنديقية والعثمانية . كان إسهام الكنيسة القبرصية فى الجماع المسكونية نشطاً ولصالح الأورثوذكسية المستقرة . وهو أمر يمكن تبريره بروح المحافظة التى تحلى بها القبارصة وهم يخوضون صراعاً مريراً من أجل الحفاظ على هويتهم القومية وإستقلالهم الكنسى ، الذى فهم ضمناً فى مجمع نيقايا ٣٢٥م واعترف به رسمياً فى المجمع الثالث فى إيسوس ٤٣١م ، فى مواجهة مزاعم أسقف أنطاكية الذى طالب بوضعها تحت إدارته بسبب خضوع قبرص رسمياً وسياسياً للإمبراطورية الرومانية البيزنطية وبحكمها حاكم - قائد (dux strategos Comes) مقره فى أنطاكية . وفى عام ٤١٥م نصح إنوسنت الأول Innocent I من روما القبارصة أن يخضعوا لأنطاكية فقاوموا ذلك الإتجاه بشدة وإصراراً . ولم يؤثر تشكيل البطريركية فى المجمع المسكونى فى خالكيدون ٤٥١م على وضع قبرص التى إقطعت من دوقية آسيا على أنها كنيسة مستقلة ، كما حدث من قبل فى مجمع نيقايا ٣٢٥م والقنستطنطينية ٣٨١م . وصدر قرار فى

(١) عن إيفانيوس راجع:

مجمع إفيسوس ٤٣١م ينتصر لرأى القبارصة المطالبين باستقلالية كنيستهم فى مواجهة مزاعم أنطاكية .
وتم ذلك النصر بفضل تعاون كيرلس السكندرى وإييفانيوس الذى لعب دوراً رئيسياً . وفى ذلك
الحين كادت أن تكون الكنيسة القبرصية أشبه بالبطيركية .

وبالنسبة للمراسلات حول مشكلة الطبيعة الواحدة للمسيح ودور قبرص فيها تقول أفريل

كاميرون

"It is interesting to see that Cyprus seems to emerge as central to this network of correspondence and polemical exchange, with bishop Arcadius of Constantia the sender and recipient of a number of important letters on the subject of Monothelism..."

"كما تشير الإنتباه أن نرى قبرص وقد برزت فيما يبدو مركزاً محورياً
فى هذه الشبكة من المراسلات واتجاهات المتبادلة مع أسقف قنسطانطيا
أركاديوس المرسل والمتلقى لعدد من هذه الرسائل المهمة حول موضوع
"الإلهية" وحدانية الإرادة الإلهية"^(١) .

سببت الغنوصية والهرطقة الكثير من المتاعب فى قبرص، لاسيما فى سلاميس أوائل القرن الخامس
الميلادى . وفى عام ٦٢٦م استخدم الامبراطور هرقلوس Heraklius قبرص مكاناً لتجربة دينية ثبت فشلها
فى النهاية . لقد حاول الصلح والتوفيق بين الأورثوذكسية والمونوفيسية من خلال بث تعاليم جديدة أطلق عليها
إسم Monothelism أى وحدانية الإرادة الإلهية وقد حاول إجتذاب رئيس أساقفة قنسطانطيا أركاديوس
(٦٢٢/٦٢٥ - ٦٤١/٦٤٢م) . وكان لنجاح هذه التجربة فى قبرص كفيلاً بتعميمها فى سائر الامبراطورية . أما
فشلها فى النهاية فيعود إلى تغلغل الروح الأورثوذكسية اخفاضة فى نفوس أبناء الجزيرة وضمائرهم . ووفقاً
لنصائح أركاديوس فإن الرجل الكريم الورع، فاحش الثراء ومالك السفن الفاسق، التاجر صاحب الأراضي
الشاسعة فى قنسطانطيا، ويدعى فيلنتولوس Philentoulos بن أوليمبيوس Olympius أسس مستشفى
ضخماً وبيتاً للفقراء وداراً للضيافة بالقرب من دير برنابا فى الجزء الغربى من المدينة . وعندما

^(١) Averil Cameron, "The Eastern Provinces in the 7th century A.D. Hellenism and the Emergence of Islam". Actes du colloque de Strasbourg 25-27. Octobre 1989. Université des Sciences Humaines de Strasbourg. Travaux du Centre de et al Grèce Antiques, p. 294.

Recherche sur le Proche- Orient

وقرن G. Huxley, "Why did the Byzantine Empire not fall to the Arabs?" Inaugural Lecture, Gennadius Library, American School of Classical Studies. Athens 1986.

P. Ioannou, La legislation Imperiale et la Christianisation de l' Empire Romain 311-476 Or. Chr. Anal. 1972.

وراجع أيضاً وسام فرج عبد العزيز، الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس (٨٦٦-٩١٦م): الأبعاد الدينية

والدلالة السياسية. دار العرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨١، ص ٥٠، ٧٣، ٨٢

مات حوالى ٦٤١/٦٤٢م - وهو تاريخ موت أركاديوس أيضاً - إختلف على مصيره بعد الموت قساوسة وأساقفة قبرص، واجتمعوا للحوار حول ما إذا كان ينبغي دفنه أم لا. إلى المشهد الأخير من مسرحية سوموكليس "أياس" والجلد الطويل بين أوديسيوس وأجاممنون حول دفن أياس الذى حاول ذبح القادة الإغريقية عند أسوار طروادة^(١) وهو ما يعود بالذاكرة.

رأى البعض ضرورة تكريم فيلنتولوس بالدفن، إذ يكفي أنه كان محباً للإنسانية. ورأى البعض الآخر أنه مذنب أقيم لا يحق له الدفن. ولم ينته الجدل إلا عندما إنبرى رئيس أحد الأديرة وهو كايوموس Kaoumos، الذى كان يعيش فى كهف بالقرب من قنسطانطيا، وكان قد عاش من قبل لفترة طويلة فى كليسم Klyisma فى خليج القديس أنطونيوس على البحر الأحمر. فقال للمتجادلين إن روح فيلنتولوس ينبغي ألا تذهب إلى الجنة ولا تدخل الجحيم، وينبغي أن تبقى فى المنطقة العازلة بينهما. وهذا ما يذكرنا بالثرث اللاتينى المسيحى، وبالتحديد فكرة Limbus puerorum الواردة فى "الكوميديا الإلهية" لدانته أو الأعراف فى الثرث الإسلامى^(٢)

كانت الحياة فى الأديرة هى محور النشاط الثقافى فى العصر البيزنطى، مما ترك أثراً بارزاً فى العصور التالية وفى تكوين قبرص الثقافى بصفة عامة، ولاسيما فيما يتصل بالفنون كالعمارة والرسم. فالأيقونات والرسوم الجدارية فى باناغيا تيس أسينو Panagia tes Asinou وفاغيوس نيكولاوس تيس ستيجيس Agios Nicolaos tes Stegis وأغيا مارياتو أراكا والقديس جون لامباديستيس Agia Maria tou Araka John Lampadhistes. وأغيا ترياس Agia Trias فى خريسوستوموس، وغيرها فى سلسلة الجبال الوسطى كل هذه الكنائس والأديرة تقدم أفضل الأمثلة على الفن البيزنطى المنطلق أساساً من العاصمة الامبراطورية القنسطنطينية والامتزج بالعناصر القبرصية المحلية. ولقد مارس الكهنة والرهبان فى هذه الأديرة نشاطاً ونفوذاً واسعين فى كافة مجالات الدين والدنيا وجعوا ثروة طائلة من الأموال والمخطوطات، وتم انتخاب الأساقفة منهم فى معظم الأحوال^(٣).

(١) [Greek] Ahmed Etman, pp. 72-3, 74 n.6, 76, 84, 124, 140, 151, 157, 166, 170, 176, 178, 181, 189, 239.

وقارن: أحمد عثمان، الأدب الإغريقى، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٢) سبق لنا أن تناولنا هذه النقطة فى البحث التالى (تحت النشر):

Ahmed Etman, "The Other World in Greek, Arabic and Italian Tradition. Some Aspects of the Oral and Written Acculturation". Le seminaire Maroc- Italien II (UNESCO) sur les aspects de la circulation du savoir en Mediterranée du XI au XIVe siècle. Rabat 6-8 Juin 1994.

(٣) عن الحياة الثقافية فى قبرص البيزنطية راجع:

P. Charanis, Church and State in the Later Roman Empire. Thess- aloniki 1974.
C.N. Constantinidis, Higher Education in Byzantium in the thirteenth & early Fourteenth Centuries (1204 - ca. 1310). Nicosia Cyprus Research Centre 1982.
J. Haldon Byzantium in the seventh century. Combridge 1990.
[Greek] Herbert Hunger (Athens 1987) pp. 233, 260, 375, 385, 387, 395, 403.
[Greek] A.A. Vasiliev (Athens 1973) pp. 276-7, 316, et passim Kyrris, op. cit., pp. 203 ff.

٢- الحكم العربي - الرومي المشترك

تحدثت الروايات التاريخية عن خوف الخليفة عمر بن الخطاب من البحر، وأنه كان لا يحب أن يفصل الماء بينه وبين جنوده، ولما استأذنه معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص وقال مرغباً ومسهلاً أمر الغزوة البحرية "يا أمير المؤمنين أن الشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص"^(١) .

وإلى الشام ولم يأذن له عمر، فكرر الطلب في عهد عثمان بن عفان (٢٤-٣٦هـ/٦٤٤-٦٥٦م)، وسمح له بشروط ذكرها الطبري^(٢) وهي كالآتي "لا تنتخب الناس، ولا تفرع بينهم، خيّرهم فمن إختار الغزو طائعاً فأنجله وأعنه" . ويقرن البلاذري^(٣) موافقة عثمان بأخذ امرأته معه إذا ركب البحر .

حشد معاوية أساطيله وقواته في ميناء عكا، بعد أن جلب بحارة مدربين وسفنًا من مصر ومدن الشام الساحلية وأشرك في الحملة مشاهير الدولة الإسلامية مثل أبو ذر الغفاري وعبادة بن الصامت وغيرهما . شاركت سفن مصر بقيادة عبد الله بن أبي سرح، وكان ملاحوها من أهل الإسكندرية الخبراء بشئون البحر . وقد أسندت القيادة العامة للأسطول في تلك الحملة إلى عبد الله بن الجاسي .

ويقول الدكتور سعيد عاشور: "وتبلغ المسافة بين الطرف الشمالي للجزيرة، وبين سواحل الشام بالقرب من مدينة اللاذقية حوالي ٥٢ ميلاً جغرافياً . بينما تبلغ المسافة بين السواحل الشمالية للجزيرة، وسواحل قيليقية (كيليكيا) في آسيا الصغرى حوالي ٣٥ ميلاً جغرافياً، أي أن الجزيرة بهذا تكون في موقع متوسط بين الدولة الإسلامية، والامبراطورية البيزنطية" .

فمن العوامل الواضحة التي شجعت معاوية بن أبي سفيان على غزوه لقبرص قربها لبلاد الشام، بالرغم من خوف عمر بن الخطاب على المسلمين، لأنهم لم يركبوا "بحر الروم قبلها" على حد قول البلاذري . ونظراً لإدراك معاوية أهمية وخطورة موقع الجزيرة بالنسبة للدولة الإسلامية عاد فكرر طلبه بغزوها في عهد عثمان بن عفان فكتب إليه "يعلمه قربها وسهولة الأمر فيها" فأذن له، ولكن بشروط ذكرها الطبري سبقت الإشارة إليها .

وعندما أعد معاوية عدته خرجت الحملة الإسلامية بقيادته من عكا لغزو قبرص سنة (٢٨هـ) ٦٤٨م، بعد أن شاركت فيها مصر بعدد من أهل الإسكندرية العارفين بشئون البحر تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وأسندت قيادة السفن في تلك الحملة الإسلامية البحرية الأولى لعبد الله بن قيس الجاسي . وبدأ الإقبال على هذه الغزوة أشد مما كان يتصوره عثمان، وحسبنا أنه إشترك فيها نفر كبير من الصحابة منهم أبو ذر

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥١-٥٢ .

(٢) نفس المصدر، ج٤ ص ٢٦ .

(٣) البلاذري، فوح البلدان ص ١٥٧ .

الفقاري، وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس . . . كما أن معاوية إصطحب معه أخته فاخته".

واختلف المؤرخون في تقرير سفن الأسطول الإسلامي في تلك الغزوة . فقدرها بعضهم من الإغريق بسبعمئة سفينة، وقدرها لانسج بمائة وسبع عشرة، على حين ذهب هل Hill إلى القول بأنها كانت مكونة من ألف وسبعمئة قطعة^(١) . أما المصادر الإسلامية فلم تتعرض لمشكلة العدد في ذلك الأسطول الإسلامي الأول بكلمة واحدة . ويبدو أن ماردته المراجع السابقة مبنى على ما عرف من أعداد السفن في بعض الحملات الإسلامية على القسطنطينية فيما بعد . نجح في النزول على شواطئها الشمالية الشرقية ثم أرسل إلى أهلها من يخبرهم بأنه لم يأت طائعا أو معتدياً وإنما للاتفاق معهم على صيغة تؤمن مصالح كل من المسلمين والقبارصة . فرفضوا الدخول معه في مفاوضات واعتصموا بأسوار عاصمتهم قسطنطينيا Constantia فحاصرها وسقطت في يده واستولى على كثير من كنوزها وأهلها . وقيل إن معاوية كان في حيرة عندما رفض القبارصة التفاوض ولم يدر عندئذ ما ينبغي أن يفعل في مثل ذلك الموقف من حروب البحار؛ حتى أشار عليه أهل الإسكندرية بالنزول إلى البر، فوافق على ذلك . ولم يلبث أن حاصر المسلمون مدينة قسطنطينيا بالشاطئ الشرقي واستولوا عليها . ثم نزل جنود الحملة بعد ذلك وانتشروا في مختلف الجهات المجاورة "فقتلوا خلقا كثيرا وسبوا سبايا كثيرة وغنموا مالا جزيلا" على قول ابن كثير^(٢) . وعندئذ أذعن أهل الجزيرة وأرسل أرخونها (= الحاكم الرومي) يطلب الصلح، فصالحه معاوية على شروط خلاصتها؛ أن يدفع القبارصة جزية سنوية للمسلمين مقدارها سبعة آلاف دينار، على أن يدفعوا مثلها للدولة البيزنطية ولا يمنعهم المسلمون عن ذلك . أي أن المسلمين لم يهتموا بأن يكونوا سادة الجزيرة وحدهم، بل قبلوا أن تكون مناصفة بينهم وبين الروم . كذلك اشترط المسلمون على القبارصة أن يخبروهم بما سوف يتجهز به الروم للإغارة على البلاد الإسلامية حتى يحاطوا ويأخذوا عدتهم .

ومن هذا الشرط الأخير يتضح لنا أن المسلمين أدركوا أهمية موقع الجزيرة بالنسبة لممتلكاتهم في الشام، وخافوا أن يتخذها أعداؤهم قاعدة للهجوم عليهم . واشترط المسلمون فضلا عن ذلك أن تكون قبرص طريق المسلمين إلى البلاد البيزنطية . ومعنى هذا الشرط - الذي انفرد بذكره ابن الأثير^(٣) - أن المسلمين أرادوا أن يجعلوا من قبرص قاعدة للهجوم على بلاد الدولة البيزنطية فيما بعد، وهذا يتفق في الواقع مع ما أشار إليه ابن خرداداذ^(٤) به من دأب الأساطيل الإسلامية على التجمع بجزيرة قبرص كلما تاهبت للغزو في بلاد الدولة البيزنطية . وأخيراً اشترط العرب على القبارصة عدم تقديم أية معونة إلى أعدائهم .

Hill, op. cit., Vol. I p. 284.

(١)

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٥٣

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٧٤.

(٤) ابن خرداداذ، المسالك والممالك ص ٢٥٥.

ثم رحل معاوية عن قبرص في شيء من السرعة لسماعه - فيما قيل - بأن حملة بيزنطية من قبل الامبراطور قنسطانس الثاني (وهو المسمى أيضاً قنسططين الثالث ٦٤١-٦٦٨م) تقترب من الجزيرة . وهو سبب معقول . ولعل الأرجح في جلاء معاوية السريع يتمثل في الفتنة التي أخذت تدب في جوف الدولة الإسلامية نفسها عندئذ، وإحساس معاوية بضرورة وجوده في مقر ولايته بالشام . ومهما كان الأمر، فالمعروف أن المسلمين خرجوا مسرعين من قبرص . وروى أن أم حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت سقطت عن ظهر بغلتها الراكضة فاندق عقها ودفت بالجزيرة . وما زال قبرها حتى العصر الحاضر - ببلدة هاله سلطان تكى - يعظمه مسلمو قبرص ويسمونه قبر المرأة الصالحة . ولعل هذا القبر هو أصل القصة التي جعلت لإبنة أبي بكر قبراً في قبرص^(١) .

إمتد الوجود العربي في قبرص أكثر من ثلاثة قرون (٦٤٩-٩٦٣/٩٦٤م) . وكانت الحملة الأولى على قبرص بقيادة معاوية بن أبي سفيان الذي حاصر العاصمة قنسطانطيا وحطم جزءاً كبيراً منها ووقع الآلاف بين قتيل وأسير . وعندما وصل الأسطول البيزنطي - كما يرد في بعض المصادر - عاد العرب أدراجهم إلى الوراء، وتم الإتفاق على وضع خاص لقبرص . وجل مصادرنا عن هذه الفترة عربية ومجمل ماتنقله لنا هذه المصادر أن قبرص وضعت في حالة من الحياد ونحت سلطة مشتركة Con dominium بين بيزنطة والعرب المسلمين . فلما نقض القبارصة هذا الإتفاق ٦٥٣/٦٥٤م

(١) عن حملة معاوية على قبرص باعتبارها الحملة العربية البحرية الأولى راجع:

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى. الجزء الأول: التاريخ السياسي. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة السادسة ١٩٧٥، ص ١٣٢-١٣٣.

نفس المؤلف: قبرص والحروب الصليبية. بحث في تاريخ العصور الوسطى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٥٧ ص ٤ ومايلها.

سيدة اسماعيل الكاشف: الوليد بن عبد الملك ٨٦-٩٦هـ (٧٠٥-٧١٥م). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٣، ص ١٥١ ومايلها

وراجع مايلي: ابراهيم أحمد العدوى، الأمويون والبيزنطيون - البحر الأبيض المتوسط بحيرة اسلامية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٣.

أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ/ التاسع والثاني عشر الميلادي الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٢.

أحمد مختار العبادي - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام. دار الأحد (البحري أخوان) بيروت - لبنان ١٩٧٢.

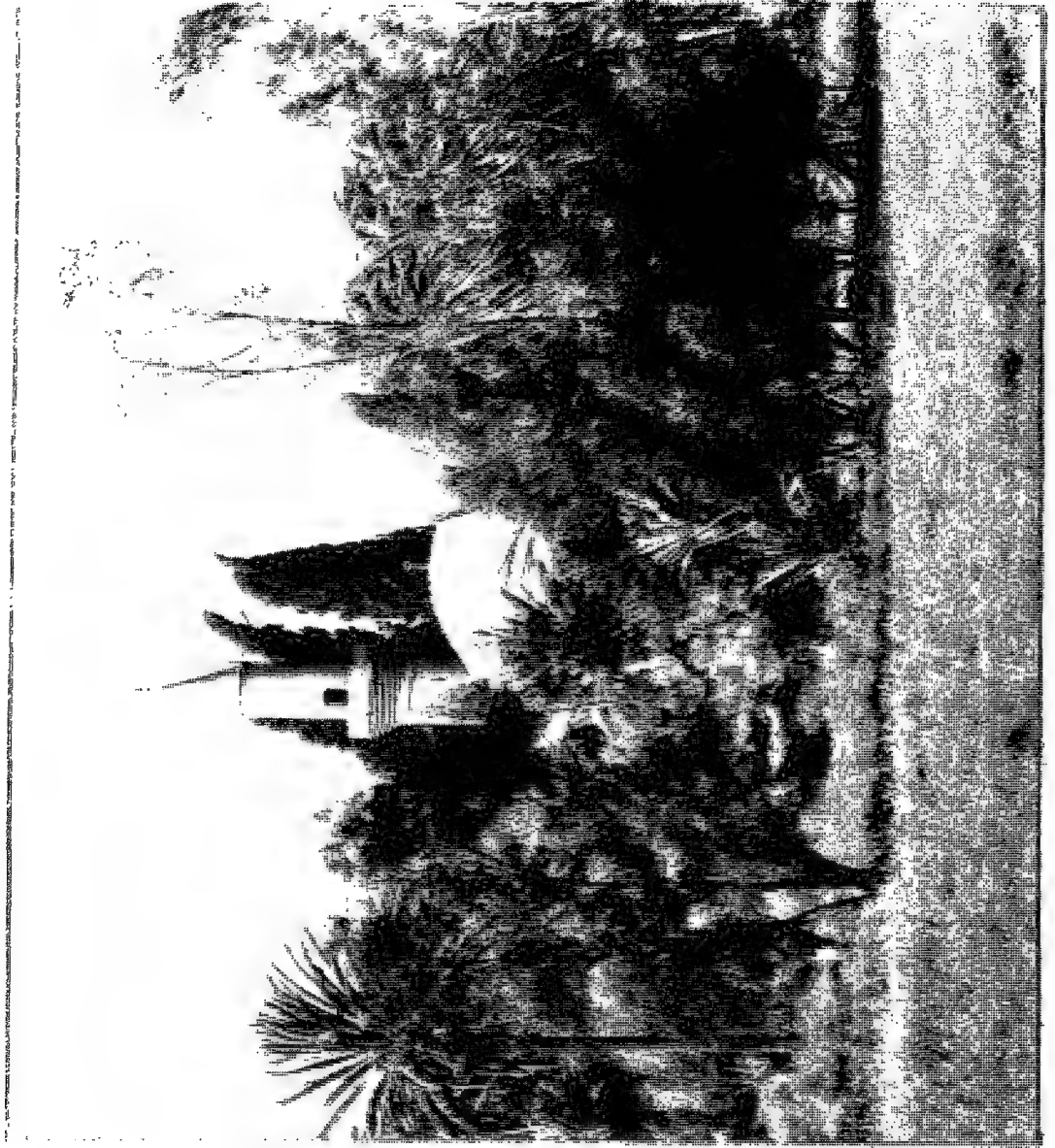
أرشيا لدوليس (ترجمة أحمد محمد عيسى)، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م). مراجعة وتقديم محمد شفيق عربال. مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية. القاهرة ١٩٦٠.

وأنظر مقالنا المنشور في الأهرام المسائي (الأحد ١٩٩١/١/١٢) بعنوان: "سفينة الصحراء في مواجهة الأساطيل البحرية". وراجع كذلك وجهة النظر اليونانية في المرجع التالي:

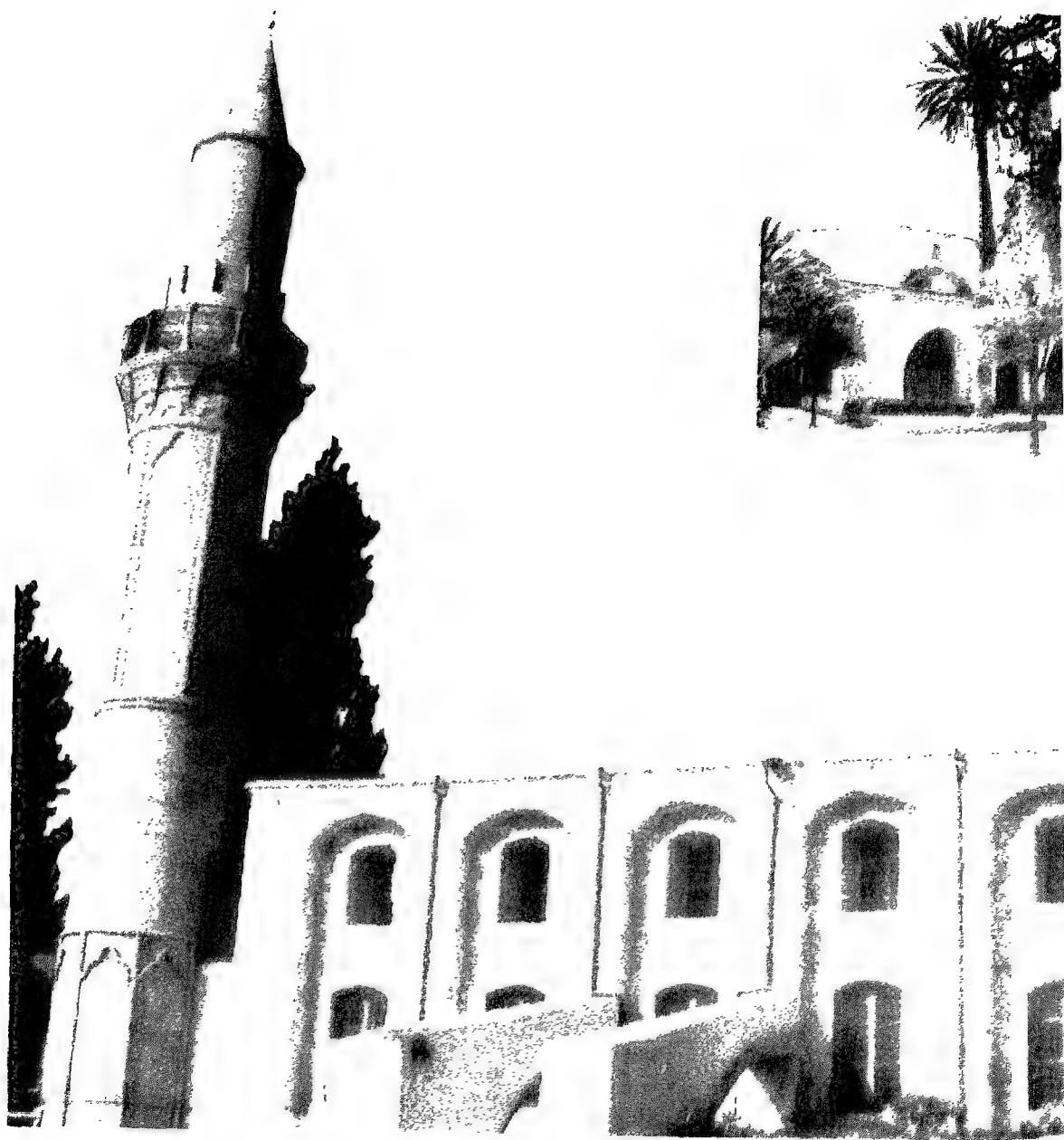
[Greek] IEE Vol. H. pp. 354-361 et passim.

[Greek] Vasiliev, pp. 264 ff.

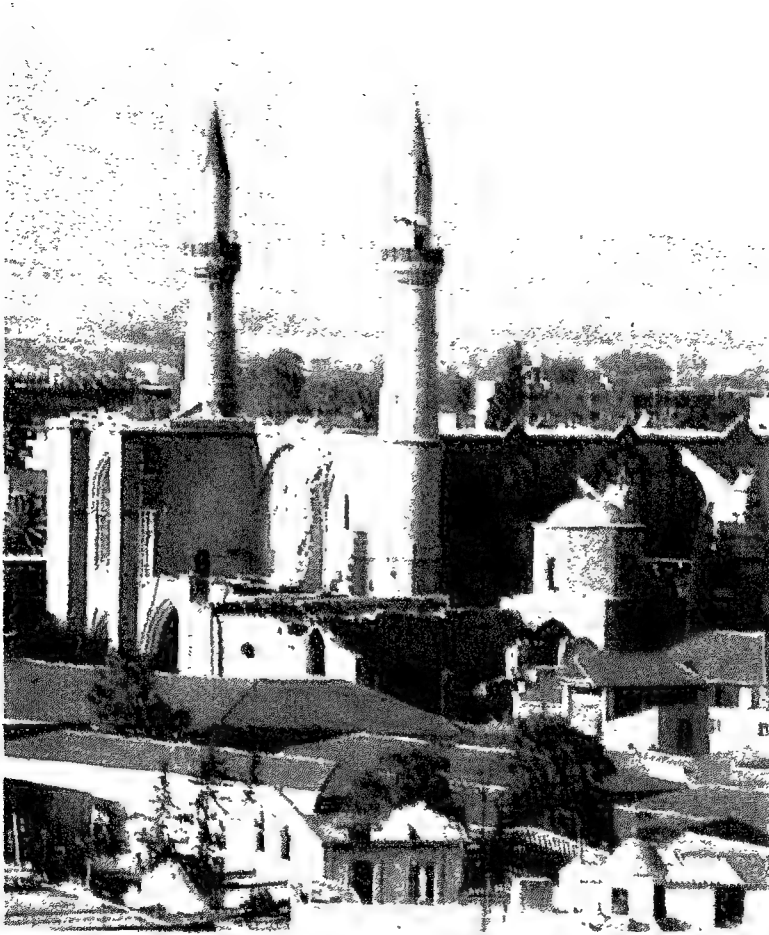
وأنظر:



شکل رقم (۴۶) مسجد ہالذ سلطان تکی (ام حرام)



شكل رقم (٤٧) : منظر آخر لمسجد هالة سلطان تيكى (أم حرام)
مسجد فى لمانسول القديمة.



شكل رقم (٤٨): كنيسة آغيا صوفيا من العمارة اللوسينائية في نيقوسيا وقد تحول إلى مسجد بعد الغزو العثماني عام ١٥٧١.

شنت حملة عربية أخرى على الجزيرة إنتهت بتدمير قنسطانطيا وبافوس . وفى المدينة الأخيرة وضعت حامية عربية وإن كانت هناك مصادر عربية تضع هذه الحامية فى لايشوس . وإضطرت القبارصة لحمل ممتلكاتهم وأمتعتهم والهرب إلى أعالي الجبال حيث أسسوا مدناً جديدة فيما بعد .

وفى الواقع كانت الحملة العربية الثانية ٦٥٣م . أوسع من الأولى وكانت تستهدف فتح الطريق أمام الإستيلاء على القنسطنطينية نفسها .

ولا يزال الجدل دائراً حول تاريخ عقد الاتفاقية بين القبارصة والعرب حول وضع الجزيرة، هل هو ٦٤٨/٦٤٩م أم ٦٨٨م، أم أى وقت آخره . ولا نعرف بالضبط الملابسات التى تمت فيها الاتفاقية . وبالطبع فإن دراسة العلاقة بين العرب وبيزنطة بصفة عامة سوف تلقى الضوء على المشكلة . ولوحظ أن المصادر العربية والبيزنطية على حد سواء تخلط الوقائع والتواريخ، إلا أنها جميعاً تتفق فى أن توقيع الاتفاقية قد تم بعد الحملة العربية الأولى فى أوائل صيف ٦٤٩م وكانت هذه أولى حملة عربية بحرية . وكان إشتراك مصر بقوة بحرية ضمن هذه الحملة التى ضمت ١٧٠٠ سفينة قادها معاوية بنفسه ينم عن أن المبادرة بشن الحملة كانت مصرية، وإن كان معاوية هو صاحب القرار التنفيذي . وكانت قبرص قد إستخدمت عام ٦٤٦م نقطة إنطلاق للهجوم البيزنطى على الإسكندرية . ولربما كانت هذه الحقيقة هى الدريعة المباشرة لشن حملة عربية على قبرص بعد ذلك التاريخ بثلاثة أعوام . وقد يكون إشتراك حاكم مصر فى حملة معاوية رداً على قبرص والقائد البيزنطى مانويل Manuel الذى كان على رأس الهجوم على الإسكندرية .

أما معاوية وإلى الشام منذ ٦٣٩/٦٤٠م فقد قدر أهمية قبرص الإستراتيجية حيث أن هذه الجزيرة إستخدمت من قبل نقطة الإنطلاق للهجوم على سوريا منذ عام ٦٤٦م . ولكن طلبه من الخليفة عمر بشن الحملة البحرية على قبرص كان قد قدم قبل عام ٦٤٤م آخر سنة فى حكم عمر بن الخطاب (٦٣٤-٦٤٤م)، أى قبل تولي معاوية الحكم . وكانت إجابة عمر بالنفى لعدم وثوقه بالبحر . ولعل فى هذا ما يشير إلى إدراك معاوية المبكر بالأهمية الإستراتيجية لموقع قبرص من ناحية ولتملك قوة بحرية، من ناحية أخرى .

وتقدم معاوية بطلب ثان للخليفة عثمان بن عفان ٦٤٤م، وحدد الهدف بدقة وهو غزو قبرص القريبة من ساحل سوريا مما يسهل الإستيلاء عليها . وجاء رد عثمان بن عفان تكراراً لما سبق أن رد به عمر بن الخطاب . وأعاد معاوية طلبه فى ٧ أكتوبر ٦٤٧- ٢٤ سبتمبر ٦٤٨م (٢٧ هجرية) وركز فى طلبه على سهولة عبور البحر إلى قبرص . فسمح له عثمان بن عفان بالحملة البحرية وأشار عليه باصطحاب زوجته وزوجات جنوده . وعبر معاوية من عكا بعدد كبير من السفن فى يوم ٢٥/٩/٦٤٨م (= ٢٨ هجرية) - ١٣/٩/٦٤٩م بعد إنتهاء فصل المطر (ربيع - صيف ٦٤٩م) . وهناك مصادر أخرى تجعل التاريخ ١٤/٩/٦٤٩م - ١٣/٩/٦٥٠م أى ٢٩ هجرية .

إكتمل دخول العرب إلى قبرص عام ٦٥٣م بحصار بافوس والاستيلاء عليها . وهناك إستقرت حامية عربية قوامها إثنا عشر ألف رجل وبنى لهم مسجد هناك . ثم تم زيادة عدد أفراد الحامية ببعض

القوات من بعلبك، الذين أقيمت لهم مدينة أخرى خاصة بهم وبنى لهم كذلك مسجدهم الخاص، ومن المحتمل أن يكون اسم الخليج الصغير (ثمانية أميال إلى الشمال الغربى من بافوس) ماء Maa هو الاسم العربى الذى اكتسبه آنذاك وإستخدم لتوفير إمدادات الماء للعرب وهناك نقوش عربية تم إكتشافها فى كاتوبافوس وتعود للقرون من السابع إلى التاسع الميلادية.

وكان هدف معاوية من إحضار الموالى السوريين من بعلبك كحامية هو أن يوطن فى قبرص حرفين ومهنيين ذوى ثقافة بيزنطية وقدرات تقنية، وهكذا تتوافر إمكانيات صناعة بناء السفن للأسطول العربى الوليد. وجاء الإستيلاء على قبرص مشجعاً فى هذا الإتجاه، لأن الجزيرة غنية بالأخشاب الصالحة لبناء السفن ولها تاريخ عريق فى هذه الصناعة. كان العرب فى أمس الحاجة لأسطول قوى يمكنهم من تدمير القواعد البحرية البيزنطية تمهيداً للسيطرة على القنسططينية هدفهم النهائى.

ومع أن حملة ٦٥٣م كانت مظفرة، إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون قد إنتهت بتثبيت حالة الحياد السابقة أو السلطة المشتركة بين بيزنطة والعرب. وهو ما تأكد فى معاهدة ٦٨٨م، وقبل القبارصة بتلك الشروط بعد أن ينسوا من عجز بيزنطة. ومع ذلك ينبغى أن نضع فى الاعتبار العون المالى الذى قدمته بيزنطة لقبرص لإعادة بناء قسطنطينيا بعد عام ٦٥٣م، مما يشى بوجود بيزنطى فى الجزيرة. ثم إن المدينة العربية فى ليمينيوتيسا Limeniotissa وخريسوبوليتيسا، Chrysopolitirssa كانت تجاور منطقة سارانداكولونيس Sarandkolones (الأربعون عموداً؟) أى القلعة البيزنطية مما يوحى بتجاور القطاعين - العربى والرومى - بعد ٦٥٣م. فهى إذن "سلطة مشتركة" أو "سيادة مشتركة" على الشعب القبرصى، ولكنها "مواطنة عامة" وليس "تقسيم أراضى". وكانت حرية الحركة بين أرجاء الجزيرة مكفولة للجميع.

وفى سبيل مواجهة الخطر العربى على قبرص شرعت السلطات البيزنطية فى بناء سلسلة من القلاع والحصون بالمناطق الحساسة مثل بافوس (حصن ساراندا كولونيس (أو الأربعون عموداً) الذى بنى ٦٤٩-٦٥٦م وحصن البنتاداكتيولوس Pentadaktylos (الخمس أصابع) وقلعة سانت هيلاريون وكيرينيوتيسا وكيرينيا وبوفافينتو Buffavento والقنطرة Kantara (وهو اسم عربى؟) ثم طبق نظام التيمة thema، وهو يرجع إلى أصول شرقية ورومانية متأخرة، وغالباً مايسرى على المناطق الحدودية.^(١) وصد الأسطول الدانوبى البيزنطى - المكلف بحماية جزر بحر إيجه وم ساحل آسيا الصغرى - الهجمات العربية بقيادة قائد السفن الكارافيسيانى أى كارافى (carabisianoí)، فهو إسم مشتق من karabos (السفينة) التى ظهرت أول ما ظهرت فى قبرص، مما يؤكد أهمية قبرص البحرية ومنذ القدم فى العصر البيزنطى. كان الجيشان البيزنطيان الموجودان فى آسيا الصغرى، أى التيمة الأناضولية والتيمة الأرمنية مسئولين عن حماية حدود الامبراطورية الشرقية فى آسيا الصغرى وفى مواجهة التحصينات العربية القوية والممتدة من الجزء العربى فى قبرص إلى رودس وجيوش أزمير وشبه جزيرة كيزيكوس. وإستعان الجيشان البيزنطيان المذكوران بقوات بيزنطية أخرى فى بيثينيا وحول أزمير، وكانت قيادة الحرب للأسطول الكارافيسيانى من سفن كارافى، الذى كان قد شيد فيما بين

(١) راجع: طارق منصور، الجيش فى الإمبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهضة القرن التاسع الميلادى، رسالة

٦٤٥ و ٦٧٣م، فهو فعل بيزنطى على التهديد العربى للقسطنطينية . ولم تثبت قيادة الأسطول الكارافيسيانى كفاءتها فيما بين ٧١٠ و ٧٣٢م وحلت محلها قيادة السفن الكيبيريوتية (kibyirhaeotai) الكارافيسيانى، وهى أيضاً وثيقة الصلة بقبرص . وفيما بين ٦٥٣ و ٦٧٠م و ٦٨٠م و ٦٨٨م أقام العرب مستوطنات حربية فى بعض مناطق الصراع فى قبرص مثل بازيليكيا ليمينوتيسا فى مواجهة قلعة الأربعين عموداً .

وقد قيل إنه عند قيام الحملة العربية الأولى على قبرص لم تك هذه الجزيرة مستقلة، أى لم يحكمها أرخون قبرصى، ولم يك القبارصة سوى تابعين يدفعون الضرائب للبيزنطيين . ولا يبدو هذا الزعم صحيحاً، لأن أرخون قبرصى كان يحكم الجزيرة شأنها فى ذلك شأن أية ولاية بيزنطية أخرى، كما كانت له مهام إدارية معروفة . وتقول المصادر العربية إن قبرص التى كانت خاضعة للروم وتدفع لهم الضريبة صاروا بعد الفتح العربى يدفعونها لدولة الروم وللمسلمين معاً، وذلك بعد توقيع معاهدة بين الطرفين، ولعل استخدام لفظ "الدينار" فى الإتفاقية يشير إلى عصر عبد الملك الذى إتبع سياسة تعريب العملة حوالى ٦٩٦/٦٩٧م، أو قبل ذلك بحد أقصى ٦٩٢م . وكانت هذه العملات فى الأصل تقليداً للعملات البيزنطية . ومع ذلك فلربما وقعت المصادر العربية فى الخلط الزمنى باستخدامها لفظ "الدينار" لأن المعادة وقعت ٦٤٩م أو على الأكثر ٦٥٣م .

بعد أن حاصر العرب العاصمة قسطنطينيا وإستولوا عليها طلب الحاكم القبرصى الأرخون الإستسلام، بعد أن أيقن أنه لا مفر من ذلك . فالعرب فى قوة متزايدة وإنصارات وفتوحات متتالية فى المناطق المحيطة بقبرص . وكانت بعض هذه الفتوحات بمثابة تهديد للحملة البحرية على قبرص . المهم أن الفاتح العربى فرض شروط الإستسلام التالية: أن يدفع القبارصة له ٧٢٠٠ (أو ٧٠٠٠) دينار سنوياً، وهو مبلغ يعادل ما كانوا يدفعونه من قبل لبيزنطة . فكان على القبارصة أن يدفعوا ضريتين، لأن الفاتحين من المسلمين تعهدوا للبيزنطيين بعدم الحيلولة دون دفع القبارصة للضريبة المعتادة للروم . وتعهد المسلمون الفاتحون كذلك بعدم التدخل فى أية عمليات عسكرية داخل قبرص قد تنجم عن غزو خارجى . وكان على القبارصة أن يحيطوا العرب علماً بتحركات الأعداء - أى الروم . وكان على القبارصة أيضاً أن ينقلوا المعلومات عن موقف العرب فى قبرص إلى الروم . وتعهد العرب ألا يفرضوا على القبارصة أعباءً إضافية فى حالة قيام العرب بالإستعداد لشن حملات بحرية أخرى، فلن يكون القبارصة ملزمين بتقديم العون لهم ولا لأعدائهم . والشرط الأخير هو حُزب من التقنين الرسمى لوضع سائد فعلاً . فإذا كانت المعاهدة قد وقعت فى عام ٦٤٩م، فإن هذا الشرط قد أضيف لاحقاً فيما يبدو وبناءً على أحداث وقعت بالفعل . وربما وقعت تجاوزات فوضع هذا الشرط علاجاً لها . ووفقاً لما يرد فى المصادر العربية كان هذا الشرط ينم عن رغبة العرب فى معاملة القبارصة على قدم المساواة . ولكن العرب لم يترددوا فى عقابهم عندما ساعدوا هيميريوس عام ٩١١م .

أما عن مظاهر تعرض سكان الجزيرة للأذى خلال الصراع البحرى بين العرب والروم، فنبذوا واضحة فى رسالة البطريك نيقولا مستيقوس Nicholas Mysticus (٩٠١-٩٠٧م) إلى

الخليفة العباسي المقتدر بالله ٣٠٠-٣٢٠هـ / ٩١٢-٩٣٢م. ويتضح من هذه الرسالة أن قائد الأسطول البيزنطي هميريوس Himerius قاد حملة بحرية ضد جزيرة قبرص، وقتل جنوده بعض سكانها من المسلمين سنة (٢٩٨-٢٩٩هـ / ٩١٠-٩١١م). وفي سنة (٢٩٩هـ / ٩١١م) شن أمير البحر دمنانة (دميان Demian) أمير طرطوس المسلم إغارة انتقامية على جزيرة قبرص حيث قتل عددا من سكانها المسيحيين، ودمر ممتلكاتهم، كما حمل معه عددا من الأسرى والسبايا من سكانها وعاد بهم إلى بلاد الشام. وقد أشار المسعودي في حوادث سنة ٢٩٩هـ / ٩١١م إلى إغارة دمنانة (دميان Damian) على الجزيرة، وأرجع سببها إلى نقض أهلها للعهد الذي كان بينهم وبين المسلمين فيقول: "وقد كانوا نقضوا العهد الذي كان في صدر الإسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم، وأن خواجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم"^(١). ومعنى ذلك أن المسلمين إعتبروا إغارة هميريوس على الجزيرة في العام السابق، وموقف سكانها منهم، محاولة من جانب البيزنطيين لتغيير وضعية الجزيرة، ولذلك قاموا بتلك الإغارة البحرية المدمرة التي استمرت أربعة أشهر.

وقد ردت الامبراطورية البيزنطية على ذلك بإرسال سفارة إلى بلاط الخلافة العباسية في بغداد حملت رسالة من البطريك نيقولا (= نيكولاس) مستيقوس - بصفته رئيسا لمجلس الوصاية على الامبراطور القاصر قسطنطين السابع بورفيريوجينيتوس Constantine Porphyrogenitus VII (٣٠١-٣٤٨هـ / ٩١٣-٩٥٩م) إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله، إحتج فيها على تلك الإغارة العنيفة التي إستهدفت الإنتقام من سكان قبرص المسيحيين. وكان من بين أعضاء هذه السفارة القديس ديمتريانوس St. Demetrianus أحد أساقفة الكنيسة القبرصية، الذي ذهب إلى بغداد يشرح حقيقة وأبعاد الأذى الذي تعرض له سكان قبرص المسيحيين على يد دمنانة (دميان) وجنوده، والذي إعتبرته بيزنطة إنتهاكا لما جاء في هدنة سنة ٦٩هـ / ٦٨٨-٦٨٩م بين البيزنطيين والمسلمين.

كانت مهمة البعثة البيزنطية التي ترأسها ديمتريانوس إلى بغداد ناجحة، إذ أمر الخليفة بعودة الأسرى القبارصة إلى بلادهم في أواخر سنة ٣٠١ أو أوائل سنة ٣٠٢هـ (٩١٣ أو ٩١٤م) وربما تكمن أهمية هذه الرسالة التي أرسلها البطريك مستيقوس إلى الخليفة العباسي في أنها حددت المستقبل السياسي لجزيرة قبرص لفترة طويلة من الزمن. إذ يتضح منها أن إتفاقية سنة ٦٩هـ / ٦٨٨-٦٨٩م أكدت على الوضع القائم بالجزيرة، كما أشارت إلى أن سكان الجزيرة يجب عليهم ألا ينحازوا إلى أي جانب في الصراع الدائر بين العرب والروم، وأن عليهم أن يهبوا لنجدة إخوانهم القبارصة، مسيحيين كانوا أم مسلمين إذا ماتعرضوا للأذى والعدوان. وفي دفاعه عن أهل قبرص المسيحيين ذكر نيقولا مستيقوس أن اللوم يجب ألا يوجه إليهم على ما إرتكبه. قائد الأسطول البيزنطي هميريوس من أذى بحق سكان الجزيرة من المسلمين، لأن القبارصة المسيحيين كانوا لا يملكون القوة ولا السلاح لمنعهم، وقد إستند البطريك نيقولا مستيقوس على أن سكان الجزيرة من مسيحيين

^(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢ ص ٥٥٠.

ومسلمين لم يكن من حقهم الإحتفاظ بقوات نظامية، كما لم تكن على أرض قبرص أية قوات عسكرية تابعة للإمبراطورية البيزنطية أو للدولة الإسلامية. ومن المحتمل أن وضع الجزيرة منزوعة السلاح كان من بين الشروط الواردة في بنود هدنة سنة (٦٩هـ / ٦٨٨-٦٨٩م)، التي لم يصلنا نصها بالكامل.

يعطينا بطريرك القنسطنطينية ميستيقيوس في خطابه الذى وجهه للخليفة العباسى المقتدر (٩٠٨-٩٣٢م) والذى حرره عام (٩١٣/٩١٤م) بوصفه وصياً على الامبراطور الصغير تقريراً عن قبرص ووضعها اغنايد أو "السيادة المشتركة". ويقول إن هذا الوضع سائد منذ ثلاثمائة عام قبل عصره. وجاء في نص الرسالة:^(١)

"και νησος μικρου ετη τριακοσια, εξ ου υποφορος
ουσα υμιν εγεγονει, και κατα μηδεν οφθεισα της
υπηκοου ταξεως μεταβαλλομενης μηδε καινοτο-
μησασα περι τους φορους μηδε περι την αλλην
δουλειαν, οσην Σαρακηνοις δουλευειν εχρην, μηδ'
ολως κατ' εγκλησιν επαγοντων αιτιαν φερουσα, εκ
μονης απονοιας ανδρος εξηρημωται"

وهذا الرقم "٣٠٠" يقربنا من عصر معاوية (٦٦١-٦٨٠م)، وهو مايتفق مع ما ذكره هشام بن عمار الدمشقى وفحواه أن الحملات العربية تكررت على قبرص حتى خلافة معاوية الذى توصل إلى عقد إتفاقية دائمة مع القبارصة تقضى بأن يدفعوا الجزية. ويمكن أن يفهم من هذه المصادر أن تاريخ المعاهدة العربية القبرصية يقع فيما بين ٦٦١-٦٨٠م. وقد يفهم من هذه المصادر أن معاوية توصل إلى هذه الإتفاقية قبل أن يتبوأ كرسى الخلافة أى حوالى ٦٥٣م. وربما يكون هذا الإتفاق بمثابة إعادة تأكيد للإتفاقية السابقة ٦٤٩م، والتي ربما لم تدخل حيز التنفيذ حتى ذلك الحين. ولعل ورود الأنباء باقتراب الأسطول البيزنطى من قبرص بقيادة كاكوريزوس Kakoorizos قد جعل معاوية يهرب وينسحب إلى الخلف، وطبقاً للمصادر السورية فإن معاوية أو أحد قادته - أبو الأعور- عاد بالأسطول السورى إلى قبرص بخمسمائة سفينة عام ٦٥٣م. ليس لأن القبارصة قد نقضوا إتفاقية ٦٤٩م - كما تقول المصادر العربية- بل فى إطار المشروع العربى الإسلامى الذى يستهدف التمهيد للإستيلاء على القنسطنطينية، ولاسيما بعد إستسلام جزيرة أرادوس Arados أكبر موقع بشمال فينيقيا فى ربيع ٦٥٠م، الذى نجم عنه سقوط رودس ٦٥٤م وكوس وغيرها.

Kyrris, op. cit., p. 184 ff.

(١)

فان محمود سعيد عمران، نقولاً ميستيقيوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية من خلال مراسلاته. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٨٠، ص ١٠ ومايلها وأماكن متفرقة أخرى.

ويرد في المصادر العربية أنه بين عام ٦٥٣م و ٦٨٠م كانت قبرص في أيدي العرب على أساس السيادة المشتركة . ولكن الباحث القبرصي كريس يقول إنه وصلت إلينا بعض العملات من عصر قنسطنطين الثالث ٦٤٢-٦٦٨م وقنسطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٥م) تشير إلى نوع من السيادة البيزنطية على قبرص . ويلاحظ أنه بعد الحملتين العربيتين بين ٦٤٩ و ٦٥٣م عانت الجزيرة من عدم سيولة العملة، واضطر الناجون من الأزمة الاقتصادية الإعتماد على العملة النحاسية اghلية . وفي عام ٦٥٩م عرض العرب شروط إتفاقية فيها الكثير من التنازلات، وفي عام ٦٧٨/ ٦٧٩م هُزم الأسطول العربي أمام أسوار القنسطنطينية، مما غير في موازين القوى في الحوض الشرقي للبحر المتوسط . وفي المعاهدة التي عقدت بين العرب وبيزنطة لا يرد ذكر لقبرص، ولكن يستشف أن مركزهم بهذه الجزيرة قد ضعف ومالت كفة السيادة المشتركة ناحية بيزنطة . وعندما صدق الخليفة يزيد (٦٨٠-٦٨٥م) على المعاهدة (٦٨٠/٦٨١م) إستيع ذلك إنسحاب الحاميات العربية من رودس وقبرص . ومن المدهش أنه في عام ٦٨٨م وفقاً لثيوفانيس طلب الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥م) تجديد إتفاقية ٦٥٩م، وكان يفكر في المعاهدة التي وقعها كل من معاوية وقنسطنطين الرابع عام ٦٧٨م والتي لم يرد فيها أي ذكر لقبرص . وربما كانت تحوى روح إتفاقية ٦٥٣م، أي فرض هذه المعاهدة على القبارصة^(١) .

يقول د. عبد الرحمن عبد الغنى أن البحر المتوسط كان مجالا لصراع بحرى طويل بين العالم الإسلامى والامبراطورية البيزنطية . هذا فضلا عن أن هذا الصراع - خلال الإطار الزمني الذى نتحدث عنه - لم يحسم لصالح أى من الطرفين برغم حرص كل منهما على إقرار سيادته فى تلك الجزيرة ذات الموقع الإستراتيجى المهم . ولعل هذا مما يضفى أهمية على دراسة وضعية الجزيرة إبان مرحلة حاسمة من مراحل هذا الصراع .

ولعل فى الأهمية الإستراتيجية العسكرية والتجارية لقبرص بالنسبة للسيطرة على حركة التجارة الدولية وخطوط الإتصال فى عالم البحر المتوسط ما يضفى على هذه الرسالة طابعاً خاصاً . من أهم المعالم فى هذا الصدد ماترتب على المعاهدات التى عقدها أهل الجزيرة مع المسلمين - وخاصة

Karris, op. cit., p. 184 ff.

^(١) وعن صورة العرب فى المصادر البيزنطية

K. Karapli, "Speeches of Arab Leaders to their Warriors according to Byzantine Texts". Graeco - Arabica V (Athens 1993) pp. 233-242.

N.A. Koutrakou, "The Image of the Arabs in Middle. Byzantine Politics. A study in the Enemy Principle (3th- 10th centuries)". Graeco - Arabica V (Athens 1993) pp. 213-224.

E. Jeffreys, "The image of the Arabs in Byzantine Literature". Major Papers of the 7th International Byzantine Congress. New Rochelle 1986, pp. 305-323.

W.Kaegi, "Initial Byzantine reactions to the Arab conquests" Church History 38 (1969) pp. 139-149.

المعاهدة التي عقدها وإلى الشام معاوية بن أبي سفيان مع أهل الجزيرة سنة (٢٨هـ/٦٤٨م)، والتي إتفقت في بعض بنودها مع معاهدة أخرى تالية عقدها الخليفة عبد الملك بن مروان مع الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م. وما ترتب على تلك المعاهدة من وضعية خاصة بالنسبة لنفوذ كل من القبطيين البيزنطي والإسلامي. وهذه الوضعية الخاصة كتب لها الديمومة والإستمرار على الرغم من الصراعات البحرية التي دارت بين القوتين فيما بعد، وحتى سقوط الجزيرة في أيدي الامبراطور البيزنطي نقفور فوقاس سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م)^(١).

وبعد ذلك نجح عبد الملك في سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م في تجديد معاهدة السلام، التي سبق لمعاوية أن عقدها مع قسطنطين الرابع سنة (٣٦هـ/ ٦٥٧م)، والتي جاء من ضمن بنودها الآتي: تحديد مقدار المال الذي يدفعه الخليفة الأموي سنويا إلى الامبراطورية البيزنطية بمقدار ثلاثمائة وخمسة وستين فرسا أصيلا بالإضافة إلى نصف الجزيرة المحصلة من أرمينيا وأيبيريا، وفي نظير ذلك تعهد الامبراطور جستنيان الثاني بسحب ١٢٠٠ من جماعة المردة^(٢) من جبال لبنان إلى آسيا الصغرى.

ظلت قبرص -منذ عقد هذه المعاهدة سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م) وحتى سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) عندما نجحت بيزنطة في عهد الأسرة المقدونية في إعادة سيادتها الكاملة عليها) - تحت ظل نوع من الحكم المشترك للبيزنطيين والمسلمين. والحق أن إستمرار هذا الوضع الفريد للجزيرة في الصراع البيزنطي الإسلامي لأمر يثير الإهتمام ويبرر طرح هذه الفترة الزمنية من تاريخ الجزيرة على بساط البحث^(٣).

أشار أرشيبالد لويس Archibald Lewis إلى هذه المعاهدة بقوله: "وتحدد معاهدة سنة ٦٨٩م المعقودة بين القسطنطينية ودمشق، مقدار الإتاوة السنوية التي يدفعها الخليفة (عبد الملك بن مروان) للحكومة البيزنطية وقدرها ٥٠٠٠ رطل من الذهب، و ٣٦٥ أسيرا و ٣٦٥ حصانا، وفي نظير تلك يتعهد جستنيان الثاني سحب ١٢٠٠٠ من جنوده "المردة" من جبال لبنان للإقامة في آسيا الصغرى، وإتفق كذلك على أن يكون دخل قبرص مناصفة بينهما"^(٤).

(١) عبد الرحمن محمد عبد الغني، "قبرص بين السيادة الإسلامية والبيزنطية (٦٩-٣٥٥هـ = ٦٨٨-٩٦٥م) المجلة العربية للعلوم الانسانية العدد ١٥ السنة ١٣ (جامعة الكويت ربيع ١٩٩٥) ص ٥٨-٩١.

وقارن:

A.I. Dikigoropoulos, Cyprus between Greeks and Saracens A.D. 647-969. Ph.D. Thesis Oxford 1961.

Idem: "The Political Status of Cyprus A.D. 648-965". RDAC 1940-1948. (1958) pp. 101-102, 110 ff.

(٢) يسمى المردة أيضاً الجراجمة، راجع: سيدة اسماعيل الكاشف، سبقت الإشارة إليه، ص ١٦٦-١٦٨.

(٣) راجع مقال عبد الرحمن محمد عبد الغني، حاشية رقم ٢١.

(٤) أرشيبالد لويس: سبقت الإشارة إليه، ص ٩٩.

كان العرب قد واجهوا أزمات متتالية منها طاعون تفشى فى سوريا ٦٨٤-٦٨٥م، مع قلاقل داخلية. وقام المردة فى لبنان، الموالون لبيزنطة، بهجمات تدميرية متكررة ضد القوات العربية. وفى تلك الأثناء تزايدت القوة البيزنطية العسكرية، وتجلّى ذلك فى توغلها السريع داخل أراضى أرمينيا وآسيا الصغرى وفلسطين. وإستمرت المفاوضات بين العرب وبيزنطة فيما بين ٦٨٧ و ٦٨٨م ووقعت الإتفاقية عام ٦٨٨م، فى النهاية. وجاءت شروطها أشد وطأة على العرب من معاهدة ٦٧٨م. فلقد فرض جوستيان الثانى شروطه وقبلها عبد الملك بن مروان. كانت هذه الشروط تقضى بأن يدفع العرب ٣٦٥ ألف قطعة من العملة الذهبية سنوياً، وأن يسلموا ٣٦٥ عبداً و ٣٦٥ حصاناً من النوع العربى الأصيل. ولكن الإتفاقية نصت على أن يقتسم الطرفان الدخول من قبرص وأرمينيا وإيبيريا (جورجيا). وجاء فى المعاهدة كذلك النص على إنسحاب إثنى عشر ألف من المردة فى لبنان.

ويعلق الباحث القبرصى كيريس على شروط هذه الإتفاقية قائلاً إن عدد إثنى عشر ألف من المردة هو بالضبط عدد أفراد الحامية العربية - السورية فى قبرص، والنسبة التى تم سحبها عام ٦٨٠م. ويبدو أن هذا الشرط كان يستهدف إستعادة التوازن المفقود بسبب إنسحاب هذه الحامية فى عصر يزيد، الذى كان يتصرف فى إطار نكسة ٦٧٧/٦٧٨م ويقدم التنازلات الملائمة. ومن الجانب البيزنطى كانت الموافقة على سحب الإثنى عشر ألف من المردة فى لبنان عام ٦٨٨م تستهدف إظهار حسن النية.^(١)

والمعروف أن القديس قسطنطين قد زار الجزيرة فى عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧-٨٨٦م) وخلال تلك السنوات لم تكن الجزيرة خاضعة للحكم البيزنطى. وهذه الإشارة على جانب كبير من الأهمية، لأنها تعكس مرة أخرى الوضع الذى تعارف عليه الطرفان العربى والرومى للجزيرة أى إقتسام السيادة بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية. ويرى الأستاذ جنكنز Jenkins أن المسلمين كانوا يمثلون الأقلية، كما كانوا يميلون إلى التجمع والإستقرار مع بعضهم البعض، ويشبه وضع المسلمين فى ذلك الوقت بأوضاع أقليات غسلامية، مثل تلك الموجودة فى قبرص وألبانيا اليوم، ومثلما يفعل "الألبان فى بلاد اليونان فى وقتنا الحاضر". ولا يرى جنكنز أى دلائل تشير إلى وجود مناطق كان الإستقرار فيها مقصوداً على المسلمين، أو تم طرد المسيحيين منها^(٢). والمرجح أن إستقرار سكان الجزيرة من المسلمين بدأ منذ الغزو الأول للمسلمين لها زمن معاوية بن أبى سفيان، كما شجع وضع قبرص التجارى أعدادا من المسلمين للإقامة فيها.

Kyrris, op. cit., pp. 176 ff.

R. Jenkins, "Cyprus between Byzantium and Islam", Studies presented to D.M. Robinson. Washington University (1953) pp. 1011

D. Pingree, "The Byzantine Version of the *Toledan Tables* The word of George Lapithes?". *Dumbarton oaks papers* xxx (1976) pp. 86-132.

وراجع مقال عبد الرحمن محمد عبد الفتى، حاشية رقم ٢١

ويبدو أنه قد تم الإتفاق بين الطرفين على نزع سلاح قبرص، وأطلقت يد القنسطنطينية لبدء عمليات إعادة البناء والتشييد والتحصين فى عصر قنستطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٥م) وجوستينيان الثانى (٦٨٥-٦٩٥م)، مما يدل على أن السيادة على قبرص كانت بيزنطية خالصة، ثم عادوا إلى تقسيم السيادة أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الميلاديين.

وبالمثل يدخل بند إقتسام الطرفين للدخول من الولايات الثلاث الحدودية - ومنها قبرص - فى مهمة التوازن الإقتصادى والعسكرى بين بيزنطة والعرب. أما النص على مد العمل بمعاهدة ٦٧٨م بين عبد الملك وجوستينيان الثانى وورود اسم قبرص فى هذا السياق فلم يأت مصادفة، إذ كانت قبرص ثابتة ورقة فى لعبة الصراع الإستراتيجى. وفى مقابل سحب الإثنى عشر ألف من المردة فى لبنان تم لإعتراف بسيادة بيزنطة على أرمينيا.

المهم هو أن هناك فروقاً واضحة بين شروط ٦٨٨م وشروط ٦٥٣م، برغم أن المعاهدتين لمتقيان فى الخطوط العريضة وفى المبادئ العامة لحفظ التوازن. والأهم بالنسبة لقبرص هو المحافظة على وضع الحياد أو السيادة المشتركة. وتم تصديق بيزنطة رسمياً على بند أن تدفع قبرص للعرب 'جزية' تساوى ما تدفعه لبيزنطة. وإمتد هذا البند ليشمل أرمينيا وأيبيريا، ومع أن المعاهدة الجديدة ٦٨٨م قد فرضت على القبارصة فرضاً، إلا أنهم لم يوقعوا عليها. ويفهم من المعاهدة أن قبرص كانت هد حتى الآن ولاية بيزنطية، فلم يكن العرب يسيطرون على كامل تراب الجزيرة. وفى نفس الوقت حود الإشارة إلى أن الوجود العربى العسكرى لم ينقطع عن الجزيرة، حتى بعد سحب الحامية من بافوس عام ٦٨٠م. وبعد هذا الإنسحاب هدم القبارصة المساجد فى المدينة أو المستوطنة العربية فى كاتوبافوس، ولو أن بعض المصادر العربية تتحدث عن لايبشوس^(١).

يقول د. عبد الرحمن عبد الغنى "ومن المرجح أن تلك الهدنة قد نصت على ضرورة قيام لأمويين بسحب القوة العسكرية المؤلفة من ١٢ ألف جندى التى كان معاوية قد أقامها فى ليثوس (هكذا) والتى قد مضى على وجودها هناك أكثر من ثلاثة عقود. فالامبراطورية البيزنطية التى خرجت منتصرة بعد حصار المسلمين لعاصمتها حرصت على إزالة وجود المسلمين العسكرى فى الجزيرة، وضغطت على الأمويين لتحقيق ذلك. وبالفعل نجد أن يزيد بن معاوية الذى خلف أباه بعد عقد الهدنة فترة وجيزة قد نفذ المطلب البيزنطى الخاص بسحب القوة العسكرية الإسلامية من الجزيرة"^(٢).

هناك بين الباحثين من يعتقد أن معاهدة ٦٨٨م قسمت الجزيرة إلى شطرين أحدهما عربى والآخر بيزنطى، وبعد أربع سنوات من ذلك التاريخ نقل جوستينيان الثانى عدداً كبيراً من القبارصة إلى كيزيكوس مع رئيس أساقفتهم. وهناك إستخدموا بحارة فى الأسطول الامبراطورى مع المحافظة

(١) لازال الجدل دائراً حول هذه النقطة، قارن ما أورده عبد الرحمن محمد عبد الغنى (سبقت الإشارة إليه، ص ٦٩) مع Kyrris, op. cit., pp. 176 ff.

(٢) عبد الرحمن محمد عبد الغنى، سبقت الإشارة إليه، ص ٦٩.

على إستقلالية كنيستهم، أما بقية السكان أو معظمهم فقد إقصادهم العرب أسرى إلى سوريا . وإنتهت هذه الخطة بإتفاق القوتين الكرّيين العرب وبيزنطة عام ٦٩٨م أو ٧٠٥م على أن يعيد كل طرف من لديه من القبارصة إلى وطنهم، وعلى إعادة التأكيد على إتفاقية ٦٨٨م . ومنذ ذلك التاريخ حمل أسقف قبرص لقب "أسقف جوستينيانا وكل قبرص" إحياءً وتخليداً للمدينة التي إستقبلت القبارصة في منقاهم على بحر مرمرة Hellespont حيث عاشوا عدة سنين . وبعد عودة القبارصة المهجرين إلى وطنهم شرع الامبراطور تيريروس الثاني أو جوستينيان الثاني سراً في إعادة تنظيم الهيكل الإداري والدفاعي لقبرص، أو على الأقل القطاع البيزنطي منها والذي من الآن فصاعداً صارت الثيمة الكبيربوتية Kibyrrhaeotic thema هي محور هذا الهيكل بعد أن حل محل أسطول الكارافيسانية وكانت معظم الأطقم أو كلهم من آسيا الصغرى، ولاسيما بعد الإنتصار الكاسح الذي حققه ليو الثالث Leo III على العرب ٧١٧/٧١٨م . ومما لاشك فيه إن هذه القوات هي التي جلبت معها من آسيا الصغرى القولكلور الأكرتي Akritic، الذي لا يزال حياً في قبرص إلى يومنا هذا .

وتكررت الحملات العربية على قبرص في أعوام ٧٤٣ و ٧٤٧ و ٧٧٣ و ٧٩٠ و ٨٠٦م . فزاد إرتباط القبارصة ببيزنطة وبالهوية القبرصية اليونانية . وتجلّى ذلك في انضمام المسكونية التي شارك فيها القبارصة كما تجلّى في إزدياد نفوذ الكنيسة القبرصية في الأمور الدنيوية . ولقد كانت حملة ٨٠٦م رداً على نقض الامبراطور البيزنطي فوكاس نيكوفوروس = نقفور إتفاقية مع العرب تمنع بيزنطة من إعادة بناء التحصينات التي دمرتها الحملات السابقة . ومن بين الأسرى الكثيرين الذين أخذوا في هذه الحملة الأسقف نفسه . وإزدادت كثافة حركة إنتقال السكان من المدن الساحلية إلى الجبال . وبرغم مشاكل قبرص قدمت ملجأ آمناً لمسيحي فلسطين وسوريا وأورثوذكس بيزنطة الهاربين من الإضطهاد في حرب الإيقونات .

كان تهجير القبارصة عام ٦٩٢م هو السبب الرئيسي في إحداث خلل في التوازن بين بيزنطة والعرب في قبرص . وأخذ العرب المسلمون المقيمون في قبرص مع القبارصة إلى كيزيكوس بإعتبارهم أسرى أو أنهم كانوا ممن بقوا بعد انسحاب الحامية العربية ٦٨٠م، وتحوّلوا للحياة المدنية وإرتبطوا بالحياة المحلية في قبرص . كان هدف بيزنطة من التهجير هو حرمان عبد الملك من الجزية التي يدفعها السكان للدولة الإسلامية، ومن ثم فإن التهجير يعد إخلالاً بشرط من شروط المعاهدة بين الطرفين . وقيل إن من أسباب التهجير الرغبة في تدعيم الدفاع عن المنطقة التي هجروا إليها، والمساعدة في تقوية الأسطول البيزنطي . وأهم من هذا وذاك كان الهدف هو أن يتحول القبارصة في مقرهم الجديد إلى أتباع مخلصين لبيزنطة . ورفض جوستينيان الثاني إحتجاج الخليفة، ووقع تحرش عسكري ٦٩٢م وإنتهى الموقف بأن قام الخليفة بتهجير ماتبقى من السكان إلى سوريا مستهدفاً بذلك الخيلولة دون السيطرة الكاملة لبيزنطة على قبرص . ومع ذلك فإن المسألة برمتها غير واضحة المعالم وتحتاج إلى مزيد من الدرس .

وبعد عدة سنوات أى ٦٩٨/٦٩٩م أو ٧٠٥م ثبت أن تهجير القبارصة من وطنهم عاد بعواقب وخيمة تبلغ حد الكارثة على بيزنطة. ربما لأن جوستيان الثانى تقرب إلى الوليد (٧٠٥-٧١٥م) فى أثناء حكمه للمرة الثانية - (٧٠٥-٧١١م) متفاوض مع الخليفة -سواء عبد الملك (٦٨٥-٧٠٥م) أو الوليد (٧٠٥-٧١٥م)- حول إعادة القبارصة المهجرين من قبل الطرفين. ووافق الخليفة وبدأ هو أولاً بإعادة القبارصة المهجرين من سوريا، وأعادت بيزنطة المهجرين لديها بما فيهم العرب. المسلمين من كانوا مقيمين فى قبرص.

واستمر الوضع الحادى لقبرص، وتأكد للقبارصة أن بيزنطة غير قادرة على حمايتهم بسبب الحروب الداخلية التى مزقت أوصالها. ورفع عبد الملك قيمة الجزية التى تدفعها قبرص ألف دينار إضافية، وجاء الخليفة عمر بن عبد العزيز فألقى هذه الزيادة، وأعادها هشام بن عبد الملك. وظلت هكذا حتى عصر الخليفة أبو جعفر المنصور الذى أحيا شروط معاوية.

ولا نعرف بالضبط كيف تحولت قبرص مرة أخرى فى نهاية القرن التاسع الميلادى إلى حالة الحياذ والسيادة المشتركة، التى أنشأتها معاهدة ٦٥٣م وأيدتها معاهدة ٦٨٨م. ففى عام ٩١٢م و ٩١٤م اكتسحت حملة عربية قبرص، وأسرت الكثيرين وأخذتهم إلى بغداد. وأعلن أن هذا الهجوم العربى جاء عقاباً للقبارصة، الذين كانوا قد أيدوا قائد الأسطول البيزنطى هيميريوس Himerius أثناء هلاله التى انطلقت من قبرص على سوريا وكيلىكيا وكريت وغيرها فيما بين ٩٠٠ و ٩١٢م. وهذه الحملات البيزنطية كانت بدورها رداً على حملات عربية سابقة، أدت إلى سيطرة العرب على الخوض الشرقى للبحر المتوسط. ونزل العرب إلى قبرص عام ٩٠٤م وأقاموا حامية فى بافوس كجزء من مستوطنة عربية محدودة هناك. وكان الامبراطور ليو السادس Leo VI ٩٠١م قد نقل إلى القسطنطينية جثمان القديس لازاروس Lazaros^(١) من لارناكا ليدفن فى الكنيسة التى كانت تشيد له هناك. وفى قبرص تعاون هيميريوس مع حاكمها ليو سيمباتيكس Leon Symbatikes ضد العرب فى الجزيرة، وللتجسس على عرب سوريا وكيلىكيا. وكل ذلك يرسم صورة لقبرص آنذاك وفيها نفوذ بيزنطى قوى سياسى وعسكرى ودينى، جنباً إلى جنب مع وجود نفوذ عربى مماثل. إذن الحالة العامة هى الحياذ الذى فرض على الجزيرة، وإن كان البيزنطيون ينقضونه بين الحين والحين.

وعندما إجتاح أمير البحر العربى داميان Damian قبرص عام ٩١٢/٩١٣م سافر أسقف كيثريا ديميتريانوس إلى بغداد، لينقذ حياة الأسرى من رعاياه. وفى بغداد دافع عن براءة الروم جميعاً، ولا سيما القبارصة وتبنى الحجج نفسها التى ساقها بطريرك القسطنطينية (نيكول مستيقوس) فى رسالة أرسلها إلى الخليفة بوصفه الوصى على الامبراطور القاصر فى أغسطس ٩١٣م. قال مستيقوس إن القبارصة غير مسئولين عن هجمات هيميريوس، ومن ثم فإن داميان التأديبية

^(١) عن القديس لازاروس راجع:

فى غير موضعها بل وتنقض حياء قبرص المتفق عليه منذ قرون . وعلى العرب أن يتصفوا القبارصة وهم من رعاياهم الذين ظلمهم دايماً المسيحي المرتد والمسلم غير الصالح! وقال مستيقوس إن القبارصة لم يستطيعوا مقاومة هيميريوس وأنشطته الخريبة وميوله، ولكنهم ليسوا مشاركين فيها . إنهم يعيشون على الحدود الفاصلة بين بيزنطة والإسلام دون التورط فى سياسة أى منهما . وهم يدفعون الضرائب للطرفين ويستقبلون حكماً من الطرفين، ولكنهم لا يشاركون فى أعمال العنف من جانب أى منهما . كان إعتمادهم على العرب أكثر من إعتمادهم على بيزنطة . وهذا الخطاب يمثل عذاب القبارصة بسبب وقوع جزيرتهم على الحدود بين الشرق والغرب ولقد سبق لنا أن اقتطعنا جزءاً منه^(١) .

تلك كانت حجج مستيقوس فى بغداد ومن هذا السياق نفهم أن النفوذ البيزنطى فى قبرص بدأ ينحسر، وإقتصر على إرسال الحكام واستقبال الضرائب . ووفق حالة الحياء لم يشارك القبارصة فى النشاط العسكرى البيزنطى فى قبرص . ولقد شدد مستيقوس -وكذا بطريرك القنسطنطينية- على ضرورة تطبيق حالة الحياء على قبرص بدقة كما جاءت فى المعاهدات السابقة . ولقد نجحت البعثة القبرصية إلى بغداد فى إطلاق سراح الأسرى . وبعد ذلك تم إعلان الإعتراف بأسقف كيثريا "معلماً وقائداً للشعب كافة" . فتطلع الناس إليه بوصفه المخلص الحقيقى لقبرص، ولكنه مات بعد ذلك بوقت قصير عن عمر طويل . ولم يتم تحرير قبرص إلا بعد موته بخمسين عاماً عندما قام فوكساس نيكوفوروس الامبراطور البيزنطى ٩٦٣/٩٦٤م -فى أثناء حملته على كيليكيا- بإعادة فتح قبرص وتحطيم حالة الحياء .

إن علاقة القبارصة اليونانيين بالعرب كانت تتأثر بملازمات الصراع بين العرب وبيزنطة . لقد حطم القبارصة المساجد فى كاتوبافوس، مما يشى بوجود جومن العداوة والشكوك وهذا ما ساد القرن السابع الميلادى حتى عام ٦٨٨م، وناقض جوالود والصدقة فى أوائل القرن الثامن الميلادى . وربما كان تدمير المساجد قد تم بأمر قائد القلعة البيزنطية "الأربعون عموداً" والتي تواجه المساجد والمستوطنة العربية، ومن ثم فهى فصل من فصول الصراع الطويل بين العرب والروم .

ولقد أطلق ويلياليد Willibald عبارة صارت مثلاً إذ قال "جزيرة قبرص الواقعة بين الروم والشرقيين" *.....Insulam Cyprum quae est inter Greacos et Saracenos* .

وهو ما يتفق تماماً مع ما جاء فى خطاب مستيقوس للخليفة العباسى الفقى اليونانى، وفى أوائل القرن الثامن الميلادى لم يكن القبارصة مسلحين، لأن السلام كان سائداً وحلت الصداقة بين الروم والشرقيين . حتى إن الخليفة عمر (٧١٥-٧٢٠م) قد ألغى الزيادة التى طرأت على الضريبة أو الجزية كما كان قد قرر الخليفة عبد الملك . وربما يشير كل ذلك إلى أن التعايش السلمى بين العرب والروم كان قد ترسخ، فعاش كل فريق منهم فى قبرص فى مقاطعات أو كانتونات منفصلة . وهذا ما يشير إليه ابن حوقل حيث يؤكد وجود إدارتين

منفصلتين مدنية وعسكرية، ولكل منها قوانينها الخاصة. وقال ابن حوقل مامعناه أن السلطات الإسلامية قد سرت بوجود المسيحيين تحت حمايتهم، وكان المسيحيون يتصرفون معهم بوصفهم إخوانهم في الوطن.

ويقول ابن حوقل كذلك إن الجزيرة قد قسمت إلى نصفين، أحدهما للبيزنطيين والآخر للعرب. وقال المسعودي إن القبارصة كانوا تعهدوا بالثزام الحياد بين المتصارعين أى الروم والمسلمين، ودفعوا نصف الضريبة للمسلمين ونصفها الآخر للروم. وورد عند المسعودي أيضاً أن القبارصة -مسيحيين ومسلمين- كانوا ملزمين بالتأزر للدفاع عن الجزيرة في حالة حدوث هجوم خارجي، وأن هذه الإتفاقية بين الطرفين تعود إلى أوائل الإسلام.

تأكدت حالة الحياد والسيادة المشتركة أكثر من مرة وبأكثر من إتفاقية. وفي عام ٧٢٣م يقول ويلليالد:

"Sedebant inter Graecos et Saracenos et intermes fuerunt, quia pax maxima fuit et conciliatio inter Saracenos et Graecos"

"إن القبارصة كانوا يقيمون بين الروم والشرقيين وكانوا مسطاء لأن أقصى درجات السلام والمصالحة كانا سائدين بين الشرقيين والروم".

كان القبارصة يرسلون الضريبة بانتظام إلى الخليفة. ولعل إكتشاف عملات عربية كثيرة في قبرص من أوائل القرن الثامن يشير إلى تزايد حجم التجارة بين قبرص والعالم العربي. وعندما نقض القبارصة الإتفاقية شن العرب عليهم حملات تأديبية كما حدث عام ٧٢٦ و ٧٤٣، ٧٤٧، ٧٧٣، ٧٩٠، ٨٠٦ و ٩١١/٩١٢م. وقد تعود تلك الحملات إلى محاولات بيزنطة لإثبات وجودها العسكري في قبرص، وهذا ما يتناقض مع الإتفاقيات الموثقة بين الطرفين. وربما أغرى إنتصار ليو الثالث الكاسح (٧١٧-٧٤١م) على العرب الذين حاصروا القسطنطينية في سبتمبر ٧١٧/٧١٨م، بإعادة تسليح الجزيرة، أو على الأقل تسليح الجزء اليوناني منها. وكان ليو الثالث شخصية قوية ولا يمكن أن يفوت هذه الفرصة. وربما حاول التدخل في قبرص عام ٧٢٦م لوقف حركة عبادة الإيقونات القبرصية التي أعلنت عن نفسها بعد قراره بالوقوف ضد الأيقونات، ومما لاشك فيه أن تدخله هذا قد اعتبر نقضاً للإتفاقية مع العرب.

وربما كانت حملة ٧٤٣م العربية على صلة بإتحاد القبارصة وتحالفهم مع عابدي الإيقونات أرتافاسدوس، الذي ثار على قسطنطين الخامس مما يشير شكوك ومحاولات العرب، لأن هذا قد أظهر تورطاً قبرصياً في السياسة البيزنطية. وعزل قسطنطين الخامس أرتافاسدوس عام ٧٤٣م وأمر اليزيد بعودة القبارصة المهجرين ٧٤٤م لأنه اعتبر فشل أنصار الأيقونات وإنتصار محطى الأيقونات في قبرص دليلاً على عودة الجزيرة إلى حالتها الطبيعية أى الحياد^(١).

^(١) عن حرب الأيقونات في العالم المسيحي باعتبارها صدى للتأثير الحضارى العربى راجع:

حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٨٦م ص ١٠٢-١٥٥
وسام عبد العزيز فرج - جوزيف نسي م يوسف، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى. الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية ١٩٨١ ص ٣٣٣-٤٠١.

J.F. Aldridge, The Cross and and its cult in an Age of Iconoclasm, Ph.D. Ohio State University 1993, passim

يقول ابن هانئ الأندلسى القرن الرابع الهجرى:

قد كانت الروم محذوراً كتابها	وتدنى البلاد على شحط وتبعد
وشاغبوا اليّمْ ألقى حجة كَمَلاً	وهم فوارس قارياته السود
فاليوم قد طُمست فيه مسالكهم	من كل لاحب نهج الفلك مقصود
لو كنت سائلهم فى اليّمْ ما عرفوا	سُفع السفان من غُفر الملاحيد

ويصف أبو تمام (القرن الثالث الهجرى) هزيمة تيوفيل (Theophilos) أمام خالد بن يزيد الشيبانى فيقول:

كأن بلاد الروم غُمت بصيحة	فضمت حشاها أورغا وسطها الشعب
بصاغرة القصوى وطمين واقسى	بلاد قريطاميس وابلك السكب

وواضح أن صاغرة (Sangarius) وطحين وقريطاميس هى مواقع رومية فى آسيا الصغرى والأناضول.

أما عن البحزى فى القرن الثالث الهجرى فيصف معركة بحرية ويقول:

يسوقون أسطولاً كأن سفينه	سحائب صيف من جهام ومطر
كأن ضجيج البحر بين رماحهم	إذا اختلفت ترجيع عود مجرجر
تُقارب من زحفهم، فكأنما	تؤلف من أعناق وحش منفر
فما رمت حتى أجلت الحرب عن طلى	مقطعة فيهم وهام مطير
على حين لا تقع يطوحه الصبا	ولا أرض تُلقي للصريع المقطر

ويضيف أبو محمد النيمى سقوط إحدى القلاع الرومية فيقول: (القرن الثانى الهجرى).

هوت هرقله لما أن رأت عجا	حوائم ترمى بالنفط والقار
كأن نيراننا فى جنب قلعتهم	مصغات على أرسان قصار

كانت هناك فى قبرص دائماً حركة مناهضة لخطمى الأيقونات، وسجلت بعض الأحداث العنيفة عام ٧٥٤، ٧٨٧ و ٨١٥ وغيرها، ولكن دون أن تصل إلى حدة نقض الإتفاقيات المعقودة مع العرب. وشن هارون الرشيد حملة على قبرص عام ٨٠٦م عقب نقض القبارصة للإتفاق بالتورط فى عمليات تجسس لصالح الأسطول البيزنطى وإمداده بالعون، وكانت الامبراطورة إيرين Irene قد أرسلت هذا الأسطول ٧٩٠م لصد العرب وأسطولهم الذى أبحر إلى قبرص، وقد ساعد على ذلك وجود ست أساقفة قبارصة فى الجمع المسكونى السابع ٧٨٧م الذى رأسه البطريك تاراسيوس وهو أيضاً قبرصى (٧٨٤-٨٠٦م). والأخير هو الذى دعا إلى إنعقاد هذا الجمع بإيعاز من البطريك الأسبق للقسطنطينية وهو قبرصى أيضاً ويدعى أناجوستيس باولوس Anagnostes Paulus

(٧٨٠-٧٨٤م)، والذي كان من محطمي الأيقونات المزددين، لأنه فيما يبدو كان يعيدها سرّاً، بيد أن موقف هذين البطيركيين القبرصيين في مجمع ٧٨٧م ليس دليلاً على الحالة الدينية في قبرص آنذاك. على أية حال كان الاتجاه الغالب هو عبادة الأيقونات مع وجود بعض الاستثناءات. ومرد ذلك هو أن القبارصة بطبعمهم محافظون، كما أن بيزنطة ليست مطلقة اليدين في قبرص^(١).

وعلى الجانب الآخر واصلت الكنيسة القبرصية نشاطها الديني والديني دون إنقطاع طيلة وجود الحكم العربي الإسلامي في قبرص. ولاحظ الباحثون أنه لم تحدث فجوات، كبيرة أو لم تحدث فجوات على الإطلاق، في تتابع الأساقفة في كل الكنائس القبرصية وحتى الصغيرة منها، ومما هو جدير بالذكر أن سلسلة من كبار الكتاب الكنسيين قد ظهرت في قبرص في تلك الفترة، وهم الذي قاموا بالحفاظ على التراث الإغريقي وإحيائه، وكذا التراث المسيحي منذ ظهوره في قبرص. فإلى جانب إيفانيوس - سالف الذكر - في القرن الرابع عاش تريفيليوس Triphyllios أسقف ليدرا Lendra (نيقوسيا) وفيلو Philo من كارباسيا Karpasia وهو تلميذ إيفانيوس ومؤلف "تاريخ الكنيسة" - المفقود الآن - و "تعقيب على أغنية الأغاني" ١٠٠٠ الخ.

وفي قبرص إبان القرن الخامس الميلادي ظهر المؤلف "سير القديسين" والتي بقي لنا منها ثلاثة سير، وهي تلك الخاصة بالقديس برنابا وهرقليديوس Heraclaidios وأفكسيقيوس Avxivios. وفي القرن السادس الميلادي عاش الراهب الكسندر في قنسطانطينا وهو مؤلف "التراتيل الدينية" Sermons والتي وصلت منها إثنان، الأول عن الصليب المقدس، والثانية "في الثناء على القديس برنابا" "Laus Sancti Barnabae". ومن أشهر كتاب القرنين السادس والسابع الميلاديين الجغرافي جورج القبرصي المولود في لايتوس والذي كتب "وصف العالم الروماني" Descriptio orbis Romani والذي وصل إلينا منه جزء صغير.

وفي القرن السابع إزدهر نوع من الأدب الديني في قبرص له نكهة فولكلورية وصياغة عامية وأسلوب عفوي وتلقائي. في هذا الأدب لا نجد أثراً لصراع الطبقات، كما أنه لا يستغرقه الحديث عن قاع المجتمع. ولقد حفظ لنا بعضاً من هذا الأدب الشفوي القبرصي الأشهر جون ألمزجير John the Almsgiver بطريرك الأسكندرية (٦١٠-٦١٩م) في مؤلفه "حياة القديس تيخو" (Tycho) أسقف أماثوس. وحفظ لنا جزء آخر من هذا الأدب ليونتيوس Leontios أسقف نابلي، الذي كتب "سيرة القديس جون ألمزجير"، وسيرة القديس سيمون Symeon الجون السوري، و "أنشودة في تأييد الأيقونات المقدسة" التي ألفت في المجمع المسكوني السابع ٧٨٧م.

وكتب رئيس الأساقفة أركاديوس Arcadius "سير القديسين" و "مدائح"، وربما كتب أحد تلاميذه أو مريديه "سيرة فيلنتولوس" Philentolos ابن أوليميوس والتي طرحت فيها لأول

^(١) عن موقف الكنيسة الأورثوذكسية القبرصية من حرب الأيقونات انظر:

[Greek] A.N. Mitsidou (Nicosia 1989), passim

مرة فكرة المكان الفاصل بين نار الجحيم وجنة النعيم (أو الأعراف Limbus) كما أسلفنا^(١) . وكتب الأسقف ثيودوروس من يافوس "الثناء على القديس سبيريدون" ، وكتب الأسقف ثيودوروس من تريميتوس Tremithos - الذى مثل قبرص فى الجمع المسكونى السادس - "سيرة القديس جون خريسوستوموس Chrysostomos" . وفى نفس القرن كتب مؤلف قبرصى مجهول مقيم فى القنسطنطينية "سيرة القديس ثيرابون Therapon" ، والذى كان قد أخذت بقاياه إلى القنسطنطينية عند تهجير القبارصة (٦٩٢/٦٩١ - ٦٩٨ أو ٧٠٥ م) .

وفى منتصف القرن الثامن الميلادى كتب الراهب القبرصى جيورجيوس مؤلفاً معروفاً للجميع وهو "موعظة فى الأيقونات" . وهى دفاع عن عبادة الأيقونات ، وتهاجم الداعين إلى تحطيمها . وفى الجمع الأعظم للأيقونات عام ٧٥٤م أدين جيورجيوس . وفى الجمع المسكونى السابع الداعى للحفاظ على الأيقونات وتقديسها (٧٨٧م) إقترح رئيس الأساقفة القبرصى فى قسطنطينيا حلاً تصالحياً توفيقياً وهو : إجلال الأيقونات لا عبادتها . ورد هذا الجمع الإعتبار لجيورجيوس ، أما العمل الوحيد الباقي من القرن العاشر فهو "سيرة القديس ديميتريانوس" وهو ينبوع لا ينضب معينة من المعلومات التاريخية والثقافية .

وعندما إستعادت بزنطة السيطرة على قبرص من العرب بدأت مرحلة جديدة بالنسبة للمجتمع اليونانى القبرصى . فمع أن المصاعب الداخلية والخارجية لم تتوقف إلا أن آفاقاً جديدة للثقافة اليونانية القبرصية بدأت تلوح فى الأفق . أعيد بناء الهيكل الإدارى . ومع أن سلطات كثيرة للكنيسة قد ألغيت فإن الدولة شجعت بناء أديرة جديدة فى أماكن حساسة يمكن الدفاع عنها فوق قمم الجبال أو حتى على الساحل ، مما يدخل فى النظام الأمنى الأوسع الذى تبنته الإمبراطورية . ولعب القبارصة دوراً بارزاً فى هذه الخطة الأمنية ، وإن شاركهم الجاليات الأخرى فى ذلك ، ولاسيما الأرمن والمارون والألبان .

من الأديرة التى بنيت فى تلك الآونة (القرن الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين) نذكر :

- أ- على سلسلة الجبال الوسطى : ماخيراس Makhairas ، فورفيوتيسا Phorviotissa ، خريسوروياتيسا Chryssoroyiatissa ، ترؤوديتيسا Trooditissa ، كيكوس Kykkos ، نيوفيتوس Neophytos .
- ب- على السلسلة الجنوبية والساحل : كاثارون Katharon ، كرينيوتيسا Kriniotissa ، هيلاريون Hilarion ، كيرينيا kerynia ، مقار (أرمنى) Makar ، قنطرة (إسم عربى) Kanara ، خريسوستوموس Chrysostomos .
- ج- على رأس البر الجنوبى الشرقى : أندرو Andrew نيقولا Nicholas أخ .

(١) راجع أعلاه

ومن مشاهير تلك الفترة نيوفيتوس Neophytos مؤسس الدير المعروف باسمه. وهو مؤلف غزير الإنتاج، إذ كتب "تعليقا" على الكتاب المقدس و "رسائل" و "دراسات لاهوتية" و "دراسات عن الأديرة" و "البعث" إلخ. وتتضمن كتابات نيوفيتوس كنزاً من المعلومات التاريخية المرتبطة بسيرته الذاتية. وعندما شرع ١١٧٦م في كتابة "الأحاديث" (Homilies) و "مدائح القديسين". اعتبر آنذاك جريئاً، ونظر إليه اخطئون به في دهشة. يذكر نيوفيتوس سقوط القنسطنطينية في أيدي الصليبيين ١٢٠٤م. ويصف رد فعل القبارصة الذي لم يختلف كثيراً عن رد فعل سائر سكان الإمبراطورية، ويعتبر نيوفيتوس سقوط القنسطنطينية بمثابة عقاب وفاق للأخطاء التي ارتكبتها القنسطنطينية "الزانية". (tes pornes poleos)، لأنها بالغت في الإسراف والشطط والقوة العاشمة والرفاه والرخاء والإسترخاء. ويقول: "لقد إحتفينا بها بوصفها ملكة المدائن ولكن الله إعتبرها مومساً قذرة... وأولئك الملوك الذين إرتكبوا البغاء معها وقفوا على مبعدة يتفرجون على عذاباتها، والنار تصعد من أنقاضها، يكون يولولون".

وفي مكان آخر عبر عن قنوت الناس من سقوط القنسطنطينية، وأظهروا ولاءهم لإمبراطورية ليقايا. ومن ناحيته أظهر نيوفيتوس اليأس إلى أقصى حد من عدم القدرة على إشعال روح المقاومة ضد الصليبيين وذلك بسبب إهمال العاصمة للولايات. وكانت تقديراته وتحليلاته لسقوط قبرص في يد ريتشارد قلب الأسد، ومصير الجزيرة المظلم منذ ذلك التاريخ (١١٩١م)؟؟؟ ص ٨٠ حيث إقتطعت الجزيرة من سياقها القومي والثقافي، كانت هذه التحليلات تمس شغاف القلوب هفأً على القبارصة اليونان ووطنهم. هذا مع أن نيوفيتوس إعتبر هذا الغزو اللاتيني مرحلة إنتقالية، ولكنه أدرك "وحشية هذا الإغتصاب"، وسمى الصليبيين "لصوصاً" وقارنهم بالشيطان صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين، صفوة القول إن نيوفيتوس يمثل آخر حلقات السلسلة المجيدة من مشاهير البيزنطيين، ولذلك تحتل كتاباته مكانة هامة في تاريخ قبرص.

وكان رئيس الأساقفة نيكولاوس (نيقولا) لاوس موزالون (١١٠٧-١١١٥م) من بين مشاهير البيزنطيين أيضاً. لقد أصبح في وقت لاحق "بطريرك مسكوني". ومع أنه لم يكن قبرصياً في الأصل، إلا أنه لعب دوراً أساسياً في تاريخ تلك الفترة. فلقد وقف في وجه القائد يوماتيوس فيلوكاليس Eumathios Philokales لظلمه وطفائه وكبحه للشعب. وعرفنا ذلك من قصيدة نظمها بعد إعتزاله ولقد صارت مصدراً تاريخياً مهماً.

كما إشتهر في ذلك الوقت رئيس الأساقفة يوانيس كريتيكوس (الكريتسي) Ioannes Kretikos (١١٥٢-١١٧٤م). كان التعليم في قبرص قاصراً على مدارس تشرف عليها الكنيسة، أما الراغبون في المزيد من التعليم فكانوا يقصدون القنسطنطينية. وتلك حال جيورجيوس جيورجيوس Georgius Gregorius القبرصي الذي صار "بطريرك مسكوني" (١٢٨٣-١٢٨٣-١٢٨٣).

١٢٨٩م)، وهو من مشاهير العالم البيزنطى فى مجال الآداب . ولكنه على أية حال ينتمى للفترة الثانية من السيطرة اللاتينية^(١) .

ومن أبرز المتغيرات على إدارة قبرص فى منتصف القرن الحادى عشر نقل العاصمة من قنسطانطينيا إلى ليفكوسيا فى السهل الأوسط . وكانت قد أصبحت منذ فترة مركزاً للحياة اليونانية على المستوى الاجتماعى والثقافى . ولكن الأسقفية ظلت كما هى فى قنسطانطينيا حتى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى، وكانت قد توسعت فى اتجاه الجنوب . وصارت تعرف منطقة التجمع الجديدة هذه منذ القرن السابع الميلادى بإسم أموخوستوس Amoch oustos (أو فاماجوستا Famagusta فى العصر اللاتينى) .

ولقد أملت فكرة نقل العاصمة الدافع الأمنى الداخلى والخارجى، فلقد حدثت فجوات أمنية كثيرة . على سبيل المثال حركات العصيان التى قام بها الكاتبان ثيوفيلوس إروتيكوس Theophilos Erotikos ١٠٤٢م والدوق رابسوماتيس Rhapsomates ١٠٩٢م، والقائد الذى سحق حركات العصيان والتمرد هو مانويل فوتو ميتيس Manuel Vutunites، وهو الذى لعب الدور الرئيسى فى بناء دير كيكوس .

ولعبت قبرص دوراً حيوياً فى التصدى للغزوات الصليبية التى هددت الامبراطورية البيزنطية . إذ كانت قبرص نقطة الإنطلاق والإتصال بالنسبة للطرفين البيزنطى والصليبي، وثبت خلالها أن هيلينية قبرص تعتمد كثيراً على بقاء القنسطنطينية التى تتهددها الأخطار بصورة متزايدة^(٢) .

راجع أعلاه

للمزيد عن تاريخ قبرص فى العصور البيزنطية والوسيلة راجع:

[Greek] Chrsanthou K. (Nicosia 1967), passim.

[Greek] Hatzioannou, Vol. ٥ passim

[Greek] Hatzedemetriou, pp. 129-162

وسام فرج عبد العزيز - جوزيف نسيم يوسف، سبقت الإشارة إليه، ٢٩-١١٧ وأماكن مفردة.



شکل رقم (٤٩) : القديس نيوفيتوس في رسم جداري في إنجلترا ويعود إلى عام ١١٨٣ م

٣- الحكم الإفرنجي - اللاتيني والحروب الصليبية

في عام ١١٠٤م وبالقرب من طرابلس لبنان تلقى حاكم لبنان إعانات من قبرص وكيلىكيا فى حربه ضد القائد الصليبي بوهيمون Bohemond . وفى عام ١١١٥م كان حاكم بيروت المسلم - بعد هزيمته على يد الملك بالدوين الأول من جيروسال - قد هرب إلى قبرص وسلم نفسه لسلطاتها . وبعد ذلك بحوالى إثني عشر عاماً شنت البندقية حملة على قبرص عقاباً لها على قتلها على قتلها عن منح إمتيازات بحرية وتجارية للبنادقة، فى حين وتم الإعتراف بهذه الإمتيازات بالنسبة لأهل الشرق البيزنطى . وفى تلك الأثناء وصل إلى قبرص لاجئاً سيميون بطريك جيروسال مصطحباً قساوسته، وذلك عشية الحملة الصليبية الأولى أى عام ١٠٩٧م. ومات سيميون فى قبرص ١٠٩٩م. وفى الفترة ١٠٩٩-١١٠٠م حاول القائد الصليبي ريموند الرابع من جيل Saint Gills حاكم اللاذقية (Lattakia)، بالإشتراك مع الحاكم البيزنطى، أن يستخدم عمالاً من القبارصة فى محاولته لبناء معسكر ريموند عام ١١٤٨م. وعانت قبرص الويلات أثناء الحروب الصليبية^(١)، وذلك على يد طرفى هذا الصراع الطويل . وتحالف هذا العدوان البشرى مع سلسلة ممتدة من الكوارث الطبيعية ولاسيما الزلازل على زيادة حجم المعاناة وزيادة الطين بلة . وفى عام ١١٩١م فتح ريتشارد قلب الأسد قبرص وبدأت حقبة جديدة ومريرة فى تاريخ قبرص .

تحولت قبرص إلى ورقة يلعب بها ريتشارد قلب الأسد فى معرك السياسة وميادين القتال، وبعد أن فشل فى إستبدال نصف فلاندرز Flanders بنصف الجزيرة، باع الجزيرة، كلها الفرسان الرهبان أو الداوية^(٢) Knights Templars عام ١١٩٢م وفرسان قيبلاز هما طبقة من الفرسان تتكون أساساً من تسعة إحترفوا حماية حجاج بيت المقدس بموافقة ملكها بالدوين حتى أنهم أقاموا فى ركن من قصره وبحوار المعبد Temple، ومن هنا إسمهم "فرسان المعبد". وقويت شوكتهم واتسعت سلطتهم على حساب الملك نفسه بل وعلى حساب المسيحية حيث أنهم عاثوا فى الأرض فساداً وارثكبوا كل منكر من السرقة إلى الإغتصاب. وبعد معركة عام ١١٨٧م أعدم صلاح الدين جميع من وقع منهم فى الأسر وقد بلغ عددهم المائتين ليجعل منهم مثلاً وعبرة. وقامت ثورة دموية فى نيقوسيا وترعمرها راهب يوناني من أقارب إسحق كومينوس I.Comminus احتجاجاً على نيع الجزيرة هذه الشرذمة من الفاسقين وتعد هذه الثورة المجهضة من أنصع صفحات المقاومة الوطنية ضد الإحتلال الأجنبي فى تاريخ قبرص كله .

وبعد هذه الثورة أعيدت الجزيرة إلى ريتشارد قلب الأسد الذى سمح لـجى دى لوسينيان Guy de Lusignan كونت حيفا (Joppa) وعسقلان ونائب ملك المملكة اللاتينية فى بيت المقدس أن يشتري

(١) عن الحروب الصليبية بصفة عامة وتأثيرها على قبرص راجع:

سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، فى أماكن متفرقة.

قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية: الايديولوجية - الدوافع - النتائج. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ١٩٩٣.

(٢) راجع نبيلة ابراهيم، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ و١٣م. القاهرة ١٩٩٤.

الجزيرة من فرسان مبلارز وهي أسرة إقطاعية حكم أحد فروعها قبرص من ١١٩٢ إلى ١٤٨٩م وكانت هذه الأسرة تحكم بيت المقدس أيضاً^(١) . وكان النظام الإقطاعي الذي أسسه جي دي كوسينيان في قبرص يتخذ من القادمين الجدد -أى الصليبيين- ركائزه الأساسية . وجاء معظمهم من الدول الصليبية وبعضهم من الدول المجاورة، أى من اللاتين والسيوريان والأرمن وغيرهم . لقد وهبهم لوسينيان الأراضي الشاسعة التي تركها أصحابها من اليونان القبارصة، حيث اضطروا إلى هجر هذه الأراضي إلى الجبال . وهكذا تلقت الطبقة الوسطى من اليونان القبارصة ضربة قاصمة بقدم برجوازيين أوريين صليبيين . حيث حصل هؤلاء على إمتيازات ضخمة وتحول القبارصة اليونان إلى عبيد وخدم هؤلاء السادة الأوروبيين الإقطاعيين القادمين مع الحملات الصليبية .

وهكذا يمكن القول بصفة عامة إن فترة الحكم الإفرنجي أو اللوسينياني كانت فترة عصيبة بالنسبة لقبرص . إنها فترة إستغلال مجحف وكبت مسرف لليونانيين القبارصة أهل الجزيرة الأصليين . وكسب عليهم أن يدخلوا مرحلة صراع جديدة وحرب صامتة تستهدف الحفاظ على هويتهم الوطنية، الدينية والثقافية، في وجه السادة الجدد المتغطرسين قليلي العدد كثيرى العدة شديدي البأس والظغيان .

لقد أصبحت قبرص ملاذاً ومستقراً لمختلف طواير العسكر الوافدة من الأراضي المقدسة وأرمينيا وأنطاكية وعكا وغيرها منذ عام ١٢٠٤م، أى أثناء الحملة الصليبية الرابعة والتي شارك فيها ملك قبرص أمارليك . ولكنه في النهاية انسحب من تلك الحرب، ووقع معاهدة مع السلطان المالك ١٢٠٥م تمتد لست سنوات . فبسبب في معاناة أشد وأبكى للشعب اليوناني القبرصي، إذ دعم نظام الحكم اللاتيني في الجزيرة .

كان أمارليك (١١٩٤-١٢٠٥م) هو أول ملك لوسينياني متوج في قبرص . ومن خلال زواجه كان له حق التاج الملكي في بيت المقدس . وعبثاً حاول الامبراطور أليكسيوس الثالث في القنسطنطينية أن يحصل على عون البابا إينوسنت عام ١٢٠١م في سبيل إسترداد قبرص على أن يقدم المدد للحملات الصليبية . ونحت ضغوط باباوية شديدة شرع أمارليك في إتباع سياسة تقضى بإخضاع الكنيسة الأورثوذكسية القبرصية للكنيسة اللاتينية المؤسسة حديثاً في قبرص، أى أن يقضى على إستقلالية الكنيسة القبرصية، مما يجرم الشعب اليوناني القبرصي من قيادته الطبيعية والتقليدية . ومن ثم نستطيع أن نفهم السبب وراء إندلاع المقاومة وحرب العصابات التي قادها كاناكيس Kanakis، الذي وصل به الأمر إلى حد أنه إختطف أسرة أمارليك نفسها، ولم يطلق سراحها إلا بعد أن تدخل ملك أرمينيا ليو الثاني . وأجهضت هذه الحركة الوطنية، وأخذ هذا التمرد الذي فشل في تحقيق أهدافه، وإن نجح في تأكيد الهوية القومية لقبرص . وهي تضاف إلى ثورة ١١٩٢م ضمن سلسلة أحداث المقاومة الوطنية القبرصية للإحتلال الأجنبي . وفي المقابل حدث نوع من تعاون مع الإحتلال من قبل القسم الأكبر من الطبقات العليا القبرصية، التي حفاظاً على مصالحها تواءمت مع النظام الجديد .

[Greek] Christophidou, (Nicosia 1992) pp. 203-250 Beraud, op. cit., pp.

وهكذا فإن عدداً من اليونان القبارصة، الذين خدموا في البلاط الملكي اللوسينياني قد أبدعوا تراثاً من الرسائل الدبلوماسية باللغة اليونانية مع سلطان إيكونيوم Iconium (١٢١٤-١٢١٦م) • هؤلاء هم الذين واصلوا التقاليد البيزنطية حيث قام نبلاء الأقاليم ببناء كنائس جديدة وتزيين القديمة • فهم الذين وفروا الأموال اللازمة لتشييد كنيسة باناغيا تو اراكوس Panagia tou Arakos في لاجوديرا Lagoudera ١١٩٢م • وفي تلك الآونة لم يكن قد بدأ بعد إضطهاد الأورثوذكسية على نحو منظم • وكان هاج الأول Hugh I (١٢٠٥-١٢١٨م) هو الذى احتل بعض موانئ آسيا الصغرى، وحصن القلعة البيزنطية فى كيرينيا بهدف حماية شمال قبرص فى مواجهة الأطماع التركية • ولقد حافظ على طرق المواصلات مع أوروبا الحليف الطبيعى لمملكته فى قبرص، لمواجهة أى عصيان شعبى وطنى •

وفى عهد هنرى الأول (١٢١٨-١٢٥٣م) كانت هناك بوادر للهيجان الشعبى إثر القرارات التعسفية التى اتخذتها الطبقة اللاتينية الحاكمة فى قبرص ١٢٢١م و ١٢٢٢م، أى فى مجمع فاما جوستا • وكانت فحوى هذه القرارات تلخص فى تقليل عدد الأسقفيات الأورثوذكسية من ١٤ إلى ٤، أى إلى نفس عدد الأسقفيات اللاتينية التى أسست أخيراً فى قبرص • وتقرر كذلك تقليص الاختصاصات القضائية للكنيسة القبرصية اليونانية • أما تقليل الأسقفيات فتم تنفيذه بعدم تعيين أسقف جديد لكل كنيسة يموت أسقفها • واستمر الحال هكذا حتى عام ١٢٦٠م • وكان لكل تلك الإجراءات أبلغ الأثر فى نفوس القبارصة اليونان المضطهدين، الذين ظلوا محافظين على صلاتهم الوثيقة بالجمع البطريكى فى بقوسيا منذ عام ١٢٠٤م • وكان رد فعل اللاتين عنيفاً، حيث أمر رئيس أساقفتهم فى كنيسة بقوسيا، وهو يوستورج دى مونتاجى Eustorge de Montaigu بحرق ثلاثين راهباً أورثوذكسياً فى دير القنطرة بوصفهم من المراطقة، لأنهم رفضوا قبول التعاليم اللاتينية • وقع هذا الحادث الأليم فى ١٩ مايو ١٢٣١م ولم يتحرك سوى جرمانوس الثانى بطريك القنسنطينية، الذى قدم اعتراضاً رسمياً للبابا جريجورى التاسع •

وزار قبرص عام الراهب الكبير Hesychastes العزوف عن الدنيويات جريجورى من سيناء (١٢٨٠-١٣٤٦م) • وقضى القديس ساباس Sabbas الأصغر عدة سنوات من العشرينيات فى القرن الرابع عشر فى الجزيرة، فلاقى الزحاح من اليونان القبارصة والازدراء منه اللاتين • ولقد ساعد كل ذلك على تدعيم الأورثوذكسية فى قبرص، وقوى شوكة المجتمع اليونانى وحصنه ضد محاولات إذابته فى المجتمع الجديد الوافد على قبرص • لقد إشتدت روح المحافظة واستمرت عدة قرون • وقامت حركات تمرد متوالية ضد، وسقط الضحايا الذين سماهم بطريك القنسنطينية كالليستوس الأول عام ١٣٥٩م "الشهداء" •

غزا المماليك قبرص عام ١٤٢٦م، وأعلنوا أنهم جاءوا ليعاقبوا القراصنة القبارصة الذين إعتدوا على أرض السلطان وممتلكاته • وقد جاء فى "الإمام" للنويرى (٩٤ ب) مايلى: (كما قيل - والله أعلم - أن بطرس، صاحب قبرص آمنه الله ، لما ولى الملك بعد هلاك أبيه ريوك، أرسل إلى السلطان الملك الناصر حسن يسأله أن يرسم له بالتوجه إلى بلد صور - بساحل الشام - ليجلس على عمود بها كعادة كل من تملك قبرص، (٩٥ ا) لأنه لا يتم له ملكها - بزعمهم - إلا بالجلوس على ذلك العمود أو مكان مختص بجلوس الملك فيه، فيتم له بذلك الملك ويصح له نفاذ حكمه فى رعيته • فاحتقره السلطان، ومنعه الدخول إلى بلد صور، فكان ذلك - والله أعلم - سبباً لغزوه الاسكندرية - المرجحان •

"وقارن ٩٥ ب و ٩٦ ب و ٩٧ أ و ٩٨ أ و ١٠٣ ب) وقد أورد ابن بطوطة والنويرى قائمة بأجناس المراكب التي هاجت الاسكندرية فيقول النويرى (١٢٣ أ): (أتاها - يعنى الاسكندرية - مراكب حربية مجمعة من أجناس مختلفة قيل إن البنادقة أتت معه إليها فى أربعة عشر غراباً، والجنوة فى غرابين، والروادسة فى عشرة غرابان، والفرنسيين فى خمسة غرابان، والباقي من جزيرة قبرص". والمشهد أن ابن إياس يأخذ عن صاحب "الإمام" - أو عن آخر نقل عنه -، ونص ابن إياس يتفق وما ورد فى "الإمام" إلا فيما يختص بعدد غرابان البنادقة - المترجمان.

أما عن مدة هذه الغزوة القبرصية للاسكندرية فيقول النويرى (١١٠ م): (جاء فى "الإمام": (١١٠ أ)... وكانت مدة إقامة الفرنج من حين أتوا إلى الاسكندرية وظفروا بها إلى آخر من سافر منهم ثمانية أيام، وذلك أنهم أتوها يوم الخميس حادى عشرين انحرم سنة سبع وستين وسبعمائة وسافر آخرهم يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر المذكور. وكان سبب إقامتهم تلك الأيام لينظروا من البحر من يأتى من النجدة من مصر. فلما عاينوا وهم بمراكبهم العساكر أقبلت كالجراد المنتشر يقدمها الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى، سافروا... إلخ، (أنظر أيضاً فى رحيلهم لوحة ١٩٨٦ أ).^(١)

وكان المماليك عام ١٤٢٥ م قد أخضعوا فاما جوستا وحكامها من جنوه، وهم الذين يتعاونون الآن مع المماليك فى حملتهم على قبرص كلها. أسر المماليك الكثيرين من القبارصة، بل وأسروا الملك نفسه. عندئذ ثار الفلاحون فى كل أنحاء الجزيرة ونهبوا منازل الأغنياء ومزارعهم، وعينوا قائداً لكل مدينة، واختاروا ملكاً فى ليفكونيكو Lefkoniko هو ألكسيس Alexis، وكان يعمل فى بلاط الملك، وكان فى الأصل من سكان كاتوميليا Katomilia. فلما تولى الحكم قتل عدة نبلاء وأسس جيشاً. وقامت ثورة إنتهت بإعدامه فى نيقوسيا ١٢ مايو ١٤٢٧ م.

ولقد كتب المؤرخ القبرصى ليونتيسوس ماخيراس Leontios Makhaeras (حوالى ١٣٥٠ - ١٤٥٠ م) كان أبوه على علاقة طيبة مع الأسرة اللوتينانية وهو ومن ثم نشأ موالياً للحكم اللوسينيانى ويجيد اللغة الفرنسية وكان شاهد عيان للأحداث التى يكتب عنها. وغلبته نزغته الطبقية على حساب الحس الوطنى. ومن ثم كان لا يتعاطف مع ثورة الفلاحين ووصفهم بأنهم قرويون ذئاب. وكان متحمساً لعودة الملك المأسور لدى المماليك عندما عاد فى ١٤٢٧/٥/١٥ م بعد دفع فدية كبيرة وجزية سنوية للمماليك. تبدأ تواريخ "Chronicle" ماخيراس بزيارة القديسة هيلينا بقبرص وتنتهى بصعود جون الثانى إلى عرش قبرص ١٤٣٢ م ويتركز الحديث فى هذه التواريخ بصفة خاصة على الأعوام ١٣٥٩-١٤٣٢ م^(٢).

كان جون الثانى (١٤٣٢-١٤٥٨ م) هو ابن الملك جانوس وكان مخنثاً ولا أخلاقياً، دون أن يتعارض

(١) راجع عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى. الطبعة الثانية. الاسكندرية ١٩٦٩ م ص ٣٠٩-

٣١٨. والنويرى، صورة عن وقعة الاسكندرية... (الاسكندرية ١٩٦٩ م).

(٢) R.M. Dawkins, Leontios Makhairas Recital concerning the sweet land of Cyprus entitled: Chronicle, Vol. II Oxford 1932

ذلك مع كونه ذكياً، ولكن الشئون الدينية كانت على مايرام، لأن الملكة جاءت من أصل يونانى، وهى هيلينا باليولوجينا Helena Paliaelogina (١٤٤٢-١٤٥٨م). وهى بنت كليوبا مالاتستا Cleopa Malatesta وتودور الثانى باليولوجوس Theodore II Palaelogos سيد موربا Morea (المورة؟)، وبوصفها وصية على العرش استطاعت هيلينا باليولوجينا أن تدعم قوة الكنيسة اليونانية، وأن توقف حركة الإضطهاد ضد أتباعها، وأن تبطل "الحتم القبرصى" Bulla Cypria المتبع منذ ١٢٦٠م. وأشعلت هيلينا باليولوجينا جذوة النشاط والحياة فى الكنيسة الأورثوذكسية وأهمها دير مانجانا Mangana فى نيقوسيا وهو الدير الذى لجأ إليه رهبان القنسطنطينية بعد سقوطها فى أيدى العثمانيين ١٤٥٣م. وكان على هيلينا باليولوجينا أن تواجه خصماً خطيراً، إنه المبعوث البابوى أندريا دى بيرا Andrea de Pera الدومنيكانى، الذى كان يملك حق استخدام القوة لإرغام الأساقفة اليونان على إعلان ولائهم للكنيسة اللاتينية ويدينوا الأورثوذكسية، وذلك تطبيقاً لقرارات المجمع الكنىسى فى فلورنسه.

وكان لهيلينا باليولوجينا عدو آخر هو جاليسوس دى مونتوليف Galesius de Montolif المرشح البابوى لرئاسة الأسقفية اللاتينية. وكانت هيلينا باليولوجينا تسعى بكل وسيلة لتعيين يونانى لهذا المنصب ونجحت فى طرد مونتوليف من قبرص عام ١٤٤٧م. وعندما ماتت فى ١٤٥٨م دفنت فى الدير الدومنيكانى على غير رغبتها، حيث كانت قد أوصت بدفن جثمانها فى دير مانجانا.

فى عام ١٣٨٨م تحالف جيمس الأول (١٣٨٢-١٣٩٨م) مع خمسة دول إفرنجية هى رومانيا وبيرا Pera وليسوس وخيوس ورودى. وامتد التحالف بموجب الاتفاقية إلى عشر سنوات، وكان هدفه هو إغلاق البحر الإيغى أمام الترك العثمانيين وحصرهم فى آسيا الصغرى. ولكن هذا التحالف لم يصمد طويلاً، وهكذا انفردت تركيا بكل دولة منها على حدة، فأخذت كل منها تصارع من أجل البقاء وقدمت الكثير من التنازلات.

وارتكب جيمس الثانى (١٤٦٤-١٤٧٣م) خطأ فادحاً بقبوله الزواج من "بنت فينيسا" أى البندقية، وتدعى أيكاترين كورنارو Aikaterine Cornaro، عام ١٤٧١م. لقد كلف هذا الخطأ القبارصة اليونان الشئ الكثير، فبعد تقليص نفوذ جنوة فى قبرص أصبح للبندقية اليد العليا فى الجزيرة، ولاسيما بعد سقوط فاما جوستا ١٤٦٤م. ومات جيمس الثانى عام ١٤٧٣م رماً مقتولاً بسم دمه له عملاء البندقية. ثم مات ابنه الصغير جيمس الثالث ١٤٧٤م وأصبحت سلطة كاترين على الجزيرة إسمية فقط. وإعتبرت شارلوت -نصف اليونانية- نفسها ملكة على قبرص. وكانت مزاعمها تلك حبراً على ورق، وظل الأمر كذلك حتى ماتت ١٤٧٨م. وكانت قبل ذلك بعامين قد تنازلت عن ملكها لدوق سافوى. وفى عام ١٤٨٩م قررت البندقية أن تخلع قناع "الحماية" وتستبدل به قناع "الإحتلال"، فأعلنت سيادتها المباشرة على قبرص، وأرغمت كاترين أن تنازل لأمها فهى "بنت البندقية"، وأن تترك ملكها وتسحب وتعيش فى سلام بمنفاها الإختيارى فى أسولو Asolo، ولكنها من هناك حافظت على صلتها الحميمة بقبرص.

فمن هناك أيدت -عياً- إنتخاب بابا سيميون Papasymeon أسقفياً يونانياً لفاما جوستا، بدلاً من أندرياس الذى دفع رشوة كبيرة للسلطات الحاكمة وفاز بالإنتخابات. وثبت بالتجربة أن الإحتلال البندقى لم

يكن بالنسبة لقبرص أفضل من الاحتلال الإفرنجي اللوسينياتى إمتد هذا الاحتلال من ١٤٨٩-١٥٧٠م، وواجه القبارصة اليونان أثنائه الكثير من المشكلات، وعانوا من شظف العيش فى جزيرتهم الخصبه المهملة . فدهورت التجارة الداخلية والخارجية والزراعة ونظم التعليم والصحة العامة . وأظلمت المراكز الثقافية التقليدية . وتناقص عدد السكان بسبب الفقر والحاجة . وإجتاح الجزيرة أوبئة شتى فى ظل إهمال الشئون الصحية، فلم يعمل بالجزيرة آنذاك سوى سبعة أطباء . هاجر الكثيرون من قبرص إلى البندقية، وجاء ذلك على تقيض ماحدث فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر، حيث كانت قبرص تجذب الكثيرين من البيزنطيين والأوروبيين، أما القبارصة اليونان الذين هاجروا إلى البندقية فقد كانوا من العمال المهرة والناهيين فى مجالات شتى، ولذا برزت منهم عدة شخصيات . وبعد ١٥٧١م عاد بعضهم إلى الوطن عملاً بشمار النهضة الإيطالية من كتب وهدايا وإيقونات للكنائس والأديرة والبيوتات .

وفى تلك الأثناء أصبح التهديد التركي بالنسبة لقبرص واقعاً ملموساً وخيفاً، وتولت البندقية أمر الدفاع عنها . وازدادت الخطورة بعد إحتلال الترك لرودى عام ١٥٢٢م . ولم يسمح البنادقة للقبارصة بالإختراط فى صفوف العسكر إلا الموالين لهم Francomati، وفى عام ١٥٦٢م وصف برناردو ساجريدى Bernardo Sagredo الحالة بأن الفوضى كانت متفشية على نحو مزعج للغاية، القضاة فاسدون، ويشجعون على ظلم الطبقات الدنيا، وبلغ الأمر إلى حد أنه كان يخشى من وقوع تدمير عام . خفر السواحل كانوا من رجال الجاليات الأجنبية نهائياً ومن الموالين للاحتلال ليلاً فصاروا عبئاً لا يحتمل، لأن السلطات سمحت للكثيرين منهم بأن يشترؤا مدة خدمتهم فيتحركون منها . وهو نظام يشبه "البديلة" التى كانت موجودة فى مصر فى القرن التاسع عشر .

وكان الميل العام للتخلص من الخدمة العسكرية يعكس اليأس المتزايد من النظام الحاكم . وبالفعل اندلع تدمير عام بالجزيرة ١٥٦٢م تزعمه جيمس دياسورينوس ديداسكالوس James Diassorinos Didaskalos . وكان مدرساً وأديباً وابن عم فوفود Voivode أو Voievode وهو من المناصب المدنية والعسكرية العليا فى دول البلقان مولدافيا جيمس فاسيليكوس James Vassilikos . لقد افتتح مدرسة وعمل طبيباً فى نيقوسيا . وأشعل الحماس فى نفوس القبارصة لإعادة إحياء تراثهم أهيلينى القومى . وانضم إليه الكابتن ميجادوكاس Megadukas (أو Megaducus) بفرسانه الألفين . وانضم إليه كذلك بعض النبلاء من الفرنسيين المتأغرقين أو الكارهين للبندقية . وأقام دياسورينوس علاقات خفية مع العثمانيين . فلما إكتشفت مؤامراته ألقى القبض عليه فى بافوس وأعدم فى نيقوسيا أغسطس ١٥٦٢م، ولاقى ميجادوكاس نفس المصير وأخذت هذه الثورة كما أخذت ثورات قبرصية سابقة ضد الاحتلال . وحتى سبتمبر ١٥٦٣م كانت البندقية لا تزال مشغولة بتوابع هذه الثورة . وفى نهاية المطاف قبلت البندقية ببدا انحراط القبارصة اليونان فى الخدمة العسكرية، فبلغ عددهم حوالى الخمسة آلاف عشية الغزو التركى .

وفى الفترة الأخيرة من الحكم البندقى فى قبرص لوحظ تضائل دور الكنيسة اللاتينية، التى هجرها أساقفتها ومكثوا فى إيطاليا وقتاً أطول مما قضوه فى قبرص . وكان الأساقفة اليونان القبارصة هم الذين يقومون بالصلاة والشعائر فى تلك الكنائس اللاتينية المهجورة . ولكى نفهم العلاقة بين الكنيسة اليونانية القومية والكنيسة اللاتينية فى قبرص علينا أن نعود بالذاكرة إلى الوراء قليلاً . فقد كانت علامة فارقة فى التاريخ

الكنسى القبرصى صدور "الختم القبرصى Bulla Cypria عن البابا ألكسندر الرابع ١٢٦٠م. وبموجبها تقرر أن ينقل قصر رئيس الأساقفة من قنسطانطا (أرسينوى - أموخوستوس) إلى سوليا Solea، حتى تكون تحت سيطرة وإدارة رئيس الأساقفة اللاتين فى نيقوسيا. وبذلك صارت أسقفية قنسطانطا - أموخوستوس مجرد أسقفية محلية ومقرراً مؤقتاً لأسقف ريزوكارپاسو Rhizokarpasso. وكان انتخاب أى أسقف يونانى يخضع للموافقة والتصديق من قبل الأسقف اللاتينى فى الأبرشية، وعليه أن يقسم أمامه قسم الولاء. وواكبت هذه الاجراءات التعسفية - وغيرها - ضد الكنيسة اليونانية الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٨-١٢٥٤م)، وكذا إقامة لويس التاسع فى قبرص وهو فى طريقه إلى شن حملته على مصر ١٢٤٨م.

وأسهلهم فى المعركة الدينية اللاهوتى الدومينيكانى توماس الأكوينى (١٢٢٥-١٢٧٤م) فى رسالته "عن الملكية" (De Regno)، التى أهداها إلى الملك هاج الثانى (١٢٥٣-١٢٦٧م)، قدم له آيات الشكر والتكريم لما قدمه من خدمات للنظام الدومينيكانى فى قبرص. وكان هاج الثانى هو أول ملك لوسينيانى -إفرنجى يدفن فى كنيسة القديس دومينيك فى نيقوسيا، مما يعكس العلاقات الوثيقة بين الأسرة الملكية اللوسينيانية النظام الدومينيكانى فى ذلك الوقت. وفى مؤلفاته احتفظ توماس الأكوينى بالفكرة التقليدية عن الحاكم المستبد المتمتع بالقدرة على ضبط النفس.

أما عن دور قبرص فى الحروب الصليبية يقول د. سعيد عاشور فى كتابه "قبرص والحروب الصليبية" مايلى: "من المعروف أن كلا من البيزنطيين والصليبيين وقف من صاحبه موقفاً يغلب عليه العداء منذ وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق. فالتعاب والمصاعب التى لاقاها رجال تلك الحملة فى طريقهم إلى بلاد الشام عبر أراضي الدولة البيزنطية فى البلقان وآسيا الصغرى، بالإضافة إلى ما وجدوه من كره ظاهر فى القسطنطينية نفسها، كل ذلك جعلهم - كما جعل أوربا كذلك - يقولون إن الدولة البيزنطية هى السبب فى جميع المصائب والكوارث التى ابتليت بها تلك الحملة والحملات الصليبية التالية"^(١)

ولا مغالاة فى القول بأن دخول قبرص دائرة الحرب الصليبية من طريق الفتح جعلها أهم ما تمخضت عنه الحملة الصليبية الثالثة من النتائج لا فى تاريخ قبرص والحروب الصليبية فحسب، بل فى تاريخ الشرق بوجه عام. فالشرق اللاتينى الذى كاد صلاح الدين يلقى به فى غياهب البحر الأبيض، كتب له أن يولد مرة أخرى وسط الأمواج الخيطة بشواطئ الجزيرة القبرصية. ذلك أن قبرص أصبحت بعد فتحها مركزاً دائماً لتموين البقايا الصليبية بالشرق، كما أصبحت محوراً لكثير من الحركات الصليبية من الشرق والغرب عدة قرون. ووضحت تلك الناحية للصليبيين أثناء حصار عكا (سنة ١١٩٠-١١٩١م)، أى قبل إتمام فتح قبرص، إذ ألفوها مؤثلاً قريباً وواسطة للإتصال بينهم وبين الغرب. ولا عجب بعد ذلك إذ فرح الصليبيون أيمافرح بإستيلاء ريتشارد قلب الأسد على قبرص، لأنها صارت "قوة للفرنج". ومصدق ذلك كله وصف السرور الذى شمل الصليبيين عندما وصل ريتشارد إلى عكا بفضل إستيلائه على قبرص.

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٢١.

أما أهمية ذلك في تاريخ قبرص نفسها فهو أن الجزيرة لم تدخل دائرة الحروب الصليبية فحسب، بل دخلت دائرة الحياة السياسية الغربية كذلك . على أن الأمر بدأ هنا بنقمة مشوبة، إذ باتت الجزيرة تحت إقطاعية لاتينية كاثوليكية، وهذه جعلت كل همها إشباع مصالحها الخاصة، على حين ظل عامة القبارصة من اليونان يعتبرون هؤلاء الحكام غرباء عنهم دخلاء بينهم . وأما أهمية فتح قبرص للملك ريتشارد، فالواضح أولاً أنه لم يقدم على تلك العملية الحربية الباهظة تحقيقاً لجزء من برنامجه الصليبي، وإنما هي الظروف والملايسات التي شئت أن يكون له الفضل في إسداء تلك الخدمة للصليبيين عامة ولملكة بيت المقدس الصليبية خاصة^(١) .

منذ بداية المسيحية وحتى الحروب الصليبية لعبت قبرص دوراً مهماً على طريق الحج إلى الأراضي المقدسة . فكانت هي نقطة الإنطلاق كما كانت الملجأ للمضطهدين والمطرودين من آسيا وأفريقيا . وعشية الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٧م هرب إلى قبرص بطريرك الأرثوذكس في بيت المقدس سيمون وقساوسته وكهنته . ومن قبرص أرسلوا المساعدات والمؤن للصليبيين عبر أنطاكية . فلما تبين لهم أن هذه المساعدات غير كافية، ولاسيما عندما إنتشرت الجماعة بين الصليبيين إنتقل تاتيكوس Taticius ممثل الامبراطور اليكسيس الأول كومينوس Alexis I. Comnenus إلى قبرص عام ١٠٩٨م ليشرف بنفسه على تنظيم عمليات التموين والإبرار على نحو أكفأ من ذي قبل، ولاسيما بالنسبة لأولئك الذين كانوا يحاصرون أنطاكية .

وفي نفس الوقت تقريباً سلمت اللاذقية Lattakia -أقصى ميناء بيزنطي إلى الجنوب- لروبرت النورماندي، ليتولى حكمها نيابة عن الامبراطور أليكسيس الأول . ولكنه كان مستبداً وطاغية لا يطاق، فطرده الأهالي واستدعوا حامية بيزنطية من قبرص . وكان لسيطرة بيزنطة على قبرص عام ١٠٩٨م الفضل في أنها لعبت دوراً في الحروب الصليبية . وفي الواقع فإن القبارصة تحت الحكم اللاتيني، وفي غضون الحملات الصليبية أستطاعوا أن يطوروا علاقات جوار طيبة مع جيرانهم المسلمين، تقوم على أساس برهاتى . أى تبادل المنافع في حين لم ينجحوا تماماً في ذلك مع المحتلين اللاتين القادمين من العالم الغربى المسيحى، والذين كان لطموحاتهم الطائشة أثر بالغ السوء بالنسبة للحروب الصليبية من جهة، وبالنسبة للقبارصة من جهة أخرى . حيث تسببوا في مصائب جمة، فلقد إنتهت الحملة الصليبية الرابعة بنتائج وخيمة العواقب على الأراضي المقدسة وقبرص . كانت القسطنطينية أضعف من أن تحمى سوريا أو تنقل فلسطين وقبرص . وموت أمارليك ١٢٠٥م ضاعت بيت المقدس، وأنهالت على قبرص أمواج متتالية من أهل الأراضي المقدسة وأرمينيا وأنطاكية وعكا وغيرها ممن شردتهم الحرب .

وفي الحملة الصليبية الخامسة ١٢١٨م كانت قبرص هي نقطة التجمع . وكان ملكها هاج الأول على وشك الإشتراك في الحملة، لو لم يخطفه الموت في ١٠ يناير ١٢١٨م . ولكن قبرص هي التي وفرت المؤن والإمدادات للسفن . وكانت مصر طوال الحروب الصليبية هي مفتاح الأمان بالنسبة لبيت المقدس والقسطنطينية وقبرص . وفي عام ١٢٢٠م أغرقت القوات المصرية وأسرت كل السفن الصليبية بالقرب من ليماسول . وفي عام ١٢٤٨م وصل لويس التاسع مع كوكبة من أمراء فرنسا إلى مصر عبر قبرص . إذ كانت قبرص هي نقطة

(١) نفس المرجع، في أماكن متفرقة.

الإنطلاق في حملته الصليبية على مصر . وكان يستهدف التضييل والتمويه على خطوته القادمة بعد تركزه في قبرص . وهناك إستقبل لويس التاسع وفوداً من معظم الدول المجاورة، بما في ذلك مبعوث زعيم منغوليا الذي جاء برسالة فحواها أنه يعتبر لويس التاسع واحداً من أتباعه!

يعالج د . جوزيف نسيم يوسف هذه الحملة في كتابه "العدوان الصليبي على مصر . هزيمة لويس التاسع في النصورة وفارسكور" وجاء فيه:

"عندما وصل الصليبيون قبرص شعروا بأنهم في ديارهم مع بنى عشيرتهم، وبأنهم ليسوا غرباء في هذه الجزيرة، التي كانت وقتئذ تحت حكم أسرة لوسنيان اللاتينية المسيحية، فكانت من ثم دولة صديقة لهم . وقد تلقى هنرى الأول لوسنيان ملك الجزيرة لويس التاسع ورجاله بالترحاب في عاصمة ملكه الأفقوسية Nicosia، وشاركه شعبه والموارنة، ومثلوا الداوية والأسبارية الذين كانوا بالجزيرة في الترحيب بالجيش الصليبي والملك الفرنسى .

إطمأنت الحملة الفرنسية للإقامة في قبرص، وأمضت زهاء ثمانية أشهر بها (سبتمبر ١٢٤٨ - مايو ١٢٤٩م) قبل تحركها صوب الديار المصرية . وقد أمدتنا الأصول الغربية بمعلومات متفرقة حول هذه الفترة الطويلة التي أمضاها الصليبيون بالجزيرة . ولعل أهم حادثة وقعت خلالها هي تلك التي إنفرد بذكرها المؤرخ الغربى المعاصر غليوم دى نائجي؛ إذ ذكر أن الصليبيين ألقوا القبض على بعض الأشخاص كان قد أرسلهم سلطان مصر الصالح أيوب لدس السم للويس التاسع وقواد جيشه حتى يتخلص منهم . وإن عدم تعرض باقى مراجع الحملة، شرقية كانت أم غربية، إلى هذه الحادثة الخطيرة يدفعنا إلى الشك في صحتها . ولو كانت هذه المؤامرة قد دبرت فعلا، لوجدنا الصليبيين الذين إشتراكوا في الحملة وكتبوا عنها، أمثال جوافيل وجوفروا دى بلييه والملك لويس نفسه، يبالغون في وصفها ويهولون من أمرها .

وفي فترة إقامة لويس التاسع بقبرص، وفدت إليه هناك أيضا الامبراطورة مارى زوجة بلدوين الثانى إمبراطور القسطنطينية اللاتينية، وابنة جان دى برين صاحب عكا والملك الأسفى لبيت المقدس، في طلب العون منه ومن كبار الصليبيين لإقرار مركز زوجها المزعزع في عاصمة ملكه . ولكنها لم تلق إلا عطفًا ووعودا خلافا لم تلبث أن ذهبت أدراج الرياح بعد مغادرتها الجزيرة . ولقد لبثت الحملة الصليبية في قبرص قرابة ثمانية أشهر على الرغم من رغبة الملك الفرنسى في التقدم السريع إلى مصر، وذلك نزولا على نصيحة البارونات والقواد بالإنظار ريثما يلحق به بقية الجيش الذى لم يصل إلى الجزيرة بعد . فاستقر الرأى على تمضية فصل الشتاء فيها وأن تبدأ العمليات الحربية في الربيع القادم . والواقع أن هذه المدة الطويلة التي قضاها الفرنج في الجزيرة دون القيام بأى عمل مجد نافع، قد أضرت بالحملة أكثر مما أفادتها^(١)

وشهد حكم هاج الثالث (١٢٦٧-١٢٨٤م) وجون الثانى (١٢٨٤-١٢٨٥م) وهنرى الثانى -المصاب بالصرع- (١٢٨٥-١٣٢٤م) سقوط ممالك سوريا الإفرنجية، وكذا سقوط أهم حصونها وقلاعها ومراكزها التجارية في أيدي المصريين، فسقطت اللاذقية (١٢٨٧م) وطرابلس (١٢٨٩م) وأخيراً عكـا

^(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامى في العصور الوسطى، جزآن، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٨٦ . الجزء الثانى، ص ٨٣١، ومايلها.

١٢٩١م. ومن المفارقات أن صور عام ١٢٨٥م كانت قد شهدت إحتفالات ومهرجانات لمدة أسبوعين بمناسبة تنويع هنرى الثانى ملكاً على بيت المقدس، وقد أسرع لنجدة عكا قبل الهجوم الأخير فى ١٨/٥/١٢٩١م. فلما سقطت عكا إندفعت أمواج جديدة من اللاجئين السوريين واللاتين المهزومين إلى قبرص، التى أصبحت جزيرة مسيحية منعزلة فى بحر الإسلام.

منذ القرن الرابع عشر فصاعداً صار التأثير القبرصى اليونانى على القبارصة اللاتين أقوى وأظهر، ولاسيما بعد أن التف القبارصة اليونان حول كنيستهم يدعمونها بكل الوسائل. فبنوا كاتدرائيات ضخمة وفخمة مثل كاتدرائية سانت جورج فى أموخوستوس -فاما جوستا التى ألحقت بالكاتدرائية الأصغر كاتدرائية سانت سيميون، حدث ذلك فيما بين ١٣٦٠ و ١٣٧٠م. وفى عهد الأسقف يوانيس مانتراس Johannes Mantzas بيت كاتدرائية سانت جورج فى مواجهة الكنيسة اللاتينية سانت بيتر وسانت بول، اللتان بنيتا فيما بين ١٣٥٩ و ١٣٦٩م. ومع ذلك كانت نيقوسيا -عاصمة الدولة وعاصمة الكنيسة اللاتينية- فى صعود مستمر على حساب المدن الأخرى. إن العبارات القاسية التى إستخدمها رئيس الأساقفة اللاتين فى قبرص فيليب دى شامبرلاك Philippe de Chamberlach عام ١٣٥٠م ضد الزواج المختلط فى الجزيرة يدل على ترايد إقتراب اللاتين من المجتمع القبرصى اليونانى، وهو ما كان يمكن أن يؤدى إلى "هنة" اللاتين أى تحويلهم إلى الثقافة الهيلينية والكنسية الأورثوذكسية. ويمكن القول إنه عند نهاية القرن الرابع عشر الميلادى كانت الأفكار اللاهوتية اللاتينية على وشك التقهقر، وبدأت نزعة نحو مناصرة جريجورى بالاماس Gregory Palamas الراهب، وظهر ذلك فى الفكر والأدب. أما غالبية القبارصة منذ منتصف القرن الرابع عشر فقد كانوا يناهضون بالاماس ويتزعمهم جيورجيوس لابيئيس Georgius Lapithes المولود فى لايشو الحكيم والثقاف واسع وعريضة، وناظم الأشعار الأخلاقية، ومؤلف المقالات الفلسفية وكتابات فلكية ودينية تكفى على نماذج لاتينية. ومع ذلك أخذت بآرائه وكتابه الكنيسة البيزنطية فى القنسطنطينية، وصارت من موادها الثقافية وعزونها الفكرى حتى عام ١٥٧٦م. ومن أهم مناهضى الفكر الرهبانى رئيس أساقفة سالونيك ذو الأصول القبرصية، والذى جمع حوله دائرة من المريدن القبارصة ونعنى هياكينثوس Hyacinthus (١٣٤٥-١٣٤٦م). وكان لابيئيس من أصدقاء الملك هاج الرابع (١٣٢٤-١٣٥٨م)^(١).

حدث تقارب يونانى -لاتينى إذن فى قبرص إبان أواسط القرن الرابع عشر، مما أدى إلى التقارب مع بيزنطة. وكانت النتيجة أنهم إستولوا على أزمير مؤقتاً، ولكنهم لم يتمكنوا من وقف الزحف التركى. وإستمر التقارب اليونانى - اللاتينى فى الجزيرة إبان حكم بيتر الأول (١٣٥٨-١٣٦٩م)، الذى قام بحملات صليبية ضد الأتراك والمماليك. وفى نهاية المطاف قل على يد عصابة من أتباعه، ولاقت عشيقته جونا لآليماند Joanna L' Allemand الويل بعد موته، ومن ثم نشأت الأغاني الشعبية القبرصية المعروفة بإسم أرودافنوسا Arodaphnoussa التى نظمت على منوال فنون الأدب الشعبى اللاتينى. وهكذا انعكس التقارب اليونانى - اللاتينى القبرصى فى الفنون الشعبية. كما يظهر فى أغنية "مائة كلمة فى الحب" (Hekatologa) وغيرها. وفى نفس الوقت

شقت أغاني التروبادور طريقها من أوروبا إلى قبرص وتواءمت مع متطلبات الحياة في سياق يوناني . ومن الجدير بالذكر أن أغاني التروبادور - كما تدل أحدث الدراسات - من أصل عربي شرقي عبر الأندلس . ومن هنا يمكن فهم السر في شيوعها بقبرص الأقرب إلى العرب والشرق، وشاعت أغاني رعوية مثل "أغنية المعزة الحمراء" و"أغاني الحداد" Moirologia والتي تحمل سمات شبه واضحة مع الأغنية اللاتينية Erotokrito وآلام المسيح البروفينسالية، المهم أن هناك اختلاطاً ملموساً بين بيزنطة واللاتين والتراث العربي في قبرص مما يحتاج إلى مزيد من البحث والدرس^(١)

[Greek] Hatzedemetriou, pp. 163-223.

(١)

[Greek] Hatzioannou, Mesaionike, pp. 358 ff, 366-369.

A. Nicolaou, La Chanson d' Arodaphnoussa des origines franques à la tradition populaire actuelle. Memoire de Maitrise Montpellier 1981-1982.

وعن اللغات واللهجات المستخدمة في قبرص إبان العصور الوسطى وكذا عن تزاوج اللغة المحلية مع اللغات الوافدة أنظر نفس المرجع السابق ص ١٤١ ومايليها وقارن:

Beraud, op. cit. pp. 27-92. Stephano Lusignan, Description de toute l' isle de Chypre. Bologne 1580.

الباب الثالث

الإحتلال العثماني (١٥٧٠ - ١٨٧٨ م)

“Συμφωνως με τους λοιπους αδελφους ημων
ελληνας, θελομεν προσπαθησει δια την
ελευθεριαν της ειρηνικης ημων παλαι μεν
μακαριας ηδη δε τρισαθλιας νησου Κυπρου“

"بالنسبة لإخواننا اليونان الآخرين نريد العون في سبيل تحرير جزيرتنا المسألة
لقبرص، المباركة والهايسة أيضاً" (إعلان ٧ ديسمبر ١٨٢١ بتوقيع
ميريدون من تريغثوس ويواكيكوس كجيريانوس)

١ - العثمانيون أشد قسوة من اللاتين

يقول الدكتور جلال يحيى فى كتابه "العالم الإسلامى الحديث والمعاصر" عن الغزو العثمانى لقبرص:

"أرسلت الدولة العثمانية مندوباً إلى البندقية، يطلب إليها تسليم قبرص، إستناداً إلى الحقوق التاريخية، وذلك فى ٢٧ مارس ١٥٧٠؛ ولكن مجلس شيوخ الجمهورية رفض الطلب العثمانى، وقررت البندقية أن تحارب، واتصلت بملك إسبانيا، حتى يساعدوا فى هذه الحرب. وأخذت فى إعداد أسطر لها وفى تسليحها، كما أرسلت قوة عسكرية، من بضعة آلاف جندى، لتدعيم الدفاع عن قبرص. وظهر الأسطول الإشباني، بقيادة أندريا دوريا، فى شهر أبريل ١٥٧٠، عند نابولي؛ ولكنه كان يخشى من تحركات العليج على، الذى كان أسطوله قد إستولى على بنزرت، وقام بتحسينها؛ وكان يرغب فى أن ينال من هذا الأسطول، أو يؤمن على الأقل أمر الدفاع عن القواعد الإسبانية فى وسط البحر المتوسط. وفى ذلك الوقت، وافقت إسبانيا على طلب البابا والبنادقة، بالإشتراك فى عملية محاولة إنقاذ قبرص.

ولقد نزلت القوات العثمانية فى جزيرة قبرص فى شهر يوليو. وفى ٩ سبتمبر سقطت نيقوسيا عاصمتها فى أيدي العثمانيين. وظلت فماجوستا وحدها، وكانت أفضل تحصين، فى أيدي البنادقة، وكانت بها قوات أكبر، يمكنها أن تقاوم لفترة من الوقت.

وشعرت البندقية بأنها قد أصبحت مهددة بفقد قبرص، وبأن تفقد بالتالى منتجات هذه الجزيرة من القطن والسكر. فطرح فكرة ضرورة إنقاذ الجزيرة، ولقد رفض فيليب الثانى، فى أول الأمر، إمكانية إشتراك إسبانيا فى هذه العملية؛ وكانت العمليات تسير ضد ثورة الموريكيين، وتحرم إسبانيا من التفكير فى العمل شرقى البحر المتوسط. ولكن البابا بيوس الخامس إتتهز هذه الفرصة من أجل الدعاية للعالم المسيحى، وضد الخطر الإسلامى، والذى ينتشر فى كل مكان. فوافق فيليب الثانى على الإشتراك فى عملية محاولة إنقاذ قبرص.

ولقد وصل أندريا دوريا ومعه ٥١ سفينة، وبعض سفن البابوية إلى الساحل الشمالى فى جزيرة كريت، فى منتصف شهر سبتمبر ١٥٧٠. وكان ميناء سودا لا يصلح كقاعدة للعمليات؛ ولكن أسطول البندقية كان ينتظر هناك. ثم تقدم الأسطول المشترك شرقاً؛ ولكنه خشى من وقوع مواجهة مع الأسطول العثمانى؛ فأتجه إلى رودس، حتى يبعد الأسطول العثمانى عن قبرص. وكان الأسطول المشترك قوة ضخمة؛ فكان يضم ١٩٠ سفينة حربية، خلاف سفن النقل، ويحمل ١٠٢٠٠ مدفع و ١٦٠٠٠٠ جندي؛ وكان فى وسعه أن يدخل فى معركة. ولكن يبدو أنه كانت هناك خلافات بين القادة. وعلى أى حال فلقد بلغهم أمر الإستيلاء على نيقوسيا، وسيطرة العثمانيين على الجزيرة، فيما عدا مدينة فماجوستا؛ فقرر قادة الأرمادا العودة إلى بلادهم. وكان فصل الخريف قد بدأ فى الظهور، وأصبح البحر غير مأمون. وهكذا تم للدولة العثمانية أمر الإستيلاء على قبرص^(١).

(١) جلال يحيى، العالم الإسلامى الحديث والمعاصر، المكتب الجامعى الحديث، الاسكندرية ١٩٨٢، ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

أنعش التدخل العثماني التركي في تمرد دياسورينوس -الذى سلف ذكره- الأطماع القديمة في الجزيرة. ووجد العثمانيون بين القبارصة اليونان عدداً لا بأس به على أتم الإستعداد للتحالف معهم ضد الاحتلال اللاتيني الغاشم، والذي يئن تحت نيره القبارصة. وظهر ذلك في عدة مناسبات ١٤٦٨/١٤٦٩، ١٤٨٨، ١٥٦٦، ١٥٦٩م. وجاء الضغط العسكري العثماني ١٤٨٨م ومايلها بالأمال في الأفق بالنسبة للقبارصة اليونان الذين كانوا على هامش الحياة (paroikoi) لكي يتحرروا وإضطر البنادقة إلى تخفيض مدة "السخرة" إلى يومين أسبوعياً، وفي أعوام ١٥٦١-١٥٦٦م و ١٥٦٩م ذهبت وفود قبرصية يونانية إلى القنصلية ليطالبوا مع الأتراك في إمكانية إرسال حملة تركية على قبرص. لقد كان القبارصة اليونان يتطلعون إلى نظام حكم أكثر تسامحاً وأخف وطأة على السكان بحيث يخلصهم من حالة الإستعباد التي فرضها عليهم الاحتلال اللاتيني.

كان الشعب القبرصي اليوناني قد بلغ به السخط على المحتل اللاتيني الذروة من شدة الإستغلال والفساد. وكان من بينهم حوالي خمسون ألف "عبد" على أهبة الإستعداد لموازرة الحملة التركية المرتقبة. هكذا كانت الأرض مهيأة للغزو التركي من حيث الجهة الداخلية القبرصية. أما الجهة الخارجية أى القوى المسيحية المهتمة بقبرص مثل سافوى وأسبانيا والبندقية ١٠٠٠ الخ فلقد عملت تركيا على زرع الفرقة فيما بينها. وزاد الطين بلة أن السلطات الحاكمة في قبرص وقعت في تناقضات وخلافات شتى. إذ أعطت السلطة الحاكمة أمراً للمديرين المحليين بتحرير العبيد، ولكن الأمر لم ينفذ. وإذا كان القبارصة اليونان قد ساعدوا البنادقة في الدفاع عن نيقوسيا وفاماجوستا، فإن ذلك قد تم دون حماس وبالتالي دون نتائج ملموسة إلا في حالات فردية بطولية. وهكذا لم يبق أمام القبارصة اليونان سوى الترحيب بالغزاة الجدد الأتراك. فقدموا لهم المأوى والمعلومات الغزيرة حول أحوال الجزيرة. وسقطت نيقوسيا يوم ٩ سبتمبر ١٥٧٠م في يد لالا مصطفى باشا، وإستسلمت له القوات الجبلية وعددها خمس وعشرون ألفاً، وسمح لهم بالإحتفاظ بممتلكاتهم الإفرنج، بل وبالخدمة في سلاح الفرسان التركي Sipahis. وأخذت الطبقة العليا من الفرانكيين والبنادقة يغفرون السكان بالإستسلام سلمياً وأسلم عدد كبير من النبلاء^(١) ثم إستسلمت فاماجوستا في ١/٨/١٥٧١م.

= وقارن كولز (بدل)، - ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ، العثمانيون في أوروبا. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ ص ٨٩ ومايلها. ويقول المؤلف عن الصراع بين العثمانيين والأوروبيين حول السيطرة على البحر المتوسط ودور قبرص في ذلك "لقد اندلعت الحرب بإستيلاء العثمانيين على قبرص من البنادقة في سنة ١٥٧٠. إذ في العام التالي قاد دون جوان صاحب النمسا أسطولاً مسيحياً موحداً أوقع الهزيمة بقوة عثمانية كانت أكبر من تلك التي لاقى الهزيمة في ليبان، وكانت هذه الهزيمة العثمانية بالقرب من فم خليج كورنثة، إلا أن العثمانيين إحتفظوا بقبرص، وأعادوا بناء أسطولهم بسرعة، وأجبروا البندقية على الإنسحاب من الحلف المقدس في سنة ١٥٧٣ وفتحوا تونس ١٥٧٤". ثم يضيف قوله "وعلى أية حال لبعد سنة ١٥٧٠ (الاستيلاء على قبرص) بدأ مسرح البحر المتوسط يتوارى في خلفية التاريخ، كما حدث لمسرح البلقان" (ص ٩٥)

Jacque Charles- Gaffiot, La France aux potes de l'Orient. Chypre XII eme- XV eme

J.Charles- Gaffiot. Centre Culturel du siècle. Ouvrages collectives sous la direction de Pantheon. Paris 1991.

وفور سقوط نيقوسيا إتخذ الأتراك إجراءً فورياً يستهدف إسترضاء "الرعية". وتشمل هذا الإجراء فى إعفاء الجزيرة من دفع "الجزية" لعام ١٥٧٠م. وتدخلت الطبقات العليا من اللاتين واللاتين المتأخرين على حساب الطبقات الدنيا. وإستطاع عليّة القوم فى قبرص أن يتقلدوا إلى داخل دوائر نظام الحكم الجديد، لكى يقطفوا ثمار أى تجديد يتحول به لصالحهم دون عامة الشعب. كان المتعاونون مع الأتراك من الذين أسلموا أو الذين ظلوا على المسيحية، وتقلدوا أعلى المناصب الادارية وحاولوا السيطرة على الكنيسة الأورثوذكسية اليونانية.

وكان نظام الضرائب العثمانى يعد "تقدماً" بمقاييس عصره. إعتبرت الأراضي ملكية عامة "ميرى"، وكان بوسع الفلاحين القبارصة أن يملكوها ويورثوها لأبنائهم، بشرط أن يدفعوا فى البداية مبلغاً من المال "الرسم"، بالإضافة إلى إيجار سنوى. وهكذا تحول القبارصة إلى مستأجرين للأراضي، فهى ليست فى ملكية أحد منهم بالمعنى الحقيقى للكلمة. ومع هذا الإجحاف فإن النظام العثمانى كان فى البداية أفضل بكثير من إستغلال اللاتين، الذين كانوا قد حولوا الفلاحين إلى "عبيد" أو "عمال سخرة"، فجاء النظام العثمانى فحررهم، وسمح لهم بالإنتقال من مكان إلى آخر، ومن الريف إلى المدن. بيد أن النظام العثمانى الجديد فرض على القبارصة "الخدمة الإجبارية" أو "السخرة" لمدة يوم واحد فى الأسبوع للعمل فى مصانع تكرير السكر الحكومية. ولكن هذه الخدمة الإجبارية ألغيت فى نهاية القرن السادس عشر مع تدهور صناعة السكر. وحل القطن محل قصب السكر إذ كان محصولاً زراعياً رئيسياً كان يصدر إلى أوروبا. وانتشر الربا فى قبرص، لأن الفلاحين الذين كان عليهم أن يدفعوا "الجزية" و "الخراج" وغيرها من الرسوم والضرائب، لجأوا إلى المرابين طلباً للقروض بفوائد عالية. ولكن العثمانيين أعفوا المسنين والمعاقين والنساء والأطفال من الجزية التى كانت تتراوح بين مائة وحدة نقدية تركية akchas للأثرياء وثمانين للطبقة الوسطى وستين لمن هم دون المتوسط.

صفوة القول إن حال العامة فى قبرص لم تتحسن كثيراً فى ظل الحكم العثمانى كما توقع أهالى وكما ظهر فى البداية. وكان شاغلوا المناصب العسكرية من الفرسان وغيرهم يعملون فى جباية الضرائب والشنون الإدارية الأخرى لصالح المالك العام للأراضي وهى الحكومة العثمانية. كان هؤلاء من المتعاونين مع المحتل العثمانى سواء أكانوا من القبارصة اليونان أو اللاتين وسواء أسلموا، أو إحتفظوا بدينهم الأقدم المسيحية. المهم أنهم لم يتخلوا عن جشعهم الموروث وطموحاتهم الشرهة على حساب مصلحة الوطن العليا. وهذا هو الحال بالنسبة لمعظم الأوطان التى تعرضت للإحتلال الأجنبى مثل مصر وسائر البلدان العربية ودول العالم الثالث كافة.

حدد "فرمان عثمان" الصادر فى أكتوبر ١٥٧١م وضع طبقة النبلاء اللاتين، وقد صدر بعد زيارة وفد من فاما جوستا للقنصلية. وبموجب هذا الفرمان صار من غير المسموح به إقامة أى مسيحي لاتينى فى قبرص، وحرم عليهم كذلك إمتلاك كنيسة، ولا حتى بيت أو مزرعة. ولم يعد أمام اللاتين سوى الإختيار بين الأورثوذكسية والإسلام الديانتين المسموح بهما فى قبرص. وبعد أن عقد العثمانيون معاهدة سلام مع البنادقة سمح للمسيحيين اللاتين بوجود ما فى الجزيرة، ولاسيما أولئك المنحدرين من أصول بندقية. وكان هؤلاء الذين أقاموا فى قبرص صلات وثيقة بالأورثوذكسية، وشاركوا فى بعض حركات التمرد الخيطة

تباعاً. ولكن هذه المشاركة ذهبت سدى، وبالمثل كان الأمل في كسب التأييد الأوروبي الغربى لصالح قبرص سراياً، وتستوى في ذلك سافوى والبندقية وفرنسا وأسبانيا. وعلى هذا النحو صار الحال في الفترة من ١٥٧٢-١٦٦٨م.

ولقد توالى حركات التمرد القبرصية اليونانية ضد الاحتلال التركي. ويسجل التاريخ هذه الأعوام التي حدثت بها تلك الأحداث التصادية العنيفة مع الأتراك، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٥، ١٥٧٨، ١٥٨٠- ١٥٨١، ١٥٩٠، ١٦٠٠، ١٦٠٦، ١٦٠٩، ١٦١٣، ١٦٣٢، ١٦٦٨-١٦٦٩م. وسنتناول بعض هذه الثورات في عجالة، ففي عام ١٦٠٦م تزعم بدروس أفينتانيوس Pedros Aventanius حركة تمرد. وفيما بين ١٦٠٩ و ١٦٢٦م قاد فيتوريوس زيبيتوس Vittorios Zebetos حركة أخرى، وكانت هذه الحركات الثورية تقوم على أساس أن الغرب الأوروبي سيمد لها يد العون. ولكن هذا الأمل كان سراياً أو كما قال أفينتانيوس:

"إن الأتراك الذين عاشوا في هذه المنطقة (قبرص) هم مرتدون (يعنى عن المسيحية)، وخائنون renegades لهذا الوطن نفسه، ولا يسمحون عن طيب خاطر بدخول آخرين (مسلمين) قادمين من الخارج".

وفي نفس المعنى يقول دانديني Dandini (١٥٩٦-١٥٩٧م) "هناك اثنا عشر ألفاً أو ثلاثة عشر ألفاً من هؤلاء الأتراك في كل الجزيرة، ومعظمهم من المرتدين الذين تحولوا للإسلام طمعاً في راحة البال أو الهدوء. ومن ثم فليس من الصعب حماية الجزيرة من طغيان الأتراك وإعادة تأسيس المسيحية. لأن هؤلاء المرتدين ما أن يروا جيشاً مسيحياً حتى يسرعوا بخلق العمامة وإرتداء القبعة، وسوف يوجهون على الفور سلاحهم ضد الأتراك".

ومن هذا الصنف نذكر إسمين شهيرين هما ميمى Memi ومصطفى. ولكن هناك صنف آخر هو أولئك اللاتين الذين بقوا في الجزيرة وتقلدوا أعلى المناصب في السلطة التركية، لأنهم كانوا عملاء لهم، ومنهم نذكر كلاوديو كيكينى Claudio Cecchini. لقد انضم هو وميمى ومصطفى وغيرهم من النبلاء العملاء إلى صفوف سلطة الاحتلال حرصاً على مواصلة تمتعهم بامتيازاتهم القديمة، أو سعياً إلى كسب امتيازات جديدة أو الإثنتين معاً. بعضهم أسلم، وبعضهم الآخر ظل على المسيحية. المهم أن كثيرين منهم إتصلوا سراً بزعماء الكنيسة اليونانية القبرصية وبدوق سافوى في محاولة لإزاحة الاحتلال التركي عام ١٦٠٠م. ومن مظاهر المقاومة القبرصية أيضاً أن المواطنين اليونانيين كانوا يخفون المناجم وكافة الموارد الطبيعية إداراً لها لما بعد التحرير.

فى سبتمبر ١٥٧١ كانت الحامية المكلفة بالدفاع عن قبرص لا تزيد عن ١٥٠٠-٢٠٠٠ من الفرسان، ومثلهم من الإنكشارية (المشاة). بعبارة أخرى فإن الحامية كانت من حيث العدد تتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ رجل. أقام معظمهم في المدن الكبرى مثل نيقوسيا وقاماجوستا وبافوس وليماسول وكيرينيا، لكن قلة منهم أقامت في القرى. وكانت مرتباتهم تدفع من موارد الجزيرة. وقد جاء في كتاب

ستيفانو لوسينيانو (النسخة الفرنسية ١٥٨٠م ص ٢٦٢) أن الأتراك الغزاة تركوا في الجزيرة ألفين من الفرسان بجيوشهم ومثلهم من المشاة، ليعمروا الجزيرة المهجورة (deserata).

وكما أسلفنا إستقبل القبارصة اليونان جنود الحملة التركية على أنهم محررون للجزيرة من الاحتلال الغاشم وحكم البنادقة الظالم. وبالفعل حرر الأتراك سكان الجزيرة من الإقطاع اللاتيني العفن، وأسسوا حكماً إستغلالياً وإستبدادياً من نوع جديد. وينطبق على القبارصة القول بأنهم كالمستجبرين من النار بالرمضاء. إحتوى الإحتلال التركي الطبقة الحاكمة في العصر اللاتيني وترك لها التمتع بامتيازاتها القديمة. وكان عدد السكان عشية الغزو التركي ١٥٧٠م حوالى ١٧٩ ألف نسمة، ولكنهم تعرضوا للإستنزاف والنضوب على نحو مطرد. ولعلاج قلة عدد السكان صدرت ست فرمانات في الفترة من ١٥٧٧/٤/٩ - ١٥٧٧/٨/٢٢م، مثلتها فرمانات أخرى في ١٩٨١/١/٥. وكلها تستهدف تهجير الأتراك إلى قبرص ولاسيما من الأناضول. وفي بعض الحالات كان التهجير إلى قبرص بمثابة نفى للمغضوب عليهم من الأتراك، لأنهم لم يرغبوا في ذلك ولم يقدموا عليه طواعية. وحتى عام ١٥٨١م لم يتعد عدد المهجرين بضعة آلاف من المسلمين والمسيحيين الأتراك على حد سواء. ومعظمهم من الفلاحين والحرفيين، وإندمج المسيحيون منهم في المجتمع اليوناني القبرصي. أما المسلمون القادمون من آسيا الصغرى فتراوح عددهم بين ثمانية وإثنى عشر ألفاً. وبالرغم من أنهم تمتعوا بامتيازات أفضل وأكثر مما ناله المسيحيون القادمون من آسيا الصغرى، إلا أنهم جميعاً إنضموا إلى سائر "الرعية" أى الطبقة العاملة والمنتجة دافعة الضرائب. وفي ١٥٧٣/١٥٧٤م صدر فرمان يسمح للفلاحين القبارصة بشراء مافقده من ممتلكاتهم الزراعية إبان الغزو التركي (يونية ١٥٧٠ - أغسطس ١٥٧١م). وصدر فرمان آخر في أكتوبر ١٥٧١م يعيد لليونان القبارصة كنائسهم وأديرتهم، مما أنعش الحياة الكنسية الأورثوذكسية منذ عام ١٥٨٥م.

بعد الغزو مباشرة أعلن الكثيرون من مسيحي قبرص التحول للإسلام، ربما هرباً من الضرائب وطمعاً في الإمتيازات. وهذا ما كان قد حدث في آسيا الصغرى من قبل. وكان الكثيرون من هؤلاء يتصلون سراً بالكنيسة في القسطنطينية ويؤدون طقوس المسيحية سراً. وهذا ما يذكرنا بما حدث في الأندلس وصقلية بعد طرد المسلمي قرأ وعنوة، ن إذ أعلن الكثيرون التحول للمسيحية وعاشوا في بلاط الملوك ومارسوا شعائر الدين الإسلامى سراً. بالنسبة لقبرص نضرب مثلاً بمهندس السلطان المعمارى الكبير مينار سينان باشا Minar Sinan Pasha، وهو من أصل يوناني مسيحي وطلب من السلطان إستثناء أقاربه من التهجير إلى قبرص، وقد كانوا يعيشون في قرى كابادوكيا. ومنح السلطان لأقارب سينان باشا هذا الإمتياز، الذى لم ينله الكثيرون من سكان آسيا الصغرى ممن هجروا إلى قبرص.

كان إعادة تأسيس الكنيسة الأورثوذكسية في قبرص ١٥٧١م بالفرمان التركي حدثاً مهماً فى تاريخ الهيلينية القبرصية. وكان أول رئيس للأماقفة القبارصة (سبتمبر - أكتوبر ١٥٧١م) هو فى الأغلب أحد أقارب الوزير الكبير محمد صوقللى باشا Mehmed Sokolli Pasha الذى كان من أصل صربى - بوسنى. ولأنه لم يعرف اليونانية لا قراءة ولا كتابة ولا كلاماً رفضه القبارصة. فتولى المنصب تيموثيوس من عكا Timotheos d'Acre، وهو راهب سابق من دير كيكوس Kykkos، وعاش في القسطنطينية في

خدمة البطريركية المسكونية التي أيدته للوصول إلى هذا المركز . وكان الجمع البطريركي في القنسطنطينية الذي إختار تيموثيوس رئيساً للأساقفة في قبرص هو الذي قبل إتحاد الكنيسة القبرصية مع البطريركية المسكونية، فأنتهى بذلك القطيعة التي أوجدتها ورسختها الفزة اللاتينية في تاريخ قبرص . نجحت الكنيسة القبرصية بقيادة تيموثيوس في أن تستعيد كل أديرتها وممتلكاتها من الأتراك، الذين كانوا قد إستولوا عليها إبان فترة الغزو . تم ذلك عام ١٥٨٥م وبدأت الكنيسة تلعب دورها في الحياة وحتى في النظام الضريبي، حيث كان القس يمثل المسيحيين أمام السلطات، إذ يجمع الضرائب ويدفعها .

لعب الترجمانات dragomans دوراً بارزاً وخطيراً في نظام الحكم العثماني بقبرص . كانوا من القبارصة اليونان واللاتين من أبناء الطبقة العليا، تعاونوا مع السلطات الحاكمة وعملوا مترجمين وسكرتارية وجباة ضرائب ومديرين وما إلى ذلك . كان مركز ترجمانات السراي يكاد يوازي مركز الحكام الأتراك، حيث لعبوا دور همزة الوصل بين هؤلاء الحكام والقيادات الكنسية . مارسوا هيمنة كاملة على نظام الضرائب والإدارة المالية، ولاسيما الإحصاء ومراجعة الميزانية . ومع أن نفوذ أعيان قبرص هو الذي لعب الدور الأهم لدى الباب العالي في تعيين الترجمانات، إلا أنهم كانوا مسئولين مسئولية مباشرة في مهامهم وتصرفاتهم أمام السلطان العثماني نفسه . كانت ضرائب المسلمين يجمعها المحصلون، أما ضرائب المسيحيين يجمعها الترجمانات، وكان ولاء الترجمان يتوجه وفق أصله العرقي . وهذا ما جعل حياته محفوفة بالمخاطر، مثله في ذلك مثل عليه القوم والطبقة الحاكمة . ومن أشهر الترجمانات القبارصة بيتر غنيمي Pietro Guneme، الذي في عام ١٦٠٨م جرؤ على إقامة علاقات سرية مع سافوى من أجل تحرير قبرص من الاحتلال التركي البغيض . وكان بذلك يجاري رئيس الأساقفة خريستودولوس (١٦٠٩م) . وترجمان آخر مشهور هو فيديريجو فالارشي Federigo Vallarci (١٦٢٨-١٦٤٨م) الذي كان مصيره القتل على يد الإنكشارية المتمردين .

قام النظام الإداري العثماني في قبرص على كاهل طبقة العسكر الأرستقراطية الموالية للسلطان، وعلى رأسهم أمير الأمراء Beglerbeg ومهمته الرئيسية إدارة الجزيرة والدفاع عنها . يعاونه رئيس سجلات الخزانة Hazne Jefterdari أو Defter Kehayasi وأمين التيمار (الإقطاعية) Timar Defterdari . وكانوا جميعاً من الأغوات والإنكشارية وقائدهم الأعلى أمير الأمراء في حالة غيابه . وكان هناك "رئيس ديوان السجلات" وديوان أفنديسي Divovan Afendici والسكرتير الأول . و"أمين الدفتر" Defter Emini أى سكرتير الخزانة . . . إلخ . وهم في مجموعهم يشكلون هيكل النظام الإداري الحكومي .

وكان القرن السابع عشر الميلادي بالنسبة لقبرص هو قرن النكبات . فبالإضافة لشرور الاحتلال العثماني كانت هناك السنوات العجاف بسبب الجفاف وهجمات حجاج الجراد (١٦١٠-١٦٣٣م)، وعمليات السطو التي قام بها القراصنة، وكذا وباء الطاعون (١٦٤١م)، فحدثت مجاعات (١٦٤٠م) فانخفض عدد السكان إلى حوالي خمس وعشرين ألف نسمة . عانت الكنيسة من الخلافات والنزاعات الشخصية والعقائدية بين رجالاتها، بالإضافة إلى الخلاف التقليدي بين الكنيسة اللاتينية والكنيسة اليونانية الأورثوذكسية . وفي كثير من الحالات تم اللجوء إلى بطريركية الإسكندرية والقنسطنطينية لفض الاشتباك وحل النزاع .

ولقد أذان مجمع القنسطنطينية في يونيو ١٦٠٠م رئيس الأساقفة أثناسيوس وقرر خلعه . ولكن الأخير ظل نشطاً ومتعاوناً مع الأتراك ضد خلفه بنيامين، الذى بدوره إتصل بسافوى سراً من أجل التعاون لتحرير قبرص من الإحتلال التركى . ولهذا السبب وجد تأييداً من الطبقة القبرصية الحاكمة سواء اللاتينية أو اليونانية مثل ميمى ومصطفى وكلاوديو كيكنى . حدث ذلك قبل وبعد ١٥٧٠م . فلما جاء رئيس الأساقفة خريستودولوس (١٦٠٦-١٦٤٣م) وهو من نفس الطبقة العليا الحاكمة أصبح الوسيط السرى للإتصال فيما بين الحركات الوطنية السرية من ناحية والقوى الأوروبية الخارجية من ناحية أخرى . وفى عام ١٦٦٨م جمع رئيس الأساقفة القبارصة نيكيفوروس رجال الكنيسة فى نيقوسيا واتخذ قراراً بإدانة الكالفينية^(١) وكان الهدف من هذا القرار هو كسب أوروبا لصالح تحرير قبرص من الإحتلال التركى . والذى قام بصياغة هذا القرار هو هيلاريون سيجالا Hilarion Cigala وهو مفكر لاهوتى قبرصى واسع الثقافة، درس فى إيطاليا، وعمل فى شمال بلاد اليونان، وسجل لنفسه سيرة عملية مشرفة حتى صار رئيس الأساقفة (١٦٧٤-١٦٧٨م) وتوفى عام ١٦٨٢م . وكانت ميوله رومانية لاتينية وهو بذلك يشبه قوزماس مافروديس Kosmas Mavroudes من كيتيون - ليماسول ورئيس الأساقفة (١٦٧٥-١٦٧٩م) . وبعد ١٦٧٠م بدأ القبارصة بصفة عامة يتواءمون مع الإحتلال العثمانى من منطلق ضرورة مواصلة الحياة وإتباع النزعة البرجائية الواقعية .

وفى الواقع حاول الأتراك منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادى إدخال بعض الإصلاحات على النظام الإدارى فى قبرص . فبعد إلحاح من رئيس الأساقفة والأساقفة والوجناتان قرر الباب العالى فى ١٦٤١م طرد باشوات فاما جوستا وبافوس، وتحقيض مخصصات باشا نيقوسيا المالية . ويبدو أن السلطان أراد أن يدخل توازناً محسوباً بين سلطات الباشا والوجناتان من ناحية، والكنيسة من ناحية أخرى . فأمر بأن يعتبر الأسقف حارساً رسمياً وممثلاً للرعية، فأعاد بذلك للكنيسة بعض وظائفها القديمة . وصارت قبرص تحت المسؤولية المشتركة للسلطان والوزير الأول بدلاً من أفراد الآخر بها . ومنذ عام ١٦٧٥م صارت الجزيرة تابعة لقائد الأسطول أى القيودان باشا Kapudan Pasha الذى حكمها عن طريق نائب له . وساءت الأحوال وناءت ظهور الناس فثقل الضرائب الباهظة، فتحول بعضهم إلى الإسلام . وكان التذبذب بين الديانتين دليل الإرهاق والإضطراب . وفى عام ١٦٨٠م فشلت السلطات فى العثور على متعهد بجمع الضرائب . مع أنها كانت مهنة مريحة للغاية وصفقة يتهافت عليها المستثمرون . يقول لويس دى بارى Louis de Barrie - وهو قبرصى إختارته سافوى ليحجرى الإتصالات السرية مع رئيس الأساقفة- فى شهادة من عاصر الأحداث:

"كان الأتراك يحرسون الحصون، وأجبر المسيحيون على حراسة التلال والسواحل دون أن يسمح لهم بحمل السلاح، وكانوا يعاقبون بالموت لو ضبطوا مسلحين، ولم تلتق غالبية الأتراك التدريبات العسكرية

(١) الكالفينية نسبة إلى جان كالفين Jean Calvin (١٥٠٩-١٥٦٤م) وكان بروتستانياً ويدعو للإصلاح فى فرنسا وسويسرا، ويستهدف قيام "جمهورية بروتستانتية" يسودها النظام الديوقراطى الكسى مع التخلص من المراسم والتقاليد البالية والاعتقاد فى القدورية.

الكافية، فهم من المزارعين الذين يعملون بفلاحة الأرض. كان عدد المسيحيين يفوق عدد الأتراك بنسبة ٣ إلى ١. فلو إمتلكوا السلاح لأصبحوا قادرين على التخلص من الاحتلال التركي^(١).

وفيما بين ١٦٨٠ و ١٦٩٠م إهتزت قبرص بثورة عارمة قام بها محمد أغا بويازغلو Mehmed Agha Boyadjighlou، الذى طالب بالحكم الذاتى والإستقلال لقبرص. وأخذت هذه الثورة بالعنف، وعانت الجزيرة وشعبها من حرب مريعة. وقبيل إخماد الثورة زار رئيس الأساقفة يعقوب (باكوفوس) القنستنتينية نيابة عن الرعية المظلومة ودفاعاً عن مصالحها. وفى الواقع نجلى دور رئيس الأساقفة القبارصة فى أكثر من مناسبة إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر. فزار رئيس الأساقفة جرمانوس الثانى (١٦٩٠-١٧٠٥م) القنستنتينية نيابة عن الرعية فى وقت عصيب، ولم تغلح وساطته لهذا السبب، حيث استحكم الخلاف بين القبارصة أنفسهم. وعزل جرمانوس بقرار من مجمع البطيركية فى القنستنتينية، بناء على إقتراح من وفد قبرص نفسه! وظل الخلاف محتمداً فى عهد خلفه أثاناسيوس الثانى البطيرك السابق لأنطاكية.

وفى عام ١٧٣٠م ذهب وفد بزعامة رئيس الأساقفة سيلفيستروس Silvestros للصلاة من أجل تخفيف الضرائب. فألقى القبض عليه مع بعض رجاله وأعيدوا إلى قبرص بوصفهم خارجين على القانون! وكان فيلوثيروس Philotheos (١٧٣٤-١٧٥٩م) قد درس فى القنستنتينية وأسس مدرسة فى نيقوسيا ولارناكا. وأعاد على الباب العالى عرض مطالب الكنيسة القبرصية فى وثيقة كاملة، ولم تقصد أعماله وتجهض جهوده سوى دسائس الراهب مكاريوس (١٧٤٤م) وإستولى على منصبه نيوفيتوس Neophytos لبعض الوقت. ولقد كانت فترة حكم أبو بكير باشا (١٧٤٦-١٧٤٨م) زاهية وإستثنائية من بين كل فترات الاحتلال العثمانى. فهو الذى بنى عيون الماء (aqueducts) أربيرا- لارناكا التى إنتهت عام ١٧٥٠م. وفى عصر خلفه، وفى عيد الفصح ١٧٥٠م قتل ترجمان السراى خريستوفاكيس Christophakis على يد خاتريياكى Hazibaki ديدبان لارناكا.

بعد الإضطراب الذى وقع عام ١٧٥٢م ذهب وفد ثلاثى أسقى إلى القنستنتينية وأقنعوا الوزير الكبير باهر كوزى مصطفى باشا Bahir Kose Mustafa أن يصدر قراراً يثبت المبلغ الإجمالى للخسراج والمعاشات والنزول بواحد وعشرين ونصف قرشاً لكل رأس (فرد). وأهم من ذلك طلب الوفد إعتبار الأساقفة حراساً وتمثلين للرعية، على أن تكون صلتهم مباشرة مع الباب العالى. وهذه إمتيازات قديمة طلب الوفد فى الواقع تجديددها وتأكيدها. وفى عام ١٧٥٥م حدد الوزير الكبير الخراج السنوى للأديرة بأربعة آلاف قرش. وفيما بين ١٧٦٠م و ١٧٦٧م كان يحمل ضرائب قبرص يمثل أعلى مبلغ يحصل من أية ولاية عثمانية أخرى، فقد وصل معدله إلى مائتى قرش عن كل فرد سنوياً. وفى عام ١٧٦٤م جمع محصل الضرائب خليل عثمان Chil Osman ٣٥٠ ألف قرش زيادة عما هو مطلوب. وكان المعدل هو ٤٤٠٥ قرش عن كل مسيحي و ٢٢٠٥ قرش عن كل تركى مسلم. وبعد تدخل الأساقفة وأعيان الأتراك لدى الوزير الكبير



شكل رقم (٥١): مسئول تركي كبير يورع القود على الفقراء من التباينة

خفض المعدل إلى ٢٠,٥ قرش عن كل مسيحي، ونصف المبلغ عن كل تركي مسلم. وصدر الأمر لخليل عثمان بإرجاع الزيادة لأصحابها. ولكن الأمر تطور إلى صدام عنيف قتل فيه خليل عثمان وتسعة عشر من أتباعه في يوم ٢٥/١٠/١٧٦٤م. وفرضت التعويضات على المسؤولين عن أعمال العنف وهم من القبارصة اليونان والأتراك، إذ قاد الثورة خليل أغا فألقى القبض عليه وأعدم في ٨/٨/١٧٦٦م.

وفي عام ١٧٨٥م نقلت تبعية قبرص من الوزير الكبير إلى قائد الأسطول أو قبودان باشا الذي كان بدوره يعين الحاكم. وفي عام ١٧٩٢م كان إجمالي الضرائب المحصلة ٤٠٠ ألف قرش وفي عام ١٨٠٦م بلغت المليون. وقامت عدة اضطرابات، إذ تمرد الانكشارية عام ١٧٩٩م و١٨٠٤م. فأرسلت القنصلية العثمانية تعزيزات عسكرية عام ١٨٠٥م لإخماد العصيان. وعين حاكم جديد هو الحاج حسين، وتراكت الديون على قبرص ووصلت ما يناهز مائتا ألف المليون والنصف أو المليونين من القروش. وظل الأمر كذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر^(١)

٢- قبرص وثورة ١٨٢١م

كان الراهب كيريانوس (١٨١٠-١٨٢١م) من مآخيرا وعاش في والاشيا Walla chia (١٧٨٣-١٨٠٢م) وساءت علاقته مع الترجمان لامبروس Lambros. فجمع حوله دائرة من الأعيان، ومنهم أبناء عمومته نيكولاس وكيريانوس وثيوفيلاكوس وثيسوس وغيرهم. وفي ١٨١٢م أسس كيريانوس مدرسة يونانية في نيقوسيا. وجمع كيريانوس من كل فرد دافع للضريبة حوالى مبلغ ٢٠ قرشاً زيادة، لكى يسدد الديون المتأخرة على قبرص من ثلاثين عاماً. وكان عدد الأفراد دافعى الضرائب هو خمسة عشر ألفاً. ومع ذلك لم يفلح فى سداد كل المتأخرات. واستدعى كيريانوس نفسه للإستجواب عام ١٨١٥م فيما يتصل بأمواله، ومع أن ساحته قد بُرنته إلا أنه فى نهاية المطاف قد أعدم فى ١٨٢١/٧/٩م. مع خمسمائة يونانى قبرصى من رجال الكنيسة وزعماء المجتمع لتورطهم فى نشاطات الثورة اليونانية القومية ١٨٢١م، الطريق إلى التى فتحت حرب الإستقلال الطويلة. ومع أن دور قبرص فى هذه الحرب القومية لم يتعد إرسال الإمدادات الغذائية والمالية نظراً لبعدها عن الجزيرة، إلا أن الأتراك لم يصفحوها لها ذلك التورط. ولقد حاول ثيوفيلوس وثيسوس وثيوفيلاكوس - سالفو الذكر - التحرك نحو مساعدة اليونان عسكرياً، فأجبطت القوات التركية محاولتهم.

وفى تلك الأثناء حاول القبارصة المقيمون فى بلاد اليونان وأوروبا الغربية جمع المال لتحرير قبرص، ولتأسيس حملة على قبرص (ولبنان) اختلة. وذهبت هذه الجهود عبثاً، وذهب كيريانوس وثيسوس إلى هيدرا فى ١٨٢١/٤/٥م للمشاركة فى حرب الإستقلال. وذهب نيكولاس وآخرون إلى روما وباريس. وقاد ثيوفيلاكوس لجنة قبرصية فى رحلة إلى لندن، وتعاون مع قائد سابق فى جيش نابليون بوناپرت، وهو دى قوتس de Wutz وبريطانيين محبين للهيلينية philhellenes، واستمرت هذه الجهود حتى ١٨٢٤/١٨٢٥م. وفى عام ١٨٢٨م كان هناك وقد قبرصى من المقيمين باليونان فسلموا إلى قائد الثورة كابوديسترياس Capodistrias نداءً من زعماء الحركة الوطنية القبرصية يطلبون فيه أن تمتد حدود الدولة اليونانية المتفاوض عليها إلى قبرص. وهو مطلب يستيق مائة عام تقريباً تيار "الإتحاد" Enosis المتصل حتى القرن العشرين. ومع أن كابوديسترياس قد ضمن هذا المطلب القبرصى الوطنى إحدى الوثائق، إلا أن حلم الإتحاد فى ذلك الوقت كان ضرباً من الخيال المسرف فى الإبتعاد عن الواقع الملوس. بل تأسف أشد الأسف إذا قلنا إننا فى نهاية القرن العشرين نرى هذا الحلم مثلاً مبالغاً من ذى قبل. على أن هذا لا يقلل من شأن الكفاح القبرصى الوطنى، الذى كان يستهدف "الإتحاد" منذ الشرارة الأولى فى حرب الإستقلال اليونانية القومية ١٨٢١م.

وقد قدم الباحث بروتو بساليس الكثير من التفاصيل عن دور قبرص في الثورة القومية التحريرية ١٨٢١ ولاسيما فيما يتصل بدور خاراكمبوس ماليس والأخوين نيكولاؤس وفيلولوس تيسسيوس وآل إيكونوميديس^(١).

واصل كوتشوك Kucuk نظام حكمه الارهابي بفرض ضرائب فادحة على القبارصة، ورغم المساعي الأوروبية لتخفيف الأعباء، ولاسيما تدخل فرنسا، ودخل كوتشوك في نزاع مع والي أو باشا عكا مما دفع السلطان إلى أن يعهد بمهمة الدفاع عن قبرص إلى محمد علي والي مصر، فجاءت قواته ومعظمهم من الألبان وأقاموا في قبرص، وارتكبوا الكثير من الحماقات والجرائم، ونهبوا القرى اليونانية والزكية على حد سواء، وامتدت جرائمهم لتشمل الأوروبيين المقيمين في قبرص (أبريل ١٨٢٢م)، مما إستوجب أن يأمر السلطان بعزل كوتشوك وتعيين سعيد محمد في مكانه (نهاية ١٨٢٢م)، ولم تنسحب القوات المصرية قبل نهاية ١٨٢٩م، أي بعد موقعة نافارينو ٢٠/١٠/١٨٢٧م، ولم يتخل محمد علي نهائياً عن قبرص، إلا في ٥/٥/١٨٣٣م. وكانت قبرص وكريت قد قدما إلى بريطانيا ١٨٣١-١٨٣٢م رهناً فرفضت بريطانيا.

وقد أوردت الدكتورة زينب عصمت راشد الكثير من التفاصيل في كتابها "كريت تحت الحكم المصري ١٨٣٠-١٨٤٠م" فيما يتصل بحكم محمد علي في كريت والتنظيمات الادارية والاقتصادية والعناية بشئون التعمير والأمن ونشر العدل ورعاية السكان صحياً وثقافياً. ولقد ورد ذكر قبرص كثيراً لصلتها بهذه الأحداث آنذاك ومن أهم تلك الإشارات قول المؤلفة (ص ٨٥): "من كل ما تقدم يتضح لنا أن اتصال محمد علي وإسطلاعه بشئون الجزيرة (كريت) لم يبدأ بالفرمان السلطاني المشار إليه، وإنما يرجع ذلك إلى عام ١٨٢١م عند إنشغال السلطان على مصر الجزيرة فلجأ إلى محمد علي يستعين به فعهد إليه بالنظر في شئون كريت وقبرص^(٢)."

[Greek] Protopsaltis (Athens 1971) pp. 36-78 et passim

(١)

وهو الكتاب الذى تصدره هذه العبارة:

"Συμφωνως με τους λοιπους αδελφους ημων ελληνας, θελομεν προσπαθησει δια την ελευθεριαν της ειρηνικης ημων παλαι μεν μακαριας ηδη δε τρισαθλιας νησου Κυπρου..."

ومعناها "بالنسبة لإخواننا اليونان الآخرين نريد العون في سبيل تحرير جزيرتنا المسالمة قبرص، المباركة والباسة أيضاً" (إعلان ٦ ديسمبر ١٨٢١ بتوقيع سييريدون من تريمثوس ويوانيكوس كييريانوس رئيس المنشدين في الأسقفية القبرصية).

[Greek] Michael G. (Cyprus 1988) passim

وراجع:

(٢) زينب عصمت راشد، كريت تحت الحكم المصري ١٨٣٠-١٨٤٠، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

القاهرة ١٩٦٤، ص ١، ١٧، ١٨، ٢٨، ٣٣، ٣٥، ٨٥.

نفس المؤلفة: "من تاريخ الحكم المصري في كريت. فحة مورتيس Mourmies عام ١٨٣٣م" حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس. المجلد الثالث (يناير ١٩٥٥، ص ١٨١-٢٠٠).

وكان كثيرون من القبارصة الذين شاركوا في حرب الإستقلال اليونانية القومية قد بدأوا يعودون إلى وطنهم قبرص، بوصفهم مواطنين يونان تحميهم روسيا، وشرعت إنجلترا وفرنسا في التدخل لتشجيع العناصر الوطنية في قبرص -سواء من اليونان أو الأتراك- على التمرد. فقامت حركة أليپوتاس Alipotas ١٨٣٠م وقتل الحاكم خليل سعيد في ديسمبر ١٨٣١م. ورد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) ذو الإتجاهات الإصلاحية بمنح قبرص إستقلالاً إقتصادياً، مع إنشاء نظام برلماني يتمثل في إختيار أربعة من أعيان قبرص سنوياً ينضمون للسراى، إلى جانب تكوين لجنة من عشرين عضواً تسمى "لجنة الشئون العامة". أما "الجلس العمومي" فكان بقيادة الأسقف وعضوية أصحاب المراكز السابقة وثلاثة من رجال الكنيسة المتروبوليين وبعض الأعيان. وهذا المجلس هو الذى يعين الأربعة الذين ينضمون للسراى، وهو الذى يختار مندوب قبرصى فى القنسطنطينية. وتقرر إنشاء مستشفى للجزام ومدرسة فى كل من لارناكا وليماسول على غرار ماتم فى نيقوسيا.

كانت هذه إصلاحات تركية متازة، ولكنها لم تلبث أن تعطلت فى مهدها، بفعل التعقيدات الإدارية والدسائس بين المستولين. فعندما شرع الحاكم سعيد محمد أغا فى جمع الضرائب المتأخرة واجه تمرداً يونانياً وتركياً شب بين الفلاحين فى الريف والطبقات الدنيا فى المدن فى يولية ١٨٣٣م. كان المركز الرئيسى للتمرد فى لارناكا -سكالا وكارباس وبافوس- ومن بين زعماء التمرد فى سكالا نيكووس-وثيوفيلوس ثيسوس. وفى كارباس قاد التمرد الراهب يوانيكوس لازيمانوس Ioannikios Lazimanos وفى بافوس كان زعيم التمرد هو ياؤر (غيور) إمام Giaour Imam. شارك فى الثورة بعض الألبان فى كارباس وسكالا^(١) وساند التمرد فى سكالا القنصل الفرنسى ومترجه لابر G. Lapierre^(٢).

تكلف إخماد هذا التمرد مليون قرش، ولقى لازيمانوس وياؤر إمام أسوأ مصير. ولكن السلطان فى القنسطنطينية كان إصلاحياً فى رد فعله فأصدر فرمانين، الأول فى ٢٦/٤/١٨٣٤م والثانى فى ٢٢/٤/١٨٣٤م لتصحيح الأوضاع. وصدر فرمان ثالث ١٨٣٥م بتأسيس نظام دفاعى مستقر للجزيرة وتثبيت قوة عسكرية كافية بها، بدلاً من اللجوء إلى قوات التدخل السريع من خارج قبرص. ولمواجهة وباء ١٨٣٥م وماتبعه من مجاعة لمدة عامين أقيم مستشفى فى لارناكا، وذهب وفد قبرص إلى الباب العالى ١٨٣٧م، وطلب أن يحل عثمان محل الحاكم السيد محمد. وكان عثمان قبرصياً معتدلاً، له علاقات طيبة مع القبارصة اليونان. وفى عصره نعمت قبرص بشئ من الهدوء.

وفى ١١/٣/١٨٣٩م أعلن السلطان عبد المجيد "خطة شريف". وهى خطة تستهدف علاج الآثار الجانبية للإصلاحات السابقة، فوضعت نظاماً جديداً لجمع الضرائب، وثبتت النهج الأوروبي فى التجنيد،

عن هذه الثورة وتلك الشخصيات الوطنية القبرصية راجع:

[Greek] Piggouras, passim.

[Greek] Hatzedemetriou, pp. 254 ff.

عن الثقافة الفرنسية فى قبرص منذ بداية حكم الأسرة اللوسينيانية راجع:

Beraud. on. cit., passim.

وسمحت بحرية التصرف في الممتلكات . وأعطت لأبناء المجرمين المذنبين الحق في ثلثك ممتلكات الآباء، طالما كانوا هم أبرياء . وفشلت هذه الخطة الإصلاحية لأنها تجنبت المساس بمصالح عليّة القوم وكبار الملاك، ولم تفرض علمانية الدولة القبرصية .

فعادت الأمور إلى سابق عهدها، حتى أن الضرائب على قبرص بلغت ٦,٨١٥,٠٠٠ قرش، فبدأ الناس يفرون هرباً من كابوس الضرائب . هرب البعض من قرية إلى أخرى، أو من الساحل إلى الجبال، لكن كثيرين هربوا إلى الخارج . ووفقاً "لخطة شريف" إنتقلت تبعية قبرص من قائد الأسطول أو قبودان باشا إلى ستجق Sanjak الأرخييل، فألحقت بباشاليك Pashalik رودس ١٨٤٩م . ولكن هذه الإصلاحات أجهضت أيضاً بعد أن تولى حاكم جديد هو طلعت^(١) .

٣- زيادة النفوذ البريطاني

ومنذ أواسط القرن التاسع عشر بدأت القوى الخارجية تظهر اهتماماً أكبر بقبرص، وفي مقدمة هذه القوى بريطانيا، التي وضعت قبرص في خريطة مصالحها وخطتها في الشرق الأوسط والخليج العربي والهند، وكانت لقبرص بصفة خاصة أهمية قصوى لمصالح بريطانيا في فلسطين وسوريا، ولكن ألمانيا وفرنسا لم تتأخرا في إبداء الاهتمام بقبرص، وباندلاع الحرب الكريمية Crimean في ٢٣/١٠/١٨٥٣م بدأت المشاعر القبرصية اليونانية تتجه إلى روسيا وتأييدها، في حين كانت مشاعر المسلمين القبارصة مع بريطانيا وفرنسا بصفة عامة، وحاول الحاكم التركي أن يحافظ على التوازن بين الإتحادين فأمر في ٨/٥/١٨٥٤م كل الرعايا من بلاد اليونان القارية - وبعض القبارصة اليونان- بمغادرة قبرص، وأصدر الباب العالي في ٧/٥/١٨٥٥م فرماً يستبدل بالجزية أو الخراج ضريبة جديدة هي "البديلة" أي "بدل الخدمة العسكرية"، يدفعها كل من يرغب في عدم أداء الخدمة العسكرية الإجبارية وهذا ما كان يتبع في مصر إبان القرن التاسع عشر، ويسمح هذا الفرمان لليونانيين القبارصة بالإغتراف في صفوف الجيش حتى رتبة كولونيل (عقيد).

وفي ١٨ فبراير ١٨٥٦م صدرت "خطة خومايون" لتدعيم "خطة شريف" سائلة الذكر، وفيها زاد عدد أعضاء المجلس العمومي من ١٢ الى ١٣ عضواً، ثلاثة يونانيون بما فيهم كبير الأساقفة، والباقون من الأتراك، ويتعامل هذا المجلس مع الضرائب والجمارك والقضايا المدنية فيما عدا الميراث، فهو من اختصاص القاضى بالنسبة للمسلمين، والكنيسة بالنسبة للمسيحيين، وشكلت مجالس محلية عددها ١٦ (قائمة مليك)، يتكون كل واحد منها من الحاكم المحلي أو المدير رئيساً والقاضى وثلاثة مسلمين ومثلهم مسيحيين، وسمح للكنائس باستخدام الأجراس، بعد أن كان قد منع، وقرر مبدأ عدم الإكراه في التحول من دين إلى آخر، ولقد حلت هذه الإصلاحات بعض المشكلات، ولكنها لم تنجح تماماً.

وساد حكم عثمان باشا (١٨٥٥-١٨٥٦م) جو التصدى لوباء الجراد والمعاناة من الفساد وسوء الإدارة والضرائب الباهظة والإستغلال الفادح على يد الكيخيا، أى الخاشية الملتفة حوله، فجاء كاني Kani باشا (١٨٥٧-١٨٥٨م) وحاول الإصلاح ولاسيما في مجال الرسوم والمكوس، ولكن خلفه إسحق باشا (١٨٥٨-١٨٥٩م) خفض مبلغاً ضخماً من الديون المتأخرة، بيد أنه كان يجمع ثلث المحاصيل، بدلاً من عشرها لسداد الديون، مما زاد من الأعباء على الفلاحين الذين كانوا يعانون من وباء الجراد.

وفي عام ١٨٥٩م شجعت بريطانيا إدخال زراعة القطن إلى قبرص ودول الشرق الأوسط، مما جلب عدداً كبيراً من المستثمرين الإنجليز إلى قبرص، وفي نفس العام وفي عصر محمد خير الله باشا (١٨٥٩-١٨٦٢م) وقع نزاع واضطراب في ليماسول ولارناكا، واعترض القبارصة اليونان والأتراك على سوء الإدارة، ووصول عدد من الدروز والعرب وغيرهم إلى الجزيرة (١٨٦٠م)، ثم طلب نائب القنصل البريطاني ١٨٦٠/١٨٦١م السماح لسفينة حرية بزيارة قبرص لحماية السكان، وفي ١٥ ديسمبر ١٨٦٢م حدث هيجان في لارناكا إثر إختيار الأمير ألبرت البريطاني ملكاً على اليونان. وفي عام ١٨٦٣-١٨٦٤م ضبظت منشورات قادمة من اليونان تدعو إلى التمرد على الاحتلال التركي، وتحسنت الخدمات في قبرص، ولاسيما

الطرق وعادت العملة القبرصية إلى قيمتها السابقة، بعد أن كانت قد انخفضت انخفاضاً حاداً في الأعوام السابقة. وفي عام ١٨٦٤م أسس البنك الامبراطوري العثماني فرعاً له في قبرص، وإزداد النقود البريطاني في كافة مجالات الحياة ولاسيما الشؤون الاقتصادية.

في أبريل ١٨٦٨م ضمت قبرص إلى ولاية الدردنيل. وكان مقر الوالي في تشاناك Chanak. كان الباب العالي هو الذى يعينه. وكان الوالي هو الذى يعين القانمقام، والأخير هو الذى يعين مدير الناحية. أما المختار أى عمدة القرية فينتخب. دام هذا النظام عامين وأربعة شهور، وانتهى إنتمى إلى تركيز كافة السلطات في أيدي الوالي. ولقد قام الوالي بزيارة قبرص مرتين الأولى في ١٩/٥/١٨٦٨م ولمدة أربعة أسابيع، والمرة الثانية في ١٨٧٠م ولمدة أسبوعين. ولم تترك هاتان الزيارتان أثراً كبيراً على شئون الجزيرة سوى القضاء على هجمة من هجمات الجراد. وكانت هذه الهجمة قد بلغت شدتها إلى حد أن تسببت في مجاعة ونقص في مواد الأغذية، مما دفع الحكومة إلى أن تصرف الحبوب للناس مجاناً، بل وأعفت الناس من الضرائب لمدة ثلاث سنوات. وهو أمر ظل القبارصة يذكرونه بكل خير، ويرددون حكاياته أثناء فترة الإحتلال البريطاني بالغ السوء في إستغلاله وفداحة ضرائبه الظالمة. أصلح الحاكم محمد سيد باشا (١٨٦٨-١٨٧١م) إمدادات المياه في نيقوسيا ولارناكا. وأعاد الأراضي التي كان قد قضى عليها البوار إلى سابق عهدها من الخصب والإنتاج، وأصلح مجارى المياه العذبة التي تروى الحقول. وأكمل تهديد الطريق سىء الحظ بين نيقوسيا ولارناكا (١٨٧١) والذي كان قد تعطل عدة مرات.

ومع ذلك فقد كان أقوى رجل في الجزيرة هو القنصل البريطاني ساندويت Sandwith الذى يسنده البنك العثماني وتؤيده تجارة التصدير الإنجليزية عن طريق سوريا، ولاسيما تجارة القطن. ونجم عن ذلك أن بعض أفراد الجالية الفرنسية في قبرص تقدموا بطلب إلى نابليون الثالث في ٢٨/٥/١٨٦٩م لكي يحتل الجزيرة.

كان سوفرونيوس Sophronios (١٨٦٦-١٩٠٠م) هو آخر رئيس أساقفة لقبرص في العصر العثماني. ولقد كافاه السلطان عبد العزيز بإصدار "براءة" يعيد فيها تأكيد المزايا القديمة لكنيسة قبرص، ويعترف برئيس الأساقفة وسلطته القضائية على بقية الأساقفة والقساوسة والرهبان، بل على كافة المسيحيين فيما يتصل بالأمور الكنسية والأحوال الشخصية. وفي أواسط عام ١٨٧٠م استطاع وفد مشترك بقيادة سوفرونيوس وبمساعدة الوزير الكبير كيريش محمد Kibrish Mehmed أن يحصل على حق إعادة بناء قبرص بوصفها "متصرفية" مستقلة كما حدث في أواسط ١٨٦٦م - أبريل ١٨٦٨م بل حصلوا على. وبعض الإمتيازات الأخرى. ولكن على يد مدحت باشا في يولية ١٨٧٢م تم إعادة قبرص لتتبع إدارياً والى الدردنيل والجزر. وظل هذا النظام دون تغيير يذكر حتى نهاية العصر العثماني وبداية الإحتلال البريطاني.

وبينما كانت الفترة العثمانية في طريقها إلى الزوال كانت التجارة المباشرة بين قبرص وبريطانيا ضئيلة للغاية. كانت الصادرات الرئيسية تذهب إلى روسيا ولاسيما ثمار الحروب. وكانت ملاحات لارناكا تدبر دحلاً مستقراً، أما إحتكار النقل البحري التجارى فكانت تنفرد به الشركة النمساوية للويد (Austrian Lloyd).

وكان محمد فايس Mehmed Veis (مايو ١٨٧٢ - ديسمبر ١٨٧٣م) رجلاً متعلماً، ولكنه فاسد يبحث عن مصالحة الشخصية. نقل المكتب التجارى إلى نيقوسيا في مارس ١٨٧٣م -وبدلاً من لارناكا -لكي يتمكن من حصد أكبر قدر من المكاسب. وانتشرت جرائم السرقة والنهب والاستغلال على حساب الفقراء والفلاحين البسطاء، الذين عانوا من الأوبئة والجفاف وغلاء الأسعار وإختفاء المواد الغذائية، بل إنخفاض إنتاج الحبوب نفسه. ولكن تم إكتشاف تمثال أماتوس الضخم Colossus of Amathus. ثم جاء خليفة إبراهيم (٢٨ ديسمبر ١٨٧٣ - مارس ١٨٧٤م)، والذي لم يدم حكمه طويلاً. وخلفه محمد نصيف (١٧/٣/١٨٧٤ - ديسمبر ١٨٧٤) ومن بعده رضا. وفي ٢٥/٨/١٨٧٦م قدمت بريطانيا إنذاراً لقاضى ليماسول تطلب فيه حسن معاملة المسيحيين. إذ كانت الحرب الروسية - التركية (١٨٧٧-١٨٧٨م) تبدو في الأفق، فممنذ إندلاعها جرّت الولايات على قبرص. إذ وقعت حوادث سيئة للمسيحيين فى الجزيرة. وطلبت بريطانيا السماح لسفينة حربية من قواتها أن ترسى مراسيها بالقرب من الجزيرة لحماية السكان. وفى فبراير ١٨٧٨م أعلن سافا باشا والى الأرخبيل الدعوة إلى القبارصة بالإدلاء بشكاواهم ومظالمهم فى إطار السياسة العثمانية العامة لتحسين الأوضاع فى قبرص على أثر الثورة اليونانية القومية ١٨٢١م، واستجابة للضغوط الأوروبية منذ ١٨٤٠م. ومن بوادر الإصلاح تحسن الظروف الصحية العامة، وإختفاء الأوبئة، والانتصار على هجمات الجراد وتوافر الأطباء وبناء المستشفيات، وإزدياد عدد السكان من ٦٠ أو ٧٠ ألف نسمة عام ١٨١٥م، إلى ٩٠ ألف عام ١٨٢١م وإلى ٨٤-١٠٠ ألف عام ١٨٢٩م وإلى مايربو على ١٨٥ ألف عام ١٨٨١م. وتوزع عدد السكان آنذاك على النحو التالى:^(١)

٧٣.٠٩%	يونانيون أورثوذكس
٢٤.٠٤%	أتراك مسلمون
١.٠٧%	آخرون
وكانت الفئة الأخيرة كما يلى:	
١٨٧٥	رومان كاثوليك (أوربيون)
٨٣٠	مارون
١٧٤	أرمن
١٧٣	بروتستانت
٥	أقباط
٦٨	يهود
١	ديانات أخرى

ونود قبل أن نختم حديثنا عن الإختلال العثماني لقبرص أن نشير إلى أن تاريخ الدولة العثمانية يثير جدلاً واسع النطاق فى الدراسات الحضارية والتاريخية فى مصر والعالم العربى. البعض يرى أن الدولة العثمانية

^(١) عن دور الكنيسة القبرصية فى النظام الضريبي راجع:

كانت سبب تخلف العالم العربى عن مواكبة النهضة الأوروبية الحديثة فالأتراك أقاموا سياجاً حديدياً حول الدول العربية وأسرفوا على إستغلالها وإستنزاف قدراتها وكبت أى حركة للتحرر فيها. فلما ضعفت الدولة العثمانية صارت كالرجل المريض المطروح على فراش الموت مما أسال لعاب الدول الإستعمارية فأنهالت تحتل وتنهب الدول العربية. وهناك البعض الآخر من الدارسين المصريين والعرب ممن يرون أن الدولة العثمانية مفترى عليها لأنها هى التى رافعت عن الإسلام فى وجه الطامعين وهى التى وصلت بقواتها حتى فيينا فى وسط أوروبا^(١) .

وبالنسبة لقبرص (اليونان) التى خضعت للإحتلال العثمانى فمهما قيل عن أفضال الدولة العثمانية نرى أنها هى التى نجحت فى تشويه صورة الإسلام لدى القبارصة اليونان المسيحيين (وكذا اليونانيين فى بلاد اليونان القارية) وجعلتهم يخلطون بين الإسلام والعروبة من جهة والتعسف التركى من جهة أخرى.

وهكذا إختلطت فى ذهن المواطن العادى الأمور فصار لا يفهم الإسلام بسبب كراهيته للترك وضم إليهم العرب ومهمتنا أن نوضح الحقائق لهذا المواطن.

الباب الرابع

الاحتلال البريطاني (١٨٧٨ - ١٩٥٩ م)

"Τον δ' ουτ' αρ' χειμων κρυοεις, ουκ ομβρος απειρων,
Ου φλοξ ηελιοιο δαμαζεται, ου νοσος αινη.
Ουχ' ως τις δημου εναριθμιος, αλλ' ογ' ατειρης
'Αμφι διδασκαλιη τεταται νυκτας τε και ημαρ".

(Diog. Laert. VII 27)

"لابرد الشتاء القارس، ولا وابل السيل النهمر على السدوام
ولا شعلة الشمس القانطة، ولا المرض العتال
لا شيء يقهره أو ينال من قواه.
بل إن جهرة الناس بلا عدد، ودون أن يفقد لها دأب
ترحف إليه وتلحف حصول درسه ليل نهار"
(ديوجينيس لائيرتيوس ٧، ٢٧)

١ - الخلفية الفكرية

لقد بزغت أهمية قبرص منذ القرن التاسع عشر، بعد أن بدأت الإمبراطورية العثمانية فى التدهور والضعف، مما أثار أطماع بريطانيا للفوز بالسيطرة على الحوض الشرقى للبحر الأبيض كإجراء وقائى تسبق به روسيا، التى كانت تسعى وتمهد للتسلل إلى مشارف المياه الدافئة عن طريق تركيا أو البلقان. ولقد كان إفتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩م عاملاً رئيسياً فى تثبيت السيطرة البريطانية على الجزيرة، لوقوعها فى الطريق المؤدى إلى المدخل الشمالى للقناة. وذلك مما يمكن للبحرية البريطانية التحكم المطلق فى الملاحة بين الشرق والغرب عن طريق البحر الأحمر وقناة السويس. وذلك لوجود قاعدة عدن بالقرب من المدخل الجنوبى للبحر الأحمر عند باب المنذب. وكان تنازل تركيا لبريطانيا عن جزيرة قبرص نتيجة لعقد اتفاقية دفاعية بين بريطانيا وتركيا عقب إنتهاء الحرب التركية الروسية، وإعتقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م الذى حصلت فيه بريطانيا على حق إحتلال الجزيرة، لمراقبة القناة والدفاع عن الدردنيل. كان هذا التنازل من جانب تركيا مقابل تقديم المعونة اللازمة لها فى حالة محاولة روسيا التقدم عبر الحدود التركية. وظل إحتلال بريطانيا للجزيرة تحت هذه الصفة حتى أعلن رسمياً ضمها إلى مستعمرات التاج عام ١٩١٤^(١).

تم عقد "اتفاقية قبرص" سرّاً فى إطار مؤتمر برلين ٤ يونيو ١٨٧٨م بين بريطانيا وتركيا. حيث سلمت الأخيرة قبرص للإحتلال البريطانى، فى مقابل تعهد بريطانيا بحماية الأراضى الآسيوية العثمانية ضد أى هجوم روسى محتمل. وفور تسرب أخبار هذه الاتفاقية إنقضت على قبرص جحافل المتفعين الشرهين من اليونان وإستانبول والقاهرة، وغيرها طمعاً فى تحقيق مكاسب هائلة بشراء الأراضى الرخيصة، والمتوقع إرتفاع سعرها فى ظل العهد الجديد. وفى ١٢ يولييه ١٨٧٨م سلم الحاكم التركى بإسم الجزيرة مقاليد الأمور القبرصية لنائب الأدميرال الإنجليزى اللورد جون هاى John Hay. فبدأ العهد الجديد المرتقب منذ زمن. ودخلت الجزيرة دائرة الحضارة الأوروبية من جديد، ولو أنها لم تتخلص من الحدود والقيود الموروثة عن الماضى. ومن ثم لم تحدث طفرة فى الحياة السياسية أو الثقافية. ورغم أن البريطانيين رفعوا فى الجزيرة لواء التجديد والتطوير والليبرالية والتقدمية، فإنهم فى الواقع لم يجددوا كثيراً فى التركيبة العثمانية القانونية والإدارية. كان التخلف الذى عانت منه الجزيرة طوال القرون الأربعة الماضية قد تركت فى النفوس عوامل السلبية وروح مناهضة التغيير.

ووفقاً للاتفاقية السرية بين تركيا وبريطانيا كان على الطرف الثانى أن يدفع للطرف الأول مبلغ ٩١ ألف جنيه سنوياً، وهو مبلغ جمعته بريطانيا من أفراد الشعب القبرصى. وهكذا جاء هذا الإستغلال البريطانى إمتداداً طبيعياً لسلقه التركى. وهو ما ساعد القبارصة على الإفاقة من

(١) محمد كمال عبد الحميد، الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٢،

إنطباعهم الأولى المتفائل عن الاحتلال البريطاني، حيث رحبوا به واعتبروه فاتحة عهد جديد يشير بالازدهار والحرية والديموقراطية وما إلى ذلك من الشعارات الأوروبية، ومن المفارقات أن القبارصة الأتراك كانوا متشائمين في الستين الأولى من الاحتلال البريطاني، وعمضى الوقت إكتشفوا أنهم لم يخسروا الشئ الكثير، إذ حفظ لهم النظام الجديد إمتيازاتهم القديمة، بما فى ذلك "الحاكم الشرعية" و "الأوقاف". وذلك وفقاً للاتفاقية التركية-البريطانية السرية عام ١٨٧٨م، حيث إشتراط الأتراك على الإنجليز "الحفاظة على أوضاع المسلمين وحمايتهم".

كان النظام الإدارى البريطانى فى قبرص والذى صدر بقرار من الحكومة البريطانية، فى ١٤ سبتمبر ١٨٧٨م ذا طابع مركزى خالص، فكان المندوب السامى البريطانى هو منبع كل السلطات، فيما عدا القليل الذى عاد فيه إلى لندن، وتكون "المجلس التشريعى" منه ومن ٤-٨ أعضاء نصفهم من ذوى المناصب الرسمية، وكلهم معينون، ويصدر بتعيينهم قرار ملكى من لندن، أو من المندوب السامى، أما "المجلس التنفيذى" فكان كل أعضائه بالتعيين وفق رغبة المندوب السامى وتوجيهات من لندن، وكلا المجلسين لا يتمتعان إلا بسلطة إستشارية فقط، وما يصدر عنهما ليس إلا توصيات لا قرارات واجبة التنفيذ. ومبدأ التعيين فى هذه المجالس ينهض دليلاً قاطعاً على أن بريطانيا لم تتبع المبادئ الديموقراطية، التى تشدق بها، فى حكم قبرص. وظل الأمر على ما هو عليه حتى نهاية الاحتلال البريطانى فى ١٩٥٩م.

ومنذ العام الأول فى الاحتلال البريطانى تمكن القبارصة من إجهاض خطة بريطانية لإستقدام مهجرين من مالطة وبعض الدول الإسلامية إلى قبرص. وفى عام ١٨٧٩-١٨٨٠م شنت الصحافة القبرصية اليونانية الوليدة هجوماً شرساً على المندوب السامى البريطانى، لموقفه العدائى من القبارصة اليونان. وظل هذا هو الشعور القومى العام تجاه الاحتلال البريطانى، الذى أحبط توقعات متفائلة لقسودم "حكم أوروبى" مستتر فى قبرص، فإكتشف القبارصة أنه لايقبل سوءاً عن الاحتلال العثمانى، بل قد يتفوق عليه فى الشعور بالإستعلاء وحك الدسائس والمؤامرات.

رحب أسقف كيتيون -لارناكا كيريانوس بالحاكم الإنجليزى الأول السير جارانيت ولسلى Garnet Walseley، ودعا إلى تحقيق "الإتحاد" Enosis مع اليونان فى ٢٢ يولية ١٨٧٨م، بيد أن رئيس الأساقفة سوفرونوس مال إلى الحل التوفيقى والإكتفاء بمجرد التلميح للإتحاد بوصفه أملاً قبرصياً قومياً، جاء ذلك فى خطاب الترحيب الذى ألقاه سوفرونوس فى ١٠ أغسطس ١٨٧٨م. وفى هذا الخطاب ركز على ترحيب الشعب بالإدارة الجديدة وتعلقه بالأمل فى تحقيق الإنصاف والعدالة والحرية. وفى كل من فاماجوستا وليماسول حظى السير جارانيت بنفس الحفاوة.

وفى الأيام الأولى للإحتلال قدم إلى قبرص كثيرون من مواطنيها المقيمين فى القنستطنطينية وآسيا الصغرى ومصر وغيرها، ليشغلوا المناصب الموقفة فى الإدارة الجديدة، لأن المواطنين المحليين لم يكونوا صالحين لهذه المناصب.

أما الجالية القبرصية في مصر، ذات الأعداد الكبيرة من الأثرياء، فقد حافظت على صلاتها الوثيقة بالوطن، وساهمت في تأسيس المدارس بالقري القبرصية. وكانوا في أغلبهم يعلقون آمالاً كبيرة على الحكم البريطاني في قبرص، إلى درجة أنهم توقعوا تحقيق "الاتحاد" في وقت قصير. واكتشف القبارصة بالداخل والخارج أن جزيرتهم لم تكن بالنسبة إلى بريطانيا العظمى سوى للؤلؤة تضاف إلى لآلئ التاج الإمبراطوري البريطاني.

وبعد إحتلال مصر ١٨٨٢م وهزيمة ثورة عرابي لم تكن بريطانيا مستعدة لإدراج مطلب "الاتحاد" في جدول التفاوض أو الحوار الدائر بينها وبين اليونان من جهة، ومع القبارصة من جهة أخرى. فلقد أصبح واقعاً ملموساً أن بريطانيا أدركت الأهمية الإستراتيجية لقبرص، بوصفها بوابة آسيا وأفريقيا والطريق إلى الهند. ولم يكن من المعقول أن تسلم بريطانيا قبرص إلى اليونان، خشية أن تفلت منها إلى قوة أوروبية منافسة وأكبر من قدرات اليونان.

ورويداً ورويداً تغيرت السياسة البريطانية تجاه تركيا. فبعد أن كانت بريطانيا تعلن أنها استولت على قبرص لحماية آسيا الصغرى التركية في مواجهة الأطماع الروسية، هاهي الآن وعلى لسان ونستون تشرشل في تقرير قدم لوزارة المستعمرات تعلن أن بريطانيا لا يمكن أن تعيد قبرص إلى تركيا. وبالطبع لم يكن القبارصة اليونان ليسمحوا بعودة قبرص إلى تركيا. إذ قامت مظاهرات حرص عليها زعماء الكنيسة في بدايات القرن العشرين ترفض أية فكرة لعودة قبرص إلى تركيا. وعندما زار ونستون تشرشل فاما جوستا في أكتوبر ١٩٠٧م إستقبل إستقبالاً شعبياً حافلاً، وقامت مظاهرات تحمل شعارات "الاتحاد". وقدمت إليه مطالب شعبية لتحقيق الديموقراطية. أما أتراك قبرص فكانوا مذبلين بين تأييد فكرة عودة قبرص لتركيا من ناحية، وموازرة مطالب مواطنيهم اليونان في مطلب "الاتحاد" مع اليونان من ناحية أخرى.

من الظواهر الجديرة بالتسجيل في أوائل الحكم البريطاني، وفي ظل حرية الديانة تحول الكثيرون من القبارصة المتأسلمون إلى الديانة المسيحية، وواجه هؤلاء مشكلات عدة من قبل الطرفين. بمعنى أنهم من جهة كانوا يخافون عودة قبرص إلى تركيا ومن ثم العقاب المريع، ومن الجهة الأخرى كان موقف رجال الكنيسة اليونانية غير مشجع، لأنهم كانوا يرتابون في هؤلاء الذين يزعمون أنهم أسلموا ظاهرياً، وكانوا في السر مسيحيين. ولذلك فإن بعضهم إستقر على الإسلام للأبد إزاء هذا التشدد المسيحي. وفي عام ١٩٠٨م كتب المندوب السامي في ليماسول رونالد ميتشيل Ronald L.N. Mitchell عن "هرطقة" أصحاب الذمة القبطية والكتانية معاً "Linobambakoi، كما لصق بهم هذا اللقب. أي الذين لا تعرف ما إذا كانوا مسلمين أم مسيحيين، ويؤمنون أنفسهم للبضاعة الرائجة، سواء أكانت القطن أو الكتان. ومنذ التسعينيات في القرن التاسع عشر كثفت الكنيسة الكاثوليكية جهودها لإجتذاب هؤلاء المزددين بين الديانات، واقتناصاً للفرصة التي خلقها تعنت الكنيسة الأورثوذكسية القبرصية. ولم يطمئن هؤلاء المترددون ولم يستقروا على المسيحية، إلا بعد ضم قبرص إلى التاج البريطاني (١٩١٤م) وإعلانها

رسمياً مستعمرة بريطانية (١٩٢٥). وبعد الحرب العالمية الأولى ويزدياد نشاط حركة "الإتحاد" (إنوسيس) حدث إستقطاب طائفي في الجزيرة بتشجيع من الأنجليز، الذين كانوا يخططون للحفاظ على قبرص مستعمرة بريطانية، ولكبح جماح حركة "إنوسيس". ولا تزال بعض الحالات الفردية من الإستقطاب العقائدي موجودة حتى يومنا هذا بعد أن غداها الغزو التركي في يوليو ١٩٧٤ م.

ولعله من المفيد الآن أن نلقى نظرة سريعة على البعد الفكري والخلفية الأيديولوجية لهذه التطورات السياسية في قبرص. وفي عصر الاحتلال البريطاني تبرز أماننا بعض الأسماء، نذكر منها هيرونيموس لأرلام Hieronymos M. Vaarlam (١٨٤٩-١٩١٥ م). وهو سليل أسرة يونانية كاثوليكية رومانية من كورفو (كيركيرا)، إحدى الجزر السبع في غرب اليونان، والتي كانت ذات روابط وثيقة مع البندقية. كان جده جيرولامو Girolamo قد قدم إلى قبرص وإستقر بها منذ عام ١٧٧٠ م. وبفضل توجيهات أمه القبرصية اليونانية ودراساته في جامعة أثينا اجتذبته الأورثوذكسية والهيلينية فصار عالماً مرموقاً وفقهاً نابهاً ومؤلفاً رصيناً يكتب باللغة اليونانية الحديثة والقديمة في أسلوب غاية في النقاء والصفاء. أصدر فيما بين ١٩٠٩-١٩١١ م الدورية الأدبية "كوزموس" (Kosmos)، وأسهم في تحرير "كليو" Klio^(١) نيا هيميرا Nea Hemera (يوم جديد). والدوريان الأخيرتان كانتا تصدران في تريستي Triesti، ولقد أسهم في دوريات كثيرة أخرى. وعمل مساعداً لأثاناسيوس ساكيلاريوس A.Sakellariou وهو يجمع المادة الفولكلورية واللغوية لكتابة الرائد "القبرصيات" Kypriaka (أثينا ١٨٥٥-١٨٩١ م). ونشر ترجمة لبعض الروايات الإيطالية (١٨٩٢-١٨٩٣ م)، وكذا "مراسلاته" مع أساتذته باللغة اللاتينية و"إنجرامات"^(٢).

وترجم أغنية شعبية قبرصية إلى الشعر باللغة الهوميرية (١٨٩٥ م). ومن مؤلفاته المفقودة "قاموس المترادفات" باليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية.

كان استخدام اللغة اليونانية العامية في الأدب شعراً ونثراً يعد خطيئة لا تغتفر في قبرص (اليونان) حتى الثلاثينيات من القرن العشرين. ولذلك نظم الطبيب والعالم الفنان المبدع والمؤلف المسرحي يوانيس كاراجيورجياديس Ioannes Karageorgiades (١٨٤٢-١٩٢٨ م) من

^(١) كليو Klio هي ربة التاريخ أي إحدى ربات الفنون موساي Mousai في الأساطير الإغريقية. وعن تاريخ الصحافة القبرصية ١٨٧٨-١٩٦٠ راجع:

[Greek] Lympourides (Nicosia 1973) passim.

^(٢) اللهجة الأتيكية هي أرقى مرحلة في تطور اللغة اليونانية القديمة فهي لهجة ازدهرت في أتيكا الإقليم الذي تقع فيه أثينا. ومن ثم فإن اللهجة الأتيكية ترتبط بالقرن الخامس ق.م. النهي في الحضارة اليونانية. وعلى وجه الخصوص ترتبط هذه اللهجة بقمة النضج في الأدب الإغريقي ومآثر فنونه ولاسيما التراجيديات والكوميديا والخطابة والفلسفة والكتابات التاريخية وغيرها. أما الإنجرامات Epigramma فهي فن شعري ارتبط في نشأته بالقبريات أي شواهد القبور، ولكنه صار يستخدم في فنون أدبية أخرى مثل الحكم والأمثال وما إلى ذلك. وهذا الفن الشعري يتميز عن غيره بالإيجاز البديع وإحكام العبارة والنهائية المديية. أنظر أحمد عثمان، الأدب الإغريقي ص ١٠٧-١٨٤، ٣٥٩-٣٧١، ٤٥٢.

نيقوسيا وإن كان قد استقر في ليماسول مسرحيته "قبرص المستعبدة" (Kypros Doule) بالقصص المتعمرة، وتعالج بالأساس فترة احتلال فرسان تمبلارز لقبرص التي سبق أن عالجناها في هذا الكتاب فإن كانت هذه القصيدة الملحمية والمسرحية تعرض لتاريخ قبرص كله وجاء في استهلال الأنشودة الأولى.

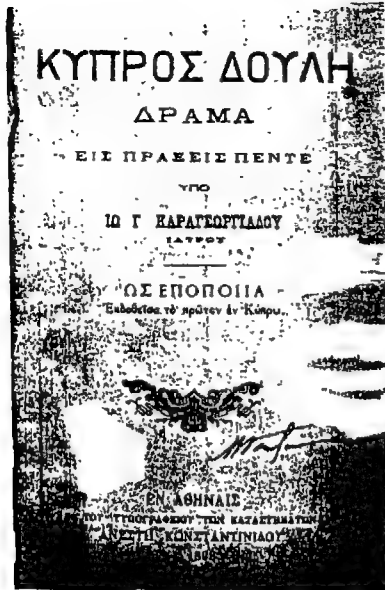
أما مينلاوس إفرنجي ديس Menelaos Phrankoudes (١٨٧١-١٩٣١م)، وهو من ليماسول وأسمه المستعار أونيسيلوس Onesillos. فقد كان صحفياً وشاعراً وناقداً ومؤلفاً مبدعاً من ليماسول. وكان صديقاً لتصير العامية وهو يannis Psychanis يعرف عليه عندما كان يدرس القانون في باريس.

وكان سافاس خريستيس Savas Christes هو الذي أدخل العامية في لغة القانون ووثائق المحاكم. وفعل أندرياس رولانديس Andreas Rolandis نفس الشيء بالنسبة للوثائق الزراعية والإدارة المحلية. وشجع سولون ميخائيليدس Solon Michaelides إدخال العامية في التعليم الابتدائي. وسار على نفس الدرب في تشجيع العامية كل من لويوزوس فيليو Loizos Philipou من بافوس، وميليس نيكولا ينديديس Melis Nicolaides من لارناكا، وأنطونيس إنديانوس Antonis Indianos مترجم الحكومة الرسمي، نيكولا ينديديس وغيرهم.

وكانت هناك دائرتان أدبيتان مهمتان. الأولى إلفت حول فاسيليس شاعر قبرص القومي ميخائيليدس^(١) Vassilis Michaelides (١٨٤٩-١٩١٧م)، وتميل نحو النقد الاجتماعي التقدمي، وأصدرت الدورية "الاداب القبرصية" Kypriaka Grammata (١٩٣٤-١٩٥٦م). أما الدائرة الثانية فالتفت حول ديميتريوس ليرتيس Demetrius Lebertis (١٨٦٦-١٩٣٧م). وأصدرت الدورية "بافوس" (١٩٣٥-١٩٤٧م)، وكانت هذه الدائرة أكثر تحفظاً، المهم أن عدداً كبيراً من أعضاء الدائرتين كان قد عاش طويلاً في اليونان ولندن ومصر، مما خلق جواً من التعددية في الحياة الثقافية القبرصية. ولذا فلا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الأدب القبرصي الحديث والمعاصر يدين بالشيء الكثير لمصر واليونان ولندن، ولقد بدأ أبناء قبرص يلتحقون بالجامعات الأوروبية، وإزدهرت حركة الأبحاث الأدبية والفقهية والتاريخية والأثرية.

ظهرت تأثيرات التطورات السياسية على الجيل الناشئ من الشعراء والكتاب والصحفيين والمعلمين والأطباء والمدرسين، الذين زاد عددهم تحت الاحتلال البريطاني. إذ ازدادت الصلات بين المدن الساحلية القبرصية ومراكز الثقافة الأوروبية. ولوحظ أثر ذلك في نمط الحياة الجديدة في كل من لارناكا - سكاللا وليماسول. وكانت الطبقة الثرية على اتصال بالثقافة الأوروبية حتى قبل

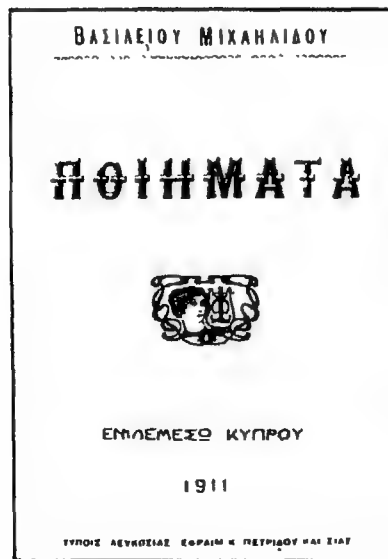
(١) كان قد نشر ديوانه الأول عام ١٨٨٢ بعنوان "القيظارة المريضة" ونشر مجموعة أخرى عام ١٩١١م وكلاهما منشوران في ليماسول.

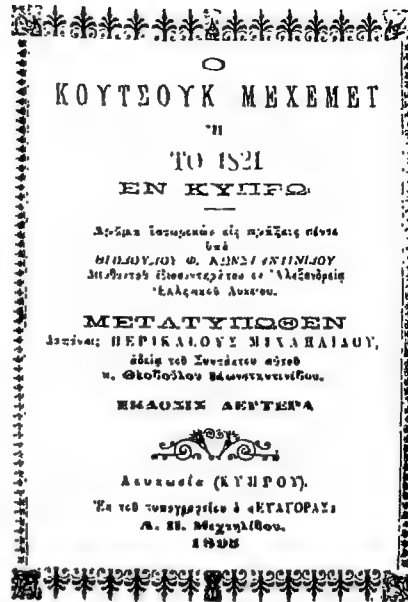
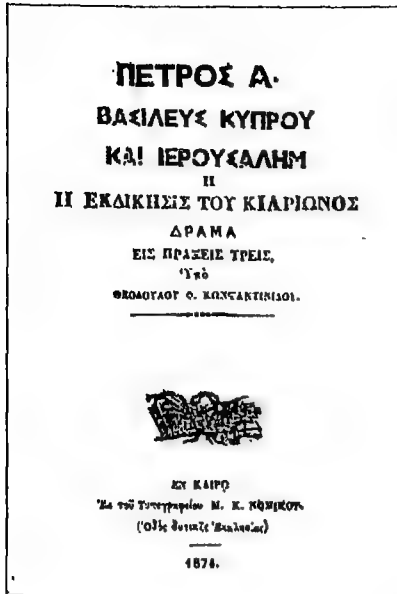


شكل (٥٢): أ- مسرحية كاراجيورجيديس "قبرص المستعبدة".

ب- مينيلادس فرانكوديس.

ج- "وصف قبرص وتاريخها العام" تأليف إفرينجيديس ن. فرانكوديس. منشور بالاسكندرية ١٨٨٦م





شكل رقم (٥٤): مؤلفات ثيودولوس قسطنطينيس "بطرس الأول ملك قبرص وبيت المقدس" منشور بالقاهرة ١٨٧٤م و
"كوتشوك محمد أو ١٨٢١م في قبرص" منشور بالاسكندرية ١٨٨٨م.

الإحتلال البريطاني فلما جاء الإحتلال إزدادت العلاقات كثافة، وإزدادت فرص تلقى التعليم الأوروبي وفرص الإحتكاك الفكرى. فقبل الإحتلال كانت هناك مراكز ثقافية محيطة بقبرص تجذب الراغبين فى العلم والثقافة، ونعنى الإسكندرية وأزمير والقدس وأثينا وباريس وبيروت وبوخارست والبندقية وإستانبول ومرسيليا ونابلى. أما بعد الإحتلال فقد إحتلت لندن مركز الصدارة بوصفها محطة أنظار القبارصة وكعبة الإستلهاام الإبداعى. ويلاحظ أن لارناكا -سكالا ولیماسول تفوقتا على نيقوسيا العاصمة طوال الإحتلال العثماني، وعلى الأقل حتى نصف قرن من بداية الإحتلال البريطانى. وبصفة عامة كانت المدن الساحلية أكثر إستعداداً من غيرها لإستقبال رياح التغيير التى هبت فى أوائل القرن العشرين.

بعد وصول قوات الإحتلال البريطانى إلى لارناكا بوقت قليل ظهرت أول صحيفة قبرصية عام ١٨٧٨م بعنوان "قبرص" (Kypros)، وهى أسبوعية باللغتين اليونانية والتركية ويصدرها المعلم والأديب ثيودولوس ف. قنستطينيدس Theodoulos Ph. Constantinides وكان قد قضى عدة سنوات فى لارناكا، وكان قد نشر مسرحية عن الحب فى أزمير عام ١٨٧٣م، ومسرحية عن "بطرس الأول ملك قبرص وبيت المقدس" فى القاهرة ١٨٧٤م، حيث كان يعمل مدير مدرسة بالاسكندرية حتى ١٨٧٨م قبل أن يعود مع الكثيرين من المثقفين القبارصة إلى قبرص سعياً وراء الفرص الجديدة البادية فى الأفق مع بداية الحكم البريطانى. وعندما عاد إلى قبرص أحضر قنستطينيدس من مصر معدات وتجهيزات تكفى لإنشاء دار طباعة. وفلسف المسدوب السامى البريطانى أن يمنحه تصريحاً بإصدار جريدة يونانية، فلجأ إلى صديقه الصحفى البريطانى بالمر Palmer، وتوسط به للحصول على هذا التصريح. وتولى بالمر تحرير القسم الإنجليزى فى جريدة "قبرص"، أما مسرحيته "كوشوك محمد أو ١٨٢١ فى قبرص" Kuchuk Mehmed or Cyprus in 1821 فقد طبعت فى الإسكندرية ١٨٨٨م، وبعد ذلك فى نيقوسيا ١٨٩٥م حيث نشرها بريكليس ميخائيليدس Pericles Michaelides، الذى كان بدوره أديباً إمتلك مع ابنه داراً للنشر فى توكليا برومانيا وأسمياها "أبوللو". كانت كتب ميخائيليدس الأبن تطبع هناك قبل العودة إلى قبرص^(١).

ومن المدهش حقاً أن قنستطينيدس كان قد أسس فى مصر جريدة بعنوان "أفريقيا" Aphrike التى صدرت يوم ١٣ مايو ١٨٧٦. ومع أنها لم تعمّر طويلاً إلا أنها فتحت مرحلة جريدة فى الصحافة اليونانية بمصر. وامتلات هذه الجريدة بمقالات تنبض بالحياة وبمادة ثرية منتقاة، ولكنها لم تستطع أن تغطى تكاليف النشر والتوزيع^(٢).

وبعد أن تحولت ملكية جريدة "قبرص" إلى الخزر الإنجليزي بالمر (واستمرت حتى ١٨٨٢م) • لجأ قسطنطينيديس إلى إصدار صحيفة يونانية أسبوعية بعنوان "كيتيون" • وبعد ذلك بعنوان "نيون كيتيون" • واستمرت حتى ٩ يونية ١٨٨٩ في لارناكا، ثم في نيقوسيا بعد ذلك، وامتدحت هذه الصحيفة الحكم البريطاني، لأنه فتح باب النهوض أمام أوروبا • ولكنها لم تعف السلطات الحاكمة في قبرص من الانتقاد المرير وقارنت الإحتلال البريطاني بسلفه الإحتلال العثماني • واتهمت رجال الكنيسة بالتخلف والجهل والإنهازية، وعزت التدهور الإداري المستمر في قبرص إلى جمود العقليّة الاستعمارية لدى سلطات الإحتلال البريطاني.

وفى ليماسول صدرت الأسبوعية اليونانية "أليثيا" (Aletheia = الحقيقة) من ١٨٨٠/١٢/١٠م حتى عام ١٨٩٧م • كان يصدرها الخامي باليولوجوس B.K. Palaeologos • وبعد ذلك تولّاها حتى عام ١٩٣١ المثقف التقدمي مينيلوس إفريجيديس سالف الذكر، ولكن مجلة "أليثيا" تعرضت للهجوم على صفحات "يون كيتيون"، لأنها كانت تؤيد إنغماس الكنيسة في السياسة • وهو نفس الموقف الذي تبنته جريدة أسبوعية صدرت في لارناكا بعنوان "ستاسينوس" Stasinios من ١٨٨٢/١/١ - ١٨٨٣/١٢/٢٩م • ومن ١٨٨٤/١/١٣م صار عنوانها "ستاسينوس أو صوت قبرص" • وجدير بالذكر أن ستاسينوس هو الذي تنسب إليه "الملاحم القبرصية كما سبق أن ذكرنا في الباب الأول • وبعد موت رئيس تحريرها ثيمستوكليس ثيوخاريديس Themistocles Theocharides في يناير ١٨٨٧م صدرت بعنوان "صوت قبرص" بتحرير ج. نيكوبولوس G.Nikopoulos في نيقوسيا ابتداءً من ٥ فبراير ١٨٨٧م • بعد ذلك تولّاها كيريللوس بافليديس Kyrillos K.Pavlidis وغير عنوانها إلى "الصوت الجديد لقبرص".

ومن أدباء تلك الفترة المرموقين ثيمستوكليس ثيوخاريديس سالف الذكر، فهو من أسرة ثرية في إفريخو Evrycho • تلقى تعليمه في لارناكا وأثينا وعمل بالزراعة والتجارة في قبرص ومصر • وعندما استقر في ليماسول عمل مدرساً وترقى إلى ناظر مدرسة في لارناكا • وفي عام ١٨٧٧م نشر في أثينا مأساة من خمسة فصول بعنوان "بطرس في مجلس الشيوخ" Petros Synkletikos (ظهرت الطبعة الثانية في لارناكا ١٩٠٧م) ونالت جائزة أدبية كبيرة في أثينا عام ١٨٩٥م • ونشر قصائد غنائية في نيقوسيا ١٨٨٦م • أما أشهر أعماله فهي رواية بعنوان "مشهدان من تاريخ قبرص" (لارناكا ١٨٨١م) وكانت قد نشرت سلسلة في "ستاسينوس" • وله ملحمة ذات بكة هومرية وتحمل عنوان Limnites • ومات عام ١٨٨٦م.

ونشرت بنفس الصحيفة أعمال أدبية أخرى مهمة مثل رواية "بنات المتهم"، تأليف الكاتبة القبرصية التي كانت تقيم في مرسميليا بفرنسا وتدعى ماريّا ليكولانيديديس Maria J.Nicolaidou • ونشرت بها أيضاً أشعار ودراسات قانونية وأبحاث إستشرافية للكاتب خريستو بابا دوبولوس Chr. Papadopoulos قاضي محكمة فامايجوستا المهاجر أصلاً من

بيثينيا وإستانبول . وقد كان مؤلفاً غزير الإنتاج . وبصفة عامة يمكن القول أن الصحافة القبرصية فى الخمسين سنة من إنشائها -ومن الحكم البريطانى- كانت ثرية فى موضوعاتها الأدبية والبحوث الفقهية، مما يسهم عن اشتغال جذوة الإبداع لدى القبارصة بعد عام ١٨٧٨م . فلم يكن الأمر قاصراً على الحياة السياسية أو اليومية . ومن الظواهر التى تشد الإنتباه أن حرية الرأى والتعبير كانت مكفولة وسائدة فى الجو العام للحياة الفكرية، مما وصل بالوعى الثقافى القبرصى آنذاك إلى مستوى رفيع . وبلغ الإنتاج الأدبى ذروة النضج، وبرز الحس القومى الذى إستطاع أن يتغلب على الحساسيات الطائفية والنزعات الفردية .

ولم يك غريباً إذاً أن تظهر الحاجة الملحة للدوريات المتخصصة . وفى ١٨٨١م أصدر ثيوخاريديس فى لارناكا الدورية الأسبوعية "ليرا" Lyra . وهى مخصصة للشعر وظهرت كملحق أدبى لصحيفة "ستاسينوس" . ومن ١١ ديسمبر ١٨٨١م وحتى ١٥ يونية ١٨٨٢م أصدر ثيودولوس قنستنتيديس مؤسس الصحافة القبرصية كما أسلفنا فى لارناكا دورية "يوتيربى" (Euterpe)^(١) مجلة أدبية ظهرت كملحق . ثم ظهر لـ "يوتيرى" نفسها ملحق بعنوان "كيرافنوس"^(٢) جريدة ساخرة Keravnos, Ephemeris Satirike من ١٥ يناير ١٨٨٢م وحتى ١٥ أبريل ١٨٨٢م . وكانت كل منهما نصف شهرية .

ثم ظهرت جريدة يونانية إنجليزية تحمل عنوان "هيليكوس خرونوس" Hellenic Times- Hellenikos Chronos . ومعها ملحق أدبى بعنوان هيليكون Helicon (وهو جبل الإلهام الأدبى باليونان حيث مرتع ربات الفنون)^(٣) . كان رئيس تحريرها هو أولوفريوس ياسونيديس Onofrios Iasonides . كانت الجريدة وملحقها يصدران فى لندن ويوزعان بصفة أسبوعية فى أثينا ومراكز الثقافة اليونانية الأخرى خارج قبرص . وفى مايو ١٨٨٤م إتهم ياسونيديس فى جريمة جنائية فُهرّب من قبرص . وعاد هذا المغامر إلى قبرص وأصدر مرة ثانية "هيليكون" دورية شهرية فى ليماسول من ١٩١٠-١٩١١م .

إن عدد الصحف والمجلات التى ظهرت فى قبرص فى الفترة من ١٨٧٨-١٩٣١م ضخم جداً، ويعكس إنطلاقة ثقافية فى قبرص إبان بدايات الإحتلال البريطانى . بل إن بعض العائلات أصدرت جرائد ومجلات خاصة بها . وأكبر مثل على ذلك عائلة خورموزيوس Chourmouzios فى ليماسول منذ يناير ١٨٨٤م، التى أصدرت صحيفة "ساليينكس" (Salpinx) صحيفة الشعب الأسبوعية السياسية الساخرة .

(١) يوتيربى Euterpe هى ربة العزف على الفلوت، فهى إحدى ربات الفنون الموساى، قارن حاشية رقم ٢ .

(٢) كيرافنوس Keravnos (أو كيراونوس باليونانية القديمة) تعنى الصاعقة سلاح زيوس رب الأرباب فى الأساطير الإغريقية . ولما كان زيوس يصعب بها كل من يخالف قوانين العدالة الإلهية أو النظم الكونية ومن ثم فالكلمة ترمز للضبط والربط فى الحياة والكون .

(٣) هيليكون Helicon جبل فى إقليم بويوتيا ورد فى الأساطير أن ربات الفنون الموساى كن يقيمن فوقه . راجع: أحمد عتمان، الأدب الإغريقى، ص ١٠٠ .

وكان ستيليانوس خورموزيوس بارزاً في عزف الموسيقى البيزنطية، وقضى السنوات الأخيرة من عمره بوصفه "المشد الأول" Protopsaltes في الكنيسة القبرصية في نيقوسيا حيث توفي في ٢١ يولية ١٩٣٧م في التاسعة والثمانية بعد حياة حافلة. أما ابن عمه أييلوس خورموزيوس المدير الشهير لجريدة "كاثيميريني" Kathemerini (أى "اليومية") الأثينية فقد كان رئيس تحرير الدورية الماركسية الراديكالية "أفجى" Avghi (أى الفجر)، التي كانت تصدر في ليماسول من أبريل ١٩٢٤ - مارس ١٩٢٥م، وقبل أن يهاجر إلى أثينا كان قد نجح في تحقيق الشهرة بوصفه ناقدًا أدبيًا ماركسيًا وصحفيًا صاحب مقال.

صدرت صحيفة "إثنوس" (Ethnos) (= الأمة) في ١٧ أغسطس ١٨٩١م، واستمرت حتى ٢٢ فبراير ١٨٩٣م في لارناكا، وحررها سيروس جريسبيس Sp. Gryspis وفي الفترة من ٢١ سبتمبر ١٨٩٣ - ٣١ أغسطس ١٩٣٤م حررها ميسولونجيتيس K.L.Mesolongites بعنوان "نيون إثنوس" (= "الأمة الجديدة").

ولعل أكبر صحيفة قبرصية معمرة هي إلفثريا (الحرية) (Elevtheria)، إذ استمرت من ١٩٠٦ - ١٩٧٤م، وصدرت لأول مرة في نيقوسيا بتحرير الأخوين كيروس وديموستيس ستافريديس (Kyros-Demosthenes Stavrinos)، وكان ديموستيس أديباً فنشر مجموعة قصصية بعنوان "حكايات قبرصية" ١٨٩٨م وهو في سن التاسعة عشر. ثم درس القانون في أثينا وأسس "إلفثريا" مع أخيه كيروس عام ١٩٠٦م. وفي عام ١٩١٢/١٩١٣م كان ديموستيس محرر "صدى لندن"، وهي دورية باللغة اليونانية. ثم انتقل إلى أثينا ١٩١٥م ومارس الصحافة والسياسة وشغل بعض المناصب الرفيعة وأسس "جريدة اليونان اليومية" (Ephemeris tes Hellados)، وأسهم في تحرير "هستيا" Hestia (= الموقد) التي يملكها قبارصة مقيمون في أثينا، وأسهم في تحرير "القاموس الموسوعي" إلفثروذاكيس قبل أن يعود إلى قبرص ويصبح مديراً لإلفثريا ١٩٣١م، وظل كذلك حتى مات عام ١٩٥٨م. وكانت "إلفثريا" أكبر صحيفة قبرصية وأكثر الصحف اليونانية جرأة وتشبعاً بفكرة الحرية.

وفي ليماسول يناير - أبريل ١٨٨٨م حرر شاعر قبرص القومي فاسيليس ميخائيليدس Vassilis Michaelides -سالف الذكر- صحيفة نقدية ساخرة بعنوان "ديافولوس" (Diavolos) (= الشيطان) وفي ليماسول أيضاً من ١ سبتمبر ١٩٠١ - ١٩ سبتمبر ١٩٠٢م حرر إفريخيديس مجلة أسبوعية سياسية علمية سماها "ديابلايس" (Diaplasia) (= التكوين) أما بريكيليس ميخائيليدس فقد أصدر في نيقوسيا الأسبوعية التي حملت عنواناً "إسم البطل الإغريقي القبرصي إفاجوراس" (= إيواجوراس) سالف الذكر في الباب الأول. واستمرت هذه الدورية من مارس ١٨٩٠ إلى ١٩٠٥م، حين تولاها الخامس ثيوفانيس ثيودوتوس Theophanes Theodotos فسمّاها "لواء قبرص" Symaia tes Kyprou. ومن بعده تولاها الشاعر الساحر جورج ستافريديس G.Stavrides. ومن بعده نيكولاؤس كاتالانوس الذي غير عنوانها إلى "الحارس القبرصي" Kypriakos Phylax من ٢١ أغسطس ١٩٠٦ إلى عام ١٩٢١م. وعندما نفى كاتالانوس تولاها ل. قنستطينيديس وأعطّاها عنوان "الحارس القبرصي الجديد". ثم تولاها زوج ابنته فياس ماركيديس Bias Markides.

وظهرت صحيفة أخرى ساخرة بعنوان "راجياس" Ragias في يناير ١٨٩٨م، وإستمرت حتى ١٩٠٦م، وإقتزنت بإسم جورج ستافريديس وكانت تطبع في نيقوسيا. وتوجه النقد المرير على صفحاتها إلى الإحتلال البريطاني والفساد الإجتماعي، وكانت تنظم من أولها إلى آخرها شعراً.

وفي نفس الوقت كانت هناك مجلة فلسفية نصف شهرية بعنوان "زينون" -مؤسس الفلسفة الرواقية الذى تناولناه فى الباب الأول. كانت تصدر فى نيقوسيا وتجمع بين العلم الحديث والنواحي الاقتصادية.

وكان لفاروشا الضاحية اليونانية لمدينة فاماغوستا صفحتها الخاصة. ففي الأعوام ١٩٠٧-١٩١١م صدرت الأسبوعية "سلاميس" بتحرير لوكاس زالوميديس Lukas Zaloumides دارس القانون التقدمي، وبمعمونة ك. ليكولانيديس. وفيما بين ١٩١٢ و ١٩٢١م صدرت "أموخوستوس" بتحرير زالوميديس، وفي نفس المدينة ١٩١٣/١٩١٤م ظهرت أول صحيفة قبرصية نسائية وعنوانها "هستياديس": جريدة أدبية نصف شهرية للسيدات".

(Hestiades philologike dekapenthemeros ephemeris ton kyrion)

وجدير بالذكر أن "هستياديس فى الأساطير اليونانية تعنى كاهنات إلهة الموقد هيسيا حارسة وراعية أهل المنزل فهو اسم له هذا الرمز الأسرى، كانت تديرها بيرسيقوني بابا دبولو Persephone Papadopoulos (١٨٨٨-١٩٤٩) المدرسة المثقفة التى تتلمذت بعد ذلك على يد الفيلسوف الأشهر برجسون Bergson فى السوربون. ولقد إستدعيت من باريس لترأس "أكاديمية الزبية" فى باترا باليونان، حتى موتها. كانت "هستياديس" تنشر الكثير من ترجمات النصوص الأدبية والمقالات المتخصصة لأشهر فلاسفة أوروبا وأدبائها وعلمائها مثل شوبنهاور ونيتشة وبرجسون وغيرهم. ومن مؤلفات بيرسيقوني بابا دبولو كتاب "ملاحظات تربوية: حركة الإصلاح باليونان وأهم مشكلات المدرسة القبرصية"^(١) نيقوسيا ١٩٣٠. وكتاب آخر مهم هو "فلسفة برجسون ١٩٣٩م".

[Greek] Chrysanthos Z., (Thessalonike 1972), pp. 35-37.

وعن الثقافة الفرنسية فى قبرص من ١٨٧٨-١٩٧١م أنظر: Beraud, op. cit., pp. 129-184

٢- الإحتلال البريطاني والحرب العالمية الأولى

بعد ظهور البترول في إيران ودول الخليج بدأت إنجلترا تعطي أهمية متزايدة لوجودها في قبرص، لحماية مصالحها في الشرق الأوسط، وتأمين قناة السويس والطريق إلى الهند. وبذلك بريطانيا كل جهد ممكن للحفاظ على قبرص، وعدم وقوعها في أيدي اليونان وحليفاتها الأقوى فرنسا. ولكن فرنسا نفسها لم تكن تحبذ إستقلال قبرص أو ضمها إلى اليونان، بل كانت تفضل ضمها إلى سوريا محميةها القوية آنذاك. وكانت فرنسا بالفعل في أكتوبر ١٩٠٨ م وعلى لسان وزير خارجيتها بيثو Pichou قد أبدت إرجاع قبرص إلى تركيا، عوضاً عن كريت التي خسرتها. وعارضت بريطانيا الإقتراح على أساس أن الباب العالي لن يقبل نقض اتفاقية ١٨٧٨ م. وحيث أن غالبية سكان قبرص مسيحيون، فلقد كان في عودة قبرص لتركيا وزحف الجيوش التركية عليها مخاطر هائلة. وفي عام ١٩١٩ م قبلت اليونان مشروع ضم الجزر الإثنى عشر إلى إيطاليا، على أساس أن تبقى رودس في حوزة إيطاليا طالما بقيت قبرص في أيدي بريطانيا. وطبقاً لاتفاقية سيفر Sevres (مادة ١١٥-١١٧) المعقودة في أغسطس ١٩٢٠ م نفضت تركيا يدها تماماً من قبرص. وتنازلت عن جميع مطالبها فيها، وتم الإعتراف بضم قبرص إلى بريطانيا من قبل كافة الأطراف الموقعة على المعاهدة.

وفي عام ١٩٢١ م وأثناء الإحتفالات بمرور مائة عام على الثورة اليونانية قامت الإضطرابات في قبرص، طُرد على أثرها إثنان من السياسيين البارزين في قبرص هما فيليوس زانيتوس Philios Zannetos ونيكسولاؤس كاتالانوس Nicolaos Katalanos. ورد القيامة اليونان بالدعوة إلى "إجتماع قومي" كوسيلة للمقاومة السلبية ضد الإحتلال البريطاني. وصدرت عدة قرارات عن الإجتماع، من أهمها الإمتناع عن التصويت في الإنتخابات. وتم تأسيس هيئة سياسية للإشراف على تنفيذ المقاطعة ووقف التعاون مع السلطات البريطانية المحتلة، ومعالجة العواقب الاقتصادية المترتبة على ذلك. وكانت المقاطعة القبرصية اليونانية لإنتخابات ١٩٢١ م كاملة. وفي عام ١٩٢٢ م أعيدت الإنتخابات، فإنتخب قسان مارونيان حصلاً على ١٣٥٠ صوتاً مارونياً. وأصر البريطانيون على إعادة الإنتخابات للمرة الثالثة، وأقنعوا سبعة فلاحين لترشيح أنفسهم.

إزدادت بريطانيا تشبهاً بقبرص وحاربت فكرة اتحادها مع اليونان. وفي إتفاقية ١٩٢٠/١٢/٢٣ م بين إنجلترا وفرنسا تم الاتفاق على "أنه نظراً للموقع الإستراتيجي الخطير والأهمية الجغرافية لقبرص الواقعة خارج خليج الإسكندرون، فإن الحكومة البريطانية تتعهد بعدم التفاوض بشأن قبرص والتنازل عن الجزيرة دون التفاهم المسبق مع الحكومة الفرنسية".

وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا (أكتوبر ١٩١٧ م) إكتسبت تركيا أهمية خاصة في سياسات الغرب الرأسمالي، بوصفها خطأ دفاعياً مباشراً ضد هذا النظام الشيوعي الشمولي، حماية

لبقية آسيا ولاسيما الشرق الأوسط ومنابع البترول . وفى ظل تلك الظروف صار من احوال أن تنازل بريطانيا عن سيطرتها على قبرص . وتكونت فى ليماسول حركة ماركسية ثورية كانت لها أجنحة فى لارناكا وبافوس . والتفت حولها الطبقات الفقيرة والفئات المطحونة، ولاسيما عندما اشتدت الأزمة الاقتصادية العالمية فى أواخر العشرينيات، وازداد الإستغلال البريطانى قسوة.

ومنذ البداية إتبع البريطانيون فى قبرص السياسة التى طبقوها فى سائر مستعمراتهم مثل مصر والسودان والهند وباكستان وغيرها، وهى سياسة "فرق تسد" . لقد بذروا بذور الصراع فى قبرص منذ بداية وصفهم إلى الجزيرة . وهذا ما يلاحظ فى التشريع الذى أدخلوه فى ٣٠ نولمبر ١٨٨٢م . حيث أبقوا على "الجلس التشريعى" القبرصى، وجعلوا قراراته بمثابة توصيات وعضويته من ١٨ يعين ٦ منهم بقرار من المندوب السامى البريطانى، ويتخب ١٢ كل خمس سنوات، ٩ ينتخبهم اليونان و٣ ينتخبهم الأتراك، وكل طرف منهما يجرى التصويت بصورة منفصلة عن الآخر . وهكذا وضع الإنجليز مبدأ التقسيم والفصل بين الجانبين القبرصيين، مما كان له آثار بالغة الضرر فى التطورات السياسية من الآن فصاعداً . وعواقب وخيمة على بنية المجتمع القبرصى الذى العنصرين اليونانى والتركى وحتى يومنا هذا . ونحن على مشارق نهاية القرن العشرين مازالت الجزيرة تعاني بسبب تلك السياسة.

كان إسهام الشعب القبرصى فى السلطة إسمياً وشكلياً فقط، فالحاكم البريطانى يمسك فى يديه كل خيوط السلطة والإدارة والتحكم فى كل شئ بالجزيرة . وفى المجلس التشريعى مثلاً كان عدد الأعضاء الإنجليز والأتراك يساوى عدد اليونانيين . وهكذا يضمن الحاكم البريطانى التحكم فى قرارات هذا المجلس . ولم يفلح الأعضاء اليونانيون فى تمرير تشريعات لصالح الوحدة الوطنية . وحرص الإنجليز على تركيز امتيازات الجانب التركى ، فحتى "الأوقاف" كانت تحت إشراف مندوبين، أحدهما تركى تعينه وزارة الأوقاف التركية فى استانبول (حتى ١٩١٤م)، والثانى إنجليزى يعينه المندوب السامى . ولذا بدأ القبارصة اليونان يتدمرون، ويرسلون الشكاوى والوفود إلى لندن . بل إن الأتراك شاركوا فى بعض هذه الوفود، كما حدث عام ١٨٨٨م، حيث كتبت الشكاوى المقدمة باليونانية والتركية، وعبرت عن التدمير الشديد من الضريبة التى تحصلها تركيا سنوياً . ولكن سرعان ما انسحب الأعضاء الأتراك -القبارصة تحت ضغط من استانبول ولندن . ووصل الوفد اليونانى بزعامة رئيس الأساقفة سوفرونيوس أواسط عام ١٨٨٩م إلى لندن . وإن كان الأتراك فيما بعد (٢ يولية ١٨٨٩م) قد عبروا عن تأييدهم لهذا الوفد والمطالب المشروعة، مع تحفظهم على المطالب الأخرى ويعنون "الإتحاد" . أى اتحاد قبرص مع اليونان .

ومن وسائل زرع الفتنة بين الجانبين القبرصيين التى اتبعها الإنجليز أنهم تركوا القبارصة اليونان المتطوعين ينضمون لصفوف الجيش اليونانى فى حروب البلقان، ولاسيما الحرب اليونانية التركية ١٨٩٧م وحروب ١٩١٩-١٩٢٢م و١٩٤٠-١٩٤١م . وكان هؤلاء المتطوعون

القبارصة في عرف تركيا والأتراك القبارصة "خونة". ويلاحظ في المقابل أن أحداً من أتراك قبرص لم يتطوع للقتال في صفوف الجيش التركي.

وفي نوفمبر - ديسمبر ١٩١٢م عرضت بريطانيا على اليونان أن تسلمها قبرص* في مقابل أن تعطى بريطانيا قاعدة بحرية في أرجوستولي في جزيرة كيفالونيا غرب اليونان. حينذاك كانت بريطانيا في حاجة ماسة لحماية قواعدها في البحر المتوسط ضد قوة إيطاليا والنمسا المتزايدة، وبعد أن احتلت إيطاليا الجزر اليونانية الإثنى عشر بمحذاء آسيا الصغرى في أبريل ١٩١٢م، وبعد أن سلمت تركيا إلى إيطاليا قوريني (الشحات) وطرابلس الليبيين في نفس العام أصبح لإيطاليا اليد الطولى في "الحلف الثلاثي" - مع ألمانيا والنمسا- وظهرت أطماعها في بحر إيجة. الذي كانت معظم جزره اليونانية -مع مقدونيا- قد تحررت من الاحتلال التركي في حرب البلقان. ولكن رد فعل فرنسا جعل ونستون تشرشل يسحب العرض البريطاني في يناير ١٩١٣م، ويرجئ المسألة إلى ما بعد انتهاء الحرب البلقانية وفي إطار إتفاقية عامة.

وبضم قبرص إلى بريطانيا رسمياً في ١١/٥/١٩١٤م بدا أن بريطانيا صرفت النظر عن الموضوع نهائياً. ولكن مع بداية الحرب ضد ألمانيا وبروز حاجة ملحة إلى عملية عسكرية ضخمة في البلقان وممرات الدردنيل أصبح الدور اليوناني مطلوباً. ومن ثم عادت فكرة عرض قبرص على اليونان لإغرائها بالإشتراك في الحرب، ولاسيما في ظل الصعوبات الحربية التي واجهها الحلفاء في أوائل ١٩١٥م. بل ذهب بعض الوزراء البريطانيين إلى حد التنازل عن قبرص لليونان مع بعض الأراضي في آسيا الصغرى. ولكن القادة العسكريين المشبكين في القتال، وعلى رأسهم كitchener عارضوا بشدة على هذه الأفكار، ووجدوا في قبرص قاعدة عسكرية إستراتيجية ضرورية لشن الهجوم على الإمبراطورية العثمانية لا يمكن الاستغناء عنها. يضاف إلى ذلك أن روسيا عارضت على ضم قبرص إلى اليونان لأن هذا سيحولها إلى قوة ضاربة في شرق البحر المتوسط. ولكن بعد أن توغلت القوات النمساوية والألمانية والبلغارية في صربيا في ١٧ أكتوبر ١٩١٥م فإن الحكومة البريطانية قد أقدمت -برغم كل الاعتراضات- على عرض قبرص على الحكومة اليونانية الملكية برئاسة زائيميس Zaimis، الذي تولى رئاسة الوزارة بعد فينيزيلوس.

في ١٠/٥/١٩١٥ كان هذا العرض السخي في مقابل إشتراك اليونان في الحرب ومساعدة صربيا على صد الهجوم. وبعد عشرة أيام من تقديم العرض رسمياً رفضته الحكومة اليونانية والملك قسطنطين، لأنهما كانا يميلان إلى جانب ألمانيا. كما أنهما كانا يفكران في الحصول على استانبول وطراقيا وأزمير. لا تلك الجزيرة النائية قبرص^(١).

^(١) وعن تفاصيل هذا العرض راجع:

M. Woodhouse, "The Offer of Cyprus, October 1915" Greece and Great Britain during World War I, First Symposium Organized in Thessaloniki, by the Institute for Balkan Studies and King's College in London 15-17 December 1983. Thessaloniki 1985, pp. 77-97.

بعد عزل الملك قسطنطين في ديسمبر ١٩١٧م، ودخول اليونان الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول التحالف، عاد فينيزيلوس إلى الحكم وعادت الصحافة اليونانية إلى إحياء عرض ١٩١٥م بضم قبرص إلى اليونان. وهكذا نشطت حركة "إنوسيس" من جديد في قبرص، وترعرعت الآمال في أن الإتحاد سيتم لا محالة في نهاية الحرب. وبالفعل تمت مناقشة الموضوع عدة مرات. ففي اتفاقية ١٩١٨/١١/١١م طرحت بريطانيا الموضوع، وأجهضت المحاولة كما أجهضت المحاولات الأخرى. ومرد هذا الفشل هو موقف العسكريين الإستعماريين في بريطانيا، ودخول أطراف دولية خارجية جديدة مما زاد المشكلة تعقيداً. لقد تنازلت إيطاليا عن الجزر الإثنى عشر لليونان شريطة تنازل بريطانيا أيضاً عن قبرص. وفي مقابل هذا العرض الإيطالي قدمت بريطانيا عرضاً موازياً، ولم يخرج الموضوع عن نطاق الكلام والتصريحات.

وفي اتفاقية سايكس-بيكو (Sykes- Picaud) المعقودة بين إنجلترا وفرنسا كان لا يمكن للأولى أن تتفاوض بشأن قبرص دون موافقة فرنسا. ومن الأراضي التي طالب بها فينيزيلوس في مذكرته المقدمة إلى مؤتمر السلام ١٩١٨/١١/٣م قبرص وإستانبول وآسيا الصغرى وطرقها وشمال إيريس، لكن قبرص لم تذكر بالإسم في مقترحاته ١٩١٩/١١/٣م، بضغط على ما يبدو من العسكريين البريطانيين الإستعماريين الذين عبروا عن مخاوفهم من أن تقع قبرص في أيدي قوة أخرى أكبر تنافس بريطانيا العظمى. وكان أهم ما يشغل فينيزيلوس هو أزمير وما حولها حيث كان يونان آسيا الصغرى يعيشون في خطر داهم وملمس، أما يونان قبرص فهم في أمان ويمكنهم الانتظار.

أما بلفور Balfour، صاحب الوعد المشئوم لليهود بوطن قومي في فلسطين، فقد كان من بين المحبطين للتنازل عن قبرص لليونان. على أية حال فإن فينيزيلوس في إعلانه المطالب اليونانية أمام مؤتمر العشرة في أورساي Quai d'Orsay ٣-١٩١٩/٢/٦م ذكر إسم قبرص صراحة. ولكن الوفد القبرصي اليوناني إلى باريس صعد في ربيع ١٩١٩م وأصيب بالإجباط عندما رفض البريطانيون مطلب "الإتحاد". ولكن للويد جورج Lloyd George في ١٩١٩/٥/١٣م وأمام مؤتمر الأربعة أعلن عن رغبته في التنازل عن قبرص لليونان. وشكره فينيزيلوس بحرارة، وقال له إن بريطانيا يمكنها أن تحتفظ بأية قواعد في الجزيرة، بل بالجزيرة كلها في حالة الضرورة القصوى، أي نشوب الحرب من جديد. ولكن نزول القوات اليونانية في أزمير ١٩١٩/٥/١٥م جعل مطلب قبرص غير قابل للطرح بتاتاً. فحتى للويد جورج أعطى إجابة سلبية للوفد القبرصي اليوناني في نوفمبر ١٩١٩م. هذا في الوقت الذي كانت فرنسا لا تزال تأمل في ضم قبرص إلى سوريا، لتصبح هكذا تحت حمايتها وفي دائرة نفوذها.

وفي الاتفاقية اليونانية-الإيطالية فينيزيلوس-تيتوني (Venizelos Tittoni) الموقعة في ١٩١٩/٧/٢٩م تقرر إعادة رودس إلى اليونان بعد خمس سنوات، شريطة أن تفعل بريطانيا نفس الشيء بالنسبة لقبرص. وفي أغسطس ١٩١٩م عارض الإتحاد الأنجلو-إسرائيلي (Anglo-Israelian)

(Federation) عودة قبرص إلى اليونان . وفي اتفاقية سيفر Sèvres ١٩٢٠/٨/١٠م تمهدت إيطاليا بالتنازل عن الجزر الإثنى عشر لليونان في غضون خمسة عشر عاماً بعد إجراء إستفتاء شعبي، وبعد تنازل بريطانيا عن قبرص لليونان . وتنازلت تركيا عن كل مزاعمها السابقة في أي حق لها بالجزيرة، بما في ذلك الضريبة . ولكن كورزون Curzon أكد لفينزيلوس (١٩٢٠/٨/٥م) ولوفد قبرص اليوناني في باريس (١٩٢٠/٨/٩م) بأن بريطانيا لا ترغب في التنازل عن قبرص لأي طرف . فلقد أصبحت قبرص جزءاً من الأسلاب والغنائم التي تم تقسيمها بين الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى.

إستعان البريطانيون في حكمهم لقبرص بالمواطنين القبارصة، وكان الأتراك منهم حتى العشرينيات هم الغالبية بين مساعدى قوات الإحتلال وإداراته . وظلت الحاكم لفترة طويلة تتبع القوانين واللوائح العثمانية، ثم تحولت إلى النظام البريطاني . وفي عام ١٩٢٧م بدأ التفريق بين من هو قبرصي ومن هو غير قبرصي أمام القضاء . وفي العام التالي ألغى قانون العقوبات العثماني، وفي عام ١٩٣٥م بدأ تطبيق القانون العام البريطاني . وبدأ الإنجليز يصلحون ويعملون في القوانين ببطء شديد، أي بنفس الإيقاع الذي عاجلت به مشكلة "الإتحاد" . وفي عام ١٩١٢م عندما طرحت فكرة تنازل بريطانيا عن قبرص لليونان، طالب الأعضاء الأتراك في المجلس التشريعي القبرصي أنه في حالة تغيير الوضع السياسى لقبرص يجب ضمها إلى إنجلترا أو إلى مصر . وفي نوفمبر ١٩١٤م عندما ضمت قبرص رسمياً إلى التاج البريطانى رحب بذلك زعماء الأتراك القبارصة، ووعدوا بالطاعة والولاء للامبراطورية البريطانية العظمى، كما عبروا عن شعورهم بالخزي لأن تركيا اختارت الانضمام إلى ألمانيا في الحرب ضد الحلفاء . وفي عام ١٩١٥م عندما طرحت من جديد فكرة إتحاد قبرص مع اليونان هزل القبارصة اليونان، وتوجس مواطنوهم الأتراك خيفة على مصالحهم وإمтиاراتهم . وفيما بين ١٩١٨-١٩٢٠م ذهب وفد يوناني قبرصي إلى باريس ولندن ليقدّم مطلب "الإتحاد" إلى المنتصرين، وذلك بعد أن تلقى القبارصة تشجيعاً من رئيس حزب العمال البريطانى في المؤتمر الإشتراكي المنعقد في بيرن بسويسرا . ولم يجد الوفد القبرصي ترحيباً أو حتى عناية من أحد في باريس ولندن، ولا حتى من رئيس الوزراء اليوناني نفسه فينزيلوس المشغول آنذاك بما هو أهم وأخطر بالنسبة لليونان . عندئذ شكل الدكتور محمد أسد الزعيم القبرصي التركي حزباً صغيراً يتبنى فكرة ضم قبرص إلى تركيا . وإفتعل أعضاء هذا الحزب بعض أحداث العنف، فقبض عليهم وسجنوا.

حاول القبارصة الأتراك إستغلال وضعهم بوصفهم إستمراراً للإحتلال العثماني تحت الحكم البريطاني . وإستغل البريطانيون وضع هؤلاء وطموحاتهم أسوأ إستغلال . وجاء هذا الموقف البريطاني على غير توقع، لأن المفروض أن البريطانيين أبناء الحضارة الغربية ينحازون إلى شركائهم في هذه الحضارة، بل أحفاد الإغريق مؤسسى الحضارة الأوروبية القديمة . كانت العامة من الأتراك القبارصة مذنبية بين تأييد "الإتحاد" مع اليونان وعدم الإكتراث بالأمر، فهو سيان عندهم أن تتحد قبرص مع اليونان أو تظل كما هي . أما الزعامة التركية القبرصية فكان أعضاءها من البورجوازية، وتضم الأطباء والصحفيين والمحامين والمدرسين ومن هم على

شاكلتهم إلى جانب الأعيان من أبناء الريف. كان موقف هذه الزعامة التركية الأيديولوجى هو التمسك بالامبراطورية العثمانية. وظل هذا التيار نشطاً ويزداد قوة بمرور الزمن حتى عام ١٩٥٥م. ووصل الأمر ببعضهم إلى حد التشيع بالفكر القومى الشعبى المتعصب، الذى قد يؤدى إلى كراهية الهيلينية. وكان ذلك التطور موازياً لزيادة التيار "الإتحادى" اليونانى وتصاعده إلى حد التعصب للهيلينية. وتلك هى بذور المشكلة القبرصية، والتى تولاهما بالرعاية الإحتلال البريطانى منذ البداية.

تعد عام ١٩٢٢م علامة فارقة فى التاريخ اليونانى والقبرصى، إذ وقعت مأساة آسيا الصغرى وأحدثت شخراً فى الجدار النفسى للقبارصة. ولجأ إلى قبرص عدد هائل من اللاجئين اليونانيين الأسويين وبعض الأرمن. كما أن مطلب "الإتحاد" تلقى ضربة قاصمة. وحاولت السلطات البريطانية علاج الموقف والتخفيف من الأزمة فعرضت منح الحكم الذاتى، أو توسيع إختصاصات المجلس التشريعى والتفوضى. ولقد زيد عدد الأعضاء اليونان فى هذه المجالس، بحيث أصبح يمثل نسبة ٤: ٥ من المجموع. لكن فى نفس السنة أعاد الأتراك القبارصة المطلب القديم بإعادة قبرص إلى تركيا، أو إلى وضعها فيما قبل ضمها إلى التاج البريطانى. ووصل وفد قبرصى تركى إلى أنقرة لعرض هذه المطالب، لكن الإجابة التركية الرسمية لم تكن مشجعة لهم، إذ كانت سياسة تركيا قد تغيرت فى عصر الأصولية الكمالية التى أسسها مصطفى كمال أتاتورك.

أما رد فعل بريطانيا على المطلب القبرصى اليونانى بالإستقلال والحرية (١٩٢٣/٢/٦م) فقد كان فحواه أن قبرص لم تنضج بعد لمزيد من الحرية الدستورية. وسرعان ما أعد سبيروس آراؤزوس Spyros Araouzos مذكرة يونانية قبرصية جديدة قدمت للسلطات البريطانية، وتشدد على أن القبارصة ليسوا أقل من غيرهم إستحقاقاً للحرية. وأما عن حقوق الأقليات فيمكن الحفاظ عليها - كما جاء فى المذكرة - عن طريق التمثيل النسبى. وطلبت المذكرة زيادة عدد الممثلين للقبارصة اليونان فى المجلس من ٩ إلى ١٢ لأن اليونانيين القبارصة الآن يمثلون نسبة ٤: ٥ من مجموع السكان. وردت الحكومة البريطانية بالقول إن ذلك سيفقد الأتراك الشعور بالأمان والإطمئنان. ورغم إصرار القبارصة اليونان على مقاطعة الإنتخابات، إستطاعت السلطات البريطانية أن ترشح سبعة يونانيين للمجلس التشريعى. وإستمرت التظلمات القبرصية والردود الإنجليزية - المهينة أحياناً - طوال العامين ١٩٢٢-١٩٢٣م. وفى مواجهة قانون ١٩٢٢/٤/١٢م الذى صدر لحظر الكتابات والإصدارات التحريضية، فإن القبارصة اليونان رفضوه وفهموا أن المقصود منه هو إخماد الحركة الوطنية. وبدأ تيار فكرى قوى بين الكتاب الأوروبيين يحتفى بقبرص وقضيتها وينادى بتحريرها. وفى مقدمة هؤلاء أرنولد توينبى أشهر مؤرخى القرن العشرين، الذى نشر فى الأعوام ١٩٢٢ و ١٩٢٦ و ١٩٣٢ دراسات تؤكد أن "الإتحاد" هو الحل المنطقى المعقول والمقبول للمشكلة القبرصية^(١).

(١) عن الحرب العالمية الأولى ومأساة آسيا الصغرى وتأثيرهما على المشكلة القبرصية راجع:

[Greek] Loizides (Athens 1980), passim.

[Greek] Pikros (Athens 1980), passim.

وهذا الكتاب يتحدث بالتفصيل عن دور فينيزيلوس. راجع أيضاً:

S.P. Sonycel, Turkish Diplomacy 1918-1923 M. Kemal and the Turkish National Movement. Sage Publications. London 1975.

٣- معاهدة لوزان وثورة أكتوبر ١٩٣١

كان أقصى تنازل سمحت به بريطانيا للقبارصة هو التعديلات الدستورية، التي صدرت بقرار ١٩٢٥/١١/٦ بعد أن وقعت تركيا اتفاقية لوزان^(١) بعامين أى فى ١٤ يولية ١٩٢٣ م. وفيها تنازلت عن كل ماكانت تزعمه من حقوق فى قبرص. وكانت تركيا قد قبلت رسمياً ضم بريطانيا لقبرص ١٩١٤ م، ونصحت الأتراك القبارصة بالهجرة إلى الأناضول. وفيما بين ١٩٢٤ و ١٩٢٨ م عمل بهذه النصيحة خمسة آلاف فقط، بل إن كثيرين منهم شعروا بالإحباط بعد وصولهم إلى تركيا وعادوا إلى ربوع قبرص فرحب بهم أهل الجزيرة. وكان البريطانيون يعارضون هجرة أتراك قبرص إلى خارجها، لأنهم كانوا يستعملون "هذه الورقة" التركية فى مفاوضاتهم ومساوماتهم مع القبارصة اليونان. وهؤلاء لم يفعلوا شيئاً ليشجعوا إخوانهم الأتراك على ترك قبرص. بل إنهم رحبوا أهمل ترحيب بمن عاد منهم إلى قبرص بدافع الإحساس الحضارى العميق. وجاءت معطيات اتفاقية لوزان موالية لبريطانيا، إذ إستغلتها وحورتها لتعلن فى ١٩٢٥/٥/١ قبرص مستعمرة تابعة للتاج البريطانى. وشرعت السلطات الحاكمة فى إتخاذ الإجراءات اللازمة نحو تدمير الحركة الوطنية، وأعلنت مراراً أن مستقبل قبرص قد حسم وأغلق ملفها للأبد، وهو ماذكرنا به الآن تصريحات نيتانياهو رئيس وزراء اسرائيل بالنسبة للقضية الفلسطينية.

وشرعت بريطانيا فى نفس الوقت -إتباعاً لسياسة العصا والجزرة- تقديم مقترحات جديدة بحياة دستورية. وهى مقترحات فى الواقع لا تخالف ما هو قائم بالفعل فى قبرص. إذ زاد عدد أعضاء المجلس التشريعى إلى ٢٤، تسعة يعينهم الحاكم البريطانى و ١٢ ينتخبهم اليونان و ٣ من الأتراك. وهذا معناه أنه لم يحدث أى تغيير فعلى، ولا زال الحاكم البريطانى يمسك بيده السلطة العليا والكلمة الأخيرة فى التشريع والإدارة والحكم. ولأن الجانبين اليونانى والتركى أدركا أن الوضع السياسى الدولى بعد الحرب العالمية الأولى قد إستقر لفترة من الزمن، وسيستمر كذلك لبعض الوقت، فإنهما ركزا جهودهما على المسائل الداخلية وتعاونوا فى ذلك تعاوناً مثمراً ولاسيما فى إطار المجلس التشريعى.

وبقانون ١٩٢٩/١٢/٩ صار كل شئ لاسيما فى مجال التعليم بيد سلطات الإحتلال. وأدخلت فى مواد التعليم بعض النقاط المعادية للهيلينية، وتحت غطاء تدبير المال اللازم سحبت المهام من "لجان المدارس"، ولاسيما حقها فى تعيين المدرسين بالتعليم الأولى. ومن ثم صار هؤلاء المدرسون تحت رحمة الإحتلال البريطانى، الذى بذل كل جهد ممكن لكى يضعف الشعور الوطنى والروح القومية. لقد ثبت أن إدارة المدارس على يد ممثلين لليونان القبارصة فيما يسمى

C. Svoloupoulos, "The Lausanne Peace - Treaty and the Cyprus Problem".
Greece and Great Britain during World War I. First Symposium organized in
Thessaloniki by the Institute for Balkan Studies and King's College in London
15-17 December 1983. Thessaloniki 1985, pp. 233-245.

(ephoreia) كانت مثمرة، إذ ارتفعت نسبة المعلمين الذين يلმون بالقراءة والكتابة إلى ٤٥٪. جاء ذلك التقدم في إطار الصحوة القومية اليونانية في قبرص وخارجها، حيث إمتدت إلى اليونان نفسها وآسيا الصغرى ومصر وفلسطين وسوريا ومقدونيا وطراقيا. وهكذا أسهمت قبرص إسهاماً ملموساً في هذا البعث الجديد للقومية اليونانية. وهذا بالضبط ما كان البريطانيون يخشونه ويقاومونه بكل وسيلة. فزادت الضرائب وزادت معاناة القبارصة اليونان والأتراك على حد سواء. وكانت قبرص وإدارتها المالية تبعان مباشرة وزارة المالية البريطانية. ووفقاً لتقدير الحاكم البريطاني السير رونالد ستورز Sir Ronald Storrs لم يلق المستثمرون البريطانيون أى تشجيع في قبرص، نظراً لعدم الاستقرار وازدياد الوعى القومى والحس الوطنى. ولذا عقد هذا الحاكم البريطانى -الضليع فى علم الكلاسيكيات- العزم على تحويل القبارصة إلى "إنجليز يتحدثون اليونانية"، وزاد الطين بلة أن الأزمة الاقتصادية العالمية قد بلغت حد الدروة آنذاك.

أشعلت أزمة قانون التعليم المشبوه (١٩٢٩/١٢/٩م) التذمر المتصاعد فى نفوس القبارصة اليونان. وفى ١٩٣٠/٦/٢٦م عقدوا "اجتماعاً قومياً" فى الأسقفية، وصوتوا لصالح تأسيس "المنظمة القومية القبرصية"، وكان هدفها الرئيسى المعلن هو تحقيق "الإتحاد" بكل وسائل الكفاح المتاحة، لقد كان "الإتحاد" هو الملاذ الأخير للحركة الوطنية القبرصية، بعد فشل كل محاولات الإصلاح الدستورى. بل وفى كل وقت يستبد اليأس بالشعب القبرصى يلجأ إلى رفع لواء "الاتحاد" وكما هو الحال بالنسبة لشعور الأمة العربية وشعار "الوحدة".

وكانت الزعامة التركية القبرصية بكل تأكيد تعارض هذا المنحى، لأن سلطات الإحتلال كانت تحاييهم فى كل مجال، بإعتبارهم ورقة سياسية فى يدها. وكان الحاكم البريطانى سير رونالد ستورز -كما أسلفنا- فقيهاً فى علوم الكلاسيكيات عاشقاً للهيلينية، ولكنه نسى كل ثقافته أو انحاز جانباً وإنحاز للإستعمار البريطانى وإدارته فى قبرص. وشارك فى التخطيط عام ١٩٢٨-١٩٣٠م، لتوثيق ضم قبرص إلى بريطانيا، بل كان ينوى إجراء إستفتاء شعبى على ذلك. ماستغل البريطانيون النزاعات الداخلية القبرصية فيما بين الإتجاهات والتيارات اليونانية المختلفة. حيث وجد بين اليونانيين القبارصة الإتحاديون المعتدلون، والثوريون الراديكاليون، والعملاء المتعاونون مع الإحتلال. وكان السير رونالد ستورز يداوم على زيارة الريف، ويخطب ود المزارعين، وكأنه إستبدل صدقاتهم بالزعماء السياسيين المتناحرين. وهكذا نشأت الحركة التعاونية الزراعية فى العقدين الأولين من القرن العشرين. ثم إزدهرت فى العشرينيات وتشجيع من ستورز، لتكون سلاحاً يُشهر فى وجه الزعامة السياسية. وأسس البنك الزراعى برأسمال أجنبى. ومن ثم ظهرت دعوة جديدة لنزع ملكية الأراضى الكنسية، وكذا الأوقاف، على أن يتم توزيع هذه الأراضى على المزارعين المعدمين. صار هذا شعاراً شيوعياً مطروحاً فى إنتخابات أكتوبر ١٩٣٠م. ظهرت الفكرة أولاً فى بالفوس، وباركها القنصل اليونانى فى قبرص وهو أليكسيس كيرو Alexis Kyrou، وهو بالأساس من أصل قبرصى، شجع كيرو كذلك "الإتحاد" بأقصى جهد ممكن، وكان على صلة بزعماء هذا الإتجاه سراً وعلانية، وعلى رأسهم أسقف كيتيون والمولود فى أمروخوستوس نيكوديموس ميلوناس Nikodemos Mylonas (١٨٨٩-١٩٣٧م)،

العالم الفقيه والخطيب المفوه والفيلسوف الحكيم والزعيم السياسي بالفطرة. والذي نشر الكثير من المقالات في عدة دوريات قبرصية وأجنبية وكلها ذات محتوى اجتماعي واقتصادي وسياسي وقانوني. ولقد أسهم في تأسيس الدورية "الحوليات القبرصية" Kypriaka Chronika. عاش بعض الوقت في جبل طارق وانجلترا وفرنسا وفلسطين ودفن في بيت المقدس.

وفي السنوات القليلة قبل اضطرابات ١٩٣١م كانت الكنيسة تعرف أن "الاتحاد" قد يعنى مصادرة أملاكها لصالح المعدمين. ومع ذلك ظلت الكنيسة القبرصية - وحتى كل أفراد البورجوازية القبرصية اليونانية - ترفع شعار "الاتحاد"، وتحرض الناس عليه لأنه الأمل الأسمى للجميع وفي سبيله تذوب الخلافات الحزبية والايديولوجية. بل تجسد التعايش السلمى بين الأتراك واليونان القبارصة في "الحركة التعاونية المتحدة" التى ضمت الطرفين، منذ أن تأسست في أواخر العشرينيات.

كان التجمع القومى ٢٦/٦/١٩٣٠م ضرباً من التعبير المنظم عن الهياج الشعبى الفائز والغائر تحت الأرض منذ زمن، ففي عام ١٩٢٩م اجتمع نقر من المدرسين واخامين والصحفيين وغيرهم من المثقفين وأصحاب المهن الأخرى، وأسسوا "اتحاد قبرص الوطنى الراديكالى" EREK. بدأت الحركة أولاً في كيرينيا، ثم في نيقوسيا بعد ذلك. كان الهدف المعلن لهذا الاتحاد هو تحرير قبرص من الاحتلال البريطانى وتحقيق "الاتحاد". ثم جاءت إنتخابات أكتوبر ١٩٣٠م بأغلبية يونانية إتحادية، وأغلبية تركية وطنية (ضد الإحتلال). وقفت الزعامة التركية منير العميل الموثوق به بالنسبة للسلطة البريطانية، ويدعى منير وأيدت الزعامة التركية النهج الكمالى بزعامة لتجأتى بيه الركى القبرصى القومى. وكان فحوى هذه الإنتخابات ونتيجتها أن موازين القوى داخل المجلس التشريعى قد تغيرت لغير صالح الإحتلال البريطانى، وتجلبى ذلك عندما عرض السير روالد ستورز تشريعاً جديداً للتعريف، فلما فشل التشريع غضب وأحال الأمر برمته إلى لندن، وإستصدر من هناك قانوناً مجحفاً بالنسبة لسكان قبرص جميعاً. وفي سبتمبر ١٩٣١م أعلنت الحكومة البريطانية - دون أدنى إكترات بالأزمة المالية الطاحنة التى وقع فيها الشعب القبرصى - أن الفائض فى الميزانية القبرصية يتفق فى أغراض أخرى لصالح الامبراطورية العظمى.

وفي ١٧ أكتوبر ١٩٣١م تفككت عزى الوحدة فى صفوف الحركة الوطنية بسبب إنقسامات داخلية بين طرفى نقيض فى أعضائها. إذ كان منهم المتطرف الراديكالى، ومنهم العميل المتهاون. ولا غرابة فى ذلك لأن فينيزيلوس رئيس وزراء اليونان كان نائب النصح للقبارصة بالتعاون مع الإنجليز. وكان القنصل اليونانى آنذاك أليكسيس كبرو (١٩٠١-١٩٦٨م) يتلقى هذه التعليمات ولا يعمل بها قط، بل يحرص على ما هو ضدها. إذ كان شديد الحماس والتأييد للإتحاء الراديكالى المتطرف وجدير بالذكر أن هذا الدبلوماسى اليونانى ألف كتابين مهمين يلقىان الضوء على هذه الفترة. الأول بعنوان "السياسة الخارجية اليونانية (أثينا ١٩٥٥). والثانى بعنوان: الأحلام والواقع (أثينا ١٩٧٢م). وفى ١٨ أكتوبر ١٩٣١م كان أسقف كيتيون نيكوديموس ميلوناس زعيم "اتحاد قبرص الوطنى الراديكالى" EREK المتطرفة فى كيرينيا، وأعلن صراحة التمرد على الحكم البريطانى وإستقال من المجلس التشريعى.

كانت تلك هي الشرارة الأولى التي أشعلت ثورة القبارصة اليونان يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٣١ وأعلن ميلوناس بجرأة بالغة "إتحاد قبرص واليونان". وهب الناس جميعاً بطريقة عقوية وأعلنوا التمرد على الحكم البريطاني البغيض. وفي غضون يومين إنتشرت نيران الثورة في كافة أرجاء قبرص وشملت حوالى أربعمائة قرية. وإنخرط في أعمال هذه الثورة الكثيرون من الأتراك، حيث كسرت الحواجز بين فئات أهالي قبرص. ولقد أثبت الباحث بتروس ستيليانوس في رسالته للدكتوراه أنه كانت هناك لثورة أكتوبر ١٩٣١م أصدقاء في مصر ولبنان وسوريا والسودان^(١). وإضطرت الحاكيم البريطاني إلى إستدعاء قوات إضافية بريطانية من مصر. وفي ٢١ أكتوبر ١٩٣١م أحرق بيت الحاكم البريطاني في بقوسيا، وقُتل ١١ يونانياً وجرح المشاة وسجن الألوف. وفي النهاية فرضت غرامات عقابية على جميع السكان، وكذا ضرائب إضافية لتغطية الخسائر المادية الناجمة عن الثورة. وألقى القبض على زعماء الحركة وتم نفيهم إلى إنجلترا. وكان قد تم القبض على نيكوديموس ميلوناس عشية الثورة في ١٩ أكتوبر ١٩٣١م، ونفى هو والأسقف مكاربوس (من كيرينيا). وأدان فينيزيلوس هذه "الإضطرابات"، التي أفسدت العلاقات الودية بين اليونان وبريطانيا العظمى، في وقت تحتاج فيه اليونان إلى هذه الصداقة حاجة ماسة.

لقد أصبح واضحاً لا يحتاج إلى تبيان أن بريطانيا متشبثة بقبرص مهما كانت الظروف، ولاسيما بعد أن -أصبح في عام ١٩٣١م- أنه من شبه المؤكد أن بريطانيا ستضطر إلى ترك ما بين النهرين وفلسطين ومصر. ومع ذلك فنحن لا نتفق مع ما يقوله الباحث القبرصي كيريس من أن هذه الثورة القبرصية ١٩٣١م أخرت بالقضية، لأنها حدثت في توقيت غير ملائم إذ يقول:

"لقد وقع الإتحاديون -و القنصل اليوناني كيرو- في الفسخ الذي أعده الإستعمار البريطاني للهيلينية في قبرص"^(٢).

ولقد كتب أخيلياس كيرو (١٨٩٨-١٩٥٠م) -الأخ الأكبر للقنصل المذكور وله عدة مؤلفات أهمها "التجول الحاسم في الحرب (العالمية التالية) أثينا ١٩٤٦م- يقول في جريدة "هيسيا":

"كان فينيزيلوس يرى أن جزيرة يونانية نائية (أى قبرص) ثارت وهاجت وماجت في ظل ظروف دولية غير مواتية، وفي وجه أقرب الأصدقاء والخلفاء لليونان أى بريطانيا، هذا في وقت تنوى فيه اليونان أن تطلب العون العسكرى والبحرى اللازم لحماية قبرص، إذا فكرت بريطانيا في التنازل عنها لليونان"^(٣).

[Greek] Stylianou (Nicosia 1984), pp. 156-173 et passim

(١)

Idem, (1989) pp. 14-17.

Kyrris, op. cit., p. 245-246

(٢)

[Greek] Pantazi, (Athens 1971), pp. 21, 60, 62, 75, 76, 90, 111, 132, 144, 145, 150, 155, 156, 157, 163, 166, 175, 187, 282, 312

الجدير بالذكر أن الأخوين كيرو من أصل قبرصي وعن أخيلياس كيرو انظر:

(٣)

[Greek] Pernares (Nicosia 1977), p. 76.

٤ - البالمير وقرابية والحرب العالمية الثانية

وفى العقد الرابع من القرن العشرين، وبالتحديد ١٩٣١-١٩٤٠م، شهدت قبرص ما صار يعرف فى كتب التاريخ باسم "البالمير وقرابية". فلقد أصدر ستورز سلسلة من القرارات، واتخذ من الإجراءات التعسفية ما جعل هذا العقد هو الأسوأ بالنسبة للقبارصة. إذ صدر أمر بمنع رفع العلم اليونانى والتركى القبرصيين على المباني الرسمية، وألغى انتخاب المجالس اخلية وعين فيها من يشاء. وبعد موت رئيس الأساقفة كيريل الثالث ١٦/٣/١٩٣٣م ترك مكانه شاغراً وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٤٧م. لأن السلطات البريطانية لم تسمح بإجراء الانتخابات على النحو المعتاد. ولقد إعتز بشدة على ذلك أسقف بافوس من مواليه ليماسول ليونتيسوس (١٨٩٦-١٩٤٧م)، الذى أقيمت ضده دعاوى قضائية بتهمة نظم وإنشاء "مزامير إتحادية". وحددت إقامته وقيدت حركته. ثم جاء الحاكم الجديد السير ريشموند بالمر Sir Richmond Palmer، فعرض وصاية بريطانية مباشرة على التعليم الابتدائى. وفرض إجراءات صارمة على إدارة مدارس التعليم الثانوى من حيث مصادر التمويل والوظائف. وفرضت إجراءات مماثلة على مهنة الطب والخاصة، حيث حرمتم ممارستها لمن لم يتخرج من الجامعات البريطانية. ولا يقوم بالتدريس فى التعليم الثانوى إلا من حصل على ترخيص بذلك من السلطات الحاكمة. وحظر إنشاء جمعيات أهلية تجارية أو غير تجارية. ولم يخفف ذلك الحظر إلا عام ١٩٣٦م.

إعتز القبارصة اليونان بشدة، على هذه الإجراءات التعسفية، واعتبروها مناهضة للهيلينية. تزعم الأسقف ليونتيسوس هذه الحركة، وفى نوفمبر ١٩٣٢م حكم عليه بدفع غرامة قدرها ٢٥٠ جنيه، ولو أنه نجح فى دفع التهمة عن نفسه. أما عن "المزامير الإتحادية" فلقد حذف منها كل مظاهر التحريض. ومع ذلك فلم يسلم تماماً، وظل تحت الإقامة الجبرية فى منطقة بافوس لمدة عامين (١٩٣٨-١٩٤٠م). وبعد هذه المدة لم يتوقف عن مواصلة الكفاح وإلقاء الخطب التى تدعو إلى "الإتحاد".

وبقيام الحرب العالمية الثانية عقب الهجوم الإيطالى على اليونان، بوصفها حليفة بريطانيًا، بدأت قوات الاحتلال البريطانى تخفف من قبضتها الحديدية على رقاب الناس فى قبرص. وكان الشعب القبرصى اليونانى نفسه قد سبق إجراءات التخفيف، وخرج على كل القوانين الإستثنائية، وأقام إحتفالات صاخبة لإنتصار اليونان على الجبهة الألبانية فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠م- ١٦ أبريل ١٩٤١م. ومع ذلك فلم يرفع الإنجليز الحظر على رفع الأعلام فى قبرص إلا عام ١٩٤٦م. أما قانون الرقابة على الصحافة فكان تطبيقه يتزاحم الشدة والتسامح وفق كل موقف ومناسبة. وأما الدستور الذى ألغى ١٢/١١/١٩٣٢م فلم يعد للحياة مرة أخرى، إلا بعد إنتهاء الاحتلال البريطانى. وفى ٦/٩/١٩٣٥م صدر قانون يوفر المساعدات المالية القيمة للمدارس الثانوية، تسريطة أن تدخل التعديلات فى برامجها التعليمية، أى أن تخفض ساعات اللغة اليونانية والدراسات

الكلاسيكية لصالح اللغة الإنجليزية . وقبلت بعض المدارس بذلك علناً ، وفي السر ضاعفت ساعات الدروس اليونانية .

في الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا في حاجة إلى الجنود القبارصة ، ونشرت إعلاناً يطلب الانضمام إلى الحرب دفاعاً عن الحرية والهيلينية . فإنتضم ثلاثون ألفاً من اليونان القبارصة لتلبية لنداء الحرية والهيلينية . ومات الكثيرون منهم في ميدان القتال عبثاً ، لأن حلمهم في "الإتحاد" لم يتحقق حتى بعد نهاية الحرب وانتصار الجيوش التي حاربوا في صفوفها . لقد ذاقست بلاد اليونان الأمرين أثناء الاحتلال الألماني ، ورفضت عرضاً قدمه هتلر فحواه أن تلتزم اليونان الحياد ولا تتدخل الحرب في مقابل أن تمنح قبرص بعد أن تضع الحرب أوزارها . وكانت إذاعة برلين الموجهة إلى اليونان قد أذاعت منذ سنوات قبل الحرب وبعدها الوعود بتحرير قبرص من الإنجليز وتسليمها لليونان أي تحقيق "الإتحاد" . كان الهدف هو جذب القبارصة اليونان إلى الايديولوجية النازية ومعسكر المحور . وركز الإعلام الألماني تركيزاً مكثفاً على تحريض القبارصة اليونان على الثورة ضد الاحتلال البريطاني .

ورداً على هذه الدعاية وفي ديسمبر ١٩٤٠م -بعد شهرين من الهجوم الإيطالي على اليونان ١٠/٢٨/١٩٤٠م- لمح السفير البريطاني في أثينا السير مايكل باليرت Sir Michael Palairer إلى فكرة تنازل بريطانيا عن قبرص لليونان . وسرعان ما كذب مسئول بريطاني آخر هو فيليب نيكولس Philip Nichols ذلك التلميح -ولا نقول التصريح- لأن هذا المسئول عن الشؤون اليونانية بوزارة الخارجية البريطانية كان يسعى إلى تنازل بريطانيا عن الجزر الإثنى عشر وسوريا إلى تركيا . فقال إن تركيا ستأهض وتقاوم هذا "الإتحاد" بكل وسيلة ، ولا بد من إسترضاء تركيا بطريقة أو بأخرى .

وفي ٢١/٣/١٩٤١م زار سكرتير وزارة الخارجية البريطانية السير أنتوني إيدن Anthony Eden أثينا ، ودخل في حوار طويل مع رئيس الوزراء اليوناني الكسندر كوريزيس Alexander Koryzis . طالب الأخير بتحقيق المطلب اليوناني وهو ضم قبرص إلى اليونان التي أبليت بلاء حسناً في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء . فرد إيدن بأن "مناقشة" هذه المسألة الحساسة والمعقدة لا تقع في نطاق مهمته المكلف بها . وأعاد كوريزيس نفس المطلب في نهاية مارس من نفس العام ، قائلاً إن الاحتلال الألماني لليونان يجعل كل الجزر اليونانية -بما فيها كريت- غير آمنة ولا تصلح موطناً للملك اليوناني ، والأفضل ضم قبرص أو حتى جزء منها ليكون مقر إقامة الملك اليوناني على أرض يونانية . وفي إبريل ١٩٤١م تكرر نفس المطلب على لسان رئيس الوزراء اليوناني والملك جورج نفسه ، الذي طلب أربعين ألف جندي يرافقونه إلى قبرص . ومع أن السير وينستون تشرشل يقول في مذكراته إنه أقر في ١٣ إبريل ١٩٤١م إلى الجنرال ويلسون في أثينا موافقاً ومؤيداً لنقل الملك اليوناني وجيشه إلى قبرص ، فإن الإجابة البريطانية الرسمية على لسان إيدن في ١٤ إبريل ١٩٤١م كانت سلبية . وجاء فيها أن الملك يمكن أن يـمـارس

سلطاته من قبرص كأي رئيس دولة أجنبي مقيم هناك (١)، ودون أن تكون له أية سلطات الجزيرة.

وفي مايو ١٩٤١م اقترح رئيس الوزراء اليوناني الجديد إيمانويل تسوثيروس Tsouderos، والمقيم آنذاك في كريت أن تقدم قبرص إلى الملك جورج في هذه اللحظة كهدية شخصية. المهم أن إيدن رفض أن تكون قبرص مقررًا للملك، بحجة أنها ليست أكثر أمناً كريت. وجاء رد رسمي مفصل من بريطانيا في ٣١ مايو ١٩٤١م فحواه أن مستقبل قبرص يناقش إلا في إطار اتفاقية سلام عامة بعد انتهاء الحرب الدائرة. فعندئذ يمكن مناقشة فكرة «إلى اليونان» وجاء في هذا الرد أن الأتراك القبارصة لن يقبلوا أن تسلم قبرص إلى اليونان البساطة. وإنتهى الأمر إلى أن الملك اليوناني أقام في مصر أثناء الحرب العالمية الثانية.

كانت المطالب اليونانية القومية فيما بعد الحرب العالمية الثانية هي: قبرص، الجزر الإثنية شمال إبيروس. ولقد قدمت الحكومة اليونانية من المنفى مذكرتين بهذا المعنى بتاريخ ١/٩/٢٩ لسوزارة الخارجية البريطانية. وقدم الملك جورج المذكورة الثانية للرئيس الأمريكي روزفلت المذكورة. وأشارت لثائرة تركيا واضطرت وزارة الخارجية البريطانية إلى نفي وجود أية مفاوضات اليونان حول قبرص. ورفض تشرشل المطلب اليوناني بالجزر الإثنى عشر، خشية الاحتجاج التركية. وفي ١٩٤٣/٣/١م طلب تسوثيروس من إيدن تدعيم الأسطول اليوناني في بحر وهكذا بدأ الصراع اليوناني التركي في حوض البحر المتوسط الشرقي يأخذ بعداً جديداً. ١٩٤٢-١٩٤٣م بدأت تركيا تشدد الخناق على اليونانيين في استانبول. وفي ديسمبر ٢ طالب كانييلوبولوس Pan Kanellopoulos نائب رئيس الوزراء اليوناني في المنفى الحكومة البريطانية بشدة أن تتنازل عن قبرص (والجزر الإثنى عشر) لليونان بعد أن تضع الحرب أوزارها تعط بريطانيا أية إجابة رسمية على هذا المطلب، حرصاً على دخول تركيا الحرب إلى جوارها دول المحور.

فيما بين ٤ أبريل - ٥ أكتوبر ١٩٤١م تم تأسيس "الحزب التقدمي لقوى الشعب" الـ AKEL وانتخب بلوتيس سرفاس Ploutis Servas سكرتيراً عاماً. وفي هذا الحزب هناك تمثيل للاتحادات الزراعية والمهنية والتجارية. إنه حزب شرعي بديل للحزب الشيوعي الشرعي والسري. جاء الهدف الرئيسي المعلن في برنامج الحزب مجسداً في إعلان الحرب بـ المشروعة على الفاشية والدكتاتورية من أجل إستعادة حرية الشعب القبرصي المسلوبة، والعمل حل مشكلات قبرص وتحقيق التعايش السلمي بين عنصرها اليوناني والتركي. كان التركيز بـ على الطبقة العاملة، أما الهدف الأسمى والغاية النهائية فهي إقامة ديمقراطية شعبية.

وجاء الرد فوراً من قبل اليمين القبرصي، حيث أعلن ثيمستوكليس درفيس (درو Themistocles Dervis في مايو ١٩٤٢م "تأسيس الحزب القبرصي القومي. وتم تأييد

"اتحاد عمال قبرص" و "اتحاد الجمعيات التجارية الجديد" عام ١٩٤٥م. وكل ذلك لمنافسة إشراف "الحزب التقدمي" AKEL على "الاتحاد العام للعمال في قبرص" PSO (فيما بعد PEO)، وفي عام ١٩٤٣م تأسس "اتحاد العمال الأتراك" و "الاتحاد العام القبرصي للزراعيين" (PEK)، و "حزب الشعب القبرصي التركي" (KTHP = Kibris Turk Halk Partisi) عام ١٩٤٤م. وكان المؤسس هو فاضل كيشيك، وحل هذا الحزب محل "اتحاد المنظمات القبرصية التركية" (KATAK)، الذي كان يرأسه فايز كايماك. وعند نهاية الحرب العالمية الثانية كان "اتحاد الجمعيات التركية التجارية" يتكون من ١٣ جمعية فقط، وحتى عام ١٩٥٨م بلغ عدد أعضائه ١١٣٧م فقط، لأن غالبية العمال الأتراك فضلوا الانضمام إلى "الاتحاد العام لعمال قبرص" (PEO)، وهكذا فعل العمال الزراعيون الأتراك الذين حافظوا على عضويتهم حتى بعد ١٩٧٤م، برغم الغزو التركي العاشم. وفي عام ١٩٤٤م أعلن قيام "الحزب التقدمي الإشتراكي القبرصي اليوناني" (PESP) في بافوس بزعامة غالاتوبولوس Chr. Galatopoulos الخمامي، والذي كان قد شارك في ثورة ١٩٣١م.

ولقد أشرنا إلى قيام هذه الأحزاب لنوضح مدى إزدهار الحركة السياسية، وانتعاش الفكر الفلسفي والحياة الثقافية الفنية في قبرص. إذ تكونت فرق مسرحية قدمت عروضاً جادة، وتأسست جمعية موسيقية إحداهما باسم آريس Aris، والأخرى باسم موتسارت. وقُدمت التراجيديات الإغريقية القديمة، وكذا حفلات موسيقية كلاسيكية بقيادة المايسترو سولون ميخائيليديس في ليماسول، ويانجوس ميخائيليديس في نيقوسيا. وأشرف سيريل أكيس على الحفلات الفنية التي نظمتها المدارس الثانوية. وصار "الاتحاد" هو الشعار القومي العام الذي رفعت به كل الأحزاب، ورفرف فوق كل الأنشطة. حتى إن كل الاتجاهات الحزبية والسياسية في ١٥ نوفمبر ١٩٤٤م وقعت "ببلاً عاماً" يدعو للاتحاد، وتشكلت لجنة تمثل كل الأحزاب لتابعة الكفاح من أجل تطبيق هذه الدعوة، وباندلاع الحرب الأهلية في اليونان ديسمبر ١٩٤٤م (وبعد ذلك ١٩٤٦-١٩٤٩م) تبددت كل الآمال المعقودة على هذا العمل القومي الجماعي الوليد، بل كاد الأمر يصل إلى حد اندلاع حرب أهلية مصغرة في قبرص كصدى لما يحدث باليونان.

ألغيت معظم الإجراءات والقوانين التعسفية في أكتوبر ١٩٤٦م. ومع ذلك فإن الحركة الاتحادية اشتعلت بحماس متجدد ومستمد من تقرير المبدأ الدولي العام، أي حق تقرير المصير لكافة الشعوب. رفع هذا الشعار في الحرب العالمية الثانية ضد النازية والفاشية. وفي ديسمبر ١٩٤٦م سافر ليونتيوس إلى لندن على رأس وفد لتقديم المطلب القديم من جديد أي "الاتحاد". كان الوفد يتكون من زيبون روسيديس Z. Rossides عن "المجلس القومي"، وديميترى ديميتريو Dem. Demetriou رئيس الغرفة التجارية، وجون كليريديس J. Klerides عمدة نيقوسيا. وأبدى إرنست بيفين Ernest Bevin وزير الخارجية في الحكومة العمالية البريطانية تعاطفاً مع مطلب "الاتحاد". وجاءت الإجابة البريطانية الرسمية سلبية، وتكرر نفس الرد في

٧ فبراير ١٩٤٧م، وكانت الحكومة البريطانية فى كل مرة تتلذذ بمطالبة الأتراك القبارصة لها بضم قبرص إلى تركيا فى حالة تغيير وضعها الحالى تحت الإحتلال البريطانى.

والتخب ليونتيوس رئيساً للأساقفة بتأييد ساحق من الأغلبية اليسارية، متغلباً على بورفيرىوس من سيناء، الذى كانت الجبهة القومية تقف وراءه. وفى ٢٠ يونيو ١٩٤٧م، أى بعد أربعة شهور فقط من وصول اللورد ونيستر Winster الحاكم البريطانى الجديد، المكلف بتعليمات جديدة، فى مقدمتها وضع دستور لقبرص. ولدى وصوله قاطعه القبارصة اليونان، ورحب به مواطنوهم الأتراك. وفى ١٢ يولية ١٩٤٧م دعا ليونتيوس أتباعه إلى الإنسحاب من المجلس الإستشارى الذى عقده ونيستر، بهدف جمع المقترحات بشأن الدستور الجديد. ومات ليونتيوس فى ٢٦/٦/١٩٤٧م وجاء خليفته مكاريوس من كيرينيا وإستلم المنصب فى ٢٤/١٢/١٩٤٧م، وصار يعرف بإسم رئيس الأساقفة مكاريوس الثانى، وسار على نفس الدرب أى المقاطعة والكفاح السلمى من أجل "الإتحاد"، وكان مكاريوس منقياً بعد ثورة ١٩٣١م وسمح له بالعودة ١٩٤٦م.

وتمكن البريطانيون من عقد المجلس الإستشارى يوم ١١/٧/١٩٤٧م بإدارة السير إدوارد جاكسون Edward Jackson كبير القضاة. وفى هذا الإجتماع إستبعد "الإتحاد" و "الحكم الذاتى الكامل"، وصدرت المقترحات فى ٧ مايو ١٩٤٨م كما يلى:

١- حق الإنتخاب لكل مواطن من سن ٢١

٢- أعضاء المجلس التشريعى ٢٢ كما يلى:

١٨ يونان

٤ أتراك

علاوة على أربعة أعضاء من الرسميين، يرأسهم من يختارونهم على ألا يكون له حق التصويت.

٣- يتم الحصول على موافقة الحاكم البريطانى قبل تقديم مشروعات القوانين الخاصة بالشئون المالية والدفاعية والخارجية والدستور والأقليات.

٤- يتكون المجلس التنفيذى من ٤ رسميين من بين أعضاء المجلس التشريعى وأعضاء آخرين من خارجه، وقراراته هى توصيات فقط.

ومع أن هذه المقترحات تتضمن شيئاً من التنازلات من قبل الحكومة البريطانية، إلا أنها لم تقنع اليمين ولا اليسار القبرصيين فرفضاها معاً.

فى ١٢/٨/١٩٤٨م ألغى المجلس الإستشارى وفى ١٦/٩/١٩٤٨م نظم الجناح اليسارى من الإتحاد العام للعمال PEO مسيرات فى نيقوسيا وغيرها من أجل الحكم الذاتى. ثم نظم إضراب عام إعتراضاً على الحاكم البريطانى ونيستر، وفى ١٣/٧/١٩٤٨م أعيد تنظيم "المجلس

القومى " تحت رعاية مكاريوس، أسقف كيتيون الجديد ورئيس المكتب القومى، وتم عقد إجتماع حاشد فى ٣ أكتوبر ١٩٤٨م تأييداً لمطلب الإتحاد. وجاء الرد الرسمى القبرصى بإجتماع مضاد ضم ١٥ ألف مواطن فى ١١/٢٨/١٩٤٨م بزعامة الدكتور كيشيك. وأعلنوا إعراضهم على "الإتحاد"، وجاء الرد اليسارى القبرصى سريعاً، إذ أعلن عن تأسيس "الإئتلاف القومى من أجل التحرير" EAS بزعامة جون كليريدس عمدة نيقوسيا. بيد أن الأخير إستقال بعد وقت قصير عام ١٩٤٩م^(١).

^(١) وعن المشكلة القبرصية فى الفترة من ١٩٤٠-١٩٥٤ راجع:

Proc. Papastratis, British policy towards Greece during the second World War (1941- 1944). Ccambidge University Press 1984.

F.G. Weber, the Evasive Neutral Germany, Britain and the Quest for a Turkish Alliance in the Second World War. University of Missouri Press 1976.

M. Economidis, Cyprus, the case for Enosis. Cyprus Affairs commitee London 1954.

[Greek] Triantaphyllou (Patras 1981) passim

وقارن

[Greek] Machlouzarides (Cyprus 1985) pp. 1-275 et passim.

٥- الكفاح المسلح - إيوكا ١٩٥٥-١٩٥٩م

جرى إستفتاء على مبدأ الاتحاد فى ١٥/١/١٩٥٠م كانت نتيجةه إيداناً ببداية عصر جديد تطورت فيه الأحداث إلى الكفاح المسلح ، فكرة الاستفتاء على الاتحاد كانت مطروحة منذ زمن طويل ويلاحظ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وتبناها الحزب التقدمى AKEL ووضعها فى أولويات إهتماماته ومطلع برنامجه . وأرسلت هذه الفكرة إلى مجلس الأمن الدولى فى ٢٣/١١/١٩٤٩م . وكانت الإدارة البريطانية قد رفضت لفكرة الإستفتاء على الاتحاد فى ١٧/١٢/١٩٤٩م . جاءت النتيجة النهائية فى الإستفتاء ١٥/١/١٩٥٠م بموافقة ٩٥,٧٪ من السكان على الإتحاد .

فاندلعت شرارة المعركة السياسية، ووقعت تبعاتها على كاهل رئيس الأساقفة الجديد -الذى لايزال شاباً- مكاريوس الثالث من كيتيون، الذى تولى المنصب من ٢٠/١٠/١٩٥٠م بعد موت مكاريوس الثانى فى ٢٨/٦/١٩٥٠م . ولقد نذر مكاريوس الثالث أسقف قبرص الأشهر نفسه لقضية الإتحاد . وحاول أن يقنع دول العالم بها وفى مقدمتها جميعاً دولة اليونان . وكانت بريطانيا قد أغلقت هذا الملف رداً على إستفتاء ١٩٥٠م ، الذى جرى بدون موافقتها . وكانت اليونان بعد الحرب العالمية الثانية قد صارت تعتمد كلية على بريطانيا وأمريكا فى كل شئ .

وبالتالى لم يكن من المتوقع أن تتبنى اليونان قضية "الإتحاد" ضد رغبة بريطانيا، ولا سيما بعد الحرب الأهلية ١٩٤٤-١٩٤٩م التى أنهكت اليونان ثامناً . ومن ثم لم تجد الوفود القبرصية التى ذهبت إلى اليونان تطلب مساندتها فى قضية الإتحاد أذناً صاغية . وذهب وفد من الإنترلاف القومى من أجل التحرير EAS إلى الأمم المتحدة، واتصل بالدول اليسارية فى محاولة لطرح قضية قبرص على الجمعية العمومية للأمم المتحدة، بعد أن تقاعست اليونان وقوى المعارضة القبرصية . وهذان هما الطرفان اللذان إتهمهما مكاريوس فى مايو ١٩٥٢م من وراء ميكروفون الإذاعة بالنقص فى الشجاعة والإقدام قانعين بالمفاوضات الودية مع سلطات الإحتلال البريطانية . وقال مكاريوس إنه لا طائل وراء هذه المفاوضات، ووافق على هذا رأى رئيس الأساقفة اليونانى سبيريدون .

وإحتشد إجتماع قبرصى قومى شامل فى نيقوسيا، بعد أن إتخذ قرار فى ١٦/١٢/١٩٥٢م بمناقشة قضية قبرص فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة . وتكرر الإجتماع فى ٢٥/٤/١٩٥٣م و ٢٣/٧/١٩٥٤ و ٢٦/٨/١٩٥٥م . وأمر رئيس الوزراء اليونانى باباجوس مندوب الحكومة فى الأمم المتحدة السفير أليكسيس كيرو -سالف الذكر- أن يقدم المشروع فى ٢١/٩/١٩٥٣م ، وكان الفتور الذى به قدم المشروع سراً من أسرار فشله، فلم يدرج فى جدول الأعمال . وفى ٢٨/٦/١٩٥٣م أقسم مكاريوس أن يسعى إلى "الإتحاد" بكل وسيلة، وأن يقبل العون من الشرق والغرب فى سبيل تحقيقه . وبعد هذا التاريخ بنحو ثلاثة شهور (٧/١٠/١٩٥٣م) ولدت منظمة "ايوكا" EOKA -التي ستعرض لها بالتفصيل بعد قليل- بداية من القسم الذى ألزم اليمين

اليوناني القبرصي نفسه به مع نفر من السياسيين والمثقفين والعسكريين ونذكر منهم سافاس وسقراط لويزيديس ود. فيزانيس وجين. بابا دويولوس وج. ستراتوس. كان على رأسهم جميعاً مكاريوس، الذى ناقش احتمال الكفاح المسلح مع ج. جريفاس G.Grivas وغيره فى أثنينا ابتداءً من مايو ١٩٥١ إلى يوليى ١٩٥٢م.

فشلت كل المحاولات اليونانية لإجراء مفاوضات مع بريطانيا حول قبرص. وبلغ الأمر حد الإهانة، عندما رفض إيدن مجرد الاستماع لإقتراح باباجوس "بمحددات ودية ثنائية"، أى غير رسمية فى ٢٢/١٢/١٩٥٣م. وأعلنت وزارة المستعمرات البريطانية فى ٢٨/٧/١٩٥٤م أن قبرص هى من بين المستعمرات التى لن يطبق فيها أبداً مبدأ الحكم الذاتى أو تقرير المصير. وفى الخفاء كان يعد دستور إستعماري جديد لقبرص، يحد من الحريات ويفرض قيوداً على كافة الأنشطة، وينظم التعليم الثانوى بهدف إحكام السيطرة على الجزيرة. وفى ١٧/١٢/١٩٥٤م رفضت الجمعية العمومية للأمم المتحدة وضع مشكلة قبرص فى جدول الأعمال. عندئذ انفجرت المظاهرات العنيفة فى ليماسول ونيقوسيا فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٤م. كانت هذه المظاهرات مقدمة للمواجهة المسلحة التى إستهدفتها "الجهة الوطنية لتحرير قبرص" EMAK. وبالقبط على سفينة تحمل ١٣ من زعماء هذه الجهة ومعهم وثائق هامة لها، كشف النقاب عن برنامجها. وعرف أنها طلبت من الشيوعيين الإبتعاد عن حركتهم بالمثل طلبت من الأتراك القبارصة عدم وضع العقبات فى طريقهم مع وعد بالعيش فى سلام وتآخى معاً. وفى نفس الوقت أظهرت تركيا إهتماماً متزايداً بقبرص، وشجعت ذلك كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وفى عام ١٩٥٤م أعربت تركيا عن إعترضها على إدخال أى تعديل فى أوضاع قبرص ولاسيما مبدأ الإتحاد مع اليونان.

وصل الكولونيل جورج جريفاس ديجينيس Geoge Grivas Dighenes إلى قبرص يوم ١/١١/١٩٥٤م. وكان قد وقع يوم ٧/٣/١٩٥٣م "قسم أئينا". وبعد مناقشات مستفيضة تم إختياره قائداً عسكرياً للتنظيم السرى. وفى ١١/١/١٩٥٥م صار الإسم الرسمى للتنظيم السرى للكفاح المسلح هو "إيوكا" EOKA أى "المنظمة القومية للمقاتلين القبارصة" (Ethnike Organosis Kyprian Agoniston). وتم تعميم هذا الإسم فى إجتماع سرى بين مكاريوس وجريفاس، وفى صباح يوم ١ أبريل ١٩٥٥م بدأ الكفاح المسلح، وتتوالى عمليات إيوكا العسكرية، وقيام مظاهرات شعبية مؤيدة لها عينت الحكومة البريطانية فى أكتوبر ١٩٥٥م حاكماً جديداً هو الفيلد مارشال سير جون هاردنج John Harding، الذى فى ٢٦/١١/١٩٥٥م أعلن حالة الطوارئ، بما فى ذلك الإجراءات الإستثنائية والعقوبات الجماعية^(١).

^(١) عن إيوكا والكفاح المسلح فى قبرص (١٩٥٥-١٩٥٩م) راجع:

دوروس آلاستوس (ترجمة محمد أمين عبد الله، حرب العصابات فى قبرص. سلسلة من الشرق والعرب. العدد ١ الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٦.

:ek] Machlouzarides (Cyprus 1985) pp. 276 - 476.

:ek] Clerides (Nicosia 1988-1991) Vol. 1 pp. 30-7٦

فى البداية كان عدد محاربى إيوكا حوالى ٣٠٠م، وجاءت أسلحتهم سراً من اليونان وبعضها صنع محلياً، وكانت إيوكا وعملياتها العسكرية هى التى أعطت لجهود مكاريوس السلمية الدولية قوة التأثير والعمق الشعبى، وإشتراك مكاريوس فى المؤتمر الأفريقى - الآسيوى فى باندونج ١٨- ٢٧ أبريل ١٩٥٥م، والتحمت قبرص بدول العالم الثالث المناضلة من أجل التحرير والإستقلال، وفى ٣٠ يونية ١٩٥٥م دعت اليونان تركيا لعقد مباحثات ثلاثية فى لندن لدراسة المسائل السياسية والدفاعية الخاصة بشرق البحر المتوسط، بما فى ذلك قبرص، وفى ذلك ماينم عن تحول كبير فى القضية القبرصية، حيث أصبحت تركيا طرفاً رئيسياً فيها، ولذلك إعترض مكاريوس بشدة على هذه المباحثات، التى لم تدع إليها قبرص نفسها، مما يعد خرقاً لمبدأ تقرير المصير، ضغط مكاريوس على الحكومة اليونانية لتسحب من هذه المباحثات، وبانفجار قبله يوم ٢١/٦/١٩٥٥م فى الحى التركى بنيقوسيا وموت ١٤ تركياً قبرصياً تصاعد الموقف، وزاد الدور التركى فى القضية، وفى غضون يونية - يولية ١٩٥٥م وزعت منشورات تركية ضد إيوكا فى ليماسول، وهى تدعو لطرده بعض نظار المدارس الثانوية من اليونانيين وترحب ببقاء الحكم البريطانى، ووقعت هذه المنشورات منظمة تركية سرية حروفها الأولى KITEB.

إنتهت المباحثات الثلاثية فى لندن ٢٩ أغسطس - ٧ سبتمبر ١٩٥٥م بالفشل الذريع، ليس فقط بسبب الاختلافات الشاسعة بين كل طرف والآخر من الأطراف الثلاثة، ولاسيما عندما إقتربت بريطانيا حكماً ثلاثياً فى قبرص أى مشاركة بين أطراف التفاوض الثلاثة، ولكن أيضاً لأنه فى ٦ سبتمبر ١٩٥٥م حدث هجوم وحشى تركى على اليونانيين المقيمين فى استانبول وأزمير، كان هذا هو الرد التركى على قبلته انفجرت فى ٥ سبتمبر ١٩٥٥م فى القنصلية التركية الملاصقة لبيت أتاتورك فى سالونيك.

دامت مباحثات مكاريوس - هاردنج من ٤ أكتوبر ١٩٥٥ - ٢٩ فبراير ١٩٥٦م ولم تسفر عن شئ، كان التركيز فى هذه المفاوضات على مبدأ تقرير المصير من جهة واحتياجات الإمبراطورية البريطانية الاستراتيجية من جهة أخرى، ورفضت بريطانيا وضع جدول زمنى لتقرير المصير والحكم الذاتى المؤقت وممارسة كل السلطات فيما عدا الدفاع والخارجية، ورفض مكاريوس الإقتراحات البريطانية، ووقفت وراءه كل الإتجاهات السياسية الوطنية فى قبرص، وفى تلك الأثناء زاد إعتماد بريطانيا على الأتراك القبارصة فى القوات الأمنية المساعدة لقوات الاحتلال كان الهدف هو إخماد الحركة الوطنية القبرصية اليونانية، ووضع العقبات أمام توحيد عنصرى الأمة القبرصية.

وفى ظل حالة الطوارئ المعلنة فى قبرص من ٢٦/١١/١٩٥٥م إتخذ هاردنج إجراءات إستثنائية، منها إلغاء كل التنظيمات الوطنية وإعتبارها غير شرعية، وفى مقدمتها الحزب التقدمى AKEL، ولم يعترف إلا بالاتحاد العام للعمال PEO، وفى نفس الوقت أبقى هاردنج على شرعية المنظمة المناهضة لإيوكا أى فولكان VOLKAN، وكلتا المنظمتى التركىة القبرصية السرية، وجدد عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا مطالبة بلده بقبرص مههدداً بالحرب، وفى ٩

مارس ١٩٥٦م ألقى القبض على مكاريوس وكيريانوس ويوانيديس وباباستافروس بياتانجلو (من فانيروميني)، وأرسلوا إلى المنفى في جزر سيثل وبقوا هناك حتى أواسط أبريل ١٩٥٧م.

في تلك الأثناء زادت أعمال العنف في المدن القبرصية وبعض القرى، وألقى القبض على الكثيرين وأودعوا السجن، وأغلقت الكثير من المدارس وما إلى ذلك من إجراءات قمعية. وحققت إيوكا أكبر إنتصاراتها في أيام العدوان الثلاثي على مصر أكتوبر -نوفمبر ١٩٥٦م بعد تأميم قناة السويس. وألقى القبض على أنثيموس Anthimos من كيتيون، الذي كان يملأ المكان الشاغر بعد نفي مكاريوس. وعندئذ طرحت لأول مرة فكرة تشكيل حكومة قبرصية وطنية تمثل كل القبارصة. وظهرت أيضاً فكرة ضرورة أن تترك اليونان حلف الناتو، وتتضمن إلى منظمة دول عدم الإنحياز ومحور القاهرة - بلجراد. جاء ذلك في منشور إيوكا ١٤ سبتمبر ١٩٥٦م إبان أزمة السويس.

جدير بالذكر أنه صدرت في مصر جريدة شهرية بعنوان "قبرص" (Kypros= chypre) عام ١٩٥٥م أصدرتها "لجنة المقاومة القبرصية" برئاسة تحرير المحامي فاسوس كانا فاتيس Vasos Kanavatis وكان هدفها زيادة الحس الوطني القومي، وإعلام الرأي العام بمخاطر الكفاح المسلح القبرص، وتأييد كفاح الشعب المصري الوطني. واستمرت هذه النشرة حتى ١٢ أكتوبر ١٩٥٨ وكانت تنشر باليونانية والفرنسية والإنجليزية والعربية^(١). ولعلنا نفهم الآن لماذا انخرط بعض القبارصة (اليونان) في المقاومة الشعبية المصرية للعدوان الثلاثي ١٩٥٦م.

وبالفعل طرح مشروع رادكليف Radcliffe في ١٣ ديسمبر ١٩٥٦م على الحكومة اليونانية وعلى مكاريوس في منفاه. وملخص المشروع هو تشكيل حكومة قبرصية بأغلبية يونانية، مع حق الحاكم البريطاني في حل البرلمان وطرد رئيس الوزراء، وضمان حقوق الأقلية التركية. وعند تسليم هذه المقترحات، صرح لينوكس بويد ولأول مرة بحق الأتراك القبارصة في تقرير المصير وبشكل الفضائي وهو ما يلمح إلى التقسيم كحل محتمل، وكان من الطبيعي أن يرفض القبارصة اليونان مشروع رادكليف. وعلى الفور نشبت أحداث عنف بين عنصرى الشعب القبرصى، أى اليونان والأتراك. واستمرت طوال يناير وفبراير ١٩٥٧م، وسقط الكثير من الضحايا في الجانبين.

^(١) ميخائيليديس، سجل مصور، ص ٢٦٩. وجدير بالذكر أن جيورجوس فيليو بيريديس نشر كتاباً باليونانية ("ذكريات وحكايات من مصر") في ثيسالونيكي عام ١٩٨٦ يتحدث فيه عن ذكرياته وأيامه في مصر منذ ولادته عام ١٩١٣ حتى عام ١٩٥٤ وله رواية بعنوان "تجار القطن" منشورة بالاسكندرية ١٩٤٥ وراجع:

[Greek] Petrondas (Nicosia 1994).

²hilaniotou - Hadjiastasiou O. "The Greek Connection: from Alexandria to Cyprus" Lecture given at the Royal Scottish Museum (May 1988).



شكل رقم (٥٥) : صور جريفاش ومكاريوس كما حاءت في الصحف القبرصية، ونجها عبارة "المصرون"

[illegible]

شكل رقم (٥٦): جزء من مذكرات جريفاش (١٩ - ٢٠٥٥ م رتبة سردى حندعبد عفيف حكويرس بيه نص التوار.



شكل رقم (٥٧) - مكاريوس وزملاؤه في المهي بحزيرة مسشل.

وعند مناقشة القضية القبرصية في الدورة الحادية عشر للجمعية العمومية للأمم المتحدة تمت الموافقة على الاقتراح الذي قدمه الندوب الهندي كريشنامينون، والذي يدعو إلى حل سلمي مبنى على ميثاق الأمم المتحدة (قرار ١٠١٣). ونتيجة لهذا القرار عرض جريفاًس هدنة (١٤/٣/١٩٥٧م) لتسهيل المفاوضات مع مكاربوس، حيث كان من شروط الهدنة المقترحة إطلاق سراحه من المنفى وعودته. واستمرت الهدنة أحد عشر يوماً بعد وقوع أكبر أعمال البطولة الوطنية، عندما ظل جنود المقاومة يتشبثون بموقعهم حتى الموت حرقاً في مكان قريب من دير ماخيراس. وكان على رأس شهداء هذه الواقعة نائب قائد إيوكا جريجورييس أفكسينتيو Gregoris Afxention (من ليسى Lyssi). ولقد أثارت هذه البطولة الوطنية إعجاب العالم كله بما في ذلك شعراء من بريطانيا نفسها. وأطلق سراح مكاربوس ورفاقه ووصلوا منتصرين إلى أثينا في ١٧/٤/١٩٥٧م، رغم اعتراضات تركية قوية.

حاول مكاربوس إقناع جريفاًس بإيقاف الكفاح المسلح في مايو ١٩٥٧م، على أساس أنه غير مجدي، ولأن الولايات المتحدة الأمريكية هددت بتأييد التقسيم إن لم يتوقف القتال. وكانت قد ظهرت منظمات تركية قبرصية سرية، تعمل على فصل القسم التركي عن بقية قبرص، وفي مقدمة هذه المنظمات فولكان VOLKAN، التي كانت تركيا سراً تسليحها وتمويلها وتخطط عملياتها العسكرية. وفي ذلك الوقت كان عدد الأتراك العاملين في قوات الأمن البريطانية ٤٢٠ في مقابل ٦٩٧ يونانياً^(١).

٦- إتفاقية زيورخ - لندن

وفى ٣٠/٥/١٩٥٧م رفض البريطانيون التفاوض مع مكاريوس، على أساس قرار الأمم المتحدة ١٠١٣ سالف الذكر. وطالبوا بأن يكون التفاوض على أساس مشروع رادكليف وتصريح بويد فى ١٩/١٢/١٩٥٦م. وقيل آنذاك إن هذين الأساسين يضمنان مساندة أمريكا والناو لمؤتمر سلام ثلاثى حول قبرص. وسعى سكرتير عام الناو بين جميع الأطراف للوصول إلى إتفاق يقضى بقيام دولة قبرصية مستقلة تابعة للكومنولث البريطانى، وفشلت هذه المساعي. وفى أكتوبر ١٩٥٧م وعد حزب العمال البريطانى بتحرير قبرص حالة فوزه فى الانتخابات، واستقال الحاكم البريطانى هاردينج وحل محله السير هيج فوت Hugh Foot، ومما أنعش آمال القبارصة اليونان. وفى ١٤ ديسمبر ١٩٥٧م أيدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى دورتها الثانية عشر قرارها السابق ١٠١٣.

ولكن فى الفترة من ديسمبر ١٩٥٧م إلى يناير ١٩٥٨م ازدادت عمليات العنف التركية فى قبرص، وصارت من روتين الحياة اليومية. كان مدبرو هذه العمليات يستهدفون إظهار حتمية تقسيم قبرص، وبالطبع كانت تركيا وراء هذه الموجة من العنف. وعرض فوت مع سكرتير الخارجية البريطانية سلوين للويد Selwyn Lloyd آنذاك بعض المقترحات على وزير الخارجية التركى زورلو وفحواها: حكم ذاتى لمدة سبع سنوات، وتقرير مصير منفصل لكل من الأتراك واليونان القبارصة. وقواعد بريطانية رفضت تركيا هذه المقترحات وثلثها فى ذلك بقية الأطراف.

وفى ٢١ يناير ١٩٥٨م قتل إثنان من أتباع الحزب التقدمى AKEL على يد واحد من رجال إيوكا، فتفجّر صراع داخلى بين القبارصة اليونان. قامت مظاهرات واضطرابات عنيفة وأصدر مكاريوس نداء بضرورة الوئام بين أفراد الشعب. وأرسل فوت رسالة سرية إلى جريفاس يطلب لقاء سرياً معه، واستجاب جريفاس بوقف العمليات العسكرية. فى تلك الأثناء كان هارولد ماكميلان رئيس الوزراء البريطانى يعكف على صياغة مقترحات جديدة، قدمها بالفعل إلى مجلس العموم فى ١٩ يونية ١٩٥٨م. وقطع الجانب التركى القبرصى الطريق على أية فرصة للتقارب، ويتدبر من زعيمهم رؤوف دنكتاش وبرعاية تركيا وغض الطرف من بريطانيا، تم تأسيس منظمة تركية قبرصية هى TMT تحت قيادة فيروم كان Viruskan. وفى ٧ يونية ١٩٥٨م انفجرت قبلة فى مكتب الإعلام التركى فى نيقوسيا. وكانت تلك إشارة البدء فى سلسلة من عمليات العنف ضد القبارصة اليونان فى المدن والقرى طوال يونية - يولية ١٩٥٨م تحت سمع وبصر الحكومة البريطانية، وطرد ٧٠٠ يونانى قبرصى من منازلهم فى أمورفيتا Omorfita وغيرها. ولأول مرة وضعت الأسلاك الشائكة فى شوارع نيقوسيا، لفصل الأحياء التركية عن الأخرى اليونانية. وتلك بدايات شبه رسمية للتقسيم، فردت إيوكا بسلسلة مضادة من العمليات العنيفة.

وسقط الضحايا من الطرفين، حتى صدر نداء مشترك بوقف العنف وقع عليه كل من فوت ومكاريوس وكوتشوك وكارامانليس ومندريس.

وقدم ماكميلان خطته وتتضمن تعيين مندوب يوناني وآخر تركي لمساعدة حكومة قبرصية على أداء واجبها بعد تشكيلها. ويتخب أربعة وزراء قبارصة يونان ومثلهم قبارصة أتراك. وهؤلاء جميعاً يشكلون المجلس التنفيذي المسئول عن الشؤون الداخلية، فيما عدا ما يتصل بشئون الأمن الداخلي وطوائف المجتمع. فهذان المجالان مع شئون الدفاع والخارجية تظل في يد الحاكم البريطاني. كما ينتخب مجلس شعبي لكل جانب أي اليوناني والتركى، ولكل منهما أيضاً بلدية مستقلة. وللقبارصة أن يختاروا بين الرعية اليونانية والتركية والبريطانية، أو يجمعوا بينها معاً. وتقرر الخطة عدم تغيير الوضع الدولي لقبرص في مدة إنتقالية تمتد سبع سنوات، وتشكل محكمة عليا للنظر في أى قضية تتصل بأوضاع طوائف المجتمع.

تدارس مكاريوس هذه الخطة، وتشاور مع عمدة المدن القبرصية وأعضاء الإثناخية (المجلس القومي) المقيمين في أثينا. وأرسل خطاباً إلى فوت في يونية ١٩٥٨م يرفض الخطة. وفي اليوم التالي أرسل كارامانليس رئيس وزراء اليونان خطاباً بنفس المعنى إلى ماكميلان. وفيما بين ٢٤ و ٢٦ مارس ١٩٥٨م وقعت اضطرابات عنيفة، تضمنت إضرابات ودعوة لمقاطعة المنتجات البريطانية. ولكن تركيا أرسلت إلى قبرص قنصلاً مكلفاً بمواصلة دراسة وتنفيذ خطة ماكميلان، بعد أن أدخلت عليها بعض التعديلات. وفي ٢٢/٩/١٩٥٨م صرح مكاريوس بأنه على استعداد للقبول بالإستقلال مع إستبعاد مبدأ "الإتحاد" و "التقسيم"، أى تقسيم الجزيرة بين سكانها اليونان والأتراك. وفي سبتمبر-أكتوبر ١٩٥٨م إزدادت موجة العنف وقدم سكرتير عام حلف الناتو سباك P.Spaak خطة جديدة تعد نسخة معدلة من خطة ماكميلان، وتدعو لعقد مؤتمر سلام خامسى أو سباعى. وفي ٩ أكتوبر ١٩٥٨م أعلن لينوكس بويد فى بلاكبول Blackpool أن بريطانيا قد عقدت العزم على تنفيذ خطة ماكميلان: "لأن قبرص تقع قريبة جداً من تركيا، وبعبدة عن اليونان".

وجاء رد كيريانوس (من كيرينيا) وج. بابانديرو لتعزيز القرار اليوناني - القبرصى بخلق ملف خطة ماكميلان وسباك إلى الأبد. ثم جاء قرار الأمم المتحدة ١٢٨٧ فى ١٢/٥/١٩٥٨م محبطاً، لأنه لم يصف جديداً واكتفى بالحث على إيجاد حل سلمى وديمقراطى وعادل وفق قرار الأمم المتحدة السابق ١٠١٣. وبمبادرة من وزير الخارجية التركى زورلو بدأت مفاوضات بينه وبين وزير الخارجية اليوناني أفيروف فى ٦ ديسمبر ١٩٥٨م، وهى المباحثات التى ساعدت على وقف أعمال العنف ومهدت الطريق لإتفاقية زيورخ - لندن.

فيما بين ١٩٥٧ و ١٩٥٨م مارس مكاريوس وجريفاًس وأثيموس (من كيتيون) ولوكيس أكرتاس وغيرهم من القبارصة البارزين ضغطاً متزايداً على الحكومة اليونانية لكى تنسحب من حلف الناتو. ولكن الحلفاء الغربيين لم يأخذوا هذا التهديد مأخذ الجد. وفرض على اليونان أن

تضحى بمصالحها القومية في سبيل نجاح هذا الحلف . ومن هنا نفهم تردد اليونان في تأييد الكفاح المسلح في قبرص، بل وصلت عدوى هذا التردد إلى مكاريوس نفسه. وقبل أن نصل إلى إتفاقية زيورخ - لندن علينا أن نلقى نظرة على الأهمية الاستراتيجية لقبرص فيما بعد حرب السويس التي انتصرت فيها مصر على العدوان الثلاثي وفقدت بريطانيا العظمى ممراً استراتيجياً خطيراً. ويعرض الأستاذ كمال عبد الحميد الخبير الاستراتيجي هذا الموضوع في النقاط التالية:

١- صارت قبرص القاعدة الوحيدة لبريطانيا في كل منطقة الشرق الأوسط، بعد أن انسحبت من قناة السويس . بالرغم من أن بريطانيا كانت محتفظة بقاعدتي "الشعبية والحبانية" في العراق إلى أن قامت الثورة هناك، إلا أنها -بريطانيا- ظلت محتفظة بقبرص كقاعدة رئيسية لها لكل الشرق الأوسط . وإستمرت تضاعف الجهد لتحصينها وإتساع قدرتها الإستراتيجية، نظراً لأنها كانت تعتبر قاعدة للقوات البرية والبحرية والجوية . ومن أجل ذلك أقيمت في الجزيرة رئاسة كل القوات البريطانية العاملة بالشرق الأوسط.

٢- كانت الجزيرة تعتبر بمثابة حاملة طائرات ثابتة تسع لنشاط أسراب الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل الثقيلة، التي كان يصل مداها إلى ما وراء البحر الأسود وشمال البلقان وأوروبا الوسطى في الشمال، وإلى جنوب وادى النيل جنوباً، وإلى العراق وإيران والقوقاز شرقاً، وإلى مالطة وجبل طارق وشمال أفريقيا وغرب أوروبا غرباً. ولقد إستخدمت قيادة العدوان الثلاثي على مصر هذه الجزيرة كقاعدة للقوات الفرنسية والبريطانية التي قامت بهجوم على مصر سنة ١٩٥٦م. كما إستخدمت الجزيرة قاعدة أيضاً لإرسال القوات البريطانية إلى الأردن عقب ثورة العراق . كما إستخدمتها الطائرات الأمريكية الثقيلة من طراز (٢٠٤) التابعة لحلف الأطلسي بالقيام بعمليات الإستطلاع والتجسس على مواقع الصواريخ والقوات المصرية بمنطقة السويس لحساب إسرائيل في ديسمبر سنة ١٩٧٠م أثناء حرب الاستنزاف التي بدأتها القوات المصرية سعياً لطرد إسرائيل وضفة القناة الشرقية، كما كشفت ذلك الصحف القبرصية، ولاسيما فيما يتصل بتزود تلك الطائرات مرتين بالوقود من القواعد البريطانية بالجزيرة.

٣- توافر الموانئ الصالحة لإيواء وإصلاح وتموين السفن، وخاصة بعد تحسن مرافقها وامكاناتها الفنية، بعد الجلاء البريطاني عن مصر، وبذلك إتسعت إمكانية الجزيرة للعمليات البحرية وخاصة القطع المتوسطة والخفيفة. وذلك علاوة على وجود الأحواض الجافة وإمكانية رسو الأحواض العائمة بها.

٤- توافر الأيدي العاملة بها، وإن كان مجال الإعتماد على الوطنيين في الظروف التي إشتدت فيها الثورة المسلحة ضد بريطانيا لم يشجع كثيراً على الإفادة الكاملة من الأيدي العاملة ولذا فإن عدم الإستقرار في الجزيرة قلل من أهمية هذا العامل، مما دفع بريطانيا إلى الإستعانة بالعمال الأتراك.

٥- وجود كثير من المخازن والمستودعات والصهاريج الخاصة بالترول، موزعة على أطراف الجزيرة. وبذلك فإن توافر هذه المرافق يزيد من طاقة الجزيرة على إعاشة قوات كبيرة. ولمدة طويلة، وخاصة أن مواردها المحلية تساعد إلى حد كبير في تحقيق هذه الغاية.

٦- قرب الجزيرة من مدخل قناة السويس كان يحقق لبريطانيا موقعاً حماً لحماية أو لتهديد القناة. إذ إن المسافة بين بورسعيد وقبرص ٢٣٠ ميلاً، كما أن الجزيرة قريبة من الشواطئ الفلسطينية واللبنانية والسورية والتركية، مما يزيد في أهميتها لبريطانيا التي كانت تسعى للحفاظ ولو على مظهر السيطرة على شرق البحر الأبيض.

٧- كانت بريطانيا تفيد من موقع الجزيرة في تنفيذ خططها للدعاية السياسية والتجسس لحسابها في منطقة الشرق الأوسط. فأقامت بها محطة إذاعة الشرق الأدنى، التي أصبحت رسمياً منذ بدء العدوان الثلاثي على مصر، اللسان الرسمي (لصوت بريطانيا)، وإن كانت هذه الخطة قد توقفت من مدة طويلة.

٨- ومنذ قيام أزمة فلسطين بين العرب والصهيونية أصبحت قبرص ميداناً للتهريب والتجسس الصهيوني على العرب. وبذلك قامت الجزيرة بدور خطير في التقلبات السياسية التي تعرض لها الشرق الأوسط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. بل وكانت قبرص قبل قيام إسرائيل ١٩٤٨م مركزاً لتجميع اليهود المهاجرين من أوروبا لتهريبهم إلى فلسطين.

٩- تعتبر قبرص بمثابة القاعدة الخلفية، التي كانت تحقق العمق الإستراتيجي خلف بغداد، والذي اشتركت فيه بريطانيا كعضو رئيسي. وبرغم إشراك الولايات المتحدة في اللجان الاقتصادية والعسكرية وكذا لجنة "مقاومة المبادئ الهدامة"، إلا أن بريطانيا كانت ترى أن بقاءها في قبرص يحقق لها قدرًا من التوازن المظهري "العادل" مع مركز الولايات المتحدة، الذي توطد بعد الحرب العالمية الثانية في شرقي البحر الأبيض وفي الشرق الأوسط.

١٠- تتم قبرص شبكة القواعد البريطانية في حوض البحر الأبيض المتوسط بتعاونها مع قواعد ليبيا ومالطة وجبل طارق، بعد أن فقدت بريطانيا قواعدها في فلسطين "حيفا"، وفي مصر "قناة السويس".

١١- احتمال تسلل روسيا إلى مياه البحر الأبيض منذ أن أصبحت ألبانيا ضمن الكتلة الشرقية الأمر الذي زاد من خطورة تعرض مالطة إلى التدخل السوفيتي القريب. وبالتالي دفع ذلك القيادة البريطانية إلى مضاعفة التشبث بقبرص، لتأمين الجناح الأيمن لمالطة من جهة، ومن جهة أخرى لإحتمال القيام منها بأى عمليات مشتركة مضادة ضد الخطر الأحمر سواء كان مصدره عبر أراضي أو مضائق تركيا، أو عن طريق إجتياح اليونان، أو عن طريق المدخل الجنوبي للبحر الأدرياتيكي من ألبانيا، أو عن طريق إفادة روسيا من الخدمات التي تقدمها لها الدول

الصديقة لأسطولها إذا رسا فى موانئها. وازدادت أهمية الجزيرة من هذه الناحية بعد وصول الغواصات الحديثة إلى كل من مصر وإسرائيل.

١٢- ونظراً لبعدها الجزيرة عن نطاق المياه الإقليمية لأى دولة أخرى، فإن احتمال غزوها من البحر يعتبر أمراً غير يسير، وخاصة أن طبيعتها الجبلية لا تشجع كثيراً على غزوها من الجو، فى حين أنها تعتبر قاعدة لانطلاق عمليات الغزو إلى ما حوّلها. كما حدث فى أكتوبر سنة ١٩٥٦م بعد أن تجمّعت بها القوات البريطانية والفرنسية للعدوان على مصر، فهى بذلك قاعدة هجومية. وهى فى نفس الوقت مأمولة الدفاع نسبياً ضد أى هجوم عليها من الخارج. وإن ثبت نقيض ذلك فيما بعد عند قيام الغزو التركى لشمال الجزيرة اعتماداً على القوات الجوية فى يولييه ١٩٧٤م.

١٣- ازدادت أهمية الجزيرة بعد أن اكتشف البترول فيها، ولولا الظروف التى اجتازتها الجزيرة بسبب ثورتها ضد بريطانيا من جهة، وبسبب إنشغال الأخيرة فى أزمة قناة السويس من جهة أخرى، لكان الإهتمام بإستخراج البترول أعظم^(١). على أية حال فإن إمكانات البترول فى قبرص ضئيلة جداً فيما نعرف حتى الآن، وإن كان ذلك لا يقلل من قيمة موارد الجزيرة الاقتصادية.

فى ١٨/٢/١٩٥٨م أخبر كل من أفيروف وزورلو وزير الخارجية الأمريكى سلوين لويد فى باريس، أثناء حضور مجلس الناتو، عن الاتفاقية الجارية مناقشتها فيما بين اليونان وتركيا، وفحواها: الإستقلال لقبرص، وإستبعاد إتحادها مع اليونان، وكذا إستبعاد التقسيم. ووافق ماكميلان على مشروع الاتفاقية، وعشية أعياد الميلاد عرض جريفاش هدنة، وإستؤلفت المباحثات فى باريس ١٨-٢٠ يناير ١٩٥٩م، ثم برزت مشكلة جديدة، عندما طالب زورلو بقاعدة تركية فى قبرص، على أن يسمح بقاعدتين يونانيتين فيها، وأحبط مكاريوس علماً بالشروط التركية، فوافق عليها معترضاً فقط على نسبة الموظفين بين اليونان والترك ٧٠: ٣٠، وإقترح فصل البلديات فى المدن، وهو أساساً مطلب تركى كان أفيروف قد إعترض عليه.

تم الإتفاق على الاتفاقية نهائياً فى زيورخ ١١ فبراير ١٩٥٩م بعد سبعة أيام من المفاوضات الشاقة. كانت توجيهات أمريكا والناتو والمخابرات الأمريكية المركزية (CIA) قد لعبت دوراً كبيراً فى الوصول إلى هذه المعاهدة. وكان فوستر دالاس Foster Dulles وزير الخارجية الأمريكية يتابع هذه المفاوضات عن كثب ويتدخل فاعل ومؤثر أحياناً، ومن المفيد أن نعرض هنا للنقاط الرئيسية فى اتفاقية زيورخ وهى كما يلى:

أولاً: تأسيس جمهورية قبرص.

ثانياً: هذه الاتفاقية تضمنها كل من بريطانيا واليونان وتركيا وجمهورية قبرص.

(١) محمد كمال عبد الحميد، مبحث الإشارة إليه، ص ٤٥٤-٤٥٨.

ثالثاً: عقد اتفاقية تحالف بين قبرص واليونان وتركيا.

رابعاً: عقد إتفاق ودى - غير رسمى - بين كارامانليس رئيس وزراء اليونان ونظيره التركى مندريس .

وعندما قرأ مكاريوس نصوص الاتفاقية تردد كثيراً فى حضور المؤتمر الموسع المنعقد فى لندن للتوقيع ، فى هذا المؤتمر تشارك بريطانيا واليونان وتركيا والقبارصة اليونان ومواطنوهم الأتراك ، وبعد مناقشات مستفيضة أجراها مكاريوس مع الفعاليات السياسية القبرصية واليونانية طار إلى لندن فى ١٤ فبراير ١٩٥٩ م بنية المحاولة المستميتة فى سبيل تحسين بعض نقاط الاتفاقية ، كان الخوف يتهدد القبارصة اليونان من أن بريطانيا ستتركهم تحت رحمة القوات التركية، التى من المحتمل أن تغزو الجزيرة ، بل إن بريطانيا هى التى أشاعت إحتمالات الغزو التركى لتهرب اليونان القبارصة، ولاسيما بعد قيام الثورة العراقية بقيادة حزب البعث اليسارى فى بغداد ١٩٥٨ م التى أطاحت بالملكية وتحالفت مع روسيا، مما أدى إلى وحل حلف بغداد، وتقلص دور تركيا فى المنطقة ، وروجت بريطانيا لسياستها الجديدة وهى أنها ليست بحاجة للبقاء فى قبرص كقوة إحتلال، إنما هى فقط بحاجة إلى قاعدة عسكرية فيها ، بل إن هذه السياسة البريطانية الجديدة تعد من توابع أزمة السويس، حيث بدأ البريطانيون يعيدون النظر فى مستعمراتهم شرق السويس، ويطرحون أفكاراً جديدة فى أمر "بريطانيا العظمى" ، قالوا عندئذ نعم نحن بحاجة إلى نفط الشرق الأوسط والخليج، ولكن سكان هذه المناطق بحاجة إلينا من أجل التكنولوجيا والأسواق والحماية ، ويختصار بدأت أمريكا تحل محل بريطانيا فى المنطقة رويداً رويداً، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية. واشتد هذا الاتجاه بقوة بعد حزب السويس .

وجدير بالذكر هنا أن كمال عبد الحميد المتخصص فى الدراسات الإستراتيجية يقول إن اليونان كانت ضمن الدول التى إحتوتها مجموعة "الشرق الأدنى"، التى كانت تشمل جنوب البلقان، وتركيا، وجزر البحر الأبيض، ومصر ، ولكن إختفت هذه التسمية فى الحرب العالمية الثانية، منذ أن إتسعت ميادين العمليات الحربية فى شمال شرق أفريقيا، وفى غرب آسيا، وفى شرق حوض البحر الأبيض ضد ألمانيا وإيطاليا ، وأضحت حدود الشرق الأوسط تمتد من مشارف الشرق الأقصى إلى الحوض الأوسط للبحر الأبيض . وذابت مجموعة الشرق الأدنى فى ميدان هذه المنطقة النامية. وبمعنى آخر أصبحت تركيا، والحوض الشرقى للبحر الأبيض، والنصف الشرقى من شمال أفريقيا ضمن المجموعة الإقليمية الجديدة.

وبالنسبة لليونان، - كما يقول كمال عبد الحميد- فإنه بالرغم من إرتباطها الوثيق بالنشاط الأوروبى، إلا أنها ترتبط فى نفس الوقت بالشرق الأوسط، سواء من حيث علاقتها القديمة الوثيقة بتلك المنطقة وخاصة مع الدول العربية، أو من حيث قيام مشكلة قبرص بينها وبين بريطانيا التى أقامت بالجزيرة مركز رئاسة قواتها المبعثرة فى قواعد الشرق الأوسط، ومتاسب عنه ذلك من إطراد الإصطدام المسلح فى الجزيرة، وإشتداد الصراع السياسى الذى إشتكت فيه بريطانيا،

وتركيا، واليونان من أجل مستقبل الجزيرة، التى أصبحت -منذ عام ١٩٥٤م- قاعدة حربية، لها أهميتها الإستراتيجية الخاصة رسم إذ منذ أن بدأت بريطانيا فى تصفية قاعدتها فى قناة السويس . كما كان لموقف اليونان من قضية فلسطين، وعدم إعترافها بإسرائيل الأثر الكبير فى إطراد علاقاتها بالدول العربية، بالرغم من أن اليونان عضو فى حلف شمال الأطلسى (الناتو)، الذى تعترف كل دوله الأعضاء بإسرائيل . فكان موقف اليونان بالرغم من كل هذه الظروف بالنسبة لإسرائيل أكرم وأقرب للدول العربية من مواقف تركيا (وإيران وقتئذ)^(١) . وهله الرؤية الاستراتيجية لازالت قائمة حتى الآن ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين .

لقد قبلت اليونان باتفاقية زيورخ التى تستبعد إتحاد قبرص مع شقيقتها الكبرى اليونان . ولم تفلح هذه الاتفاقية فى وضع حد للصراع المسلح فى الجزيرة . وكان الهم الأكبر للذين فرضوا هذه الاتفاقية على جميع الأطراف هو الحرص على وحدة الناتو بوصفه درعاً واقياً من الشيوعية السلافية القادمة من الشمال الروسى والأوروبى . أما وقد إنضمت كل من تركيا واليونان لهذا الحلف ١٩٥٢م فعليهما تقديم التنازلات . وتقدر هذه التنازلات بحجم الخدمات التى تقدم هذا الحلف . والخاسر الأكبر هو المصالح الوطنية القبرصية أى القبارصة اليونان وأشقائهم اليونانيون . هؤلاء دفعوا الثمن باهظاً، أما بقية الأطراف فقد حققت كافة مصالحها .

وفى وثائق اتفاقية زيورخ تقرر أن التقسيم وازدواجية المجتمع القبرصى أصبح أمراً مستقراً ودستورياً ، فلا بد من الأخذ بهذا المبدأ فى تأسيس بنية الدولة والمؤسسات التشريعية والتنفيذية والإدارية للجمهورية القبرصية مستقبلاً ، إنه حكم مزدوج أو ثنائى ، يملك فيه كل من رئيس الجمهورية اليونانى القبرصى ونائبه التركى القبرصى حق الفيتو على الآخر فى الأمور السياسية المهمة . ووزعت العضوية والنصاب فى المؤسسات التشريعية والتنفيذية والإدارية بنسبة ٧٠ : ٣٠ وفى القوات المسلحة بنسبة ٦٠ : ٤٠ .

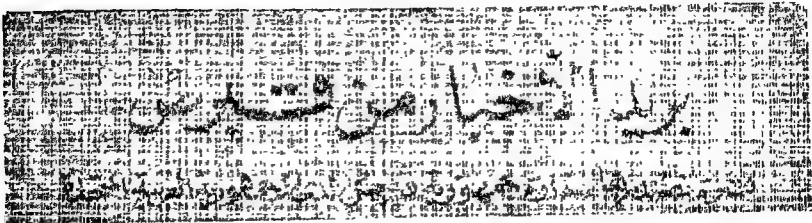
أما الفصل فيما بين البلديات فى المدن الكبرى فقد بدا أمراً واقعاً فرضه، الأتراك وأغمض الاحتلال البريطانى عنه منذ ١٩٥٨م فصار الآن قانونياً ودستورياً . وبانتخابات منفصلة تجرى فى كل جانب ينتخب البرلمان من ٣٥ عضواً يونانياً و١٥ تركيا .

وضمنت بريطانيا واليونان وتركيا الاتفاقية، وتعهدت بحماية قبرص ووحدة أراضيها . وفى حالة خرق أى بند فى الاتفاقية على الدول الثلاثة أن تتصرف معاً، فإذا تعلد ذلك يحق لكل دولة دولة أن تتصرف بمفردها، شريطة أن يكون الهدف الوحيد لأى تحرك هو: إستعادة الأحوال إلى ما كانت عليه، وكما أقرته الاتفاقية الحالية . وتضمن الدول الثلاث سلامة القاعدتين الممنوحتين لبريطانيا فى قبرص . يمنع منعاً باتاً "إتحاد" قبرص مع أى دولة أخرى -سواء اليونان أو تركيا- كما

(١) نفس المرجع ص ٤٥٢-٤٥٣ . وقارن محمد نصيف، قبرص بين أنياب حلف الأطلسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب



شكل رقم (٥٨) "الاتحاد" كما صورته ريشة محمد ناجي عام ١٩٥٥م، وهي رانته المعروفة باسم "الوحدة الوطنية" والمعرضة في متحفه بالقاهرة .



شكل رقم (٥٩): بشرة فبرص كما صدرت في مصر ورئيس تحريرها فاسوس كانافاتس

يحذف نهائياً من جدول الأعمال في أى تفاوض مستقبلاً "التقسيم" أى فصل الجزء التركي عن قبرص. ونص الاتفاق على عقد حلف بين اليونان وقبرص وتركيا للتعاون والتشاور في الدفاع وحماية وحدة الأراضي القبرصية مع إنشاء قيادة موحدة لقوة عسكرية مشتركة.

وتم الاتفاق ودياً -لارسمياً- بين اليونان وتركيا على السعي لضم قبرص إلى حلف الناتو وحث السلطات القبرصية على إلغاء الحزب الشيوعي وإصدار عفو عام.

هذه هي شروط اتفاقية زيورخ، وذهبت جهود مكاريوس المضنية لتعديل بعض موادها، وتعرض لضغوط لا تقاوم من كل جانب فوقع عليها في النهاية في ١٩ فبراير ١٩٥٩ واستقبل غالبية القبارصة الاتفاقية بشئ من الإرتياح والتفاؤل. وعندما عاد مكاريوس إلى قبرص ١ مارس ١٩٥٩م. استقبلته الجماهير استقبال الابطال المنتصرين.

وفي ١٣ ديسمبر ١٩٥٩م انتخب مكاريوس أول رئيس للجمهورية القبرصية، إذ فاز بنسبة ٦٧٪ من الأصوات في مقابل ٣٣٪ نالها منافسه جون كليريدس الذي تزعم الاتجاه المعاكس للاتفاقية. وانتخب الجانب القبرصي التركي فاضل كوتشوك نائباً للرئيس، ولم يكن له منافس وأدى القسم مع الوزراء في ١٦ أغسطس ١٩٦٠م. معلنين بذلك رسمياً عن قيام "جمهورية قبرص" وبدأت صفحة جديدة في تاريخ الجزيرة^(١)

(١) عن أحداث ١٩٥٩-١٩٦٠ ومعاملة زيورخ - لندن راجع:

يسرى سلطان، قبرص مستقلة. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٧١.

Greek] Kranidiotis, (Athens 1985)

lem (Athens 1983).

lem (Athens 1981).

Greek] Loizides (Athens 1980)

Greek] Michaelides M. (Athens 1992).

Greek] Clerides (Nicosia 1988-1991) Vol. 1 pp. 74-93.

tanley Kyriakides, Cyprus constitutionalism and Crisis Government. University of Pennsylvania Press 1969.

'etros Stagor, La Question de Chypre 1950-1960 Memoire, Paris 1975.

i. Tenekides, Chypre. Histoire recente et perspectives d'avenir. Paris. Nagel 1964.

الباب الخامس

جمهورية قبرص (١٩٦٠م -)

"Quas [Sc. leges Zeno et Stoici] non uni civitati. sed toti humano generi tulerunt".
(Seneca, De Otio VI.4)

"السنة التي سنّها (زينون والرواقيون) لم تك لدولة ما بعينها وإنما للشريعة أجمعين"

(سينيكا، "فى وقت الفراغ" ٦، ٤)

١- فشل اتفاقية زيورخ - لندن:

يعبر المؤرخ القبرصي نيكوس كرانيديوتيس - المولود في كيرينيا ١٩١١م - عن مأساة الجمهورية القبرصية وشعور الشعب القبرصي بالإحباط وذلك في كتابه "السنوات الصعبة" و "الجمهورية غير المخصصة" أو "جمهورية بلا تحصينات" ويقع في جزئين في حوالي ١٣٠٠ صفحة). وهما كتابان يكملان بعضهما بعضاً ويحكيان قصة ميلاد هذه الجمهورية القبرصية من ١٩٦٠ حتى ١٩٧٤م. ويقول إنه يقسم هذه القصة إلى ثلاثة فترات الأولى ١٩٦٠-١٩٦٣م وهي الجمهورية المتحدة بعنصريها. الثانية ١٩٦٤-١٩٦٧م وفيها تقع محاولات "هنة" أو "التهلين" أى تحويل الدولة إلى كيان يوناني بإستثناء جزء ضئيل (٤,٨٦٪) من الأرض ترك للجانب التركي القبرصي يديره، أما الفترة الثالثة ١٩٦٧-١٩٧٤م ففيها بذلت محاولات اليونانية على أساس إستقلالية الأقلية التركية في الإدارة الذاتية.^(١) ويفهم من ذلك أننا يمكن أن نضيف فترة رابعة وهي التي تقع بعد الغزو التركي. وفي يولييه ١٩٧٤م وحتى يومنا هذا.

وكما يحدث في مفاوضات الشرق الأوسط دائماً فإن المتطرفين في كلا الطرفين اليوناني والتركي بقبرص لم يكونا راضيين عن اتفاقية زيورخ - لندن. اعتبر الطرفان هذه الاتفاقية حلاً مرحلياً لتحقيق الهدف الأسمى لكل منهما على حدة، أى "الإتحاد" بالنسبة لليونانيين، و "التقسيم" بالنسبة للأتراك. واتخذ الجانب التركي القبرصي إجراءات حثيثة لتدعيم مركزه وبصفة خاصة زيادة التسليح. ففي ١٨ أكتوبر ١٩٥٩م كانت السفينة التركية دينيز Deniz تحمل أسلحة وذخائر ضخمة للأتراك سراً، فغرقت بطاقمها أمام كيرينيا وهي تحاول التملص من متابعة سلطات أمن السواحل القبرصية. ولولا ذلك ما إكتشف أمرها، مما يعنى أن تركيا ترسل السلاح والمؤن بصفة مستمرة لأتراك قبرص.

وفي المقابل إزداد يونانيو قبرص تشرذماً، في الوقت الذى ظل فيه أتراك قبرص يخططون بعناية لتحقيق أهدافهم. ولكن الأخطر أن الشك ترسخ بين الجانبين وفقدت الثقة في بعضهما البعض تماماً. بالطبع هناك بعض الإستثناءات، كالذى حدث في يناير ١٩٦٠م عندما ساندت صحافة الأتراك القبارصة موقف مكاريوس، الذى إعتز على مطلب بريطانيا بالإحتفاظ بـ ١٣٦ ميل مربع من أراضي الجزيرة لقواعدها العسكرية. وكانت تلك فرصة ذهبية ساحقة أمام يوناني قبرصى، لكى يبنوا عليها جسراً من الثقة المتبادلة بين الطرفين. وضيّع الجانب اليوناني هذه الفرصة، كما ضيّع من قبل ومن بعد فرصاً أخرى كثيرة لحماية وحدة الجزيرة. حتى إن مؤرخاً يونانياً يعتبر مشكلة قبرص من البداية "قصة القرص الضائعة"^(٢). ولعل ذلك مايدكرنا بمشكلة فلسطين والقرص الضائعة منذ بداية القرن العشرين إلى يومنا هذا.

[Greek] Kranidiotis, passim

نعني كتاب أفيروف توسيتساس وهو منشور عام ١٩٨١ في أثينا باللغة اليونانية وترجمة العنوان هي "تاريخ القرص الضائعة". المشكلة القبرصية ١٩٥٠-١٩٦٣م.

[Greek] G, Averoph- Tositsas (Athens 1981).



شكل رقم (٦٠): مكاريوس، فوت، كوتشوك في قبرص ١٩٥٩م.



شكل رقم (٦١): مكاريوس وفوت وكوتشوك يوقعون وثيقة إعلان الجمهورية القبرصية

كانت القضايا الخلافية بين الجانبين القبرصيين لاتزال بلا حل، وهى قضايا ذات علاقة بالدستور والقوانين. ومن ثم كانت أوجه التعاون فيما بينهما غالباً ماتكون مظهرية لا جوهرية. وظل المتطرفون فى الجانبين يحاربون هذا التعاون المظهرى، وقتل الأتراك المتطرفون بعض مواطنيهم المتعاونين مع الجانب اليونانى مثل أ. حكمت جركان (أبريل ١٩٦٢م). واستغل الأتراك القبارصة انضمام مكاريوس إلى حركة دول عدم الإنحياز -أو الحياذ الإيجابى- وإشراكه فى مؤتمر بلجراد سبتمبر ١٩٦١م وأعلنوا أن ذلك الإنحياز يعد خروجاً على روح إتفاقية زيورخ-لندن، فهو إنحياز نحو الإنحياز إلى جانب الشيوعية. والغريب أن هذا الإعتراض التركى القبرصى واكمه إعتراض بعض القبارصة اليونان. والحكومة اليونانية نفسها التى بوصفها عضواً فى حلف الناتو رأت فى سياسة مكاريوس عصياناً. وهكذا أسهمت جميع هذه الأطراف فى رسم صورة جمهورية قبرص بزعامة مكاريوس على أنها ألبانيا شرق أوروبا أو كوبا البحر الأبيض المتوسط. وقارنوا بين هذا الزعيم الوطنى القبرصى وفيدل كاسترو. وبدأوا يسلطون الضوء على علاقة مكاريوس الخاصة برحلات الحزب التقدمى AKEL والذين منحهم مكاريوس ثلاثة مقاعد فى البرلمان. وعندما زار جونسون -نائب الرئيس الأمريكى آنذاك- قبرص فى ١٩٦٢/٩/٤ انفرد به الأتراك فى حيهيم بنيقوسيا، ووضعوا السم فى أذنه ضد سياسة مكاريوس والقبارصة اليونان على أساس أنهم يناصرون الشيوعية ويهددون الأمن الإقليمى، وماكان قد حققه مكاريوس فى ١٩٦٢/٥/٥ عندما زار كيندى الرئيس الأمريكى، أفسده هؤلاء جميعاً وكل بطريقته.

فلما حاول السفير التركى المستنير لدى قبرص ديرفانا أن يصلح ذات البين بين الطرفين القبرصيين أجهضت محاولته. كان ليرفانا ذا إنجاء كمالى، وكان حكيماً وحصيفاً، وسعى إلى أن يتبنى الأتراك سياسة معتدلة تستبعد الفصل بين الجانب التركى واليونانى فى قبرص، وعدم طرد القبارصة اليونان من قراهم وبيوتهم فى الجانب التركى. ولكنه إستدعى إلى تركيا قبل أن يحقق شيئاً من أحلامه المستتيرة.

كل ذلك مجتمعاً هو الذى دفع مكاريوس فى ١٩٦٣/١١/٣٠ إلى أن يقترح إعادة النظر فى ثلاثة عشر مادة من دستور ١٩٦٠م، والتى تعيق الحكومة من ممارسة عملها على نحو سليم. ومن بين هذه المواد حق الفيتو لرئيس الجمهورية ونائبه، وطريقة الانتخاب والتصويت المنفصل داخل البرلمان وما إلى ذلك. وفى البداية استقبلت مقترحات مكاريوس بمعارضة شديدة من الحكومة اليونانية، وبعض مفقى قبرص، حيث إعتبروها غير مقبولة وطرحت فى وقت غير ملائم. وأهم ما أخذ على هذه المقترحات أنها لم تضع فى الإعتبار رد فعل أتراك قبرص، حيث كانوا قد أعلنوا مراراً وتكراراً عدم شرعية الخروج على نصوص إتفاقية زيورخ-لندن. وتلك هى المعضلة القبرصية: إتفاقية خلقت جمهورية عرجاء وينبغى الحفاظ على شروط هذه الإتفاقية. هناك ضرورة ملحة لخلق جو من التعاون والثقة بين الطرفين القبرصيين، وهو أمر عسير النال وتزداد مع مرور الزمن عوامل الفرقة والتناحر بسبب تدخل العناصر الخارجية صاحبة المصالح الحقيقية فى عدم حل المشكلة.

ويقتل جون كيندى فى ١٩٦٣/١١/٢٢م وصعود ليندون جونسون إلى سدة الرئاسة الأمريكية ساء موقف الحكومة القبرصية. وهذا ماشجع تركيا على رفض مقترحات مكاريوس، وتبعها فى ذلك كوتشوك نائب الرئيس مكاريوس. وفى ١٩٦٣/١٢/٢٠ وقع صدام مسلح بين الأتراك واليونان فى قبرص، قامــــــــــــ

على أثره القوات القبرصية التركية بعزل الأجزاء التركية في الجزيرة عن بقية المناطق، وأصبحت شبه مقاطعات أوكانتونات تركية شبه مستقلة داخل الدولة القبرصية. وتدخلت القوات البريطانية في ٢٩ ديسمبر ١٩٦٣م بهدف تأمين "الخطوط الخضراء" بين الجانبين. وبذلك ترسخ مبدأ التقسيم والفصل برعاية رؤوف دنكناش زعيم الأتراك، وبتأييد من القوات التركية الموجودة في الجزيرة وفقاً لاتفاقية زيورخ-لندن. وقام الأتراك بأعمال وحشية أرهبت اليونانيين الموجودين في هذه "المقاطعات"، فتركوا مساكنهم وممتلكاتهم ورحلوا إلى الجانب اليوناني^(١).

^(١) راجع يسرى سلطان، سبقت الإشارة إليه.

Greek] Ligknadis (Athens 1970).

Greek] Pantazi, (Athens 1971).

٢- تدويل القضية:

وانعقد مؤتمر خماسي في لندن ١٥ يناير - ١٠ فبراير ١٩٦٤م وإقترح البريطانيون "قوة سلام" من قوات حلف الناتو يقودها بريطاني، ويوكل إليها حفظ الأمن والسلام بين الجانبين، أما شتون قبرص فتتولاها لجنة من سفراء الدول المشاركة في هذه القوة، على أن يقوم وسيط دولي توافق عليه بريطانيا واليونان وتركيا بإنجاد حلول دستورية للمشكلات القبرصية. قبلت الحكومة اليونانية هذا المشروع، ورفضه مكاريوس، كما رفض عرضاً آخر قدمه نائب الخارجية الأمريكية جورج بول في ١٦/٢/١٩٦٤م، وقيل إن مكاريوس تشجع ورفض العرضين بناءً على تأييد نيكيتا خروشوف رئيس الاتحاد السوفيتي آنذاك. وظهرت أصوات قبرصية تنادى باللجوء إلى الاتحاد السوفيتي، لأنه لم يعد من الممكن إنتظار شئ من الغرب.

وبالفعل أنذر خروشوف تركيا بأن تدخلها العسكري في قبرص سيصطدم بموقف سوفيتي معارض فعلاً لا قولاً. وفي ١٩٦٤/٣/٥م صدر قرار مجلس الأمن ٥٥٧٥/٥ بإرسال قوات حفظ السلام إلى قبرص، وتم تعيين وسيط دولي هو الدبلوماسي الفنلندي سكارى توميويو Sakkari Tuomioja. وفي ٩ مارس من نفس العام نشبت من جديد أعمال عنف متبادل بين الجانبين في بافوس وسقط الضحايا من الجانبين. وظهرت في الأفق نوايا تركيا لغزو قبرص واضحة تماماً، بحجة تأمين الأتراك القبارصة. ولم يوقف الإستعدادات التركية للغزو سوى قرار جديد صدر من مجلس الأمن، ولكن هذه الميول التركية للغزو ستتحقق في النهاية بعد عشر سنوات من تاريخه.

وأعلن مكاريوس رسمياً في أبريل ١٩٦٤م معارضته لإتفاقية زيورخ-لندن. وأسس مكاريوس "الحرس الوطني" من حوالي عشرة آلاف رجل مجند. ثم شرع يعقد صفقات لإستيراد السلاح من اليونان ومصر والاتحاد السوفيتي وغيرها من البلدان الصديقة وأصبحت قبرص ورقة رابحة في لعبة الصراع الكبرى - أو ما يسمونه في قاموس السياسة الدولية - الحرب الباردة بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي، إنها الحلقة العصرية من تاريخ قبرص الطويل والمرير والملئ بالمعاناة منذ القدم.

وبالاتفاق والتعاون مع جورج باباندريو جاءت إلى قبرص قوات يونانية قوامها عشرة آلاف رجل لتنظيم وتدريب "الحرس الوطني". وفي ١٩٦٤/٦/١٩م أصبح جريفاث بعد عودته إلى قبرص قائداً للحرس الوطني. وكان هذا الإجراء ذا مغزى كبير بالنسبة لطبيعة "الحرس الوطني" ووظيفته. وفي نفس هذا الشهر كان ليندون جونسون الرئيس الأمريكي قد وجه تحديراً إلى تركيا ورئيس وزرائها عصمت أيونو من أن تتدخل عسكرياً في قبرص وقال "على تركيا ألا تنتظر عوناً أمريكياً في حالة هجوم السوفيت على القوات التركية الغازية لطردها من قبرص".

وفي نفس الوقت عين جونسون وزير الخارجية السابق دين أتشيسون Dean Acheson محكماً ومستشاراً ومعاوناً -بصفة غير رسمية- للوسيط الدولي فنلندي الجنسية توميويو، بهدف الوصول إلى حل للمشكلة القبرصية ترضى عنه اليونان وتركيا عضواً الحلف العسكري الناتو. وقدم أتشيسون خطة للحل، فحواها الحفاظ على وحدة أراضي قبرص، وعدم التقسيم، بشرط أن تترك منطقة كارباس لتركيا بالإيجار لمدة

خمسين عاماً وتقام عليها قاعدة عسكرية تركية. وجاء في هذه الخطة أيضاً أن توضع ست محافظات قبرصية تحت وصاية مندوبين أترك، وأن يعين مستشار للشئون الإسلامية إلى جانب المندوب اليوناني. ووضعت شروط أخرى مثل توفير ضمانات لحقوق الأقلية التركية، وتشكيل قوة دفاع عسكرية يونانية - تركية مشتركة مع وجود تمثيل أمريكي على نحو ما. ونصت الخطة كذلك على ضرورة عودة المواطنين القبارصة اليونان المطرودين من الأراضي، التركية، إذ ينبغي أن تعود لهم منازلهم وممتلكاتهم. وجاء في الخطة أن التنفيذ والإشراف على الإجراءات، يقوم به الأمم المتحدة.

ولأن القبارصة اليونان رفضوا خطة أتشيسون، رفضتها أيضاً الحكومة اليونانية وعلى رأسها جورج باباندريو، الذي كان أميل إلى قبولها. إعتبروها جميعاً نوعاً من التقسيم، أو الإتحاد المزدوج أى إتحاد الجانب اليوناني مع اليونان والجانب التركي مع تركيا. والأدهى أن الأتراك رفضوا هذه الخطة، حتى قبل أن يعرفوا الموقف اليوناني الرسمي. وفي يوم ٨ أغسطس ١٩٦٤م وقع حادث عنف تركي في المنصورة Mansoura بإقليم تيليريا Tillyria شمال غرب قبرص. وربما بذلك العنف كان الأتراك يستهدفون الضغط على الجانب القبرصي اليوناني ليقبل خطة أتشيسون. وكان رد "الحرس الوطني" عنيفاً، إذ اتخذ من الإجراءات مايلغي عزل الاقليم عن بقية قبرص، وهو العزل الذي كان قد فرضه الأتراك وجعلوه أمراً واقعاً. فجاءت الطائرات التركية على الفور في ٨ و ٩ أغسطس ودكت الكثير من القرى القبرصية. واجتاحت جورج باباندريو، وشجب هذا العدوان الذي يأتي على حساب المصالح القومية لليونان، ولام تركيا على أنها تنفرد بالتصرف دون أخذ رأي الحكومة اليونانية. وأعلن الإتحاد السوفيتي وقوفه إلى جانب قبرص في حالة الغزو التركي. وفي مجلس الأمن أعلنت اليونان - التي رحبت بموقف السوفييت - أنها أيضاً ستقف إلى جانب قبرص لصعد العدوان التركي إن لم يتوقف على الفور. وهذا هو السيناريو المعتاد كلما ضربت الطائرات والقوات الاسرائيلية الضفة الغربية وغزة ولبنان.

وفي أكتوبر ١٩٦٤م جددت قبرص مساعيها للحصول على الأسلحة من الإتحاد السوفيتي بما في ذلك الدبابات والصواريخ. وأرسل مكاريوس الكثيرين من الشباب للتدريب على هذه الأسلحة في مصر بناء على تفاهم خاص بين الزعيم القبرصي وجمال عبد الناصر. وفيما بين ١٦-١٧ أكتوبر من نفس العام زار تيتو الرئيس اليوغوسلافي قبرص. ودعمت هذه الزيارة الرسمية موقع مكاريوس المتميز في حركة عدم الإنحياز. لكن الرئيس السوفيتي الجديد ليونيد بريزنيف خالف سياسة سلفه خروشوف في معالجة القضية القبرصية. وتتلخص هذه السياسة الجديدة في تشكيل إتحاد فيدرالي قبرصي يجمع اليونان والأتراك القبارصة.

وفي ٢٦ مارس ١٩٦٥م نشر جاللو بلازا Gallo Plaza - الوسيط الدولي - تقريره ونادى فيه بضرورة وضع دستور جديد لقبرص يتجاوز اتفاقية زيورخ - لندن التي سقطت بالتقادم، وكان مكاريوس قد ألغاه رسمياً في أبريل ١٩٦٤م. ويقترح بلازا حق تقرير المصير للشعب القبرصي، مع إستبعاد "الإتحاد" و "التقسيم". عندئذ إستشاطت تركيا غضباً ورفضت التقرير. وتحالف كل من جريفاث. ووزير الدفاع القبرصي ب. جاروفالياس P.Garoufalas ضد الحركة اليسارية السرية أسبيدا ASPIDA، الذي كان يتزعمها خفية ابن رئيس الوزراء اليوناني أندريا باباندريو. وإشتدت الأزمة السياسية على أثر فضيحة إضطهاد أفراد

الحركة اليسارية السورية أسبدا، ورفض جاروفالياس الإستقالة بعد إكتشاف أمر تحالفه مع المنظمة السرية اليمينية إيديا IDEA . فاستقال جورج بابانديرو من رئاسة الوزارة اليونانية فى ١٥ يولييه ١٩٦٥م. وتشكلت حكومة يمينية محافظة فى اليونان.

وبدأ التفكير فى فرض حل "التقسيم" على قبرص، وهو ما كان يرفضه بابانديرو رغم خلافه مع مكاريوس . على أية حال فإن الحكومة الجديدة كشفت بوضوح عن مناهضتها لمكاريوس وأفكاره. وصدرت الأوامر من أثينا للقوات اليونانية فى قبرص بالعمل على الحيلولة دون وصول صواريخ ودبابات سوفيتية إلى الجزيرة. وفى نفس الوقت كتف الأتراك القبارصة من أعمال العنف فقتلوا زعيمين من زعماء الحزب التقدمى AKEL، أحدهما قبرصى تركى هو درويش كافازوغلو Derwis Kavazoghlu، والثنانى هو كوستاس ميشاؤليس Costas Mishaoulis. وفى غضون شهر أكتوبر من نفس العام أرسل مكاريوس خطاب نوايا إلى الأمين العام للأمم المتحدة يوثأت وتضمن العهد باحترام حقوق الإنسان الرئيسية، إطلاق الحريات، تقرير المصير لكل الأقليات فى الشئون الثقافية وما إليها. وسهلت هذه الإقتراحات مهمة إستصدار قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ١٨ ديسمبر ١٩٦٥م متضمناً معظم النقاط الواردة فى تقرير الوسيط بلازا.

وجاء رد الحكومة اليونانية بأن إستعدادت جريفاً إلى صفوف قواتها المسلحة فى فبراير ١٩٦٦م، بهدف أحكام السيطرة على القوات القبرصية . أعلنت الحكومة اليونانية أيضاً عن رغبتها فى تحقيق "الإتحاد" ولو مع جزء من قبرص برضا تركيا، وفضلت ذلك على دفع ثمن باهظ لتحقيق "الإتحاد" رغم أنف تركيا. وهكذا أشاعت هذه الحكومة اليونانية، وبعض القبارصة وتأييد من جريفاً، أن مكاريوس هو الذى خان فكرة الإتحاد. وفى ١٧ ديسمبر ١٩٦٦م وقعت اليونان وتركيا "بروتوكول تفاهم" فى باريس يتضمن دعوة لمواصلة الحوار بين البلدين فى سبيل حل كافة المشكلات المعلقة بينهما، ومنها قبرص بالطبع. عندئذ طالبت تركيا بقاعدة عسكرية فى قبرص، ونادت بنزع سلاح الجزيرة^(١).

R.A. Patrick, Political Geography and the Cyprus conflict 1963- 1971.

(١)

Ed. hy J.H. Bate & R. Preston Publ. by the Department of Geography, Faculty of Environmental Studies. University of Waterloo 1976.

٣- "ينبغي التخلص من مكاريوس" !

يبدأ الخيط في سلسلة اغالات المتتالية للتخلص من مكاريوس. يعرض قدمه له رئيس الوزراء اليوناني ستيفانوبولوس عام ١٩٦٦م أى منصب البطيركية في الإسكندرية. ولما رفض مكاريوس بدأت المؤامرات للإطاحة به في إنقلاب عسكري وتصفيته. وكان مكاريوس يعلم بهذه النوايا، ولذلك سعى للحصول على صفقة أسلحة تشيكية سرية -كما فعلت مصر في الخمسينيات- لقوة حراسة خاصة به، بعد أن فقد ثقته وسيطرته في الحرس الوطني، الذي مال إلى معاداته تأثراً بتعليمات الضباط اليونان فيه. طالب ستيفانوبولوس - عندما علم بالصفقة- أن تسلم الأسلحة للحرس الوطني، فتدخلت تركيا في ١٢ ديسمبر ١٩٦٦م وأجبرت قبرص واليونان -المتناحرتين- على تسليم الأسلحة التشيكية لقوات الأمم المتحدة. ومن مخازن هذه القوات تمكن وزير الداخلية القبرصي اليساري من سرقة معظمها لصالح رجاله المسلحين وقواته الخاصة. وتسببت هذه الفضيحة في سقوط الحكومة اليونانية ٢١ ديسمبر ١٩٦٦م. وزار مكاريوس أثينا في ٦ فبراير ١٩٦٧م وتمكن من الاتفاق مع الحكومة الجديدة على الخطوط العريضة التالية:

• الهدف النهائي للطرفين هو الإنحداد، ولكن بدون تضحيات وتنازلات جسيمة من قبل اليونان.

• قبرص دولة مستقلة، وستظل كذلك إلى أن يتحقق الإنحداد.

وبوصول كانيلوبولوس Pan. Kanellopoulos إلى الحكم في أثينا في ٣ أبريل ١٩٦٧م بزغت في الأفق بوادر مشجعة لانفراج الأزمة المستحكمة في العلاقات القبرصية اليونانية. ذلك أن كانيلوبولوس صديق حميم لمكاريوس. بيد أن هذا الأمل الوليد قتل في المهبط وتبدد بقيام انقلاب الكولونيلات المشنوم في أثينا يوم ٢١ أبريل ١٩٦٧م.

عند هذه النقطة بدأت سنوات الإنهيار. فبعد الإنقلاب المشنوم قام الجناح الديمقراطي اليساري بتشكيل لجنة ضد الديكتاتورية، عقدت إجتماعها الأول في مسرح أبوللو بيقوسيا. وفي نفس الوقت شرع الإعلام اليوناني الرسمي، سواء المقروء أو المسموع أو المرئي في شن حملة هوجاء ضد القبارصة المعارضين للإتحاد، مع التلميح أحياناً والتصريح أحياناً أخرى بأسماء أقرب المقربين من مكاريوس. وبعد طول إنتظار أرسل مكاريوس على مضض برقية تأييد إلى النظام الجديد في ٢٠ مايو ١٩٦٧م، أى بعد شهر من الإنقلاب. عندئذ بدأت الإستعدادات لإجراء الحوار المتفق عليه مسبقاً بين تركيا واليونان في باريس ١٢/٧/١٩٦٦م. وبرز مطلب "إزالة خائن الإتحاد" (=مكاريوس)، فهو الشعار المرفوع في اليونان. ولكن زيارة جورج بابادوبولوس -الوزير في وزارة كوللياس آنذاك- لقبرص في ٩ أغسطس ١٩٦٧م أذابت الجليد. إذ أعلن بعد عودته إلى أثينا أنه "لم يجد معارضين للإتحاد في قبرص". كان هذا الوزير قد أدى الخدمة العسكرية ضابطاً في قبرص لوقت طويل. وكانت زيارته تستهدف إقناع مكاريوس بضبط النفس إزاء أعمال العنف المنطلقة من المقاطعات التركية في يوليو ١٩٦٧م. وهي عمليات أمرت بها أنقرة في إختبار للحكومة الديكتاتورية الجديدة في أثينا. وفي ٥ يولية ١٩٦٧م تأسست "الجبهة القبرصية الإتحادية" (PEM)، وترعها بعض المتحمسين للكلونيلات في أثينا، من القبارصة واليونانيين.

وتم عقد الاجتماع المرتقب بين كوللياس وبابادوبولوس وأعوانهما من جهة، وسليمان ديميريل وأعوانه في الحكومة التركية من جهة أخرى في ٩-١٠ سبتمبر ١٩٦٧م في إفروس Evros. عرض الجانب اليوناني "الإتحاد" مع إعطاء قاعدة عسكرية لتركيا في قبرص، وتوفير الضمانات اللازمة للقبارصة الأتراك، والتنازل عن جزء من طراليا، ورفض ديميريل العروض اليونانية وإنتهى "لقاء إفروس" بفضيحة، لأن الوفد اليوناني كشف النقاب للأتراك عن بعض الإجراءات القمعية ضد الشيوعيين في البلقان، وهي معلومات قدمها ديميريل بدوره إلى السوفييت في زيارة قام بها إلى موسكو بعد "لقاء إفروس" بوقت قصير. ومع ذلك إستمر الحوار التركي اليوناني في ٧ نوفمبر ١٩٦٧م، وكان مكاريوس يعارضها بشدة. وفي ٣١ أكتوبر ألقى القبض على الزعيم التركي المنفي رؤوف دنكتاش وهو يدخل سراً إلى قبرص، فأعيد إلى تركيا في ١٢ نوفمبر.

وبعد أيام قليلة وقعت أزمة كوفينو Kofinou، وهي قرية صغيرة في منتصف الطريق بين ليقوسيا وليرماسول. كان الأتراك قد حولوها إلى مقاطعة تركية خالصة فعقد جريفاك العزم على تطهيرها. وكانت النتيجة النهائية لهذه الأزمة هو سحب القوة اليونانية التي كان باباندريو قد أرسلها عام ١٩٦٤م. سحبت هذه القوات وعادت إلى اليونان في يناير ١٩٦٨م. وفي مواجهة التهديدات التركية بغزو قبرص، أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية نائب وزير الدفاع السابق سيروس فانس لتسوية هذه الأزمة وتهذبة التوتر.

وبالفعل حقق فانس الإنفراج المطلوب بعد مساعي مضنية ومباحثات مكوكية بين أثينا وأنقرة وأروقة الأمم المتحدة. وتم سحب جريفاك نفسه ليس فقط من كوفينو بل من قبرص كلها في ١٩ نوفمبر، واتهمته حكومة الكولونيلات الأثينية بأنه تعدى حدود الأوامر الصادرة له. وم الاتفاق على فك القواعد الحربية في جنوب تركيا، وزيادة دور قوات الأمم المتحدة، ونزع سلاح القوات المتصارعة في قبرص، بل ونزع سلاح الجماعات المسلحة بطريقة غير مشروعة. وبالطبع وكما كان من المتوقع إعترض مكاريوس، لأن معنى هذه الخطوة هو حل الحرس الوطني، القوة الوحيدة الباقية للدفاع عن قبرص ورئيسها الشرعي بعد سحب القوات اليونانية.

ضاق القبارصة الأتراك ذرعاً بطول الإنتظار للغزو التركي المرتقب، ولم يقنعوا بما وصلوا إليه في ديسمبر ١٩٦٧م أي قيام "إدارة تركية قبرصية مؤقتة" مع وجود خبيرين من تركيا إلى جوارها. وحل الياس بالقبارصة اليونان، فاندفع الكثيرون منهم إلى الهجرة وكانت هجرة غالبيتهم إلى كندا. وبذلت جهود مكثفة لتفادي هذه الهجرة. ثم بزغ في الأفق أمل جديد في الحل والصلح في ٢٤ نوفمبر ١٩٦٧م عندما صرح مكاريوس بوضوح شديد أنه ينبغي السعي لتحقيق ما هو ممكن ephikton (أي الإستقلال والوحدة القبرصية الداخلية)، لا السعي وراء ما هو مرغوب evktaion ولكنه محال (أي الإتحاد بين قبرص واليونان).

واستهدفت الإنتخابات الرئاسية القبرصية -٢٥ فبراير ١٩٦٨م دعم هذا الخط الجديد في السياسة التي إنتهجها مكاريوس، وكذا تسليط الضوء على إزدهار الديمقراطية القبرصية في مقابل الدكتاتورية الأثينية آنذاك. وفاز مكاريوس بـ ٩٥,٤٥٪ من الأصوات. وهنا إشتدت الهجمة الإتحادية ضد مكاريوس، وترعمها أنثيموس أسقف كيتيون وأقرب الأصدقاء إلى نفسه قبلئذ.

ونسى هؤلاء أو تناسوا أن إنسحاب القوات اليونانية من قبرص قد أدى إلى إحتلال توازن القوى في الجزيرة لصالح الجانب التركي، ومن ثم صار مطلب "الإتحاد" الذي يتشدد به المزايدون اليونان والقبارصة حلماً وسراباً. أما إعلان "الإدارة التركية القبرصية المؤقتة" في ٢٩ ديسمبر ١٩٦٧م كان بمثابة ضربة قوية لوحدة الجزيرة الداخلية وتجهيداً للتقسيم. فجاء رد فعل مكاريوس في ١٧ يناير ١٩٦٨م بإعلان أن الحكومة القبرصية اليونانية لن تستخدم القوة للقضاء على هذه الإدارة، ولكنها في نفس الوقت لن تسمح لهم بالتحرك خارج الأحياء التركية في نيقوسيا. وكل ذلك أضعف قضية الإتحاد وحتى مطلب الإستقلال.

وزاد الطين بلة وقوع الإنقلاب الملكي الفاشل في اليونان في ١٣/١٢/١٩٦٧م وهروب الملك قسطنطين، مما دعم حكومة الكولونيلات، وهم شرذمة من العسكر لا يفقهون شيئاً في السياسة أكثر من حبك المؤامرات وتحقيق أهدافهم الشخصية. ومثل هذا النظام الفاسد في أثينا لا يرجى منه خير فيما يتصل بقضية قبرص ولا حتى فيما يتصل بالمصالح اليونانية نفسها.

ومما عجل بإجراء الإنتخابات الرئاسية القبرصية في ٢٥ فبراير ١٩٦٨م أنه في ٢٥ يناير من نفس العام كان قد عقد مجمع كنسي حضره كيريانوس من كيرينيا واليغيموس من كيتيون وجناديوس من بافوس وقرروا مطالبة مكاريوس بالتصحي عن رئاسة قبرص. فلما نجح في الإنتخابات بنسبة مرتفعة (وأعيد انتخاب كوتشوك نانيا له)، بدأت الضغوط الخارجية من اليونان وحلف الناتو لبدء مفاوضات داخلية بين اليونان والأتراك القبارصة. تبنى يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة هذه الفكرة، واستجاب لها مكاريوس وأعلن أنه يعترف بالأتراك القبارصة بوصفهم "مجتمعا" (community) وليس مجرد أقلية (minority). ووعد بتقديم تنازلات مهمة لهم وإميازات في حالة الوصول إلى حل نهائي للمشكلة. أصدر مكاريوس قراراً بالعفو عن دنكتاش، لكي يعود من منفاه إلى قبرص في ١٣/٤/١٩٦٨م. وفي ٨ مايو من نفس العام ألغى مكاريوس القيود التي تحدّد حركة الأتراك داخل مقاطعاتهم، على أمل إستعادة التواصل بين عنصري قبرص. ولكن الأتراك القبارصة أصروا على الإنعزال والإنفصال، ولم يسمحوا للقبارصة اليونان بدخول قراهم فيما عدا القرى المشتركة.

وفي يونيو ١٩٦٨م بدأت المباحثات بين الجانبين جلافكوس كليريديس Glavkos Clerides ورؤوف دنكتاش. الأول يمثل الجانب اليوناني وكان رئيس البرلمان، والثاني هو رئيس المجموعة القبرصية التركية داخل البرلمان (وكلاهما الآن في موقع الرئاسة، فالأول هو رئيس جمهورية قبرص، والثاني هو رئيس الكيان السياسي المعلن وغير المعترف به إلا من تركيا). وكانت بداية هذه المباحثات مشفوعة بجو عام من التفاؤل.

وفي خريف ١٩٦٨م وقعت محاولة في أثينا لإغتيال بابادوبولوس قام بها أليكوس باناجوليس Alekos Panagoulis. فألقى القبض عليه بعد فشل المحاولة، وتم الكشف عن كل خيوط المؤامرة، وتبين



شكل رقم (٦٢): في بيت جلافكوس كليريديس، حيث إجتمع لأول مرة مع رؤوف دنكناش في بداية المفاوضات بين الجانبين
القبرصيين

أن بوليكاربوس جيور جاتريس وزير الداخلية والدفاع القبرصى - وآخرين من المقربين إلى مكاربوس - متورطين في هذه المحاولة الفاشلة. فإضطر مكاربوس إلى إقالة وزيره جيور جاتريس رغم أنه من أخلص خلصائه وأعوانه. فإنقلب ليكون من ألد أعدائه، ولم يتورع عن التآمر مع "الجبهة القومية الاتحادية" اليمينية ضد مكاربوس. وهى جبهة ترعاها حكومة الكولونيلات الأثينية، وتستهدف بالإرهاب تطهير قبرص من المعارضين للإتحاد وعلى رأسهم مكاربوس. وكانوا يتلقون التعليمات مباشرة من الكولونيلات فى أثينا. وفى ١٠ أغسطس ١٩٦٩م طالبت هذه الجبهة بإنهاء المباحثات مع أتراك قبرص، وبإستقالة جلافكوس كليريدس. وإستغلوا لين ومهادنة مكاربوس، الذى بذل قصارى جهده لتفادى حرب أهلية قبرصية يونانية. وفى النهاية انقسمت هذه الجبهة على نفسها، كما حدث بالنسبة لأسيادها الكولونيلات فى أثينا وفى ٢٨ أغسطس ١٩٦٩م أعلن مكاربوس أنها تنظيم خارج على القانون ومحظورة.

وفى يوم الأحد الموافق ٨ مارس ١٩٧٠م قامت مجموعة من "الجبهة القومية الاتحادية" بإطلاق النار على طائرة مكاربوس الهليكوبتر بمجرد إقلاعها من نيقوسيا فى طريقها إلى دير ماخراس حيث كان ينوى القيام بشعائر جنازية لجرميجوريس أفكستيو Gregoris Afxentiou. كتبت لمكاربوس النجاة بأعجوبة، فأخذ قائد الطائرة الجريح ز. بابادويانيس Z. Papadoyiannis إلى المستشفى، وأكمل رحلته إلى الدير فى سيارة، وأقام الشعائر كما كان مخططاً من قبل. لقد خرج رئيس الجمهورية القبرصية من هذه المحاولة العادرة سالمًا، ولكن سحب التشاؤم ونذر الخطر تجمعت حول مصيره ومصير قبرص نفسها. ويذر من حكومة الكولونيلات فى أثينا ما يدل على أنها تعتبره شخصاً غير مرغوب فيه. وهذا مايتماشى مع موقف الولايات المتحدة الأمريكية ودوائر حلف الناتو. كان هؤلاء جميعاً يتصرفون الآن بوحى من فلسفة وإستراتيجية النجم الصاعد فى سماء السياسة الدولية هنرى كيسنجر مهندس السياسة الأمريكية فى السبعينيات. بيد أن الأهداف التى رصدها كيسنجر لهذه السياسة قديمة ومعروفة، وهى السيطرة على الشرق الأوسط ومنايع النفط. ورأى هؤلاء جميعاً أن مكاربوس يمثل عقبة ينبغي التخلص منها، لأن وجود قبرص الموحدة وعلى رأسها مكاربوس كان يمثل خطراً على أمن إسرائيل شوكة الإستعمار فى قلب العالم العربى، وحارسة منابع النفط لصالح الغرب. ولذلك يعتقد القبارصة أن محاولة إغتيال مكاربوس كانت من تدير وكالة المخابرات المركزية CIA، وبتوصية من كيسنجر. لقد قرروا تصفية مكاربوس جسدياً، وهو ما نفذه أو حاول تنفيذه اليمين اليونانى القبرصى وهلل له كولونيلات أثينا.

وبالقبض على الأربعة المتورطين فى محاولة الإغتيال، تبين أنهم من رجال جيور جاتريس ويعملون لحساب الكولونيل اليونانى د. بابابوستولو D. Papapostolou وأثاناسيوس بوليتساس Athan. Poulitsas، المسئول عن حراسة مكاربوس. وهم جميعاً على علاقة قوية بالجبهة القومية الاتحادية، وتأتيهم الأوامر من حلف الناتو والمخابرات الأمريكية المركزية مروراً بدهاليز حكومة الكولونيلات الأثينية.

كانت خطة الإغتيال مؤامرة كاملة وحملت إسم "هرميس"، وتستهدف الإستيلاء على الحكم. ولقد اغتيل جيور جاتريس فى حقل على الطريق بين نيقوسيا وفاماجوستا يوم ١٥ مارس ١٩٧٠م، أى بعد المحاولة

الفاشلة بحوالى أسبوع . ويبدو أن المتآمرين على حياة مكاريوس هم الذين قتلوه، خشية أن يكشف خططهم، وهو الذى كان على رأس المتآمرين^(١).

فى يونية ١٩٧١م قسام مكاريوس بزيارة الإتحاد السوفيتى، وبعد مباحثات مستفيضة صدر البيان المشترك، الذى أيد فيه السوفييت الإستقلال التام لجمهورية قبرص والسيادة الكاملة على أراضيها، مع حل المشكلة القائمة بناءً على ميثاق الأمم المتحدة والقرارات الصادرة عنها. وفى نفس الوقت وفى إطار إجتماع دول حلف الناتو فى لشبونة ٣-٤ يونية ١٩٧١م إتفق وزير الخارجية اليونانى والتركى على التعاون المشترك لإيجاد حل للمشكلة القبرصية، فى حال فشل أو توقف المفاوضات بين الجانبين القبرصيين.

كان هذان الحدثان متوازيين، ولكن الصحافة القبرصية أولت عنايتها الأكبر بزيارة مكاريوس السوفيتية . وفى ٩ يونية ١٩٧١م ظهر عنصر جديد تمثل فى طلب غريب من حكومة الكولونيلات فى أثينا. فبناءً على إتفاق وزيرى الخارجية اليونانى والتركى فى لشبونة طلب الكولونيلات من الحكومة القبرصية تقديم بعض التنازلات المهمة للجانب التركى دون مقابل يذكر. فلما رفض مكاريوس إحتدام الخلاف بين نيقوسيا وأثينا. ولاسيما عندما أصر الكولونيلات على إستحداث منصب "وزير الشؤون التركية" فى الحكومة القبرصية. وهددوا بإتخاذ إجراءات صارمة ضد قبرص، إذا لم تردخ لهذا الأمر. ورأى مكاريوس فى هذا التدخل اليونانى إنتقاصاً لإستقلال قبرص، ناهيك عن أن المنصب المقترح سيرسخ مبدأ التقسيم، لرفض مكاريوس هذا المطلب.

وزاد الطين بلة أن جريفاً وصل سراً إلى قبرص يوم ٣١/٨/١٩٧١م، وقبل ثلاثة أيام فقط من قيام مكاريوس بزيارة أثينا سعياً للتفاهم. جاء جريفاً ليؤسس جبهة قومية إتحادية جديدة. هكذا ولدت إيوكا ب. EOKA-B، التى كان معظم رجالاتها من أتباع الكولونيلات فى أثينا. ومع ذلك فإن أحد معاونى جريفاً وهو كاروسوس Karousos حاول التقريب فيما بين جريفاً ومكاريوس دون جدوى.

ثم وقعت أزمة - مماثلة لأزمة ١٩٦٦م- عندما طلب الكولونيلات من مكاريوس تسليم صفقة الأسلحة التشيكية التى تعاقدها عليها إلى الحرس الوطنى، بدلاً من "القوة الإحتياطية" التى أنشأها مكاريوس عوضاً عن الحرس الوطنى الذى أصبح خطراً على الحكومة. كانت إيوكا-ب هى التى إكتشفت أمر هذه الصفقة، وأخبرت اليونان بذلك . وقدم القنصل اليونانى مذكرة لمكاريوس يطلب فيها الكولونيلات تعديلاً حكومياً قبرصياً، لتصبح حكومة وحدة وطنية . وفى ١١ فبراير طلب من مكاريوس وجريفاً الإختفاء من

[Greek] Vrachimis, (Athens 1979)

ويتحدث عن مكاريوس الأسطورة والحقيقة:

[Greek] · Pavlidis (Nicosia 1992)

[Greek] Idem (Nicosia 1981 Vol. A- Γ.)

ويتعرض المؤلف فى الأجزاء الثلاث لمراحل حياة مكاريوس الثالث رئيس جمهورية قبرص منذ ولادته وحتى وفاته.

P.N. Vanezis; Makarios: Pragmatism versus Idealism. London, Abelard Schuman 1974.

Idem, Makarios: Faith and Power. London, Abelard. Schuman 1971.

المسرح السياسي برمته. ورحل القنصل اليوناني بانايوتاكوس Panayaotakos في ١٦ فبراير، وحلر السفير الأمريكي مكاريوس من قرب وقوع إنقلاب.

وفي ٢ مارس ١٩٧٢م أعاد الأساقفة الثلاثة مطلبهم القديم (٢٨ مارس ١٩٧٠م) بتنحي مكاريوس عن سدة الرئاسة. وبدلاً من بطريركية الإسكندرية التي قدمت لمكاريوس في المرة السابقة عوضاً عن الرئاسة، وعده أسقف أثينا هيرونيموس Hieronymos بمقعد مسكوني. وفي ٣ مارس خرجت مظاهرة حاشدة (٢٠ ألف) في نيقوسيا تطلب من مكاريوس الرجوع عن عزمه بالإستجابة لمطلب الأساقفة. وفي ٦ مارس ١٩٧٢م أندر الإتحاد السوفيتي الحكومة اليونانية بأنه سيدخل في حالة الإطاحة بمكاريوس. وحرصاً على الوحدة القومية تنازل مكاريوس عن صفقة الأسلحة لقوات حفظ السلام في قبرص. وكانت تركيا هي الرابع الأكبر في هذه القصة، وإتفق رأيها مع الحكومة الدكتاتورية في أثينا، حيث اعتبراً معاً مكاريوس العقبة الكنود في طريق الحل السلمي للمشكلة القبرصية، وسعى الطرفان إلى إختفاله عن المسرح السياسي بصورة أو بأخرى.

وتمكنت قبرص من تعويض صفقة الأسلحة التشيكية المفقودة بجلب أسلحة حديثة من سوريا، بوساطة من منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات الذي كانت تربطه علاقة خاصة مع مكاريوس. وصلت الأسلحة إلى قبرص في ١٤ مارس ١٩٧٢م. وأرسل مكاريوس رسالة إلى إبادوبولوس يقول فيها إن الكفاح من أجل الإتحاد يمكن أن ينجح بمساعدة أثينا وتشجيعها للقبارصة، الذين لا يستطيعون قبول أى حل لايتفق مع الصالح القبرصي من أجل إرضاء أى طرف ولو كان أثينا نفسها. وفي ١٩ مارس رفض مكاريوس من جديد المطلب الكنسي الماربوليتاني بالتنحي، وجمع الأساقفة وتتهمهم بالخيانة والتآمر مؤكداً أن توليه الرئاسة ليس ضد الأصول الدينية ولا يعنى إهماله لواجباته الكنسية، بل إن تنحيه سيؤدى حتماً إلى الإنقسام والكارثة.

وفي ٢٦ مارس ١٩٧٢م أجهض لقاء بين مكاريوس وجريفا، حيث إشتط الأخير تنحي مكاريوس وتشكيل وزارة جديدة تضم بعض رجاله. واستبعد جريفا حلاً يونانياً مطروحاً وهو "الإتحاد المزدوج" أى إتحاد الشطر اليوناني من قبرص مع اليونان ونظيره التركي مع تركيا. ومن الطبيعي أن يرفض مكاريوس شروط جريفا، وإرفض الإجتماع دون أن يحقق شيئاً على الإطلاق. وإشتد الجدل السياسي في قبرص، وتبادل مكاريوس المراسلات مع الأساقفة الثلاثة الماربوليتانيين في حوار ساخن، ودخل في المشادة أساتذة جامعيون وفعاليات ثقافية متعددة من قبرص واليونان.

وتشكلت وزارة قبرصية جديدة في ١٦/٦/١٩٧٢م حيث تسلم وزير جديد وزارة الخارجية في مكان سبيروس كيبريانو الذي شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٦٠م. كان مكاريوس بذلك يسعى إلى تهدئة الخلاف مع كولونيلات أثينا. ولكن المؤامرات ظلت تحاك ضد مكاريوس، فوضعت خطة "أبوللو" في ١٧/٩/١٩٧٢م بإشراف جريفا نفسه وحاول تنفيذها ضباط يونان. كان هذا الإنقلاب المخطط سيغطي قبرص كلها فيما عدا كيرينيا، على أساس أنها ستترك لتركيا في حالة نجاح الخطة والشروع في تقسيم الجزيرة. وتضمنت الخطة تنسيقاً محكماً بين إيوكا-ب والحرس الوطني. وظن المتآمرون أن الجانب التركي والقاعدة البريطانية سيلتزمان

الحياة. وتسربت أنباء المؤامرة مع شائعات تقول إن تركيا خطت للإستيلاء على منطقة كيرينيا بأكملها في حالة الإطاحة بـمكاروريوس. ونصح لاجاكوس السفير اليوناني في قبرص الأساقفة القبارصة بإيقاف خلافاتهم، فلم يستجب أحد منهم. وفي ٨/١٢/١٩٧٢م وقعوا على مكاروريوس عقوبة "التوبيخ". وفي نفس الوقت بدأت إيوكا-ب في ممارسة أعمال العنف والأنشطة الإرهابية. كما بدر عن دوائر حلف الناتو مايكشف النقاب عن تأييدها لموقف الأساقفة.

ولم يملك مكاروريوس إزاء كل هذه المؤامرات إلا أن يصر على موقفه معلناً عن انتخابات رئاسية في ١٨ فبراير ١٩٧٣م. وفتح باب الترشيح وعندما أغلق يوم ٨ فبراير لم يكن يتقدم أى منافس لمكاروريوس قد تقدم للترشيح. وأعلن ذلك أمام مظاهرة حاشدة (٢٠٠ ألف)، وكان انتخابه بالتزكية والمظاهرات المواكبة بمثابة إستفتاء شعبي. ولكن في نفس الشهر كان جريفاً قد أكمل حبه "خطة أبوللو" وحدد لها يولية ١٩٧٣م للتنفيذ. وفي الواقع توالى الدساتير والمؤامرات الانقلابية التي إستهدف بعضها حياة مكاروريوس وبعضها الآخر إستهداف الولاية، ولكنها كانت على حساب مستقبل قبرص.

وفي ٧ مارس ١٩٧٣م أعلن الأساقفة الثلاثة عن إنعقاد مجمع كنسي في ليماسول، بهدف "تجريد" مكاروريوس من رذاته الكهنوتية. وجاء رد مكاروريوس عتياً وحاسماً، إذ أعلن عن إجراء انتخابات لشغل أماكن هؤلاء الأساقفة، الذين خلعوا اعتباراً من ٢/٥/١٩٧٣م. وفي ١٤/٧/١٩٧٣م عقد مجمع أوسع بحضور بطريرك الإسكندرية وأنطاكية وأربعة عشر أسقفاً من ثلاثة بطريركيات، واتخذ قرار بخلع وتجريد الأساقفة الثلاثة، حيث وجهت إليهم تهمة الإنشقاق عن الكنيسة والتآمر وإرتكاب أعمال غير مشروعة. وعلى الفور أعلن مكاروريوس عن إجراء الانتخابات الكنسية بعد إدخال بعض التعديلات على عدد الأسقفيات ومهامها.

صار بابادوبولوس رئيساً لجمهورية اليونان في ١٩/٨/١٩٧٣م، وأعلن موافقته على إجراءات تجريد وخلع وتجريم الأساقفة القبارصة الثلاثة. ومرد ذلك الموقف اليوناني الجديد هو أن حكومة الكولونيلات قد سحبت تأييدها هؤلاء الأساقفة، بعد أن ارتقوا في أحضان جريفاً. والمعروف عن الأخير أنه ملكي أكثر من الملك، أى متحمس للملك اليوناني المخلوع، وهو بذلك قد إنشق على حكومة الكولونيلات الأثينية التي ألغت الملكية في ٢٩/٧/١٩٧٣م. أوقفت اليونان مساعداتها المالية وغير المالية لجريفاً وأدانت نشاطاته الإرهابية. وقيل إن جريفاً طلب التمويل من وكالة المخابرات الأمريكية المركزية CIA الأمريكية والموساد الإسرائيلية، فنال مبتغاه وبسخاء شديد. وبلغت أعمال العنف التي قامت بها إيوكا-ب حد إختطاف وزير العدالة فاكيس Chr. Vakes ومحاولة إغتيال مكاروريوس في ١٤ أغسطس و ٧ أكتوبر ١٩٧٣م. وإضطر مكاروريوس إلى حث "القوة الإحتياطية" وقوات البوليس وقوات الأمن الحكومية الأخرى على الرد بعنف على هذه العمليات. فضيقت الحناق على إيوكا-ب وقطعت أوصالها وألقت القبض على بعض زعمائها مثل ستافروس ستافرو Stavros Stavrou المشهور بلقب سيروس Syros.

فلما جاء رئيس الوزراء اليوناني الجديد سيروس ماركيزينيس Spyros Markezines أعلن تأييده للحوار المباشر مع تركيا وعقد الصلح بين أتباع مكاروريوس ورجال جريفاً مع تحويل إيوكا-ب إلى تنظيم سياسي معلن، أى حزب إعتبرت بذرته موجودة منذ ٢٠/١١/١٩٧١م في "اللجنة التنظيمية القومية

للكفاح من أجل الاتحاد" (ESEA) ورأسها القاضى ج. فاسيلياديس G.Vassiliades. ولكن جريفاس أصر على الكفاح المسلح، وطلب من صديقه القديم ماركيزينيس العون المادى والمعنوى، معلناً أن رجاله (٥٠٠-٦٠٠ فرد) هم وحدهم الذين سيحلون المشكلة القبرصية.

وفى ١١/٦/١٩٧٣م كان مكاربوس فى طريقه لزيارة إثيوبيا ومالطة وليبيا، فعقد اجتماعاً مع ماركيزينيس وإتفقا على تنشيط المباحثات بين الجانبين القبرصيين، والتي كانت قد بدأت فى ٦ يولية ١٩٧٢ على إثر مبادرة من كورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة. بيد أن إحتدام الخلاف والصراع داخل الجانب اليونانى هو الذى أدى إلى إزدياد العناد الحزكى والتشدد والتشبث بمواقفهم غير المقبولة. وأعربت اليونان عن إعتقادها بأن المطلب الحزكى القبرصى بإدارة ذاتية مستقلة لا يتعارض مع قيام دولة قبرصية متحدة ومستقلة.

ثم جاء سقوط بابادوبولوس فى ٢٥/١١/١٩٧٣م بعد إقتحام الدبابات كلية الفنون والتكنولوجيا Polytechnion على الطلبة وأفراد الشعب المعتصمين داخلها، ف وقعت معركة دموية. عندئذ استغل يونانيديس Dem. Ioannides الفرصة وأمسك بزمام السلطة. وهو كولويل آخر أكثر التصاقاً بدوائر حلف شمال الأطلسى أى الناتو وبالدولالات المتحدة الأمريكية. وأرسل يونانيديس عشرة ملايين دراهمة إلى جريفاس كل شهر مع كثير من السلاح. وذهب كل ذلك سدى لأن جريفاس مات فى ٢٧ يناير ١٩٧٤م.

تولى قيادة إيوكا-ب بعد جريفاس الكولويل ج. كاروسوس الذى أعلن هدنة. فرد مكاربوس على هذه المبادرة بإعلان عفو عام عن رجال جريفاس جميعاً. رغب كاروسوس فى أن تتحول إيوكا-ب إلى حزب سياسى، فعارضه يونانيديس الذى أصر كذلك على دفن جريفاس فى ليماسول ليقى رمزاً لمقاومة ومناهضة مكاربوس. وواصلت إيوكا-ب أعمال العنف والإرهاب وأعلن رجالها العصيان على كاروسوس الذى غادر قبرص فى ٢٨ فبراير ١٩٧٤م بضغط من حكومة الكولونيات فى أثينا. وأعلن مكاربوس فى ٢٥/٤/١٩٧٤م حظر نشاط إيوكا-ب بإعتبارها تنظيماً غير مشروع. وبقيادة بانتيلاكيس بانتازيس Pantelakis Pantazes وبتأييد شعبى قامت القوات القبرصية بتصفية جيوب هذا التنظيم^(١).

(١) بالنسبة لإيوكا-ب وموقف مكاربوس منها راجع:

٤ - الغزو التركي وحالة الاستقصاء

كان تفكك الجبهة الداخلية في الجانب القبرصي اليوناني وحالة الاستقصاء هو الذى شجع الجانب الآخر على التشدد. وبينما كانت المفاوضات بين الطرفين فى تقدم مطرد وعلى وشك الوصول إلى نتائج ملموسة حول بنية الدولة القبرصية وتقاسم السلطات والمناصب فيها، علقّت هذه المفاوضات فجأة. وتولى رئاسة الوزارة التركية بولنت إتشيفيت أجاييد Bulent Ecevit فى يناير ١٩٧٤م وأعلن أن "الفيدرالية" هى الحل الوحيد المقبول للمشكلة القبرصية. وكرر المطالب التركية فى البحر الإيجى، وأعلن عن رغبته فى الوصول مع اليونان إلى إتفاقية شاملة تغطى كل المشكلات بين البلدين وعلى رأسها قبرص. ولكن مكاريوس رفض مقترحات أجاييد مع إعترافه بأن "الفيدرالية" ليست مستبعدة تماماً. وكان أجاييد -ذلك اليسارى- قد إختار الوقت المناسب لإعلان مقترحاته، مستغلاً الصراع الداخلى والتفكك اليونانى الذى ينبى بوقوع حرب أهلية جديدة.

وفى الوقت الذى أعلن فيه المستشاران الحثيران اليونانى ديكليسيس Dekleris والتركى ألديكاتشى Aldikacsi، المراقبان للمباحثات بين الجانبين القبرصيين، أنهما قد توصلا إلى حلول لمعظم المشكلات الرئيسية، ولم يبق أمامهما سوى الصياغة النهائية، فى هذا الوقت وقع إنقلاب فى أثينا ١٥/٧/١٩٧٤م فتعطل كل شىء.

وفى ٧ مايو ١٩٧٤م كان هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى قد إجتمع بنظيره السوفيتى أندرياس جروميكو فى قبرص لمناقشة أزمة الشرق الأوسط، بعد إنتصار مصر وسوريا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م. ولكن هذا الإجتماع لم يقدم جديداً لقبرص، اللهم إلا إصرار كيسنجر على التخلص من هذا "الأسقف الأحمر". فهذه الزيارة دعمت مكانة مكاريوس لدى الإتحاد السوفيتى، وكان مكاريوس قد زار الصين من ٧-٢٤ مايو ١٩٧٤م. وإتفقت الحكومة اليونانية الدكتاتورية مع وجهة نظر كيسنجر فى ضرورة التخلص من هذا "الأسقف الأحمر" فأرسل مكاريوس رسالة مفتوحة إلى رئيس الجمهورية اليونانية فايدون جيزيكيس Phaidon Gizikis، يتهم فيها الحكومة اليونانية بممارسة أنشطة غير شرعية فى قبرص، والتدخل فى الشؤون الداخلية لحكومتها وتمويل فلول إيوكا-ب الإرهابية. وقال إنه -أى مكاريوس- ليس والياً معيناً من قبل الحكومة اليونانية فى أثينا، ولكنه رئيس جمهورية قبرص بإنتخاب شعبى. وفى ٩ يوليه ١٩٧٤م أصدرت حكومة الكولونيلات فى أثينا الأمر بقيام إنقلاب فى قبرص. وفى ١١ يولية استدعى السفير اليونانى لاجاكوس إلى أثينا، ومعه قائد الحرس الوطنى دنيسيس Denisses. وفى تلك الآونة أعلن السفير الأمريكى الجديد فى قبرص روجر ديفيز Roger Davis أن الحكومة الأمريكية تعتبر مكاريوس "رجل دولة من الطراز الأول فى العالم".^١

كانت خطة الإنقلاب تحمل إسم "الروديتى ٣"، وفى ١٥/٧/١٩٧٤م هوجم القصر الرئاسى فى نيقوسيا بالعربات المصفحة للحرس الوطنى. وإستطاع مكاريوس أن يهرب إلى دير كيكوس Kykkos، ومن هناك إلى بافوس. قام الإنقلابيون بالإستيلاء على محطة الإذاعة (RIK) وجميع المرافق العامة. ولكن مكاريوس

خاطب الشعب من محطة محلية فى بافوس. وهاجم قارب مسلح مقر مكاربوس فى الكنيسة المتروبوليتانية فى بافوس. وفى النهاية لم تنفذ مكاربوس سوى طائرة عسكرية بريطانية أخذته إلى لندن، ومن هناك طار إلى نيويورك. وفى ١٩ يوليو خاطب مكاربوس مجلس الأمن، فطالب الحكومة اليونانية باستدعاء الضباط اليونان بالحرس الوطن، وإنهاء الوضع الحرج، وعودة الأمور إلى ماكانت عليه قبل الإنقلاب. ولم تتدخل القوات القبرصية التركية وأعلن رؤوف دنكتاش أن الأمر برمته يخص الجانب اليونانى. وكان هذا التضليل مقصوداً، لأن رئيس وزراء تركيا أجاييد طار إلى لندن فى ١٧ يولية، وطلب تدخلاً تركيا -بريطانياً مشتركاً تطبيقاً للمادة ٣ من إتفاقية الضمان. وإمتنع البريطانيون عن تلبية المطلب التركى فشرعت تركيا فى تنفيذ خطة الغزو بمفردها، وهى الخطة المعدة سلفاً.

بدأ الغزو فى الصباح الباكر من يوم السبت ٢٠ يولية ١٩٧٤م. وفى اللحظات الأخيرة قبل بداية الهجوم حاولت الولايات المتحدة الأمريكية عبثاً أن توقفه. وكان الهدف الرئيسى من التدخل الأمريكى هو منع التصادم التركى - اليونانى. لم يلق الأتراك مقاومة تذكر، لأن الإنقسامات والإضطرابات فى المعسكر اليونانى كانت قد أنهكت قواه. وإستولت تركيا على منطقة كيرينيا بأكملها. ومن المضحك المبكى أن حكومة الكولونيلات الأثينية حتى هذه اللحظة لم يأخذوا الغزو التركى مأخذ الجد، وقالوا إنه مناوره عسكرية تدريبية عابرة! أما البيانات العسكرية القبرصية فى ليقوسيا فأعلنت دحر الغزاة! لما أشبه الغزو التركى لقبرص فى ٢٠ يولية ١٩٧٤م بنكسة ٥ يولية ١٩٦٧م بالنسبة لمصر والعالم العربى.

وفى النهاية سقطت الحكومتان الدكتاتوريتان الأثينية والقبرصية التى جاء بها الانقلاب. وفى أثينا تولى السلطة كارامانليس. وفى ليقوسيا تولاهما جلافكوس كليريديس. وبدأت المباحثات الدستورية فى جنيف لبحث مستقبل قبرص فى الوقت الذى كانت القوات التركية تستغل عنصر الزمن لتوسيع رقعة الإحتلال^(١).

وفى ٢٠ يولية ١٩٧٤م صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٧٣ وهذا نصه:

"بعد أن فحص تقرير الأمين العام الخاص بالأحداث الأخيرة التى جرت فى قبرص، وبعد أن أستمع إلى التصريحات التى أدلى بها رئيس جمهورية قبرص، والتصريحات التى أدلى بها ممثلو قبرص وتركيا واليونان، ودول أخرى أعضاء فى المجلس.

فإنه أى المجلس يبدى أسفه العميق لاندلاع العنف وإراقة الدماء التى مازالت جارية. وهو يعبر عن قلقه العميق لما أصبح عليه الوضع الذى يشكل تهديداً خطيراً للسلام والأمن الدوليين، والذى يهدد بالانفجار فى مجموعة منطقة شرق البحر المتوسط.

وهو يعبر عن قلقه العميق أيضاً لما يتعلق بضرورة إعادة البنية الدستورية لجمهورية قبرص، وهى البنية التى أقرتها وضمنتها إتفاقيات دولية.

وهو يذكر قرار مجلس الأمن الصادر في ٤ مارس ١٩٦٤م وكذا القرارات اللاحقة الصادرة من مجلس الأمن حول المشكلة. وهو يدرك مدى المسؤولية الأساسية التي تقع عليه، فيما يتعلق بالحفاظ على السلام والأمن الدوليين.

وفقا لما جاء في المادة الرابعة والعشرين من الميثاق ...

(١) يطالب جميع الدول باحترام سيادة قبرص واستقلالها ووحدتها الإقليمية.

(٢) يطالب جميع الأطراف المتورطة في القتال الجارى حاليا بالتوقف كلية عن إطلاق النار، وذلك كإجراء أولى. كما يناشد جميع الدول بالالتزام بأكبر قدر ممكن من الاعتدال، وبالإمتناع عن القيام بأى عمل يمكن أن يؤدي إلى مزيد من تفاقم الأوضاع في قبرص.

(٣) يطالب بوضع حد للتدخل الأجنبي في جمهورية قبرص مباشرة. وهو تدخل يعد مخالفة للفقرة الأولى من هذه الوثيقة.

(٤) يطالب جميع العسكريين الأجانب الموجودين على أرض قبرص، خلافا لما نصت عليه الإتفاقيات الدولية، بالانسحاب الفوري، بما في ذلك هؤلاء العسكريين الذين كان الأسقف مكاريوس قد طالب بالانسحابهم في خطابه بتاريخ ٢ يوليو ١٩٧٤م.

(٥) يطلب من اليونان وتركيا، وكذلك المملكة المتحدة (بريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية) البدء في إجراء مفاوضات دون تأخير، بهدف إعادة السلام إلى المنطقة وعودة الحكومة الدستورية في قبرص، مع إبلاغ الأمين العام بما تم في هذا الشأن.

(٦) يطلب من جميع الأطراف التعاون الكامل مع قوات الأمم المتحدة المكلفة بالحفاظ على السلام في قبرص. على نحو يتيح لهذه الأخيرة ممارسة تفويضها.

(٧) يقرر العمل على متابعة تطور الأحداث في قبرص على نحو متواصل كما يطلب من الأمين العام تقديم تقرير كلما تراءت له ضرورة لذلك. بهدف إعتماذ المجلس إجراءات جديدة، يمكن أن تؤدي إلى إقرار ظروف سلمية في قبرص في أقرب وقت ممكن^(١).

بعد ذلك أجرى وزراء خارجية اليونان والمملكة المتحدة (بريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية)، وتركيا. مفاوضات في جنيف من ٢٥ إلى ٣٠ يوليو ١٩٧٤م. وقد عترفوا بضرورة البدء في إتخاذ الإجراءات العاجلة لتهيئة وإعادة الوضع في جمهورية قبرص إلى حالته الطبيعية، وعلى أسس دائمة. وذلك في مهلة معقولة ووفقا لما نصت عليه الإتفاقيات الدولية الموقع عليها في نيقوسيا بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٦٠م، والقرار رقم ٣٥٣ الصادر من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وقد إتفق الوزراء على ضرورة أن تتخذ أولا بعض الإجراءات المباشرة. وأعلن وزراء الخارجية الثلاثة أنه حتى يتم إستقرار الوضع فإن مناطق الجمهورية القبرصية التي كانت

^(١) راجع مجلة "السياسة الدولية" عدد ٣٨ (أكتوبر ١٩٧٤) ص ٢٥٢-٢٥٣.

تسيطر عليها قوات الجيوش المعادية (أى التركية) فى يوم ٣٠ يوليو ١٩٧٤م فى الساعة العاشرة مساء (بتوقيت جنيف) لا يجب أن تتوسع أكثر من ذلك.

وقد ناشد وزراء الخارجية جميع القوات بما فيها القوات غير النظامية بالتوقف عن أى نشاط عدوانى أو عدائى.

وقد قرر وزراء الخارجية الثلاثة ضرورة البدء مباشرة فى تنفيذ الإجراءات الآتية:

- أ. إن منطقة الأمن التى سيقوم ممثلو اليونان والمملكة المتحدة وتركيا بتحديددها بالتشاور مع قوات الأمم المتحدة المكلفة بالحفاظ على السلام فى قبرص UNFICYP يجب أن تحدد على حافة المناطق المختلة من قبل القوات المسلحة التركية. فى الوقت الموضح فى الفقرة الثانية عالىه، وألا يسمح لأية قوة أخرى غير القوات التابعة للأمم المتحدة بالدخول فى هذه المنطقة، وستقوم القوات التابعة للأمم المتحدة بمراقبة تنفيذ هذه التعليمات. وحتى يتم تحديد مساحات واسعة وطبيعية منطقة الأمن، لن يصرح لأية قوات بالدخول فى المنطقة الموجودة بين القوتين العسكريتين المتعاديتين.
- ب. يجب على القوات اليونانية أو القوات القبرصية اليونانية الإنسحاب من جميع الجيوب التركية التى احتلها وتتواصل قوات الأمن التابعة للأمم المتحدة حمايتها هذه الجيوب، التى ستحتفظ بترتيبات الأمن السابقة أما الجيوب التركية الأخرى التى تقع خارج المنطقة التى تسيطر عليها القوات المسلحة التركية فإنها ستبقى تحت حماية منطقة الأمن التابعة لقوات الأمم المتحدة، وسيتمكنها الإبقاء على قواتها الخاصة فيما يتعلق بالبوليس والأمن.

ج. ستقوم قوات الأمن الدولية بضمان الأمن والبوليس فى القرى المختلطة.

- د. سيجرى فى أقرب مهلة ممكنة التبادل فى الأفراد العسكريين والمدنيين الذين إحتجزوا أشر الإشتباكات المسلحة أو إطلاق سراح هؤلاء تحت إشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وإتفق وزراء خارجية الدول الثلاث، على ضرورة تنفيذ القرار رقم ٣٥٣ الصادر عن مجلس الأمن فى أقرب فرصة ممكنة، لأنه فى إطار تسوية عادلة ودائمة ومقبولة من جميع الأطراف المعنية، وإلى أن يتم إقرار السلام والأمن والثقة المتبادلة فى الجمهورية القبرصية، يجب وضع إجراءات تؤدى إلى التخفيض المتدرج على مراحل وفى الأوقات المناسبة لحجم القوات المسلحة وكميات الأسلحة، والذخيرة وغيرها من المعدات الحربية فى جمهورية قبرص.

إن وزراء الخارجية الثلاثة وهم يدركون تماما مسئولياتهم التى تتعلق بالحفاظ على إستقلال جمهورية قبرص ووحدتها الإقليمية وأمنها، فقد إتفقوا على أنه يجب البدء فى أقرب فرصة فى المفاوضات التى نص عليها القرار رقم ٣٥٣ الصادر عن مجلس الأمن وذلك بهدف ضمان:-

- أ. إعادة السلام الى المنطقة.
- ب. إعادة الحكومة الدستورية إلى قبرص.

وفى سبيل ذلك، إتفق الوزراء على ضرورة البدء فى محادثات فى يوم ٨ أغسطس ١٩٧٤م فى جنيف. كما إتفقوا على أنه يجب أن يشارك ممثلو الجماعتين القبرصية اليونانية والقبرصية التركية فى مرحلة قريبة فى المحادثات التى ستجرى حول الدستور.

ومن بين المسائل الدستورية التى متناقش، يجب إدراج مسألة الرجوع الفورى إلى الشرعية الدستورية، على أن يتولى نائب الرئيس المهام التى نص عليها دستور ١٩٦٠م، فقد لاحظ الوزراء أنه توجد بالفعل فى جمهورية قبرص إدارتان مستقلتان، الأولى خاصة بالجماعة القبرصية اليونانية، والأخرى خاصة بالجماعة القبرصية التركية.

وبدون أى مساس بالإستنتاجات التى يمكن إستخلاصها من هذا الوضع، فإن وزراء الخارجية قد إتفقوا على دراسة المشاكل التى يطرحها وجود هاتين الإدارتين خلال إجتماعهم المقبل.

وإتفق وزراء الخارجية الثلاثة على إبلاغ الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة بمضمون التصريح الحالى، وبدعوة هذا الأخير إلى إتخاذ الإجراءات المناسبة فى ضوء هذا التصريح. كما أنهم أعلنوا عن إعتقادهم بضرورة تعاون جميع الأطراف المعنية فى جمهورية قبرص على نحو كامل، فى تنفيذ النصوص التى جاءت فى هذا التصريح^(١).

وصدر قرار جديد من مجلس الأمن فى ١٦ أغسطس ١٩٧٤ هذا نصه:

(١) بدافع من قلقه بسبب إستئناف أعمال العنف وإراقة الدماء فى قبرص يندد مجلس الأمن بقوة بعدم إلتزام الأطراف بقرار مجلس الأمن رقم ٣٥٧ الصادر فى ١٩٧٤م ويعيد التذكرة بالقرارات رقم ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧ لعام ١٩٧٤م.

(٢) يعلن المجلس إصراره على ضرورة قيام جميع الأطراف بالتطبيق الكامل لهذه القرارات المشار إليها، وكذلك إلى ضرورة التطبيق الفورى لوقف إطلاق النار.

وكان قرار مجلس الأمن رقم ٣٥٣ الصادر فى ٢٠ يوليو ١٩٧٤ يتضمن بالإضافة إلى الأمر بوقف إطلاق النار فقرة تطالب جميع الدول بإحترام سيادة قبرص وإستقلالها ووحدة أراضيها. كما يطالب بالإسحاب الفورى لجميع العسكرين الأجانب من أراضى جمهورية قبرص. ويستثنى من ذلك الموجودين طبقاً لإتفاقيات دولية^(٢).

(١) نفس المرجع.

(٢) نفس المرجع.

وعن دور الأمم المتحدة عموماً فى المشكلة القبرصية راجع:

G. St. Kaloudis, The Role of the U.N. in Cyprus from 1964 to 1979. Dissertation. University of Kansas U.S.A. 1983.

D.S constantopoulos, The Turkish Invasion from the Aspects of International Law' Transl. from the German Yearbook of International Law XXI 1978

Chr. Economidis, The problem of Cyprus. The Territorial Aspect. The Anatolian Settlers and the U.N. Secretary General Initiative. Nicosia 1983. =

لكن القبارصة الأتراك كانوا يتصرفون بعد غزو ١٩٧٤م من موقف القوة. وعندما ذهبوا إلى جنيف في ٢٥ يولييه ١٩٧٤ للتفاوض مع الجانب القبرصى اليونانى حاولوا فرض شروطهم وبما يتفق مع الواقع على الأرض. ولكن قرار مجلس الأمن عهد إلى دول الضمان الثلاثة (بريطانيا، اليونان، تركيا) أن تعيد الحكومة الدستورية إلى قبرص. وهكذا أصبح الأمر الآن فى يد الدول الثلاثة -بعد أن خرج من يد القبارصة- وهذه الدول لا يمكن إلا أن تتطلق من معطيات الواقع الجديد، الذى خلقه الغزو. وكان من الطبيعى أن تبدأ المفاوضات بالتفاهم حول هذا الكيان التركى الجديد، وإمكانية توحيده مع الجانب اليونانى فى دولة فيدرالية.

ومن ٢٥-٣٠ يولية إقتصرت المفاوضات على فرض الهدنة فى كافة أرجاء الجزيرة، وتم الإعلان عن جولة جديدة للتباحث حول الدستور الجديد بإشتراك الجانبين القبرصيين. وتقرر سحب الحرس الوطنى من المقاطعات التركية، ووضع خط فاصل بين المتحاربين. وبدأت الجولة الثانية فى ٨ أغسطس واستمرت حتى يوم ١٣ وفشلت لأن المطالب التركية كانت غير مقبولة، لأنها تقوم على نظام "الكاثنونات" التركية المستقلة، التى تحميها القوات التركية وتؤمن لها مداخل ومخارج آمنة. أى أن الأتراك يطالبون بوجود كيانين مستقلين، أحدهما تركى والآخر يونانى، وتجمعهما وحدة فيدرالية. وبلغ من تصلب الأتراك أن وزير الخارجية التركى جنش Gunesh رفض إعطاء فرصة للجانب اليونانى لمدة ٣٦ ساعة للتشاور مع الحكومة. وفى فجر يوم ١٣ أغسطس أعلن وزير الخارجية البريطانى كالاهاون توقف المفاوضات. وفى صباح اليوم التالى واصلت تركيا غزو قبرص بموجة جديدة من الهجوم والتوسع.

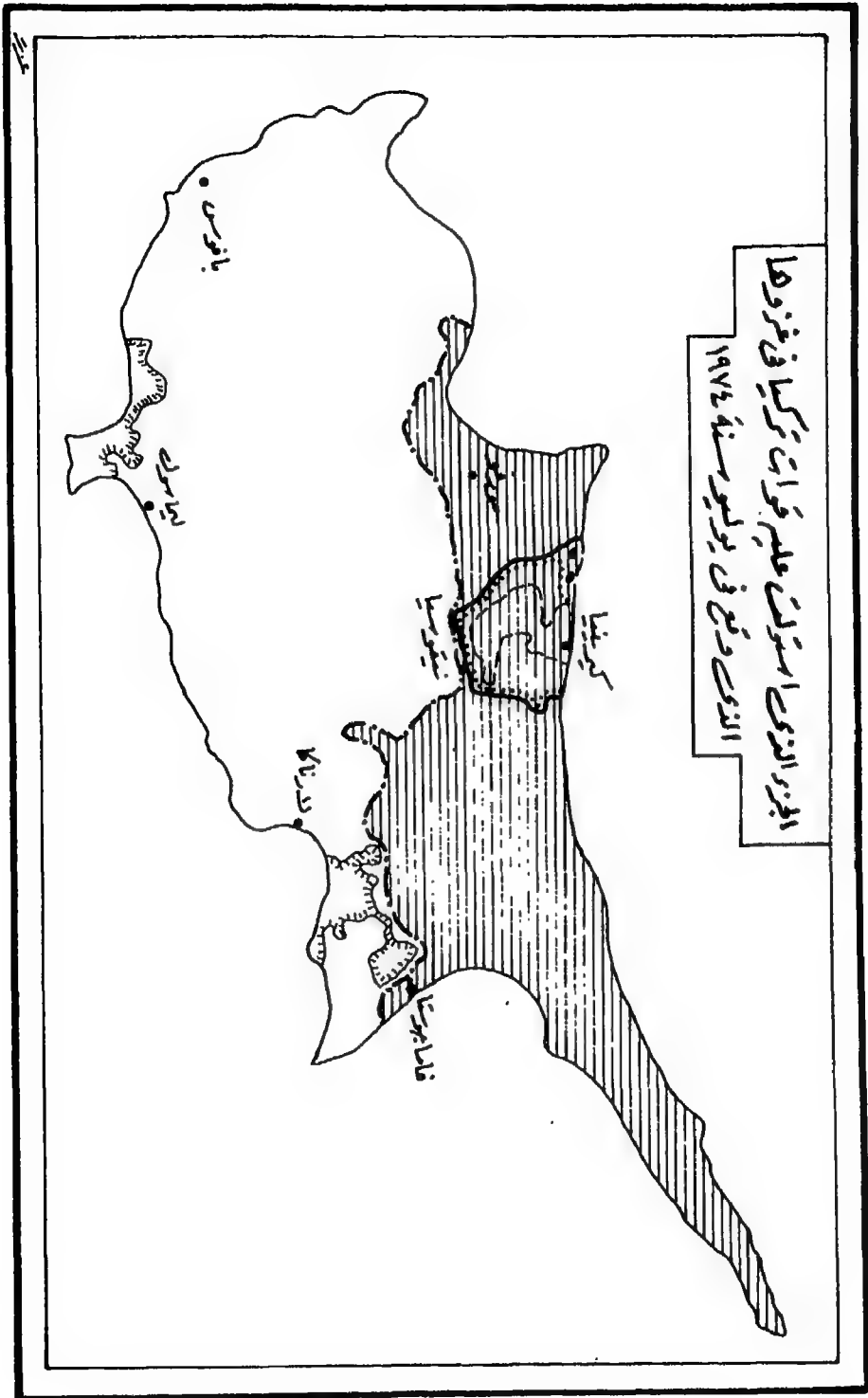
ولم تواجههم أية مقاومة وإنتهت العزوة بإحتلال ٣٧٪ من مساحة الجزيرة القبرصية، وتشمل كل منطقة كيرينيا وثلاث نيقوسيا بما فى ذلك مورفو وكيشريا وغيرها. واستولى الأتراك كذلك على أكثر من نصف مساحة فاماغوستا، بما فى ذلك شبه جزيرة كارباس ومعظم سهل ميساريا، أى حوالى ٧٠٪ من أخصب الأراضى القبرصية وأهمها من حيث الصناعة والسياحة أيضاً.

وبحزن بالغ قال كارامانليس إنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لأن قبرص "بعيدة عن اليونان". وهى مقولة ترددت منذ قرون، وتلخص مأساة قبرص فى علاقتها باليونان. وفى غضون حوالى شهر اضطرت حوالى مائتى ألف مواطن قبرصى يونانى أن يتركوا منازلهم وممتلكاتهم فى الجزء المحتل، بعد أن علنا المر من ألوان الإرهاب والتعذيب على يد الأتراك. واضطر فيما بين ثلاثين وأربعين ألف من القبارصة اليونان إلى الهجرة تاركين وطنهم إلى اليونان وبريطانيا واسرائيل وغيرها. ووقع الآلاف من القبارصة اليونان فى أسر القوات التركية الغازية، ولم تركهم إلا بعد أن استبدلت بهم الأتراك القبارصة المقيمين فى الجزء الجنوبى. فكان الهدف هو تكريس التقسيم. أما القتلى ضحايا الغزو التركى فهم بالآلاف، ولا يعرف عددهم بدقة لأن حوالى ١٦٢٠ لا يزالون من المفقودين الذين لا يعرف مصيرهم بعد.

= Savvas Loizides, The Cyprus Qvestion and the Law of the United Nations. Nicosia 1954.

A.N. Papadopoulos, Aspects Juridiques et politiques de l'action des Nations Unies

à Chypre Nicosia 1970



شكل رقم (٦٣): خريطة توضح الجزء الذي استولت عليه قوات تركيا في غزوها الذي وقع في يولية ١٩٧٤م

أما القبارصة اليونان الذين تشبثوا بالبقاء في بيوتهم ومزارعهم في الجانب المحتل، برغم الضغوط التركية الإرهابية عليهم، فإنهم في تناقص مستمر ومعظمهم يقيم في ريزوكارياسو، وأغياتريادا، وبالوسا. وبلغ من قسوة المعاملة التركية أن هؤلاء المواطنين لايتلقون أية خدمة مثل التعليم والعلاج، ويحرمون من أبسط حقوق الإنسان مثل أداء الشعائر الدينية، ناهيك عن الإعتداءات المتكررة عليهم. لقد إستولوا على ممتلكاتهم لتوزع على الجنود الأتراك الذي جلبوا من آسيا الصغرى بالآلاف، ومنحوا بطاقات الهوية التركية القبرصية. لقد جلبوا حوالي خمسين ألف تركي إلى قبرص لتغيير البنية الديموجرافية للجزيرة. وهم يقومون بإرتكاب الكثير من المخالفات والاعداءات التي يسعون بها إلى أن يغلبوا العنصر التركي على مقومات الحضارة القبرصية اليونانية في الجزء المحتل.

ولقد تكررت جولات المباحثات بين الجانبين القبرصين طوال عام ١٩٧٤-١٩٧٥^(١). وكان جيمى كارتر المرشح الديموقراطي الأمريكي قد وعد الناخبين الأمريكيين من أصل يوناني في حملته الإنتخابية بحل المشكلة القبرصية. وبعد نجاحه في الإنتخابات إستطاع مندوبه كلارك كليفورد أن يقنع مكاريوس بعقد إجتماع مع رؤوف دنكتاش في ٢٧ يناير ١٩٧٧م بحضور مندوب سكرتير عام الأمم المتحدة دى كويار، بهدف دراسة إمكانية إستئناف الحوار بين الجانبين القبرصيين. وتكرر هذا اللقاء في ١٢ فبراير وبحضور سكرتير عام الأمم المتحدة نفسه كورت فالدهايم، وتم الإتفاق على إستئناف المفاوضات بين الجانبين بعد شهر واحد في فيينا، على أن تقوم على المبادئ العامة المتفق عليها بين الطرفين وهي:

- ١- قبرص دولة واحدة مستقلة، أى فيدرالية غير منحازة.
 - ٢- تناقش مشكلة الأراضى التي في حوزة كل طرف، على أساس الإنتاجية والجوانب الاقتصادية وحقوق الملكية.
 - ٣- النظام الفيدرالى والتكوين الثنائى للمجتمع القبرصى أمور تخضع للمناقشة، لحل مشكلات الطرف التركى من حيث حرية الحركة والتنقل بالنسبة للأفراد والممتلكات.
 - ٤- سلطة الحكومة المركزية الفيدرالية ووظيفتها تستهدف حماية وحدة أراضى الدولة وسبابتها، مع مراعاة ثنائية التكوين.
- وتوالت اللقاءات في فيينا في الفترة من ٣١/٣-٧/٤/١٩٧٧م، ولم يفلح الطرفان في التقريب بين وجهات نظريهما، لأن الأتراك خالفوا المبادئ الأربعة سالفة الذكر ولم يعترفوا بحكومة فيدرالية مركزية في الجزيرة.

(١) G. Polyviou, Cyprus: Conflict and Negotiation 1960-1980. Duckworth, London 1980.

Idem, Cyprus in search of a constitution. Constitutional Negotiations and Proposals 1960-1975. Nicosia 1976.

عاد مكاربوس إلى قبرص بعد الغزو التركي يوم ١٩٧٤/١٢/٧ م رجلاً مسناً مغلوباً بالخون يكي المأ على إقطاع الجزء الأفضل من بلاده، وعلى ضياع جهوده وجهود كل الشرفاء في قبرص. وبذل أقصى جهد ممكن ليحفظ الأتراك القبارصة بمنازلهم وممتلكاتهم في الجزء الجنوبي اليوناني. وخابت مساعي الأسقف مكاربوس أمام إصرار معظم الأتراك القبارصة أو كلهم على الزواج إلى الجانب التركي بإلحاح من السلطات التركية. ولكن مكاربوس تمكن من إعادة بناء الإقتصاد القبرصي، الذي تدهور بسبب الغزو، ولعبت المساعدات الدولية دوراً كبيراً في ذلك. وهكذا استطاعت الدولة أن توفر مساكن جديدة ووظائف للاجئين اليونان القبارصة المهجرين من القطاع التركي وعددهم ٢٠٠ ألف. ولم يتوقف مكاربوس عن ممارسة كفاحه السياسي وجهوده الدبلوماسية، ففي ٣١ يولية ١٩٧٥ م حضر مؤتمر هلسنكي للأمن الأوروبي، وألقى خطبة فيه ووقع على وثيقته الختامية. ولكنه أيضاً لا زال مستهدفاً من قبل المتأمرين، فتلقي خطابات تهديد بالقتل. ورغم ذلك لم تهن عزيمته ففي أغسطس ١٩٧٦ م شارك مكاربوس في مؤتمر عدم الإنحياز بسيريلانكا، وألقى خطبة اتهم فيها تركيا بإرتكاب جرائم حرب في قبرص، وهي جرائم موثقة في تقرير اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان (٢٦٣ صفحة)، والذي قدم للمجلس الأوروبي في ١٠/٧/١٩٧٦ م. وفي يولية ١٩٧٧ م شارك مكاربوس في مؤتمر الكومنولث، وكانت هذه هي آخر رحلاته الخارجية. وفي ٢٠ يولية ١٩٧٧ م ألقى مكاربوس واحدة من أكثر خطبة إثارة للمشاعر، فقد طلب من شعبه عدم الاستسلام لليأس أو للعنف، إذ لابد من مواصلة الكفاح من أجل الحرية والتنازع الحقوق من غاصبها. وبعد ثلاثة عشر يوماً أي بتاريخ ٣/٨/١٩٧٧ م داهمته أزمة قلبية ودع مكاربوس دنيا قبل أن تظهر بارقة أمل في تحقيق طموحاته الوطنية التي نذر نفسه وحياته لها. وهذه النهاية تذكرنا بموت الزعيم جمال عبد الناصر الذي مات وجنود الاحتلال الإسرائيلي على الضفة الشرقية لقناة السويس وهو الذي وهب حياته لتحرير مصر من الاستعمار.

وفي جولة المباحثات بين الجانبين القبرصيين ٣١/٣-٤/٧/١٩٧٧ م كرر الجانب التركي ماسبق أن عرضه رؤوف دنكتاش في الجولة الخامسة في فيينا فبراير ١٩٧٦ م. وفي النهاية عندما قدموا مقترحاتهم، التي وعدوا بها منذ فترة طويلة جاءت هذه المقترحات (أبريل ١٩٧٨ م) حول قضايا الأرض والدستور، ولا تصلح أساساً سلباً للمفاوضات. لأنها تشترط مبدئياً التقسيم إلى كيانين منفصلين، مع الاعتراف الرسمي بالكيان التركي. وفي مقابل ذلك لا يقدمون أي تنازل في الأرض. وفي نوفمبر ١٩٧٨ م وضعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا "إطاراً عاماً"، تبدأ على أساسه المفاوضات بين الجانبين القبرصيين. ويحدد هذا الإطار الخطوط العريضة التالية:

• دولة فيدرالية ثنائية أي مكونة من إقليمين.

• يتمتع كل إقليم بمؤسسات حكومية منفصلة.

أبدت الحكومة القبرصية بعض التحفظات القوية على هذا الإطار، لأنه يتعارض مع قرارات الأمم المتحدة، ولا سيما ما يتعلق بعودة اللاجئين القبارصة اليونان إلى منازلهم في الجزء المحتل، وكذا انسحاب القوات الأجنبية من الجزيرة. يتحدث الإطار عن عودة بعض اللاجئين، وعن استمرار وجود قوات أجنبية على أرض الجزيرة حتى بعد التسوية النهائية. إن كل ما قدمه هذا الإطار هو إعادة ترتيب خطوط التقسيم التي لا

يمكن أن تظل دائماً كما هي عليه الآن. وبعبارة أخرى يثبت هذا الإطار فكرة ومبدأ "خطوط التقسيم"، وهذا ما يتناقض مع الإستقلال والسيادة اللذين يتمسك بهما شعب قبرص.

واصلت الأمم المتحدة جهودها لحل مشكلة قبرص المستعصية ولجحت في النهاية في مساعدتها لترتيب لقاء بين خليفة مكاريوس أى سبيروس كيبريانو ورؤوف دنكاش فى ١٩ مايو ١٩٧٩ م. وأسفر اجتماع الزعيمين القبرصيين عن الإتفاق على النقاط العشرة التالية:

- ١- إستئناف المفاوضات بين الجانبين فى ١٥ يولية ١٩٧٩ م.
- ٢- الأساس المبدئى لهذه المفاوضات هى الخطوط العريضة الإرشادية، التى توصل إليها مكاريوس ودنكاش فى ١٢ فبراير ١٩٧٧ م وقرارات الأمم المتحدة.
- ٣- إحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية لكل مواطنى قبرص.
- ٤- تناول المفاوضات كل المشكلات المتعلقة بالأرض والدستور.
- ٥- تعطى الأولوية للإتفاق حول فاروشا، وصولاً إلى إتفاق شامل تحت رعاية الأمم المتحدة.
- ٦- التعهد بعدم القيام بأى عمل يعطل المفاوضات، والعمل على بناء الثقة بين الطرفين، والعودة للحياة فى ظروف طبيعية.
- ٧- نزع سلاح قبرص فى المستقبل.
- ٨- ضمان الإستقلال والسيادة ووحدة أراضى قبرص وحيادها وعدم إنحادها كلياً أو جزئياً مع أية دولة أجنبية، وكذا عدم التقسيم أو الفصل.
- ٩- إستمرار التفاوض دون إبطاء أو إنقطاع.
- ١٠- تجرى المفاوضات فى نيقوسيا.

وبعد إستئناف المفاوضات (١٥/٦/١٩٧٩ م) نشبت الخلافات، حيث رفض الأتراك القبارصة المادة (٥) الخاصة بأولوية تسوية مشكلة فاروشا، وأصرروا على التباحث حول كل النقاط العشرة معاً، وطالبوا بتعديل المادة (٢) بأمور تنم عن وجود دولتين لكل منهما حدودها وسيادتها.

ثم فجر الجانب التركى القبرصى قضية أخرى عطلت المفاوضات، إذ رفعت الأوقاف قضية ضد الحكومة القبرصية التركية، أو بالتحديد "دولة قبرص التركية الفيدرالية" (T.F.S.C)، وهو الاسم الذى أطلقوه على الكيان التركى من الجزيرة القبرصية بعد الغزو. المهم أن الأوقاف تطالب بحماية ممتلكاتها فى فاروشا، وأن تكون محمية لا تدخل فى المفاوضات بين الطرفين، حتى تنتهى المحكمة من الفصل فى القضية. وقالت الأوقاف عن فاروشا -منطقة حول محكمة فاماجومستا- إنها كانت فى العصر العثمانى ملكاً لثلاثة

باشوات، ثم ورثتها عنهم الأوقاف. كان قائد الغزو العثماني لالا مصطفى قد وهب الباشوات الثلاثة "عبد الله" قطعة أرض في ١٥٧٠/١/٢٤م في فاروشا الواقعة بين حى ستافروس وإنكومى فى فاما جوستا. وكان هؤلاء الباشوات الثلاثة أصلاً من البنادقة، أى الطبقة الحاكمة فى قبرص قبل الغزو العثماني. وعندما إستسلموا للعثمانيين الفاتحين وأسلموا أعطيت لهم هذه الأرض هبة ومكافأة فحملوا الأسماء التالية: محمود عبد الله، يوسف عبد الله، ومصطفى عبد الله ومن هنا سميت أراضيهم باليونانية (Aptoullas)^(١).

^(١) عن تطورات أزمة قبرص فى السبعينيات وبالإضافة إلى المراجع سالفة الذكر راجع:

[Greek] Clerides (Nicosia 1988-1991) Vol. 2 pp. 87 ff. et passim.

Ibidem, Vol. 3 passim.

Ibidem, Vol. 4 passim.

هذا ويورد المؤلف فى الجزء الرابع تفاصيل المفاوضات بين الجانبين القبرصيين حتى وفاة مكاريوس عام ١٩٧٧. وجدير بالذكر أن هذا الكتاب المهم بأجزاله الأربعة يبلغ ٢٠٥٣ صفحة وتتل شهادة أحد صانعى الأحداث فى قبرص فى النصف الثانى من القرن العشرين.

[Greek] Ploutis (Athens 1991).

K. Markides. The Rise and Fall of the Cyprus Republic. New Haven- London. Yale University Press 1977.

C.G. Tornaritis, Cyprus and its Constitutional and other Legal Problems. Nicosia 1980.

P.N. Vanezis, Cyprus. The Unfinished Agony. London, Abelard Schuman 1977.

٥ - قبرص في العقود الأخيرة من القرن العشرين

توقفت المفاوضات بعد أربعة جلسات فقط في نوفمبر ١٩٧٩م وأصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قراراً يطالب باستئناف فوري للمفاوضات على أساس "النقاط العشرة". رفض الجانب التركي القبرصي هذا القرار وهدد بإعلان "دولة مستقلة". وفي ٦ يـونـيـة ١٩٨٠م قرر الطرفان بدء المفاوضات. ولإرضاء الجانب التركي القبرصي قرر تقرير سكرتير عام الأمم المتحدة فكرة إزدواجية المناطق وتأمينها. وإنسحب رؤوف دنكتاش من الجلسة الأولى في ٧ يـونـيـة. وبجهود مضاعفة من الأمم المتحدة وفي ٩ أغسطس ١٩٨٠م إنعقدت جولة أخرى للمفاوضات في نيقوسيا على أساس إتفاق فبراير ١٩٧٧م ومايو ١٩٧٩م. كان الهدف المعلن من المفاوضات هو العمل على تأسيس "جمهورية فيدرالية ذات منطقتين أو إقليميين"، على أن تسوى مشكلة فاروشا برعاية الأمم المتحدة. ولأول مرة توافر حسن النية من الطرفين، وقبل الجانب اليوناني فكرة "جمهورية فيدرالية ذات إقليميين" ولكن بدون حدود رسمية، وأن يكون للحكومة المركزية من السلطة ما يؤكده وحدة الدولة. بيد أن الجانب التركي أصر على وجود حدود رسمية فاصلة وعلى دولة كونيـفـيـدـرـالـيـة. وعرض على الجانب اليوناني التنازل عن جزء صغير من فاروشا، على أن تظل تحت إدارتهم. ورفضوا كل الإجراءات التي تقدمت بها الحكومة القبرصية بهدف بناء الثقة بين الطرفين.

وفي ٥ أغسطس ١٩٨١م قدم الأتراك القبارصة مقترحاتهم الجديدة وتتلخص في إرجاع ٦,٢٪ من الأراضي المحتلة، والسماح لـ ٣١ ألف فقط من اللاجئين اليونان القبارصة إلى منازلهم في القطاع التركي. وحاول كورت فالدهايم التريب بين وجهتي النظر وفشل في مساعاه، لأن الجانب التركي ينطلق من رؤية دولة مستقلة ومنفصلة. وازداد الأمر سوءاً عندما هددت تركيا بغزو الجزء المتبقى من قبرص ١٩٨٢-١٩٨٣م بحجة أن "منظمات التحرير الأرمينية" هربت من بيروت (أمام الغزو الإسرائيلي آنذاك للبنان) إلى قبرص. ولم يعد أمام القبارصة اليونان سوى العودة من جديد للمجتمع الدولي.

وفي ١٣ مايو ١٩٨٣م وبأغلبية ساحقة صدر أقوى قرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة في صالح قبرص (٣٧/٢٥٣). وقام على أساس من صيغة إقترحتها كتلة دول عدم الإنحياز. طالب القرار بإنسحاب كافة قوات الغزو فوراً، والقبول المتبادل للحل العادل القائم على الإستقلال ووحدة الأراضي والسيادة، ورداً على هذا الموقف العادل من المجتمع الدولي إزاء قضية قبرص اتخذ الجانب التركي خطوتين خطيرتين، الأولى هي إصدار "ليرة تركية"، والثانية تأسيس "بنك مركزي". وفي ١٧ يـونـيـة ١٩٨٣م أقدم المجلس التشريعي في الكيان التركي القبرصي على التصويت بإجراء إستفتاء شعبي لإعلان الإستقلال من طرف واحد، على أساس أن الشعب التركي القبرصي له الحق في تقرير مصيره وإدارة شؤنه. وفي ٨ أغسطس ١٩٨٣م بدأت المساعي في الأمم المتحدة لتفادي هذا التدهور، وأطلقت الهيئة الدولية نداءً للطرفين بهدف تضييق الهوة بينهما وإستئناف المفاوضات. رد كيريانو على هذا النداء الدولي بالإيجاب، ورفض دنكتاش هذه المبادرة جملة وتفصيلاً.

وفي ١٥ نوفمبر ١٩٨٣م وفي أثناء التحضير للقاء كيريانو مع سكرتير عام الأمم المتحدة دي كويار أعلن المجلس التشريعي في الكيان التركي "الجمهورية التركية في شمال قبرص" (TRNC) دولة مستقلة، وحتى الآن لم تعترف بها إلا دولة واحدة في العالم هي بالطبع تركيا. فتركيا هي التي سمحت بتغيير الأوضاع في قبرص وتثبيت التقسيم وإعلان دولة مستقلة، مما يتناقض مع قرارات الأمم المتحدة والاتفاقيات الدولية بما فيها إتفاقية الضمان المعقودة بين بريطانيا واليونان وتركيا. ولقد رفض البرلمان الأوروبي إستقبال وفد من الكيان التركي المستقل حتى الآن. وفي ١٨ نوفمبر ١٩٨٣م إتخذ مجلس الأمن قراراً (رقم ٥٤١)، بناءً على صيغة مقترحة من بريطانيا، يدين هذه الدولة التركية المعلنه في قبرص ويعتبرها كياناً غير شرعي، ويدعو إلى عدم الإعتراف بأية دولة مستقلة في قبرص، فيما عدا الجمهورية القبرصية في نيقوسيا.

وفي مؤتمر قمة الكومونولث بنيودهي في ٢٩ نوفمبر ١٩٨٣م صدر قرار يعتبر هذه الدولة التركية في قبرص "تحدياً للمجتمع الدولي". وتشكلت مجموعة عمل من خمسة دول لمساعدة الأمم المتحدة في حل المشكلة القبرصية.

وبتوجيهات من مجلس الأمن حاول دي كويار أن يجمع بين الطرفين القبرصيين في سبتمبر ١٩٨٤م في نيويورك. وتمت الجولة الأولى ١-١٤ سبتمبر ١٩٨٤م ولم تسفر عن شيء ذي قيمة لأن الجانب التركي أصصر على قيام دولتين على قدم المساواة وتحت مظلة حكومة مركزية ضعيفة. وفي الجولة الثانية ١٥-٢٤ أكتوبر ١٩٨٤م والثالثة ٢٦ نوفمبر ١٩٨٤-١٥ ديسمبر ١٩٨٤م تكررت نفس المواقف التركية المعروفة. ولكن الضغوط الدولية - لاسيما من أوروبا وأمريكا ودول عدم الإنحياز - ساعدت على الوصول إلى "مسودة إتفاق شامل"، أو صفقة شاملة تنص على دولة فيدرالية رئاسية ذات إقليميين وبحكومة مركزية من سبعة وزراء يونان وثلاثة أتراك وإثنين آخرين (من اليونان وتركيا في الغالب). وخفض نسبة القطاع التركي من ٣٨٪ إلى ٢٩٪ أو أقل من ذلك، وتعود هذه الأراضي إلى القطاع اليوناني. يتم تشكيل برلمانين وينزع سلاح الجزيرة تدريجياً. تم التفاهم على توقيع هذا الإتفاق في نيويورك يوم ١٧ يناير ١٩٨٥م، وأن يكون أساساً لدستور جديد. وتم عقد إجتماع قمة بين الطرفين في نيويورك ١٧-٢٠ يناير ١٩٨٥م ولم يسفر عن أية نتيجة^(١).

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن معظم المحللين السياسيين يرون في مشكلة قبرص تجسيداً للتآمر الإستعماري على العالم الثالث. يقول المحلل السياسي والكااتب الصحفي محمد عيسى الشرقاوي:

"وفي ضوء هذا قد يمكن تفسير أحد الدوافع القوية وراء الإنقلاب الذي دبرته حكومة الجنرالات في اليونان للإطاحة بالرئيس مكاريوس في ١٩٧٤م، مما أدى إلى الغزو التركي للجزيرة دون أن تتحرك واشنطن أو أثينا لمنعها، وكأنه كان أمراً متفقاً عليه.

وعند هذا الحد يتضح بجلاء أن المشكلة القبرصية ليست مشكلة طائفية بالدرجة الأولى وإنما هي نموذج للتآمر الأجنبي ضد إستقلال دولة، وأن سلاح التآمر كان تأليب طائفتي البلد الواحد في إطار تطبيق الشعار الإستعماري المعروف "فرق تسد".

ولذا فإن الذين يلوحون بتقسيم الجزيرة ينفذون مخططا إستعماريا . وليس بخاف أن لعبة الإستعمار الجديد الآن هي محاولة تقسيم دول العالم الثالث بقصد شردمتها. هل يكفي أن نشير إلى مايجرى في تشاد ولبنان للتدليل على ذلك؟ وأخيراً.. إن السبيل لحل المشكلة القبرصية يكمن في ضرورة إصرار المجتمع الدولي على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن قبرص، وأن يتم إنسحاب قوات الغزو التركية من الجزيرة، وأن توفر الضمانات اللازمة لضمان حقوق الأقلية القبرصية التركية في إطار دستوري، حتى يقطع الطريق على المؤامرة الأجنبية لتقسيم قبرص".

يقول الكسندر كريلوف في مقال بعنوان "قبرص البلد المقسم إلى شطرين" والمنشور عام ١٩٩٠:

وقمزت الثمانينات بازدياد مطرد في عدد النازحين الأتراك . وفي عام ١٩٧٤م كان عدد القبارصة الأتراك حوالي ١٢٠ ألف شخص (عدد القبارصة اليونانيين ٥٠٠ ألف)، وفي منتصف الثمانينات نزح من تركيا إلى شمال قبرص حوالي ٥٠ ألف كما تقول مصادر أوروبية، وحوالي ٦٥ ألفا كما تقول مصادر الحكومة القبرصية . واسفر ذلك عن تبدل كبير في الموقف السكاني في الجزيرة لصالح الطائفة التركية وغدا سببا للذوبان السريع لعناصر الاصلية الثقافية لدى القبارصة الأتراك بالمقارنة مع سكان تركيا . ان الإقامة الطويلة الامد التي أدت إلى رسوخ جذور النازحين الأتراك في شمال قبرص بالاضافة إلى التكامل الاقتصادي والسياسي بين جمهورية شمال قبرص وتركيا قد جعلت انقسام الجزيرة امرا لا مفر منه في المستقبل المنظور .

ان جمهورية شمال قبرص لا تتمتع في الواقع بأي استقلال سياسي أو اقتصادي، مع أنها تمتلك كل مستلزمات الدولة - حكومة ومجلسا تشريعيا وجيشا ودستورا وهلمجرا . واعتباراً من عام ١٩٧٤ جرى باطراد تكامل سياسي واقتصادي وثقافي بين القسم الشمالي من الجزيرة وتركيا تحت شعار الاتحاد الفيدرالي ثم الانفصال . وأن استقلال جمهورية شمال قبرص الذي طلبوا له وزمروا مجرد اسطورة . فإن أى قرار تتخذه حكومتها يتطلب استحسانا مسبقاً من جانب تركيا .

الخاتمة كلمة عن آفاق المستقبل

تركيا دولة إسلامية شقيقة، وهي دولة كبرى في المنطقة وهي وريثة الامبراطورية العثمانية التي سيطرت على معظم الدول الإسلامية في آسيا وأفريقيا. وهي التي فرطت في هذه الدول لصالح الإستعمار الأوروبي في القرنين الماضيين. بعض الأسر الحاكمة في هذه الدولة كان من أصول تركية. وكثير من العائلات المصرية والعربية تعتد بجذورها التركية حتى الآن.

ولقد شعرت بهذه القرابة عندما زرت تركيا عام ١٩٧٣م وخلال شهر أبريل بالتحديد. دخلت تركيا من اليونان محل إقامتي آنذاك. وقضيت أجازة خيالية، متنقلاً بين استانبول وتشاناكلي. في استانبول زرت متحف طوب كابي وسوق الذهب ومسجد أو كنيسة آيا صوفيا، والمسجد الأزرق والذي تقف بالقرب منه مسلة مصرية حقيقية. وفي كل مكان سرت فيه وجدت عناصر مشتركة بيني وبين هؤلاء الناس، الذين يوطنون بلغة لا أعرفها ولا أفهمها. وأذكر القراء الأعزاء أن استانبول هي آخر صورة لإسم هذه المدينة القديمة، التي كان اسمها من قبل القسطنطينية أو باليونانية قسطنطينوبوليس Constantinopolis أى "مدينة قسطنطين". إنه الاسم الذي حملته هذه المدينة بعد أن أصبحت عاصمة الامبراطورية البيزنطية المسيحية. أما اسمها الأقدم فهو "بزنطة". ووقعت في أيدي سليم الفاتح سنة ١٤٥٣م تقريباً، وصارت دولة إسلامية منذ ذلك التاريخ. وأقول كل ذلك في عجلة نجرد أن أنه القراء الأعزاء بطبيعة هذه المدينة الساحرة استانبول.

أما تشاناكلي فقد ذهبت إليها بهدف زيارة قرية حصار ليك القرية، والتي هو طروادة القديمة طروادة التي تحدث عنها هوميروس في "الإلياذة". لقد كانت سعادتي بلا حدود وأنا أقف بين أطلال طروادة القديمة موطن الملك برياموس وابنه هيكتور المدافع عنها وابنه الآخر باريس عشيق هيليني اليونانية، سبب كل هذه المصائب الطروادية. لقد بلغت نشوتي إلى حد أن تخيلت هيليني هذه بجوارى تحادثني وأحاديثها باليونانية وبالفرنسية وبكل لغات العالم. ولكنني في تشاناكلي تحدثت مع أحد أصحاب الغلات السياحية بالعربية لقد قلت له "السلام عليكم"، فهب واقفاً وكاد يمنحني كل شيء عنده بدون مقابل!

تلك هي تركيا الشعب والأرض، أما السياسة التركية فأمرها عجيب للغاية، بل وغير مفهومة تماماً. لقد نشأت وترعرعت وخرجت من المدرسة والجامعة بفكرة مازالت راسخة عندي، وهي أن تركيا هي سبب تخلفنا عن ركب النهضة الأوروبية الحديثة. لقد تعلمنا في كتب التاريخ أن تركيا فرضت على المنطقة ستاراً كثيفاً من الإظلام منذ أواسط القرن الخامس عشر، وهو التاريخ الذي بدأت عنده شرارة النهضة الأوروبية في إيطاليا وفرنسا وسائر النصف الغربي من القارة الأوروبية. وظل هذا الستار مقروصاً علينا حتى بدايات القرن العشرين مع بعض الاستثناءات. ووصلت تركيا إلى مرحلة الرجل المريض الذي تنتزع منه هذه الدرة أو تلك إستباقاً لموته المتوقع. وكانت دولنا العربية هي تلك الدرر التي وقعت في أيدي إنجلترا وفرنسا وغيرهما. وبعض ما نعانيه الآن هو حصاد تلك الليلة التركية الطويلة الممتدة لأربعة قرون.

هذه الفكرة منطبعة في ذهني، ولعبت الأفلام والمسرحيات المصرية دوراً في ذلك. فصورة الأغا الزكي الأمي وجلفدان وطبوزادة والباشا والأسرة الملكية الحاكمة... إلخ. كل ذلك تراه على الشاشة الفضية

حتى يومنا هذا. ومن خلال مطالعاتي التاريخية المتواضعة لاحظت أن تركيا فعلاً متذبذبة بين آسيا وأوروبا، وهى متارجحة بين العالم العربى وأعدائه، وبين كونها دولة إسلامية وكياناً علمانياً. ومنذ مصطفى كمال أتاتورك وتركيا تتقرب إلى أوروبا بكل الوسائل، حتى إنها استبدلت بالحروف العربية الحروف اللاتينية، ولكن هذا كله لم يجعل من تركيا دولة أوروبية. لقد رقصت تركيا على السلم الأوروبى طويلاً، ودق لها الغرب الدفوف، ولكنهم لم يسمحوا لها قط بدخول صالة الزفاف فى العرس الأوروبى.

وفى الدراسات التاريخية بالعالم العربى تجد من يؤكدون هذه الفكرة المنطبعة فى ذهنى منذ الصغر، وتجد أيضاً من يدافعون عن الدولة العثمانية المفقرة عليها.

وبعد سقوط الإتحاد السوفيتى لم يعد لتركيا أهمية تذكر فى جدول الأعمال الأوروبى، وفهمت تركيا ذلك فتحولت ناحية الشرق الأوسط تبحث لها عن دور، وبدأت الضغوط على العراق وسوريا بشأن مياه الفرات. وبدأ التلويح لإسرائيل بإمدادات المياه الوفيرة. وإذا كان الموقف المصرى مشرفاً فى حرب الخليج الثانية، من حيث الوقوف ضد العدوان العراقى على الكويت. فإن الموقف التركى لم يكن مشرفاً على الإطلاق، وأنا شخصياً كنت أتشاء من جولات أوزال الرئيس التركى آنذاك فى المنطقة. كان يبحث عن إقشاص الفرص ليس إلا. ولا أرى أصدق من العبارة التى قالها العقيد القذافى عن تركيا، إذ قال: إن تركيا امرأة مطلقة تبحث عن زواج جديد فى الشرق الأوسط. وكان يقصد أن أوروبا هى التى طلقت تركيا.

وتركيا هى التى شجعت الأكراد فى شمال العراق على التمرد ضد الحكومة المركزية فى بغداد، قبل صدام وبعد صدام. وأذكر فى حديث لى مع أحد الساسة الأجانب فى الثمانينيات، فقلت له: ستدفع تركيا الثمن غالباً لهذه السياسة الرعناء، لأن أكراد تركيا سيفيدون من ذلك. ولم تمضى بضع سنوات حتى حدث ما توقعته. ولكن تركيا تنجرف من خطأ إلى آخر، فهى تحاول حل مشكلتها الكردية على حساب وحدة الزاب العراقى، وبلغت السفاهة بهم إلى حد المطالبة بالوصل.

وسيسعد الغرب بهذا التخطيط التركى^(١)، لأن هذه الحفرة الكردية فى شمال العراق ستشغل تركيا عن البلقان ولاسيما البوسنة. أو على الأقل ستكون هناك فرصة للمساومة المربحة بالنسبة للطرف الآخر. ولكن العرب الذين وقفوا ضد صدام حسين فى غزوه الأبله للكويت مطالبون بالوقوف ضد تركيا فى غزوها الإستفزازى لشمال العراق.

ومن منطلق علاقاتنا الأخوية مع الأتراك وتقديراً للروابط التاريخية بيننا، وبغض النظر عن الشوائب العالقة. نقول لتركيا المرأة المطلقة إبقى لك عن عريس آخر غير شمال العراق.

(١) بدأت فى الفترة الأخيرة تظهر بعض الكتابات الصحفية فى مصر تحلل هذا التخطيط التركى بين الدين والعلمانية من جهة وبين الشرق والغرب من جهة أخرى. على سبيل المثال راجع مقال محمد سلماوى - العلمانية - بعنوان "المتطرفون وقردة أتاتورك" جريدة الأهرام. عدد ١٩٩٧/٢/٢٤، ص ١٩. وقارن فهمى هويدى - الإسلامى - جريدة الأهرام، عدد ١٩٩٧/٣/١١، ص ٣.

وعلى الناحية الأخرى لنا مع الشعب اليوناني علاقات مودة وحب وتقدير منذ آلاف السنين . إلى مصر منذ القديم حج الأدباء والفلاسفة والشعراء اليونانيون، وعادوا إلى وطنهم ليتغنوا بحضارة مصر وعراقتها، فصارت كتاباتهم وأشعارهم من المصادر الأولية لأى باحث فى المصريات . فنحن لانستطيع دراسة مصر تاريخيا وحضارة بدون كتابات هو ميروس وهيرودوت وأيسخولوس وبيروبيديس وأفلاطون وبلوتارخوس وسترابون.. الخ . ثم صارت الإسكندرية رمزا للزواج المقدس بين مصر واليونان، وهو زواج حضارى يقوم على أسس السلام. والسلام بالمفهوم المصرى-اليونانى الأصيل هو سلام الإخاء بين الشعوب، سلام الإحترام المتبادل على أساس المودة والحب وتبادل المنافع. ولذلك نجد المعابد اليونانية وأوراق البردى اليونانية فى كل مكان بمصر ، وفى المقابل نجد معابد إيزيس وأوزوريس وسرايس منتشرة فى اليونان، وتستطيع أن تشاهد التماثيل المصرية القديمة فى كل المتاحف اليونانية.

وفى القرن العشرين تغنى بجمال مصر وحضارتها وطية شعبها كل الأدباء والشعراء، وفى مقدمتهم كازانتزاكيس- الذى كان يفخر بدماء عربية فى عروقه -وكافافيس ابن الإسكندرية البار. فى أثناء زيارته للقاهرة يرسل كازانتزاكيس منها رسالة بتاريخ أول فبراير ١٩٢٧م يقول فيها "روحى تمتلى بالشرق من جديد.. هذه المدينة أعجوبة". وفى رسالة أخرى كتبها فى اليوم التالى يقول: "كنوز المتحف لا يمكن وصفها. قبر توت عنخ أمون كله من ذهب.. إن كل تلك الزخارف والجواهر، والأوانى والأدوات الذهبية، وذلك الألقى الغريب والمربك، تبعث شعوراً بالهول".

وفى رسالة من الأقصر مؤرخة بيوم ٧ فبراير ١٩٢٧م يقول كازانتزاكيس: "النيل ينساب هادئا فى روى ويخصب مايدركه. وكل ما لايسقيه يظل عقيما غير مخصب إلى الأبد، كذلك هو الفكر".

واسمع لكافافيس شاعر الإسكندرية يخاطب أوديسيوس يطل ملحمة هوميروس الخالدة "الأوديسيا" فيقول فى قصيدته الرائعة "إيثاكي" وهى موطن البطل الذى يسعى للعودة إليه بعد غياب دام عشرين عاما:

"تريث.. ولا تتعجل طريق العودة
وتوقف عند تجار فينيقيا
خذ منهم أثمن البضائع
عسروق اللؤلؤ والمرجان
وألواح الأبنوس والكهرمان
وعطور اللذة صنوف وصنوف
ومن عطور اللذة هذه اغترف!
أقصى ماتستطيع لاتزدد.. اغترف!
ثم إقترب من مدن مصرية كثيرة
وهناك أطلب العلم.. أطلبه من أرباب العلم،

وشجب الجانبان المصري واليوناني التحالفات الاقليمية المشبوهة. ومن ثم فإن المواطن العادى فى مصر واليونان وغيرهما ربط على الفور بين أمور ثلاثة وقعت متعاقبة عام ١٩٩٦م وهى: التحالف الإسرائيلى التركى العسكرى، العدوان الإسرائيلى الفاشم على لبنان أى "عنايد الغضب" والحادث الإرهابى ضد السائحىن اليونان . وأقام المواطن العادى علاقة مسببة -تقوم على أساس قانون الضرورة والرجحان- بين الأحداث الثلاثة. فكل منها قد أدى إلى الآخر، على نحو مباشر أو غير مباشر. أو أن كلا منها قد أسهم فى تهيئة المناخ للآخر.

ولقد سبق لنا أن عبرنا عن رأينا المتفق مع عبارة للعقيد القذافى تقول بأن تركيا تبدو فى العقدين الأخيرين وكأنها إمراة مطلقة تبحث عن الزواج بأى ثمن . طلقها الإتحاد الأوروبى بعد سقوط الإتحاد السوفيتى وإنهاء الحرب الباردة. بحثت عن "العريس" أثناء حرب الخليج الثانية، فوجدته فى شمال العراق وشجعت الأكراد على الانفصال ولكنها دفعت الثمن غالبا لأكراد حزب العمال التركى، وكانت فضيحتها بجلاجل.

ونحن لانتعجب عندما تضرب إسرائيل العراق ولبنان وفلسطين وغيرها. فتلك هى الطبيعة الأصلية لإسرائيل وتعودنا عليها. الذى فاجأنا هو أنها دخلت لعبة السلام، ولكنها كما اتضح فيما بعد كانت تلعب دور الممثل الهازل، ويبدو أنها ضاقت باهزل وعادت للأصل، للعدوان. أما تركيا العضو فى منظمة الدول الإسلامية وجارة العالم العربى فإنها -على غير المنتظر- دأبت فى العقود الأخيرة على تعزيز صفو العلاقات مع العرب. فهى تضغط على العراق وسوريا بمسألة المياه العذبة فى الفرات. وأقامت السدود للتحكم فى إمدادات هذه المياه وقطعها فى الوقت المناسب . وهى تريد أن تزرع صحراء النقب الاسرائيلية بمياه تركية حتى لايقف المفاعل النووى الإسرائيلى فى الصحراء الجرداء بمفرده.

أما الإتفاق العسكرى الأخير بين تركيا وإسرائيل فهو يفتح الأجواء التركية للطائرات الإسرائيلية، ولقد إختار الطرفان أسوأ وقت لتوقيع مثل هذا الإتفاق . فمسار السلام السورى اللبناى مع إسرائيل متعثر إلى أقصى حد، وهذا التعاون العسكرى بين تركيا واسرائيل يمثل عنصر ضغط على سوريا فى المفاوضات. فهذا التحالف يمثل سوطا مسلطا على ظهر سوريا (والعراق ولبنان). ومن حقنا أن نسأل عن المقابل الذى إقتضته تركيا من إسرائيل . وهنا يبرز التحليل السياسى القائل بأن اسرائيل ضربت قواعد حزب العمل الكردى التركى فى لبنان والطائرات الإسرائيلية المغيرة تستطيع أن تقوم بالتجسس والتصوير وإرسال المعلومات إلى تركيا. المهم أن الأخيرة قد فتحت مجال التعاون العسكرى مع إسرائيل الخصم اللدود فى الحرب والسلام للعالم العربى بأسره.

تركيا بذلك تريد أن تضع نفسها فى معسكر أمريكا وحلف الأطلنطى، ولكنها مهما فعلت لن تكسب بهذا الطرف الذى طلقها طليقة بئسة، ولاسيما بعد أن غزت تركيا قبرص فى يوليو ١٩٧٤م.

والعالم العربى كله مطالب بإتخاذ موقف حازم مع تركيا، التى أفسدت طريق السلام وعكرت المياه من حولنا، ولاتتوانى عن تهديد أشقائنا فى العراق وسوريا ولبنان . إن مجرد كلمات الإحتجاج لا تكفى وينبغى أن

نعامل تركيا بالمثل ومصالحها في العالم العربي لا تعد ولا تحصى، هذا مع أننا نقدر مشاعر الشعب التركي الشقيق، والذي تظاهر أمام القنصلية الإسرائيلية احتجاجاً على الوحشية التي هوجم بها الشعب اللبناني المسلم في غارات "عناقيد الغضب".

لقد كتبت منذ حوالي عامين مطالبين بتصحيح المسار في علاقتنا الثقافية مع اليونان، ولم تكن نتوقع هذا الصدى الواسع والعميق لما كتبنا. مثلاً على مستوى الحكومة اليونانية وشعبها الصديق، فقد كان رد فعله غاية في التحضر وقمة في الإحساس بالمسؤولية. لقد طالبنا في مقالنا بتوسيع دائرة العلاقات الثقافية مع اليونان والتركيز على الجامعات المصرية التي أنشأت قسماً للدراسات اليونانية بها. وفي الواقع نشرنا كلامنا هذا من قبل في الصحافة اليونانية ووسائل الإعلام المختلفة هناك، وطالبنا في أكثر من مؤتمر باليونان أمام أساتذة الجامعة هناك، وكذا أمام المسؤولين من وزارة الخارجية والتعليم والثقافة. طالبنا بمطربين رئيسيين الأول هو زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب العلم المصريين في هذا التخصص، وقلت لهم هناك بالحرف الواحد "يوجد الآن باليونان ممنوح مصري واحد وعلى أيامى كنا حوالي عشرة".

أما المطلب الثاني: فهو الإهتمام بالدراسات المصرية والعربية في الجامعات اليونانية. وكان الرد اليوناني ذروة في الوعي التاريخي وفي النبل كذلك. وكفى فقط أن نعلن هنا أن عدد المنح الدراسية المقدمة سنوياً من اليونان للمصريين قد بلغ في الأعوام الأخيرة ما يربو على الخمس والعشرين.

أما بالنسبة للدراسات المصرية والعربية باليونان ففي حدود ما أعلم لم يحدث تقدم يذكر. ولكن جانباً كبيراً من المسؤولية في هذا المجال نتحمله نحن، أي الجانب المصرى والعربى. علينا أن نلتقط الحيط، ومن حقنا أن نشترط تعلم اللغة العربية على أى ممنوح أجنبى، لكن علينا أن نفتتح الأبواب وبالدات أمام اليونان والقبارة.

بالنسبة لليونان لسنا بحاجة لبناء جسور الصداقة والبود، فهي موجودة منذ القدم ومستمرة إلى يومنا هذا... المطلوب فقط أن نستغل هذه الجسور ونبنى عليها، لا أن نتركها تتآكل. والخطوة الأولى في هذا السيل هي ترسيخ الوعي التاريخي لدى الطرفين بعمق العلاقات بينهما. ذلك أن ذاكرة الإنسان - أى إنسان - ضعيفة وترهقها فيضانات المعلومات والتداخلات. لكن التاريخ وحده لا يصنع علاقات سياسية بين الدول، إن لم يدعمه الاقتصاد ومبدأ تبادل المنافع الملموسة على أساس "هات وخذ".

والناظر لخريطة أوروبا سيلاحظ ثلاثة امتدادات برية أى شبه جزر ممتدة من الشمال إلى الجنوب، وتكاد تلامس الأرض العربية. وهى بالترتيب من الشرق اليونان وإيطاليا وأسبانيا. هذه التواءات البرية الممتدة إلينا تمثل في الواقع جسوراً حضارية وتجارية بيننا وبين أوروبا. وشعوب هذه الأراضي تحس بالإقتراب منا وتتعاطف معنا، ولكن ليس بنفس الدرجة. ويؤسفنى القول بأن اليونان هى أقل البلدان المذكورة إتصافاً بنا مع أنها الأقرب إلينا جغرافياً، فلماذا؟

هناك أسباب واضحة ومفهومة، منها أن الإستعمار التركي الغاشم لليونان طيلة أربعة قرون نجح في تشويه الإسلام وخلطه - هكذا مشوهاً - بالعروبة. ورسخت هذه الصورة المشوهة في العقلية اليونانية،

وتركت بصمات من العسير محوها، ومن نتائج هذا الوضع إتجهت اليونان دوما ناحية الغرب المنقذ. وهى على هذه الحال إلى يومنا هذا. لكن علمنا أن الأمور بدأت تتغير وتحرك نحو الأفضل لكن ببطء شديد، لا يتناسب مع إيقاع العصر والمتغيرات العالمية.

وإذا كانت أوروبا والغرب يتجهون شرقا الآن بحثا عن الأسواق والمصالح الاقتصادية. وبعض هذه الدول ليس لها ما لليونان من رصيد فى العلاقات التاريخية والحضارية مع مصر والشعوب العربية، فهل من المعقول أن تتأخر اليونان عن هذا الركب؟

اليونانيون هم أول شعب أوروبى يتجه شرقا فى عصور ما قبل التاريخ. هم الذين جاءوا إلى مصر، ونهلوا من نيلها ومعارفها. وتشهد بذلك بقايا أقدم حضارة يونانية وهى الحضارة المينية فى كريت، التى ازدهرت فى الألف الثانية قبل الميلاد. ثم أقام اليونان فى القرن السادس ق.م مستوطنة لهم فى مصر أسموها. نوقراطيس وهى بالقرب من إيتاى البارود وتسمى الآن كوم جعيفة. ثم توالى وفود الدارسين الذين تعلموا فى مصر، ثم أصبحوا عند عودتهم إلى اليونان أدباء وشعراء وفلاسفة ومؤرخين مرموقين. ونذكر منهم سولون وفيثاغورس وأفلاطون وهيرودوت وبلوتارخوس، والقائمة طويلة جدا.

وعندما جاء الإسكندر الأكبر وزار واحة سيوة وسماه كهنة آمون هناك... "ابن الإله" أسس مدينة الإسكندرية. وانطلق يفتح بلدان العالم بهذا اللقب "ابن الإله"، الذى إكتسبه فى مصر التى صارت دولة يونانية (بطلمية). وهكذا إمتزجت الحضارتان إمتزاجا كاملا ويظهر ذلك جليا فى مكتبة الإسكندرية وحضارتها.

ولكن هذا الإمتزاج الحضارى له شواهد لا يحصىها الحصر، فأنت تجد فى اليونان تماثيل مصرية وأوانى فخارية وتجليات للتأثيرات الحضارية. وأنت تجد فى مصر النصوص اليونانية البردية والمعابد والتماثيل اليونانية. وهذا كله معناه ببساطة شديدة جدا أنه لا غنى لليونان عن مصر وحضارة مصر ولغة مصر. وفى المقابل لا غنى لمصر عن اليونان وحضارة اليونان، ولغة اليونان لكل منهما يلقي الضوء على الآخر.

ومن الواضح الذى لا يحتاج إلى تبيان أن أى تقارب مصرى - يونانى لابد أن يبدأ حضاريا وثقافيا، وهو ما سبق أن ذكرناه، أى ترسيخ الوعى التاريخى بعمق العلاقات بين الشعبين. ولذلك بذلنا أقصى ما نستطيع فى سبيل تدعيم الدراسات اليونانية فى مصر خدمة للتراث المصرى والعربى القوميين من ناحية، وإسهاما فى ترسيخ هذا الوعى التاريخى من ناحية أخرى. وفى نفس الوقت لا نكف عن تذكير اليونانيين بأنهم لن يفهموا تراث بلادهم فهما كاملا بدون اللغة المصرية القديمة واللغة العربية. ونصر فى خطابنا لهم على ضرورة تأسيس أقسام علمية فى جامعاتهم تقوم على هذين التخصصين المقتدئين عندهم. ونحن لا نرضى لليونان أن يتخلف عن بقية الدول الأوروبية فى هذا المجال. ونحن لا ننكر وجود بدايات مشجعة للإستشراق فى اليونان، ولكنها لا تتطور بالقدر الكافى ونضيف إلى ذلك رأينا بأن الجانب المصرى والعربى مطالب بتوجيه أقصى قدر ممكن من العناية والرعاية لهذا الإتجاه. ونأمل بأن نشهد فى اليونان قريبا نهضة للدراسات المصرية

والعربية توازى وتواكب الجهود المبذولة هنا في مصر بالنسبة لتطوير الدراسات اليونانية التي أسسها طه حسين في الجامعة المصرية منذ نشأتها أى من بدايات هذا القرن.

ولكى نقرب من أرض الواقع أكثر وأكثر، علينا أن نتسلح بالنزعة البرهانية الصريحة. ونسأل ماذا يمكن أن تقدم اليونان لمصر والعالم العربى؟ فالبعض يتصور أن اليونان بملايينها العشرة تقريبا واقتصادها القائم على المساعدات الأوروبية لا يستطيع أن تقدم لنا شيئا يذكر. فاليونان لا تملك سوى بقايا الحضارة القديمة، وهو ما لا ينعنا بشئ. طبعاً هذا تصور قاصر ويحتاج إلى تصويب، لأن اليونان بإيجاز شديد هي المدخل الثقافي والبوابة الآسيوية إلى أوروبا، الأوروبيون يتعلمون اليونانية في المدارس الإعدادية والثانوية، ويعتبرون هوميروس وسوفوكليس وأرسطو من أجدادهم. ولذلك تعد الثقافة اليونانية مدخلاً مهماً إلى عقل أوروبا وقلبها أيضاً. وفي هذا الصدد أذكر أن توفيق الحكيم في مذكراته "عصفور من الشرق" تسلل إلى قلب حبيبته الفرنسية سوزى متوسلاً بقصيدة لشاعر إغريقي غنائي هو أناكريون. قرأها أمامها بالفرنسية ففهمت من ذلك أنه يجهل. القصيدة ترجمها توفيق الحكيم في كتابه المذكور بعنوان "المعركة" ويعني معركة الحب التي يخسرها كل من يقاوم الحب. وبالبحث وجدت أن العنوان الأصلي للقصيدة هو "إلى إله الحب" (EIS EROTA).

إذن فاليونان يمكن أن تكون أحد المنافذ إلى قلب الاتحاد الأوروبي، وهي بصداقتها معنا يمكن أن تحافظ على موازين القوى في شرق البحر المتوسط. ناهيك عن الأمل المعقودة على التعاون السياحي. فاليونان هي من أكثر دول العالم جذباً للسياح، وإذا نجحنا في توحيد السوق السياحية فيما بيننا ستخدم بلدينا، مع العلم بأن السياحة والثقافة في تداخل مستمر. أما التبادل التجاري فهو الذى ينبغي أن يحدد كل تلك الثمار. القرب الجغرافي والتقارب الثقافي والسياسي إن هي إلا روافد تصب في هذا الجرى، الذى ينبغي أن نوسعه إلى أقصى حد ممكن.

وانطلاقاً من مبدأ التبادلية أى تبادل المنافع، فنحن نسأل وماذا يمكن أن تقدم مصر لليونان؟ فبالإضافة إلى ما يعرفه الجميع ويردونه، أى أن مصر هي بوابة العالم العربى والجزء الأكبر من أفريقيا نقول إن مصر قوة كبرى في منطقة حوض البحر المتوسط الشرقى، وهي تسهم في الكثير مما يبذل لحل المشكلات بالمنطقة، وأوضح مثل على ذلك مشكلة السلام. واليونان دولة تشاركنا العيش في هذه المنطقة ولها مشكلات مستعصية مع تركيا. ولعل من أهم المشكلات التي تقلق المنطقة وتزعج اليونان بصفة خاصة هي مشكلة قبرص. يمكن لمصر أن تلعب دوراً بارزاً لأن علاقاتها بالطرفين علاقات تاريخية راسخة. ونحن نعتقد أن دور مصر حيوى في هذه المشكلة. ولعلنا هنا نذكر العلاقات الخاصة التي كانت تربط بين عبد الناصر ومكاريوس. فهذه العلاقات لم تنبع من فراغ، ثم أن لمصر موقفاً حاسماً في هذه المشكلة يقوم على تأييد وحدة الأراضي القبرصية وإستقلالها.

إن ترسيخ الوعي التاريخي بعمق العلاقات بين البلدين يمكن أن يدعم مبدأ تبادل المنافع وما يخلق لكل منهما قوة إضافية يستعين بها في حل مشاكله، أو في جنى ثمار التبادل التجاري والثقافي، أو في التنمية الشاملة لشعوب المنطقة.

جاءت مسيرة الدراجات القبرصية التي قادها مواطنوها القبارصة اليونانيون، واقتحموا الأسلاك الشائكة والفاصلة بين جزءى الجزيرة لتوقظ العالم، حتى لا تنسى مشكلة سياسية وإنسانية مستعصية حدث ذلك فى أغسطس ١٩٩٦م. ففى خضم أحداث الشرق الأوسط المتلاحقة الساخنة منها والباردة. الساعية للسلم أو قارعة طول الحرب، نسيت قبرص وكان ينبغي ألا ننسى أن مشكلة قبرص وثيقة الصلة بالشرق الأوسط. فالتأمل المدقق سيلاحظ أن "مسيرة الدراجات" القبرصية ترتبط بتتابع الاتفاقية العسكرية بين إسرائيل وتركيا. وسيربطها كذلك بالتقلبات التركية فى السياسة الخارجية ولاسيما ظاهرة "أريكان" الذى أريك مخططى السياسة الأمريكان، أما اليونان فلقد لجأت إلى إيران للتوسط فى النزاع بينها وبين تركيا. هكذا يعاد توزيع أوراق اللعبة بين اللاعبين، فما هو دور ورقة قبرص فى هذه اللعبة؟

وتمهيدا للإجابة عن هذا السؤال نود الإشارة إلى أن المشكلة القبرصية قديمة جدا وتمتد جذورها فى التاريخ إلى عشرات القرون. فتكوين الجزيرة نفسه وموقعها الجغرافى الحدودى جعلها منطقة نزاع وصراع منذ الأزل، وهى مع ذلك نقطة إلتقاء حضارى تجمع بين الشرق والغرب وبين الأديان السماوية المعروفة. فهى ملتصقة بالساحل الآسيوى وقريبة من لبنان وسوريا وتركيا على المستوى الجغرافى والمادى والثقافى المعنوى. ولكنها فى نفس الوقت جزء عضوى من الحضارة اليونانية العريقة، وبذلك تنتمى تاريخيا وتراثيا إلى أوروبا. وقد يأتى الوقت لتتحدث بالتفصيل عن العلاقة التاريخية العريقة بين مصر وقبرص والامتداد إلى يومنا هذا. إنها إذن جزيرة صغيرة تتنازعها قارات ثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا. وعبر مراحل التاريخ المتتالية عانى أهل الجزيرة مر المعاناة، ودفعوا ثمنًا غالياً. ولم يمر على الجزيرة عقد واحد من الزمن دون منغصات من الشرق أو من الغرب، من الشمال أو من الجنوب.

وبعد صراع مرير انتهى الأمر بقيام جمهورية قبرص وبزعامة مكاريوس وبوجود مجموعتين سكانييتين. الأولى فى الأغلبية اليونانية (حوالى ٨٣٪)، أما الثانية فهى أقلية تركية لاتصل إلى خمس تعداد السكان. وكان يمكن أن تستمر الأمور وتسير سفينة قبرص فى هدوء إلى بر الأمان. ولكن القوى الخارجية تسببت فى قلقاقل داخلية، وسارت الأمور من سعى إلى أسوأ، وإنتهت بكارثة حقيقية هى الغزو التركى للجزيرة فى يوليو ١٩٧٤م. وما يزيد شعور القبارصة اليونانيين بهذه الكارثة أن السبب المباشر والمعلن فيها هم أشقاؤهم اليونانيون. إذ كانت حكومة الكولونيلات الدكتاتورية تحكم فى أثينا وتدبر المؤامرات، ومنها مؤامرة ضد مكاريوس للتخلص منه وإعلان اتحاد قبرص مع اليونان، وهذا أمر نصت معاهدات سابقة دولية على حظره، ورفع شعار توفيقى "لا اتحاد مع اليونان ولا تقسيم للجزيرة".

المهم أن الغزو التركى الذى مر عليه الآن مايقرب من ربع قرن أوجد حالة من الإستعصاء فى المشكلة القبرصية. والسبب هو التدخل الخارجى، لأن أهل قبرص اليونانيين والأتراك كان يمكن أن يعيشوا فى وئام وسلام. وفى مراحل تاريخية سابقة أداروا معاً دفة الأمور على خير ما يرام. أما الآن فهذا أمر من الخيال تحقيقه، إذ سالت الدماء على جانبي الخط الفاصل بينهما، وشرذ الغزو التركى مئات الألوف من القبارصة اليونانيين الذين فقدوا ممتلكاتهم وأحلامهم فى مستقبل آمن، فقدوها فى الجزء الشمالى من قبرص الذى تحتله تركيا، فهم لاجئون مهجرون.

والذى يزيد من حالة الاستعصاء فى المشكلة القبرصية أنها تدخل فى دوائر عدة متداخلة ومتقاطعة، مما يجعل التنسيق والتوفيق بينها من الخال. فإذا أخذنا أقرب هذه الدوائر إلتصاقاً بالمشكلة، وأعنى دائرة العلاقات التركية -اليونانية سنكتشف أن قبرص لاتمثل سوى "ورقة" واحدة- لعلها الأهم -من بين عدة أوراق وقضايا ونزاعات تمتد إلى أربعة قرون مضت، عندما كانت اليونان جزءاً من الامبراطورية العثمانية. هناك "عقدة تركية" فى ضمير الشعب اليونانى لا يمكن التخلص منها بسهولة، لأنهم عانوا من الإحتلال التركى الأمريين، ويعتبرون أن تركيا هى سبب تخلفهم عن سائر أوروبا فيما يسمونه "الليلة الطويلة" من القرن الخامس عشر إلى القرن العشرين (أو حتى القرن التاسع عشر مع الثورة اليونانية ١٨٢١م). فى هذه القرون حدثت النهضة الأوروبية الغربية، وتخلفت عنها اليونان بسبب الإحتلال التركى. ناهيك عن مأساة أسيا الصغرى وغيرها من المآسى التى تستشعرها اليونان وتطفو على السطح كلما شب خلاف حول السيادة على جزيرة صغيرة ومهجورة هنا أو هناك فى بحر إيجة.

لا أمل إذن فى حل المشكلة القبرصية من خلال الدائرة اليونانية - التركية وحدها. أما الدائرة الثانية المهمة فهى الدائرة الأوروبية. قبرص نفسها تعد جزءاً من أوروبا، أو هكذا يراد لها أن تكون. ويتم الاستعداد لدخولها فى الإتحاد الأوروبى، وهناك إتجاه للإسراع فى هذه الخطوة حتى قبل حل المشكلة، على أساس أن هذه الخطوة نفسها قد تكون عاملاً رئيسياً فى الحل^(١). وفى هذا الصدد نشير إلى أن اليونان هى التى تقف حجر عثرة فى طريق تركيا، التى تسعى للإتحاد الجمركى مع الإتحاد الأوروبى. وتشترط اليونان حل المشكلة القبرصية وسحب القوات التركية من الجزيرة أولاً. وفى الواقع يستشعر المرء بتعاطف أوروبى عام مع الشعب والحكومة القبرصيين، ولذلك أسباب عدة، نذكر منها أن الضمير الأوروبى يحس بأن قبرص كانت ضحية الإستعمار الإفرنجى واللاتينى والأنجلوساكسونى (لاسيما الأسرة الإفرنجية اللوسينيانية والبندقية وإنجلترا)، الذى ضيعها وجعلها تقع فى أيدي الدولة العثمانية تلك القوة الشرقية المسلمة. والمتبع لمراحل التاريخ القبرصى يلاحظ أن معاناة القبارصة الأرثوذكس فى ظل الحكم اللاتينى الكاثوليكي كانت بلا حدود، وفاقت فى بعض الحالات المعاناة فى مراحل تاريخية أخرى. وكانت هذه المعاناة هى التى أضعفت قبرص سياسياً واقتصادياً، وأوجدت الانقسام فى المجتمع بين الأغلبية اليونانية والأقلية التركية. وهو ما تعاني منه الجزيرة حتى الآن، وبلغ الكرب مداه بالغزو التركى الذى قضى على كل أمل فى حل إنسانى عادل.

أما الدائرة الشرق أوسطية التى تنخرط فيها المشكلة القبرصية فقد تغيب عن الأذهان وتتوارى عن الملاحظة. وتحتاج إلى تبيان. ومع أن المجال لايتسع للتفاصيل فسنكتفى بالإشارة إلى أن المشكلة القبرصية واكبت الصراع العربى الإسرائيلى وتفاعلت معه سلباً وإيجاباً. صعوداً وهبوطاً. ولعل البحث المدق فى العلاقة الخاصة التى جمعت بين مكاريوس وكل من جمال عبد الناصر وياسر عرفات يستطيع أن يضع أيدينا على تفاصيل مذهلة فى هذا المجال. كما أن نشاط الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية والإنجليزية فى قبرص لدليل قوى على الإرتباط الوثيق بين مشكلات الشرق الأوسط وقبرص. وفى كثير من الحالات تغزو القوات

الأجنبية مصر أو غيرها من البلاد العربية إنطلاقاً من قبرص ، حدث ذلك في الحروب الصليبية وآخر مثل على ذلك العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م حيث إنطلقت طائرات بريطانيا وفرنسا من قاعدتها في قبرص.

وتستخدم قبرص قاعدة للتجسس على دول الشرق الأوسط، فمنها انطلقت طائرات التجسس الغربية عام ١٩٧٠م لتصوير حائط صواريخ سام الذي بنته مصر كخطوة أولى في حرب الاستنزاف التي مهدت لانتصار أكتوبر ١٩٧٣م. وكل ذلك ينهض دليلاً قاطعاً على أن ورقة قبرص جزء من لعبة الشرق الأوسط الحربية أو السلمية.

أما أمريكا فهي دائرة كل الدوائر سالفة الذكر ، إنها المهيمنة على كل تلك الدوائر ، وتصفى أحيانا حساباتها مع كل القوى في الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط في قبرص، فمن الغريب أن أمريكا هي التي سبقت غيرها في إدانة قتل أحد أفراد مسيرة الدراجات القبرصية، عندما حاول إنزال العلم التركي! كنا نتمنى أن يكون موقفها هذا نابعا من شعور حقيقي بضرورة حل المشكلة وإنصاف المظلومين . ولكنها كانت في الواقع ترد على ظاهرة "أربكان" الشرق أوسطية. وهكذا تفعل كل الأطراف المتورطة في المشكلة القبرصية، إنها تصفى حساباتها فيما بينها على حساب وحدة قبرص وسلامة أراضيها والولام بين مجموعتي سكانها. هكذا كانت لبنان إلى عهد قريب. وكثيراً ما ترتبط في ذهني مشكلات قبرص بآسي لبنان وفلسطين.

وها نحن في مطلع عام ١٩٩٧م نشاهد بزوغ أزمة جديدة عندما قررت الحكومة القبرصية نشر صواريخ روسية جو- أرض للدفاع عن نفسها . فكل التصريحات التي خرجت من أنقرة وأثينا وواشنطن وموسكو تذكرنا بقواعد اللعبة التقليدية السائدة في هذا الإقليم منذ زمن . وفي أوائل يوليو من نفس العام بدأت مفاوضات بين زعمي الطائفتين القبرصيتين في نيويورك تحت رعاية الأمين العام للأمم المتحدة ولم تسفر عن شيء ذي قيمة سوى الاتفاق على استئناف المباحثات في جنيف في أغسطس ١٩٩٧م.

كان هناك إجماع في السياسة الدولية فحواه أن تنتظر قبرص بعض الوقت قبل أن تلحق بقطار السلام الذي إنطلق في الشرق الأوسط، فجاءت مسيرة الدراجات وأزمة الصواريخ لتقولاً لنا أن الأفضل أن تلحق قبرص بهذا القطار في أقرب فرصة وإلا فعليها أن تنتظر لعدة قرون قادمة . فالخوف أن تظل في حالة إنتظار وترقب لقطار وهمي لا يمر بهذه الخطأ أبداً، لأنه تعطل عند نقطة الإنطلاق.

قائمة المختصرات

AJA	=	American Journal of Archeology
AKEL	=	الحزب التقدمي لقوى الشعب العاملة
ARDAC	=	Annual Report of the Director of the Department of Antiquities Cyprus
CGF	=	Comicorum Graecorum Fragmenta
EAS	=	الاتلاف القومى من أجل التحرير
EMAK	=	الجهة الوطنية لتحرير قبرص
EOKA (A)	=	المنظمة القومية للمقاتلين القبارصة (للكفاح المسلح)
EOKA - B	=	نفس المنظمة فى المرحلة الثانية ابتداء من ١٩٧١
EREK	=	إتحاد قبرص الوطنى الراديكالى
ESC	=	Early Society in Cyprus.
ESEA	=	اللجنة التنظيمية القومية للكفاح من أجل الإتحاد
[Greek]	=	المراجع باللغة اليونانية الحديثة، والتي وردت فى الحواشى بحروف لاتينية تسهلاً للقراء، وهى مكتوبة فى قائمة المراجع بلغتها الأصلية ويمكن الرجوع إليها.
IEE	=	Ιστορία Ελληνικού Έθνους
JHS	=	Journal of Hellenic Studies
JOAS	=	Journal of Oriental and African Studies
JRS	=	Journal of Roman Studies
KATAK	=	اتحاد المنظمات القبرصية التركية
KTHP	=	حزب الشعب القبرصى التركى
ΠΑΑ	=	Πρακτικά της Ακαδημίας Αθηνων
PEK	=	الاتحاد القبرصى العام للزراعيين
PEM	=	الجهة القبرصية الاتحادية
PEO (PSO)	=	الاتحاد العام للعمال
PESP	=	الحزب التقدمى الاشتراكى القبرصى اليونانى
RDAC	=	Report of the Department of Antiquities Cyprus
SCE	=	Swedish Cyprus Expedition
SIMA	=	Studies in Mediterranean Archeology

قائمة مختارة من المصادر والمراجع أولاً: بالعربية

أ- المصادر

إبن حبيب (شهاب الدين الحلبي الشافعي): درة الأسلاك في دولة الأتراك - نسخة مصورة في ثلاثة أجزاء. دار الكتب المصرية.

إبن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطبخي): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. (نشرها وحققها مع ترجمة فرنسية في أربعة أجزاء الأستاذان دفرمري، منجر بنيتي). باريس ١٨٧٧م، راجع الترجمة اليونانية.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى): المسالك والممالك. لندن ١٨٧٢م.

ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله): المسالك والممالك. لندن ١٨٨٩م.

أرسلان (الأمير شكيب): تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط. القاهرة ١٣٥٢ هـ.

البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر): فتوح البلدان، لندن ١٨٦٦م.

السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن): التبر المسبوك في ذيل الملوك. بولاق ١٨٩٦م.

السيوطي (جلال الدين بن أبي بكر): غزوات قبرس ورودس. واين ١٨٨٤م.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك. لندن ١٨٩٣م.

كاله (باول): منارة الإسكندرية في خيال الظل المصري (وهي مجموعة من الأزجال والقصص كانت تمثل في خيال الظل في العصر المملوكي) قام بنشرها مع مقدمة تاريخية الأستاذ باول كاله. شعوتجارت ١٩٣٠م.

المسعودي (أبو المحاسن علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر. الطبعة الرابعة. مايو ١٩٦٤م.

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (جزآن). صححه ونشره د. محمد مصطفى زيادة. القاهرة ١٩٣٦-١٩٤١م.

النويري (محمد بن قاسم بن محمد النويري الملكي الأسكندري): الإلام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الأسكندرية. مخطوط في جزئين. دار الكتب المصرية.

: صورة عن واقعة الاسكندرية في عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م. من مخطوطة "الإلام"

للنويري السكندري. الدكتور بول كاله Dr. Paul Kahle ترجمة وتعليق:

درويش النخيلي وأحمد قدرى محمد أسعد. مستخرج من مطبوعات جمعية الآثار

بالاسكندرية ١٩٦٩م.

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي): معجم البلدان. القاهرة ١٩٠٦م.

ب- المراجع

- إبراهيم أحمد العدوى: الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم. الطبعة الثانية - مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٠م.
- : الأمويون والبيزنطيون - البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٣م.
- إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالة - جزآن. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٦٠م.
- : تاريخ الرومان: الجزء الأول من أقدم العصور حتى ١٣٣ ق.م. الجزء الثانى من ١٣٣ حتى ٤٤ ق.م. الطبعة الثانية. الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية. القاهرة ١٩٧٩م.
- أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ/ التاسع والثانى عشر الميلادى. الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٢م.
- أحمد عثمان : الأدب الإغريقى تراثاً إنسانياً وعالمياً. الطبعة الثانية. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م.
- : كليوباترا وأنطونيوس. دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي. الطبعة الثانية. أيبييتوس، القاهرة ١٩٩٠م.
- : المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم - دراسة مقارنة. الطبعة الثانية لولجمان، القاهرة ١٩٩٣م.
- : "أوروبا عبر قبرص واليونان" مجلة "أبداع" السنة التاسعة (القاهرة مايو ١٩٩١م) ص ١٥٧-١٦٠.
- أحمد مختار العبادى - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام. دار الأحد (البحرى أخوان) بيروت - لبنان ١٩٧٢م.
- أرشيبالد ر. لويس: (ترجمة أحمد محمد عيسى): القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (١٠٠-١٠٠٠م). مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال. القاهرة - مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية ١٩٦٠م.
- أسد رستم : الروم فى سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب. الطبعة الأولى. جزآن. بيروت ١٩٥٥-١٩٥٦م.
- السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ٣٢٣ - ١٠٨١م. بيروت. دار النهضة العربية ١٩٨٢م.
- أوليفرى، دى لاسى (ترجمة تمام حسان): مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٧م.

آلاستوس، دوروس (ترجمة محمد أمين عبد الله): حرب العصابات فى قبرص. سلسلة من الشرق والغرب العدد ١٦٦. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٦م.

جرىمال، نيقولا (ترجمة ماهر جويجاتى): تاريخ مصر القديمة. دار الفكر، القاهرة ١٩٩١م.

جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر. المكتب الجامعى الحديث. الإسكندرية ١٩٨٢م.

جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤-١٤٥٣م). مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٤م.
: العدوان الصليبي على مصر: هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور. دار الكتب الجامعية ١٩٦٩م.

حسين محمد ربيع: دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٨٦م.
ونسيمان ستيفن (ترجمة عبد العزيز جاويد): الحضارة البيزنطية. القاهرة ١٩٦١م. (أنظر المراجع الأجنبية).

زينب عصمت راشد : كريت تحت الحكم المصرى ١٨٣٠-١٨٤٠. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. القاهرة ١٩٦٤م (وأنظر الترجمة اليونانية بهذا الكتاب): "من تاريخ الحكم المصرى فى كريت. فتنة مورنييس Mournies عام ١٨٣٣م" حوليات كلية الآداب- جامعة عين شمس، المجلد الثالث (يناير ١٩٥٥) ص ١٨١-٢٠٠.

سبيريداكيس، دق. (ترجمة يعقوب كامل الطليحى - ينسى ذياكوفوتاكيس): موجز تاريخ قبرص. الاسكندرية ١٩٧١م (وأنظر المراجع باللغة اليونانية).

سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية. بحث فى تاريخ العصور الوسطى مقدم للدرجة الماجستير فى الآداب. كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول ١٩٤٨م وأعيد نشرها فى هيئة كتاب بنفس العنوان. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧م.
: أوروبا العصور الوسطى. الجزء الأول. التاريخ السياسى. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة السادسة ١٩٧٥م.

: الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد الإسلامى فى العصور الوسطى. جزآن، مكتبة الأنجلو، المصرية ط٤، ١٩٨٦م.

طارق منصور محمد: الجيش فى الإمبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادى. رسالة ماجستير، كلية الآداب - بها ١٩٩٣م.

عائشة سعيد شحاتة أبو الجدايل: الإمبراطورية البيزنطية فى القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) دراسة فى التطورات والتفسيرات. الرياض ١٤١٥هـ (١٩٩٤م).

عبد الرحمن محمد عبد الغنى: "قبرص بين السيادة الإسلامية والبيزنطية ٦٩-٣٥٥هـ = ٦٨٨-٩٦٥م". مجلة العربية للعلوم الإنسانية. العدد ٥١ السنة ١٣ (جامعة الكويت ربيع ١٩٩٥م) ص ٥٨-٩١.

عبد العظيم رمضان: الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م.

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم. الجزء الأول مصر والعراق. الطبعة الرابعة. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٤م.

عبد اللطيف أحمد على: التاريخ اليوناني: العصر الهللاي. دار النهضة العربية (جزآن). بيروت ١٩٧٣-١٩٧٤م.

: مصادر التاريخ اليوناني. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٣م.

: مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية. دار النهضة العربية ١٩٧٤م.

عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى. مكتبة الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٦م.

فازيسف (ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة): العرب والروم. القاهرة ١٩٦٣م. وأنظر المراجع اليونانية).

فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإحتكاك الحربى والإتصال الحضارى. ثلاث أجزاء الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.

قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية: الايديولوجية - الدوافع - النتائج، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ١٩٩٣م.

كين، موريس (ترجمة قاسم عبده قاسم): حضارة أوروبا العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ١٩٩٤م.

كلود كاهن (ترجمة أحمد الشيخ): الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية. سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥م.

كولز، بول (ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ): العثمانيون فى أوروبا. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.

لطفى عبد الوهاب : "عالم هوميروس"، مجلة "عالم الفكر" الكويتية. المجلد الثانى عشر. عدد ٣ (١٩٨١م) ص ١٣- ٥٦.

مجدى نصيف : قبرص بين ألياب حلف الأطلنطى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.
محمد فتحى الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى (عصر جوستينيان). الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.

محمد السعيد إبراهيم: "تركيا والاختيار الصعب بعد أحداث إيران". مجلة "السياسة الدولية". عدد ٥٦ (ابريل ١٩٧٩م).

محمد كمال عبد الحميد: الشرق الأوسط فى الميزان الإستراتيجى. مكتبة الأنجلو المصرية. ط ٢ ١٩٧٢م. ص

- محمد عبد الوهاب الساكت: "قبرص بين التقسيم الداخلى والتقسيم الدولى"، مجلة "السياسة الدولية" العدد ٧٥ (يناير ١٩٨٤م) ص
- محمد عيسى الشرفاوى: "مرحلة حرجة للمشكلة القبرصية"، مجلة "السياسة الدولية"، العدد ٦٧ (يناير ١٩٨١م) ص
- : "تطورات حاسمة للمشكلة القبرصية"، مجلة "السياسة الدولية"، العدد ٧٤ (أكتوبر ١٩٨٣م) ص
- منى حسن أحمد محمود: دراسات فى العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية فى العصر العباسى الأول (١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٤٩-٨٤٦م)، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٠م.
- ميخائيليديس (أوجين): سجل مصور للصحافة اليونانية فى الديار المصرية (١٨٦٢-١٩٧٣م) اسكندرية ١٩٧٢ (وأنظر المراجع اليونانية).
- نازلى معوض أحمد: "الصراع التركى اليونانى فى الجزيرة القبرصية"، مجلة "السياسة الدولية"، العدد ٣٨ (أكتوبر ١٩٧٤م) ص
- نصرت عبد الرحمن: شعر الصراع مع الروم فى ضوء التاريخ (العصر العباسى حتى نهاية القرن الرابع هـ)، مكتبة الأقصى، عمان ١٩٧٧م.
- وسام عبدالعزيز فرج - جوزيف نسيم يوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى. الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨١م.
- : الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (٨٦٦-٩١٦م): الأبعاد الدينية والدلالة السياسية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩١م.
- : الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط. حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت، الحولية التاسعة. الرسالة ٥٣ (١٩٨٧-١٩٨٨م).
- : "الألقاب والمناصب الحكومية فى بيزنطة بين الإستمرارية والإنقطاع"، الكتاب السنوى الثالث للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، (القاهرة ١٩٩٧) ص ١١-٥١.
- يسرى سلطان : قبرص مستقلة. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٧١م.

ثانياً: باليونانية

- Αβερωφ- Τσιτσιτσας (Ευαγγ.): "Ιστορία χαμένων ευκαιριών (Κυπριακό 1950-1963). Αθήνα 1981.
- Ahrweiler (H.): "Βυζαντιο και Μεσογειακή Ευρώπη" Byzantium and Europe. First International Byzantine Conference. Delphi 20-24 July 1985 (Athens 1987) pp. 1-7

Αθανασιαδης (Κωστας): Οι μεγάλες σιαγονες της Κυπριακής Προδ-
οσίας. Νέα Γιορκη, Καμπανα 1992.

του αυτου :Πως και ποιοι προδωσαν την Κυπρο. Νέα Υορκη,
Καμπανα. 1991

Αθανασιου (Α.) :Πορεία Ολεθρου. Αθηνα 1984.

Αριστειδου (Α.Χρ.):Ο Τεκκες της Χαλα Σουλταν. Β' Εκδοση, Λευκωσια
1982.

Βασιλειφ (Α.Α.) :(μεταφρ. Δημοσθ. Σαβραμη) Ιστορια της Βυζαντινης
Αυτοκρατοριας 324 - 1453. Διεθνής Λεσχη Βιβλιου.
Αθηνα 1973.

Βλαχος (Αγγ. Σ.) :Δεκα χρονια Κυπριακου, Αθηνα 1980.

Βραχιμης (Ι.) :Ανατολη-Κυπρος- Δυση. Λευκωσια 1980.

του αυτου :Μακαριος Μυθος και Πραγματικοτητα. Αθηνα 1979

Γιαγκουλλης (Κωστας): Ετυμολογικο και ερμηνευτικο της Κυπριακης
διαλεκτου. Λευκωσια 1990.

Γλυκατζη - Αρβελερ (Ελε'νη) - (μεταφρ. Τουλας Δρακοπουλου):
Η. Πολιτικη Ιδεολογια της Βυζαντινης Αυτοκρατο-
ριας Εκδ ΞΨυχογιος 1988.

Διονυσιου (Γεωργιος):Ο Φορολογικος ρολος της Εκκλησιας της
Κυπρου τον τελευταιο αιωνα της Τουρκοκρατιας.
Λευκωσια 1992.

Hunger (Herbert) :(μεταφραση Α.Π. Μπενακη -, Ι.Β. Αναστασιου, Γ.Χ.
Μακρη) Βυζαντινη Λογοτεχνια. Η λογια κοσμικη
γραμματεια των Βυζαντινων. Τομος Α' Μορφωτικο
Ιδρυμα Εθνικης Τραπεζης, Αθηνα 1987.

Ετμαν (Αχμεντ) :Το Προβλημα της Αποθεωσεως του Ηρακλεους εν
ταις "Τραχινιας" του Σοφοκλεους και εν τω
"Hercules Oetaeus" του Σενεκσ. Ευκριτικη μελετη
περι του τραγικου και του Στωικου νοηματος του
Μυθου. Διατριβη επιδιδακτορια Αθηναι 1974

Ιμπν Μπατουτα :ταξειδια στην Ασια και την Αφρικη 1325- 1354.
Εισαγωγή- Μεταφραση- Σημειωσεις Σισσυ Σιαφακα.
Στοχαστης, Αθηνα 1990.

Ίστορια του Έλληνικου Έθνους: Έκδοτικη Αθηνων: Αθηνα 1970-
1980.

Α' ΠΡΟ.Ι.ΣΤΟΡΙΑ ΚΑΙ ΠΡΩΤΟ.Ι.ΣΤΟΡΙΑ: Ή αυγη του
πολιτισμου (μεχρι του 1100 π.Χ.)

Β' ΑΡΧΑΙΚΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: ' Η εξορμηση των Έλλήνων
(1100 π.Χ.- 479 π.Χ.)

Γ' ΚΛΑΣΣΙΚΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: Το Έλληνικο θαυμα (479
π.Χ.- 336 π.Χ.)

Δ' ΑΛΕΞΑΝΔΡΙΝΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: ' Η μεταλαμπαδευση του
ελληνικου πολιτισμου (336 π.Χ.- 215 π.Χ.)

Ε' ΕΛΛΗΝΙΣΤΙΚΟΙ ΚΑΙ ΡΩΜΑΙΚΟΙ ΧΡΟΝΟΙ: Στο μεταιχμιο
των δυο κοσμων (215 π.Χ.- 324 μ.Χ.)

ΣΤ' ΠΡΩΤΟΒΥΖΑΝΤΙΝΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: ' Η αυτοκρατορια του
Σταυρου (324-565)

Ζ' ΜΕΣΟΒΥΖΑΝΤΙΝΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: Προπυργιο κατα των
βαρβαρων (565-1081)

Η' ΥΣΤΕΡΟΒΥΖΑΝΤΙΝΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: Μεταξυ 'Ανατολης
και Δυσηως (1081-1453)

Θ' ΝΕΩΤΕΡΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: ' Η αδουλωτη σκλαβια (1453-
1812)

Ι' Η ΕΛΛΗΝΙΚΗ ΕΠΑΝΑΣΤΑΣΗ: ' Η αναγεννηση ενος εθνους
(1812-1831)

ΙΑ' ΕΛΕΥΘΕΡΟΣ ΚΑΙ ΑΛΥΤΡΩΤΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: ' Εδραιωση
του 'Ελληνικου Κρατους (1831-1909)

ΙΒ' ΕΞΟΡΜΗΣΗ ΓΙΑ ΤΑ ΕΘΝΙΚΑ ΔΙΚΑΙΑ: Στα χρονια της
μεγαλης αλλαγης (1909-1935)

Καραγιωργη (Β.) :Τα Ελληνικα Μουσεια, Κυπριακο Μουσείο και
Αρχαιολογικοι Χωροι της Κυπρου. Εκδοτικη Αθηνων
Α.Ε. Αθηνα 1975.

Καραγιαννοπουλος (Ι.): Ιστορια Βυζαντινου Κρατους.

Καρλα (Γ.Αθ.) : "Η Κυπρις Αφροδιτη. μια ετυμολογικη Προσπ-
ελαση" Παρουσια Η', Πανεπιστημιο Αθηνων (1991-
1992). σ. 22-27.

Κληριδη (Γλαυκου): ' Η Καταθεση μου (τομοι 4). Εκδοσεις Αληθεια
1988-1991.

Κρανιδιωτη (Νικου): Ανοχυρωτη Πολιτεια: Κυπρος 1960-1974. τομοι
Α-Β. Εστια, Αθηνα 1985.

του αυτου :Οι Διεθνεις Διαστασεις του Κυπριακου. Αθηνα-
Θεμελιο 1983.

του αυτου :Δυσκολα χρονια: Κυπρος 1950-1960. Αθηνα 1981.

- Κυρρης (Κ.Π.) :Κυπρος, Τουρκια και Ελληνισμος. Θεσμοι, Δομες/Σχεςεις, Προβληματα Μεσανατολικη Βιβλιοθηκη, Λευκωσια 1980.
- Λαμπρος (ΣΠ.) : "Η ελληνικη ως επισημος γλωσσα των Σουλτανων". Νεος Ελληνομνημων V (1908). 76. σ. 40-78.
- Lesky (Albin) :Ιστορια της Αρχαιας Ελληνικης Λοδοτεχνιας. Μεταφρ. Α.Γ. Τσοπανακη Εκδ.2. Θεσσαλονικη 1972.
- Λευκης (Ι.) :οι ριζες. Ιστορικη μελετη. Λεμεσος 1984.
- Λιγναδης (Α.Δ.) :Το Πρωτον Δανειον της Ανεξαρτησιας. Αθηνα 1970.
- Λοιζιδης (Σ.) :Ατυχη Κυπρος 1910-1980. Αθηνα 1980.
- Λοιζου (Φ.) :Τα Ελληνικα Γραμματα εν Κυπρω. Έν Λευκωσια 1930.
- Λυμπουριδης :Ιστορια της Κυπριακης Δημοσιογραφιας 1878-1960. Λευκωσια 1973.
- Μαντζουρανη (Ελενη): "Η παραγωγη και το εμποριο του χαλκου στην προιστορικη Κυπρο". Παρουσα Η' Πανεπιστημιο Αθηνων (1992) σ. 71-94.
- Μαχλουζαριδης (Π.Σ.): Κυπρος 1940-1960: ημερολογιο των εξελιξεων. Λευκωσια, Κυπρος 1985.
- Μιτσιδου (Α.Ν) : "Η Παρουσια της Εκκλησιας Κυπρου εις τον αγωνα υπερ των Εικονων. Γεωργιος ο Κυπριος και Κωνσταντινος Κωνσταντιας. Έκδοσεις Ιδρυματος Αρχιεπισκοπου Μακαριου Γ'. Λευκωσια 1989.
- Μιχαηλ (Γ.) : Οι Έλληνες στο Εικοσιενα. Κυπρος 1988
- Μιχαηλιδης (Ευγενιου): Πανοραμα ητοι Εικονογραφημενη Ιστορια του Δημοσι ογραφικου Περιοδικου Τυπου της Αιγυπτου υπο Αιγυπτιωτων Ελληνων (1826-1972). Αλεξα-νδρεια 1972.
- Μιχαηλιδης (Μιχαλης): Κυπρος, αγωνες λευτεριας. Αθηνα- Τηνος 1992.
- Μπουμπουλιδου (Φ.Κ.): Μεταβυζαντινη Ποιησις. Ροδικη- Κυπριακη-Κρητικη. Εστιας- Αθηνα (?).
- Πανταζη (Τ.) :Διπλωματια και πολιτικη του Κυπριακου. Ανατομια ενος λαθους. Εκδ. Ραππα. Αθηνα 1971.
- Παπαγεωργιου (Σπ.): Τα κρισιμα Ντοκουμεντα του Κυπριακου. Αθηνα 1983.

- Παυλίδης (Α.) :Ίστορια της νησου Κυπρου. Λευκωσια Φιλοκυπρος. 1992.
- του αυτου :Μακαριος Γ' Αρχιεπισκοπος Κυπρου, Προεδρο και Εθναρχης 1913 - 1977. Λευκωσια 1981.
- του αυτου :Μακαριος...τομ Β' (απο την ανεξαρτησια μεχρι το θανατο του. Λευκωσια 1981.
- Περναρης (Α.) :Ιστορια της Κυπριακης Γραμματειας. Λευκωσια 1977.
- Πετρωνδας (Χρηστος): Οι Ελληνες στην Αιγυπτο απο την αρχαιο-
τατων χρονων ως σημερα. Εκδοση Συνδεσμου Αιγυ-
πτιωτων Κυπρου. Λευκωσια 1994.
- Πιγγουρας (Λ.) :Μικρος Ωριμαγδος. Λευκωσια 1984.
- Πικρος (Γ.Π.) :Ο Βενιζελος και το Κυπριακο ζητημα. Μελετηματα
γυρω απο τον Βενιζελο και την εποχη του. Αθηνα
1980.
- Πλουτης (Σ.) :Κυπριακο: Ευθυνες (Μεταεισβολικες). Αθηνα-
Παπαζηση 1991.
- Πολιτης (Α.) :Ο Ελληνισμος και η νεωτερα Αιγυπτος. τομος Α-Β.
Αλεξανδρεια- Αθηνα 1928- 1930.
- Πρωτοψαλτη (Εμμ.): 'Η Κυπρος εις τον Αγωνα του 1821. Εκδ. Ενωσησως
Κυπριων Ελλαδος. Αθηνα 1971.
- Ραρεντ (Zenab Ιεματ) (μεταφρ. Ευδενιου Μιχαηλιδη): 'Η κερτη υπο
την Αιδυπτιακην ζξουσian 1830-1840. 'Ηρακλειον
Κρητης 1978.
- Σαρρος (Δ.Μ.) :''Περι Ζηνωνος του Κιτοεως και της Φιλοσοφιας
αντου Συνοπτικως'' 1901 σ. 65-77. Κυπριακαι
Σπουδαι τομος Μθ 1985.
- Σουλογιαννη (Θ.Ε.): 'Η Ελληνικη κοινοτητα Αλεξανδρειας 1843-1993.
Αθηνα 1994.
- Σπυριδακης (Κ.) :Ευαγορας Α'.Βασιλευς της Σαλαμιнос. Λευκωσια
1935.
- :Evagoras I von Salamis, Untersuchungen zur
Geschichte des Kyprischen königs. Stuttgart 1935, 1942.
- Του αυτου :Συντομος Ιστορια της Κυπρου Λευκωσια 1963 A
brief history of Cyprus. Nicosia 1974 أنظر المراجع العربية.

- Στυλιανου (Π.) :Το κινημα του Οκτωβρη του 1931 στην Κυπρο. Διατριβη επι Διδακτορια. Λευκωσια 1984.
- του αυτου :Το κινυηα των οκτωβριανων". Κοινων Κυπριων τευχος 11 οκτ.- Δεκε. 1989 σ.14-17.
- Τριανταφυλλου (Κ.Ν.): Απορρητα του Πολεμου 1940. Πατρας 1981.
- Φραδκουδη (Τ.Σ.):'Ιστορια και γενεαλογια της μεγαλης Κυπριακης οικογενειας Φραδκουδη και των συγγενικων οικογενειων. Αθηναι 1939.
- Χατζηδημητριου (Κ.): Ιστορια της Κυπρου. Λευκωσια 1979.
- Χατζηιωαννου (Κυριακου): 'Η Αρχαια Κυπρος εις τας Ελληνικας Πηγας.
- Τομος Α' :Τα θρυλογουμενα Ιστορια και εθνολογια απο των προιστορικων χρονων μεχρι του 395 Μ.Χ. Λευκωσια. 1985.
- Τομος Β' :Μυθολογια και Θρησκεια, Γεωγραφια και Γεωλογια.1973.
- Τομος Γ'- Μερους Α': Γραμματα- επιστημαι (Ιατρικη')- τεχναι απο των ομηρικων χρσ'νων μεχρι του 395 Μ.Χ. 1975.
- Μερους Β' Κυπριων Γλωσσαι. 1977.
- Τομος Δ'- Μερους Α: Συμπληρωματα εκ των Ελληνικων Επιγραφων και των Λατινικων κειμενων. 1980.
- Μερους Β': Προλεγομενα.
και Σημειωσεις εις τας Εληνικας επιγραφας και τα' Λατινικα κειμενα. 1980.
- Τομος Ε, :Γενικαι Συντομογραφαι. Γενικα Συμπλη ρωματικα- Σχολια κατ' Επιλογην- Γενικοι Πινακες Ονομα'των και Πραγματων- Χαρται. 1983
- Τομος ς Συμπληρωματα εις τα κειμενα. Κριτικα Σχολια. Μονογραφιεσ: Ζηνων ο Κιτιευς. Κλσαρχος ο Σολευς, Αγιος Λαζαρος, Λευκωεια. 1992.
- του αυτου :Η Μεσαιωνικη Κυπρος. Θεσμοι. Ποιηση. Λαογρ- αφια. Εκδ. Ιερος Αρχιεπισκοπης Κυπρου. Λευκωσια 1993.
- Χριστου (Ξυδα) :Τα Κυπρια "Επη (Προλεγομενα- κειμενα- ερμγνευ- τικον υπομνημα). Διδακτορικη Διατριβη Αθηναι 1979

- Χριστοφίδου (Νάσα): "Η Αγνή Λουζινιαν και η οικογεννία της. Συμβόλη στην Προσωπογραφία του Οίκου Λουζινιαν". Ανατυπών από την Επετηρίδα του Κέντρου Επιστημονικών Ερευνών. XIX (1992) σ. 203-250.
- Χρυσανθής (Ζιτσαία): Κυπριας Λογοτεχνίδες. Θεσσαλονίκη 1972
- Χρυσανθού (Κ.) :Κύπρον κατά τους χρόνους της Φραγκοκρατίας. Λευκωσία 1967.
- Χρυσανθού (Χρ.) :Σύντομη Ιστορία της Νεώτερης και Σύγχρονης Κυπριακής τέχνης, Λευκωσία 1983.

ثالثاً: بلغات أخرى

- Ahrweiler (H.) :Byzance et la mer. 1966.
- Aldridge (J.F.) :The Cross and its Cult in an Age of Iconoclasm. Ph.D. Ohio State University, 1993.
- Alexandris (A.) :The Greek community of Istanbul. The Minority Question and Greek -Turkish Relations from 1918 to the Present. Athens 1983.
- Antoniadis (H.) - Bibicou: Etudes d'Histoire maritime de Byzance. Apropos du "thème" de caravisiens. 1966.
- Aquinas (Thomas) : On Kingship to the king of Cyprus, ed. G.P. Phelan- I. Th. Eschmann. Toronto 1949.
- Bagnall (R.S.) :The Administration of the Ptolemaic Possessions. 1976.
- Beraud (S.) :La culture Française dans l'espace Chypriote: De 1192 à 1571- De 1800 à 1971. Publication du Service Culturel du Ministère de l' Education de Chypre. Nicosie 1990.
- Idem :Terre Sainte de Chypre. L'ordre de frères Mineurs: Eglises et couvents (1217-1987).
Δελτίον της Εταιρείας Κυπριακών Σπουδών.
Λευκωσία 1987, pp. 135-153.
- Idem :La resurrection d' Homère. 1930

- Bernal (M.)** :Black Athena: The Afro-asiatic Roots of Classical Civilization. Vol. I The Fabrication of Ancient Greece 1785 - 1985. Vol. II The Archaeological and Documentary Evidence Rutgers University Press 1993.
- Cameron (Averil)**: "Cyprus at the time of the Arab Conquests" Reprint from: Επετηριδα της Κυπριακης Εταιρειας Ιστορικων Επουδων.. pp. 27-50. Νιχουσια 1992.
- Idem** : "The Eastern Provinces in the 7th. Century A.D. Hellenism and the Emergence of Islam". Actes du colloque de Strasbourg 25-27 Octobre 1989. Université des Sciences Humaines de Strasbourg. Travaux du Centre de Recherche sur le Proche- Orient et la Grèce Antiques, pp. 287-313.
- Campagnolo- Pothitou (Maria)**: "Les échanges de prisonniers entre Byzance et L' Islam aux IXe et Xe siècles" (JOAS) Vol. 7 (1995), pp.1-56.
- Carpenter (Rhys)** : "The Antiquity of the Greek Alphabet" AJA xxxvii (1933) pp. 8-20.
- Idem** : "The Greek Alphabet Again" AJA XLII (1938) pp.59-69.
- Charles- Gaffiot (J.)**: La France aux portes de l'orient. Chypre XII eme- XV eme siècle. Ouvrages collectives sous la direction de jacque charles- Gaffiot centre culturel dupantheon. Paris 1991.
- Charanis (P.)** : Church and State in the Later Roman Empire. Thessaloniki 1974.
- Cobham (C.D.)** : "The Story of Umm Haram". Journal of Royal Asiatic Society (January 1897). p.181 ff.
- Idem** : "A Prehistoric Building at Salamis". JHS IV (1883) p.111 ff.
- Coldstream (I.N.)** :Geometric Greece. 1977.
- Constantinidis (C.N.)**: Higher Education in Byzantium in the thirteenth & early fourteenth Centuries (1204- ca. 1310). Nicosia, Cyprus Research Centre 1982.

- Constantopoulos (D.S.):** The Turkish Invasion from the Aspects of International Law. Transl. from the German Yearbook of International Law XXI 1978.
- Couloumbis (Th.A.):** The United States, Greece and Turkey. The Troubled Triangle. Preface by Alvin Z. Rubinstein New York, Praeger Publishers 1983.
- Daszweski (W.A.):** "Nea Paphos Excavations 1995" Polish Archeology in the Mediterranean (Warsaw 1996) pp. 91-99.
- Dendias (M.)** :La question Chypriote aux Points de Vie Historique et de Droit International. Paris 1934.
- Dietrich (B.C.)** :The origins of Greek Religion. 1974.
- Dikigoropoulos A.I.:** Cyprus betwixt Greeks and Saracens A.D 647-969. Oxford Ph.D. Thesis 1961.
- Idem** : "The Political Status of Cyprus A.D. 648-965". RDAC 1940-1948. (1958) pp. 101-121.
- Dothan (Tr.)** :The Philistines and their Material Culture. 1982.
- Dunbabin (T.J.)** :The Greeks and their Eastern Neighbours. 1957.
- Easterling (P.E.) - Knox (B.M.W.) - edd.:** The Cambridge History of Classical Literature. I Greek Literature. Combridge University press 1985 reprint 1987.
- Economidis (Chr.):**The problem of Cyprus. The Territorial Aspect, The Anatolian Settlers and the U.N Secretary General Initiative. Nicosia 1983.
- Economidis (M.)** . :Cyprus, the case for Enosis. Cyprus Affairs Committee. London 1954.
- Englezakis (B.)** : "Cyprus as Stepping Stone between West and East in the Age of the Crusades". Xve Congrès International des Science Hist. 1980 pp. 216-221.
- Etman (Ahmed)** : "Foreigners in Greek Tragedy", Proceedings of the XIIth Congress of the International Comparative Literature Association, Munich (1988) Published 1990 Vol. 2 pp. 546-552.

- Idem** :“Isis in the Greco- Roman World with a special reference to Plutarch’s Treatise *De Iside et Osiride*” JOAS 2,(1990) pp. 11-21.
- Farnell (L.R.)** :Greek Hero-Cults and Ideas. of Immortality Oxford 1921.
- Flourentzos (P.)** :“Tomb Discoveries from the Necropolis of Ayia Paraskevi, Nicosia”. Reprinted from the Report of the Department of Antiquities Cyprus, RDAC 1988 part 1 pp. 121-125.
- Idem** :“Tomb Groups from the Necropolis Ay. Omologites”. Reprinted from the Report of the Department of Antiquities Cyprus, RDAC 1986 pp. 150-163.
- Idem** :“A selection of Roman Lamps from Cypriot Private collections”. Reprinted from the Report of the Department of Antiquities Cyprus, RDAC 1982 pp. 207-209.
- Frangoudis (G.S.)** :Self- government for Cyprus Under British Rule. Draft of a Constiution for Cyprus. Athens 1933.
- Georghallides (G.S.)** :A political and Administrative History of Cyprus 1918-1926. Nicosia, Cyprus Research Centre 1979.
- Glantz (G.)** :The Aegean Civilization 1925 reprint. 1968.
- Habashi (El Z.)** :Tutankhamun and the Sporting Traditions. Peter Lang. New York. 1992
- Hadjistephanou (Clea)** : “Athletics in Ancient Cyprus and the Greek Tradition from 15th/14th century B.C.— A.D. 330”. Cyprus- to- day, XXXII July-December 1994 (No 3 & 4) pp. 2-15.
- Haldon (J.)** :Byzantium in the seventh century. Cambridge 1990.
- Harrison (Jane)** :Epilegomena to the Study of Greek Religion. Cambridge 1921 reprint 1980.
- Eadem** :Themis. A study of the Social Origins of Greek Religion. Cambridge 1927 reprint 1977.
- Havelock (E.A.)** :The literate ReVolution in Greece. 1982.
- Helbing (L.)** :“Alasia Problems” SIMA, LVII, 1979.

- Hill (G.)** :A History of Cyprus Vol. 1-IV, Cambridge University Press 1949-1952.
- Hitchens (Ch.)** :Cyprus. Quartet Books, London 1984.
- Huxley (G.)** : "Why did the Byzantine Empire not fall to the Arabs?". Inaugural Lecture, Gennadius Library. American School of Classical Studies. Athens 1986.
- Ioannou (P.)** :La legislation imperiale et la christianisation de l' Empire Romain 311-476. Rom. Or. Chr. Anal 1972.
- Jeffreys (Elizabeth)**: "The image of the Arabs in Byzantine Literature". Major Papers of the 17th International Byzantine Congress. New Rochelle 1986. pp. 305-323.
- Kaegi (W.)** : "Initial Byzantine reactions to the Arab conquests" Church History 38 (1969) pp. 139-149.
- Kaloudis (G.St.)** :The Role of the U.N. in Cyprus from 1964 to 1979. Dissertation, Univeristy of Kansas U.S.A 1983.
- Karageorghis (V.)** :Prehistoric Greece and Cyprus. London 1973.
- Idem** :Cyprus from the Stone Age to the Romans. 1982.
- Idem** :Salamis in Cyprus. 1969.
- Idem** :The Cyprus Museum. C.Epiphanou Publications Ltd. Nicosia 1989.
- Karapli (Katerina)**: "Speeches of Arab Leaders to their Warriors according to Byzantine Texts" Graeco- Arabica V (Athens 1993) pp. 233-242.
- Knapp (A.B.)- Muhly (J.D.)- Muhly (P.M.)**: "To hoard is human: Late Bronze metal deposits in Cyprus and the Aegean". Report of the Department of Antiquities Cyprus (RDAC) 1988 pp. 233-262.
- Koliopoulos (J.S.)** :Greece and the British Connection 1935 - 1941. Oxford 1977.
- Koutrakou (N.A)** :The Image of the Arabs in Middle - Byzantine Politics. A study in the Enemy principle (3th- 10th centuries) Graeco- Arabica V (Athens 1993) pp. 213-224.

- Kypri (Chrystalla):** Le Néolithique à Chypre. Maitrise Université de Toulouse, Le Mirail 1984.
- Kyriakides (Stanley):** Cyprus, constitutionalism and crisis Government. University of Pennsylvania Press 1969.
- Kyrris (C.P.)** :History of Cyprus with an Introduction to the Geography of Cyprus. Nicocles Publishing House. Nicosia, Cyprus 1985.
- Idem** :Peaceful Co-existence in Cyprus under British Rule (1878-1959) and after Independence: an Outline. Nicosia 1977.
- Idem** :St. Barnabas and St. Paul in Cyprus. Stasinou, Πρακτ. Α' Παδκυπρ. Συνεδρ. Ελλγν. Πολιτ. 21-23 Δεκ. 1973 σ. 97-125. Λευκωρία 1974.
- Laurens (A.F.)- Louka (E.):** "Les masques Chypriotes", Cahiers du Gita No.3. Montpellier. Octobre 1987, pp. 23-36.
- Loenertz (R.J.)** :Byzantina et Franco- Graeca Series Altera. Roma 1978. pp. 64 ff.
- Loizides (Savvas)** :The Cyprus Question and the Law of the United Nations. Nicosia 1954.
- Louca (Eleni)** :[Les sanctuaires et les Cultes du Bronze Récent dans l'isle de Chypre. Maitrise Université Paul Valéry, Montpellier III 1983.
- Lusignano (Steffano):** Chorografia e breve Historia Universale dell' Isola di Cipro. Bologna 1573.
 = والنسخة الفرنسية
 Estiene de Lusignan: Description de toute l'Isle de Cypre. Paris 1580.
- Maier (F.G.)** :Cyprus from Earliest Times to the present day. 1968.
- Mango (C.)** :Byzantium the Empire of New Rome. London 1981.
- Markides (K.)** :The Rise and fall of the Cyprus Republic. New Haven- London. Yale University Press 1977.
- Masson (O.)** : "Apropos d' Alasia", Kadmos XII (1973). pp. 98 ff.

- Mellaart (J.)** :The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia. Khayats, Beirut 1966.
- Mitford (T.B.)** :The Inscriptions of Kourion. 1971.
- Muhly (J.D.)** :“The Organisation of the Copper industry in Late Bronze Age Cyprus”. Early Society in Cyprus (ESC) 1989 pp. 298-314.
- Idem** :“The Role of Cyprus in the Economy of the Eastern Mediterranean during the second Millenium B.C.” Acts of the International Archeological Symposium “Cyprus between the Orient and Occident” ed. by V. Karageorghis. Nicosia 1986 pp. 43-62.
- Nicolaou (A.)** :La Chanson d’ Arodaphnoussa des origines franques à la tradition populaire actuelle. Memoire de Maitrise. Montpellier 1981-1982.
- Nicolaou (I.M.)** :Prosopography of Ptolemaic Cyprus. 1976.
- Nicolle (D.)** :“Byzantine and Islamic Arms and Armours. Evidence for mutual influence” Graeco- Arabica (Athens 1991) pp. 299-325.
- Ostrogorsky (G.)** :History of the Byzantine State. Blackwell 1968.
- Panteli (Stavros)** :A New History of Cyprus from the earliest times to the present day. Introduction by C.M. Woodhouse. East -West Publications. London and Hague 1984.
- Papadopoulos (A.N.)**: Aspects Juridiques et politiques de l’action des Nations Unies à Chypre. Nicosia 1970.
- Papadopoulos (Th.)**: Social and Historical Data on Population of Cyprus 1570- 1881. Nicosia 1965.
- Papageorgiou (Ath.)**: Masterpieces of the Byzantine Art of Cyprus. 1965.
- Papastratis (Proc.)**: British Policy towards Greece during the Second World War (1941-1944). Cambridge University Press 1984.
- Patrick (R.A.)** :Political Geography and the Cyprus conflict 1963-1971. Ed. by J.H. Bate & R. Preston. Publ. by the Department of Geography, Faculty of Environmental Studies University of Waterloo. 1976.

- Philaniotou - Hadjiastasiou (Olga):** "The Greek Connection: From Alexandria to Cyprus". Lecture given at the Royal Scottish Museum 30, May 1988.
- Pingree (D.)** : "The Byzantine Version of the *Toledan Tables*". The work of George Lapithes?". *Dumbarton Oaks Papers* XXX (1976) pp.86-132.
- Polyviou (G.)** : Cyprus, Conflict and Negotiation 1960-1980. Duckworth, London 1980.
- Idem** : Cyprus in Search of a constitution. Constitutional Negotiations and Proposals 1960-1975. Nicosia 1976.
- Powell (Anton) ed.:** The Greek World Routledge, London and, New York 1995.
- Prawer (J.)** : Histoire du Royaume Latin de Jerusalem II. Paris CNRS 1975.
- Pritchard J.B. (ed.):** The Ancient Near East. An Anthology of Texts and Pictures. Princeton University Press 1958.
- Richards (D.)** : Brief History of Cyprus in ten chapters. Kyriakou Books, Nicosia 1992.
- Rohde (E.)** : Psyche. The Cult of Souls and Belief in Immortality among the Greeks. Transl. from the 18th ed. by W.B. Hillis. London 1925.
- Runciman (St.)** : A History of the Crusades III. Penguin Books 1965.
(وقد ترجم إلى اللغة العربية)
- Sandars (N.)** : The Sea Peoples, Warriors of the Ancient Mediterranean. 1978.
- Setton (K.M.)** : A History of the Crusades II. 1189-1311. 1969
- Škon-Jedelle (Nancy Joan):** "Aigyptiaka": a catalogue of Egyptian and Egyptianizing objects excavated from Greek Archaeological sites ca. 1100-525 B.C. with Historical commentary. Ph.D. 1994. University of Pennsylvania.
- Smallwood (E. Mary):** The Jews under Roman Rule from Pompey to Diocletian. A study in Political Relations. Leiden- Brill . 1981.

- Salomidou-Ieronimidou (Marina):** Le culte des divinités grecques a Chypre, à travers la documentation épigraphique durant les périodes archaïque, classique, hellénistique et romaine, Maîtrise Université de Paris Sorbonne. Paris IV. 1981.
- Sonyel (S.P.)** : Turkish Diplomacy 1918-1923 M. Kemal and the Turkish National Movement. Sage Publications-London 1975.
- Sophocles Sophocleou (et alü):** Archaeologia Cypria. 1985 in Honour of Professor Einar Gjerstad on the Occasion of the 50th Anniversary of the Department of Antiquities Cyprus. Nicosia 1985.
- South (A.)** : "From Copper to Kingship. Aspects of Bronze Age Society viewed from the Vasilikos Valley" ESC 1989, pp. 315-324.
- Spyridakis (C.)** : A Brief History of Cyprus. 1974. (وقد ترجم إلى اللغة العربية)
- Stagor (Petros)** : La Question de Chypre 1950-1960. Mémoire, Paris 1975.
- Starr (C.G.)** : The Origins of Greek Civilization. 1961.
- Strange (John)** : Caphtor/ Keftiu. Leiden- Brill 1986.
- Stratos (A.)** : Byzantium in the seventh century. Engl. Transl. 5 Vols. Amsterdam 1968-1970.
- Stylianou (A. & J.):** The Painted Churches of Cyprus. 1964.
- Svolopoulos (C.)** : "The Lausanne peace Treaty and the Cyprus Problem". Greece and Great Britain during World War I, First Symposium Organized in Thessaloniki by the Institute for Balkan studies and King's College in London. 15-17 December 1983. Thessaloniki 1985. pp. 233-245.
- Svoronos (N.)** : Questions sur la situation sociale et juridique des Grecs Chypriotes pendant la domination franque XVe Congrès Intern. d'Etud. Byz. Athènes 1976.

- Swing (S.)** : "From Round House to Duplex: a reassessment of prehistoric Cypriot Bronze Age Society" ESC. 1989. pp. 14-31.
- Idem** : "The Philia Culture and its foreign relations". ACTSb 1986 pp. 29-44.
- Tenekides(G.)** : Chypre, Histoire recente et Perspectives d'avenir. Paris, Nagel 1964.
- Tornaritis (C.G.)** : Cyprus and its Constitutional and other legal Problems. Nicosia 1980.
- Toy Barbara** : Rendezvous in Cyprus. John. Marray 1970.
- Vanezis (P.N.)** : Cyprus: The Unfinished Agony. London, Abelard-Schuman 1977.
- Idem** : Makarios: Pragmatism versus Idealism. London, Abelard Schuman 1974.
- Idem** : Makarios: Faith and Power. London, Abelard-Schuman 1971.
- Vasiliev (A.A)** : Byzance et les Arabes II La dynastie Macedonienne. 867-954. Bruxelles 1950. (وانظر الترجمة العربية واليونانية)
- Vercoutter (J.)** : L' Egypte et le monde égéen prehellenique, Le Caire 1956.
- Vermeule (C.C.)** : Greek and Roman Cyprus. 1976
- Vryonis (Sp.)** : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. University of California Press 1971.
- Weber (F.G.)** : The Evasive Neutral Germany, Britain and the Quest for a Turkish Alliance in the Second World War. University of Missouri Press 1976.
- Webster (T.B.L.)** : Hellenistic Poetry and Art. London 1964.
- Woodhouse(C.M.):** "The offer of Cyprus, October 1915". Greece and Great Britain during World War I" First Symposium organized in Thessaloniki by the Institute for Balkan Studies and King's College in London 15-17 December 1983. Thessaloniki 1985, pp. 77-97.

History of Cyprus

The Island of Beauty and Pain
From Antiquity to the Present Day



Bibliotheca Alexandrina
General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Ahmed Etman

Professor of Greek and Latin Studies
Centre for Comparative Linguistics and Literary Studies
(CCLLS), Director
Faculty of Arts - Cairo University

Cairo 1997

The Author Prof. Ahmed Etman

- Ex- chairman of the Dept. of Classics, Director of the Center for Comparative Linguistic and Literary Studies (CCLLS), Faculty of Arts, Cairo University.
- Chairman of the Egyptian Society of the Graeco-Roman Studies (ESGRS).
- Ex- chairman of the Egyptian Society of Comparative Literature (ESCL).
- Ex- advisor to the Minister of Higher Education for Bibliotheca Alexandrina.
- Honorary Member of the Greek Society of Philology "Parnassus".

LITERARY STUDIES

- Ancient Greek Literature: A Human and Universal Legacy. First ed. Alam al-Ma'rifa Series. No.77 Kuwait 1984. 50.000 copies. Second ed. Dar Al-Maaref. Cairo. 1987.
- Latin Literature and its Cultural Role upto the end of the Golden Age. First ed. Alam Al-Ma'rifa Series. No.141. Kuwait September 1989. 50.000 copies. Second ed. Dar Al-Maaref 1995.
- Latin Literature and its Cultural Role. The Silver Age. Aegyptus. Cairo 1990.
- Cleopatra and Antony: A Study in the Art of Plutarch, Shakespeare and Shawky. Second ed. Aegyptus, Cairo 1990 (with summary in English).
- Les Sources Classiques du Théâtre de Tewfik El-Hakim: Etude Comparative, (avec un résumé en français). L'Organisation Egyptienne Generale du Livre. Le Caire 1978. 1^{ed}. Seconde Longman 1993.
- The Mask of Brechtianism and Communism. A Study of Epic Theatre. Aegyptus. Cairo 1992.
- Different essays, researches and presentations in Arabic, English and Greek. Some were published in certain periodicals others were published in the acts of this congress or that in Greece, Italy, France, Germany ... etc.

TRANSLATIONS FROM GREEK AND LATIN INTO ARABIC.

- (Et al.) Virgil's "Aeneid". Egyptian General Book Organisation 1971-1973. This translation received the State National Award 1973.

| Continued |

المؤلف

د. أحمد عثمان

- أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية ومدير مركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة بكلية الآداب - جامعة القاهرة.
- رئيس الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية.

من أهم كتبه في الدراسات الأدبية:

- الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً. الطبعة الثانية - دار المعارف ١٩٨٧.
- الأدب اللاتيني ودوره الحضارى (حتى نهاية العصر الذهبي) - الطبعة الثانية. دار المعارف ١٩٩٥.
- الأدب اللاتيني ودوره الحضارى. العصر الفضى - أيجيوس - القاهرة ١٩٩٠.
- كليوباترا وأنطونيوس. دراسة في فن بلونارخوس وشكسبير وشوقي. الطبعة الثانية. أيجيوس، القاهرة ١٩٩٠.
- المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم: دراسة مقارنة. الطبعة الثانية الشركة المصرية العالمية للنشر لوحيان ١٩٩٣.
- قناع البريختية والشيوعية. دراسة في المسرح الملحمي، التنوير الذهبي البريختي والتطهير الأرسطي، بريخت بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي. أيجيوس، القاهرة ١٩٩٢.



مؤلفات ومترجمات باللغة اليونانية الحديثة:

- إشراك في "ترجمة معاني القرآن الكريم". أثينا ١٩٨٧.
- ترجم "بداية ونهاية" لتجيب محفوظ. الطبعة الأولى بسخيوس أثينا ١٩٩٠. (ونشرت لها عدة طبعات).
- مشكلة تأليه هرقل في "بنات تراخيس" لسوفوكليس و "هرقل فوق جبل أويتا" لسينيكيا دراسة في المفهوم التراجيدي والمغزى الرواقى للأسطورة. منشورة مع موجز باللغة الإنجليزية. أثينا ١٩٧٤.
- له دراسات أدبية متفرقة بالعربية والإنجليزية واليونانية والإيطالية إما منشورة بمجلات عربية وأجنبية أو ألفت في مؤتمرات علمية بالجامعات الأوروبية ونشرت ضمن أعمال هذه المؤتمرات.

من أهم مؤلفاته الإبداعية:

- "كليوباترا تعشق السلام". الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ وقد ترجمت إلى الإيطالية واليونانية والفرنسية والإنجليزية.
- "عودة البصر للضيف الأعمى". الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ وعرضها بالكويت ١٩٨٣.
- "الحكيم لا يموتون". مجلة "عالم" الأولى لوفاة بالأقصر بالفرقة المركبة بالقاهرة ودار الأوبرا صيف ١٩٩١.

- طريقنا إلى الحرية: محاوره زكى نجيب محمود - أحمد عثمان. عين للدراسات والبحوث. القاهرة ١٩٩٤.

من أهم مترجماته إلى اللغة العربية:

- "الإنيادة" لفرجليوس (بالاشتراك) ونالت جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٧٣.
- "هرقل" فوق جبل أويتا" لسينيكيا، سلسلة من المسرح العالمى الكويبة عدد ١٣٨ مارس ١٩٨١ وأذيعت بالبرنامج الثانى.
- "السحب" لأريستوفانيس: نفس السلسلة عدد ٢١٥ أغسطس ١٩٨٧ (المقدمة) وعدد ٢١٦ سبتمبر ١٩٨٧ (النص) وأذيعت بالبرنامج الثانى.
- "بنات تراخيس" لسوفوكليس نفس السلسلة عدد ٢٤٩ يونيو ١٩٩٠ وأذيعت بالبرنامج الثانى.
- الكثير من قصائد الشعر اليونانى الحديث المنشورة في مختلف المجلات العربية.

